

نعلم



# الأطفال المصغار



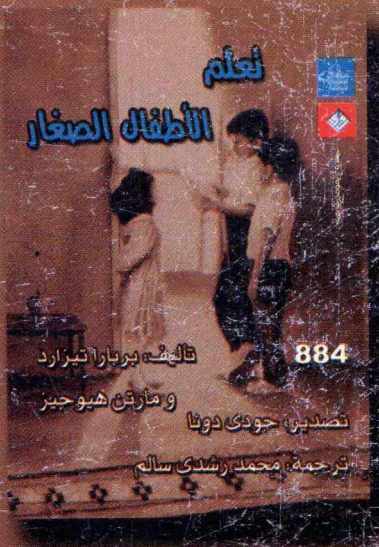
المشروع القومى للترجمة

تأليف: بربارا تيزارد  
مارتن هيوز

884

ترجمة: محمد رشدى سالم



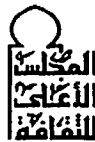


يمكن أن يكون لدراسة نمو الأطفال تأثير عميق على الطريقة التي يتم بها تربية الأطفال، ورعايتهم وتعليمهم. ويدافع الكثير من علماء النفس عن وجهة نظرهم القائلة بأنه حتى لو كانت معرفتنا غير كاملة، فإن علينا مسؤولية مساعدة أولئك المختصين برعاية وتعليم ودراسة الأطفال وذلك بأن نجعل ما نعرفه في متناول أيديهم. والهدف الرئيسي من هذا الكتاب هو تشجيع علماء النفس التطويريين على عرض اكتشافاتهم وبحوثهم على الآخرين الذين يدخل في نطاق عملهم رعاية وتعليم ودراسة الأطفال الصغار وعائلاتهم. وتشكل المعلومات والأفكار التي نشأت من الأبحاث التي ظهرت أخيراً مصدراً مهماً ينبغي أن يكون في متناول أيديهم. ويقدم هذا الكتاب فرصة لعلماء النفس لتقديم عملهم بطريقة بسيطة ومفيدة، ومفهومة وواضحة، وواقعية، ومناقشة ما يمكن أن تسفر عنه نتائجها بالنسبة لهؤلاء الذين يقومون برعاية الأطفال وتعليمهم: ليس لتقديم نصائح توجيهية إرشادية بسيطة لأساتذة مهنيين آخرين، ولكن لجعل أبحاثهم المهمة والمبتكرة سهلة الوصول إليهم.

# تعلم الأطفال الصغار

تأليف: باربرا تيزارد ومارتن هيوز

ترجمة: محمد رشدي سالم







المشروع القومي للترجمة  
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٨٨٤
- تعلم الأطفال الصغار
- باربرا تيزارد ومارتن هيوز
- محمد رشدي سالم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب

Young Children Learning (Second Edition).

By: Barbara Tizard and Martin Hughes.

With a new foreword by Judy Dunn

©1984,2002 By: Barbara Tizard and Martin Hughes.

This edition is published by arrangement  
with Blackwell Publishing Ltd, Oxford.

Translated by The Supreme Council of Culture  
from The original English language version.

Responsibility of the accuracy of the translation rests solely  
with The Supreme Council of Culture  
and is not the responsibility of Blackwell Publishing Ltd

---

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

TEL: 7352396 Fax: 7358084

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.



## المحتويات

9	• تصدير جودى دان.....
17	• مقدمة.....
23	(١) لماذا درسنا تعلم الأطفال.....
37	(٢) كيف قمنا بهذه الدراسة.....
	(٣) التعلم فى البيت: لعب الأدوار، وألعاب التسلية، والقصص، و"الدروس".....
53	.....
103	(٤) التعلم فى البيت: العيش والتحدث سوياً.....
143	(٥) العقل المحير لمن هم فى سن الرابعة.....
183	(٦) الحرمان اللفظى فى الطبقة العاملة: أسطورة أم حقيقة؟.....
221	(٧) عصر يوم مع دونا وأمها.....
247	(٨) كيف صار حال الأطفال فى مدرسة الحضانة.....
293	(٩) بنات الطبقة العاملة، بمن فى ذلك دونا، فى المدرسة.....
321	(١٠) الثغرة بين البيت ومدرسة الحضانة.....
341	(١١) تعلم الأطفال الصغار.....
367	• ملحق إحصائى.....
375	• المراجع.....





## فهم عوالم الأطفال

بقلم محرر السلسلة: جودى دان

يمكن أن يكون لدراسة نمو الأطفال تأثير عميق على الطريقة التى يتم بها تربية الأطفال، ورعايتهم وتعليمهم. ويدافع الكثير من علماء النفس عن وجهة نظرهم القائلة بأنه حتى لو كانت معرفتنا غير كاملة، فإن علينا مسؤولية مساعدة أولئك المختصين برعاية وتعليم ودراسة الأطفال وذلك بأن نجعل ما نعرفه فى متناول أيديهم. والهدف الرئيسى من هذه السلسلة هو تشجيع علماء النفس التطويريين على عرض اكتشافاتهم وبحوثهم على الآخرين - المعلمون والأطباء والأخصائيون الاجتماعيون والطلاب وزملائهم من الباحثين - الذين يدخل فى نطاق عملهم رعاية وتعليم ودراسة الأطفال الصغار وعائلاتهم. وتشكل المعلومات والأفكار التى نشأت من الأبحاث التى ظهرت أخيراً مصدراً مهماً ينبغى أن يكون فى متناول أيديهم. وتقدم هذه السلسلة فرصة لعلماء النفس لتقديم عملهم بطريقة شيقة ومفيدة، ومفهومة وواضحة، وواقعية، ومناقشة ما يمكن أن تسفر عنه نتائجه بالنسبة لهؤلاء الذين يقومون برعاية الأطفال وتعليمهم: ليس لتقديم نصائح توجيهية إرشادية بسيطة لأساتذة مهنيين آخرين، ولكن لجعل أبحاثهم المهمة والمبتكرة سهلة الوصول إليهم.





## تصديير

ماذا يتعلم الأطفال الصغار فى البيت؟ أى نوع من المفكرين أولئك الذين بلغوا الرابعة من العمر، وكيف يحاولون إدراك المراد من عالمهم؟ هل يعانى أطفال الطبقة العاملة من البيئات المنزلية "المحرومة"، فيما يتعلق بخبراتهم اللغوية؟ وكيف تختلف خبرات التعلم بالنسبة للأطفال فى البيت عنها فى مدرسة الحضانة؟

واضح أن هذه الأسئلة ترتبط ارتباطا وثيقا بموضوع الكتاب، وأن لها أهميتها الاجتماعية فى الوقت الحاضر، تماما كما كان وضعها فى الثمانينيات من القرن الماضى عندما تم نشر هذا الكتاب الأخاذ لأول مرة. شرعت بربارا تيزارد ومارتن هيوز، مع زميلتيهما هيلين كارمايكل وجيل بينكرتون فى البحث والتحرى عما كانت تفعله الطفلات فى البيت مع أمهاتهن؛ وقاموا بدراسة الظروف الاجتماعية التى دارت فيها أحداث هذا التعلم، ونوع التفكير وحب الاستطلاع الذى أظهرته الطفلات الصغيرات فى محادثاتهم مع أمهاتهن. وعندما نُشر الكتاب، أثارت نتائج بحوثهم - والرسالات التى اختاروا إلقاء الضوء عليها - اهتماما وعناية شديتين فيما بين علماء النفس ورجال التربية والتعليم (كما أثارت بعض الاهتياج والإثارة بين أولئك الذين كانوا يُعلمون الأطفال الصغار!). لماذا يهمننا أن نقرأ الآن مرة أخرى أشياء عما توصلوا إليه من نتائج، وأن نرحب بإعادة نشر هذه الدراسة الكلاسيكية؟ هناك رسالتان لهذا البحث ذاتا أهمية خاصة.

### الخبرات التعليمية فى البيت

أول رسالة هى أن الخبرات اليومية فى البيت يمكن أن تكون خبرات تعليمية تعليمية لها قيمتها. كانت "الدروس" الرسمية لمعظم الطفلات فى الدراسة التى قمنا بها نادرة نسبيا، ولكن من خلال محادثاتهم اليومية،

والأسئلة التي كن يطرحنها، والمناقشات الحادة، والنكات، والقصص، انخرطت الطفلات فى الكلام مع أمهاتهن عن العالم الاجتماعى واستكشفن بحق من خلال تلك المحادثات معلومات عامة عن سبب تصرف الناس بالطريقة التي يتصرفون بها، وعن عالمهم الثقافى، وعن المراحل الأولى لتعلم القراءة والكتابة والأرقام الحسابية. وكانت الطفلات قادرات على التعبير عن حيرتهن، وعلى مواصلة طرح الأسئلة والقضايا التي كانت تهمهن، والجدال دفاعا عن وجهات نظرهن، وطرح آراء أمهاتهن على مائدة المفاوضات فى سياقات مُنوعة ومؤيدة لآرائهن بشكل ملحوظ. وتؤكد "بربارا تيزارد" و"مارتن هيووز" على خمسة معالم فى الحياة المنزلية لها أهميتها ومغزاها فى هذا المجال. المعلم الأول هو أن مساحة الأنشطة التي انخرطت فيها الطفلات: الأنشطة الدنيوية اليومية العادية الخاصة بالتخطيط للوجبات الغذائية وطهيها، وبالتسوق، والرحلات، ورعاية الحيوانات المدللة، ودفع الفواتير، والقيام بغسل الملابس وكيها، ومشاهدة الجيران من النوافذ، جعلت طفلات هذا البحث يشتركن فى محادثات كانت تزخر بإمكانية توسع إدراك الطفلات بالناس وبالعالم الاجتماعى، وبالبدء فى فهم هجاء الكلمات، والأعداد، والقوافى، ومناقشة مفاهيم نظرية مجردة.

والمعلم الأساسى الثانى هو التاريخ، والخبرة والحياة المستقبالية "المشتركة" للطفلة والأم. وبسبب حياتهم المشتركة، فإن الآباء قادرين على مساعدة الأطفال على الربط بين التجارب الحالية والتجارب والخبرات السابقة، وأن يبنوا على أساسها ويوسعوا من قاعدة معلوماتهم. والمعلم الثالث هو فرصة الاهتمام والمحادثه وجها لوجه بين الأم وابنتها فى معظم البيوت، ويختلف هذا الوضع أيما اختلاف عن التجارب المشتتة والمزدحمة فى معظم البيئات الجماعية. وربما كان أهم من كل ذلك على الإطلاق هو أن فحوى المعلمين الرابع والخامس عن الحياة المنزلية التي ركزت عليها "تيزارد" و"هيووز" أن الأنشطة والمحادثات فى البيت جزء لا يتجزأ من مناسبات ومواقف لها معنى عظيم بالنسبة للطفلة (مما يتناقض حتما مع الكثير من



المحادثات التي تحدث في المدرسة)، ومن علاقة حميمة ولصيقة بين الطفلة وأمها، والألفة والمودة التي تجمع بينهما، وباهتمام وتعلق كل منهما بالأخرى.

وتقدم لنا "تيزارد" و"هيوز" أسبابا مقنعة لإمكانيات تلك الخبرات الكامنة في مجال النمو الفكري والذهني للطفلات. ومنذ السنوات التي أعقبت هذا العمل الرائد، "تعلم الأطفال الصغار"، هل انتهز علماء النفس الفرصة للقيام بدراسة أكثر عمقا بكيفية ارتباط معالم الحياة الأسرية تلك بالإنجازات التعليمية؟ هل تعلمنا ما هو أكثر عن مغزى وأهمية المحادثات المبكرة داخل نطاق الأسرة؟ كانت هناك دراسات كثيرة عن الروابط بين الحديث الأبوي مع الأطفال وتطورهم اللغوي، ولكن ماذا عن المجالات المعرفية الأخرى؟

ومنذ نشر هذا الكتاب، ظهرت أمثلة قيمة من الأبحاث حول خبرات الأطفال في البيت وتطورهم الفكري. وعلى سبيل المثال أقام بحث "بيتر بايرانت" روابط بين خبرة الأطفال في الشعر المقفى وقدرتهم التي تحدث فيما بعد على القراءة؛ وربطت دراسات "مورين كالاهاان" عن الطفلات اللاتى يشتركن مع أمهاتهن في أعمال الطهى بين الحديث الذى يدور بينهما أثناء الطهى وبين إدراكهن للمفاهيم العلمية؛ وقد تم الربط بين خبرات تعلم القراءة والكتابة فى المرحلة التى تسبق الالتحاق بالمدارس وبين مهارات القراءة التى تحدث فيما بعد. وتجد فى سيل الأبحاث التى تمت فى العقد الماضى عن فهم الأطفال عن الحالات العقلية والعواطف - إدراكهم المتزايد عن العلاقات بين الحالات الداخلية للأفراد وأسباب تصرفهم بالطرق التى يتصرفون بها - اكتشافات متواصلة تربط بين مشاركة الأطفال فى الحديث بين أعضاء الأسرة حول الأحوال الداخلية وبين فهمهم الذى يحدث فيما بعد لمشاعر الآخرين وأحوالهم الفكرية. ولقد توسع هذا البحث مؤخرا بحيث أصبح يشمل دراسات عن محادثات أحد الأبوين مع أطفالهم حول أحداث الماضى المشتركة وإدراك الأطفال للعواطف وفهمهم للفكرة القائمة على أن تذكر

الأحداث الماضية يمكن أن يؤثر في المشاعر والأفكار وأنواع السلوك الحالية.

وهناك أيضا بحث يربط بين مشاركة الأطفال في الحديث العرضي مع آبائهم وبين قواهم النامية في استخلاص النتائج من الوقائع وقدراتهم المنطقية، كما يربط بين مشاركتهم في أحاديث عائلية عن الأحاسيس والمشاعر وبين وعيهم الأخلاقي ونمو الضمير الذي يحدث فيما بعد في حياتهم. وتم أيضا توثيق العواقب بالنسبة للأطفال الذين يملكون خبرات محدودة عن أنواع المحادثات التي يُعتقد أنها تلعب دورا في نشأة وتطوير فهم وإدراك "العقول الأخرى"، وذلك بسبب إصابتهم بالصمم. ومع ذلك، فيبقى أنه ينبغي تولى دراسة التحدى الذي رفعه رايته البحث الذى قدمته "تيزارد" و"هيوز" لعلماء النفس التطويريين - لتوثيق مدى ما يمكن أن تعززه المحادثات بين الآباء والأطفال في أوجه أخرى للنمو الفكرى، كالمفاهيم الخاصة بالرياضيات والأحياء والجغرافيا - لتتم دراسته دراسة وافية. لماذا ينبغي أن يكون ذلك كذلك؟ يحتاج القيام بهذا النوع من الأبحاث، وكما يشير بذلك المؤلفان، لجهد هائل، ولا يقدم إجابات سريعة لأسئلة عرضية. لكن إعادة قراءة الكتاب معناه أنك تُقدر كم سيثبت مثل هذا البحث مدى القيمة والفائدة التى تعود علينا منه.

#### العقل المُحيرُّ لمن هم فى سن الرابعة

والرسالة الثانية للكتاب وثيق الصلة بمن يدرسون حاليا تفكير الأطفال الصغار هى أن المحادثات الموجودة فيه تقدم نافذة رائعة تطل على حب الاستطلاع والطاقة الذهنية لمن بلغن سن الرابعة من عمرهن. لقد عاودت الطفلات فى محيط عائلتهن بدأب ومثابرة هائلة القضايا الذهنية والفكرية التى حيرتهن، وتعقبن الأسئلة التى اهتمن بها أو التى أوقعتهن فى ارتباك وحيرة. ويرجع ذلك بوضوح لتعطشهن للفهم والإدراك "كما عُرف عنهن لفترة طويلة من الزمن" ولوجود أمهاتهن فى البيوت. والشىء المدهش على

وجه الخصوص هو تحليل "سلسلة طرح الأسئلة المتواصلة، والقوى المنطقية الكامنة التي أظهرتها الطفلات في تعقبهن لفهم وإدراك الأمور". إن "تيزارد" و"هيوز" يعرضان علينا القدرات التعليمية الكامنة لدروب الطفلات في البحث الذهني، مصحوبة بوسائل إيضاح استثنائية. ومثال لذلك تلك المحادثة التي دارت بين "روزي" وأمها والتي فجرها ظهور الشخص الذي يعمل كمنظف لزجاج النوافذ. وتعرض هنا لحيرة "روزي" حول الروابط بين المال، والعمل وبيع المستهلكين، ولكن الأمر المهم على وجه الخصوص هو أنها تعود للموضوع فيما بعد في المحادثة، وتبدو أنها مدركة بأنها لم تلم بتلك العلاقات التي تضمنها الحديث. ويبدو أن الدافع لأسئلتها كان رغبتها لتوضيح سوء الفهم الذي ألم بها.

وهناك وسيلة إيضاح أخرى وهي المحادثة المذهلة بين "بيث" وعمرها ثلاث سنوات وعشرة شهور فقط، وبين أمها حول الأسطح المنحدرة، والأسطح المسطحة، ونظام صرف المياه والتلوج، محادثات تعرض القدرات الكامنة للبحث الذهني مع أمها كطريقة من طرق تعلم أفكارا مجردة نسبيا. وهذه بالضبط هي الأفكار التي استكشفتها فيما بعد "بربارا روجوف" وزميلاتها منذ الثمانينيات من القرن الماضي وذلك في دراساتهم للنمو المعرفي للأطفال في إطار عمل "المبتدئون وقليلو الخبرة في التعلم". وتؤكد "تيزارد" و"هيوز" أن حب الاستطلاع عند الطفلة جنبا إلى جنب مع رغبة الأم في التعليم أو توضيح الأمور هما اللذان خلقا إمكانية التعليم الكامنة الهائلة في هذه المواقف العائلية، وهذه نظرية من نظريات "فايجوتسكيان" التي أصبح لها تقدير كبير كأحد المقاييس النظرية في العقد الماضي أو ما يقرب من هذا. إن هذا التركيز على حب الاستطلاع الكاسح عند الأطفال (والذي وصفته "سوزان إزاكس" بأنه تعطش للفهم والإدراك يصبح "عشقا حقيقيا" في كل طفل ذكي " مقرونا باهتمام الأمهات بأطفالهن هو بالتأكيد ما ينبغي أن يشمل من يهتمهم النمو المعرفي في دراساتهم في الوقت الحاضر.



## أطفال الطبقة العاملة في البيت وفي المدرسة

وترى "تيزارد" و"هيوز" أن هذا الاهتمام من جانب الآباء "الذي يُحوّل المزايا الكامنة للبيت إلى مزايا فعلية حقيقة" قد يتأثر (ويتضاءل) لو كان هناك ضغطا عصبيا على الآباء، أو لو تم عزلهم عن أبنائهم، أو لو اضطروا إلى أن يكونوا على مستوى العائلات الكبيرة. (وهناك في الحقيقة الآن بحث عن الأطفال في سن يتراوح ما بين 6 شهور إلى 30 شهرا يُسجل أن الآباء في البيوت الأكثر ازدحاما عن غيرها كانوا يتحدثون بطرق أقل تكلفا وحكمة مع أطفالهم، كما كانوا أقل تجاوبا (وهذا الاختلاف كان واضحا عندما تمت السيطرة على المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية. وتجد من بين طفلات الطبقة العاملة في عينات البنات الصغار، التي صرحت "تيزارد" و"هيوز" بأنها كانت عينات محدودة، معالم الحياة المنزلية التي منحت البيت مثل تلك الإمكانيات الثرية للتعلم كما هو الحال في بيوت الطبقة المتوسطة. لم يكن هناك دلائل على وجود "عجز لغوي" في محيط هؤلاء الأطفال. ومع ذلك كانت هناك فوارق في أسلوب اللغة: على سبيل المثال، فوارق في عدد مرات استخدام الكبار المعقد للغة وفي دقة الإجابات عن الأسئلة السببية، وفي عدد مرات الأسئلة السببية من جانب الطفلات وفي سبل طرح الأسئلة بشكل متواصل، وفي استخدام الأطفال المعقد للغة. وقد تكون هذه الأشياء قد أسهمت بشكل ملحوظ في وجود الفوارق الملفتة للنظر التي كانت تتضح عند ذهاب الأطفال للمدرسة.

هذا موضوع نتضح أهميته في أيامنا هذه التي ما زالت فيها فوارق الطبقات الاجتماعية في إنجازات الأطفال في المدرسة واضحة كل الوضوح. إن تحليل فوارق الطبقات الاجتماعية في المحادثات وفي استخدام اللغة لم يكن موضوعا "عصريا أو ذو علاقة بعالم الطبقات الاجتماعية العليا" بالنسبة لعلماء النفس بالقدر الذي يجعلهم يتبحرون في استكشافه والتحرى عن مكوناته عبر العقد الماضي أو ما يقرب من ذلك، لكنه بالتأكيد يستحق منا الاهتمام والرعاية. إن التحليلات الأخيرة للإدراك العقلي عند الأطفال في عينة

لأطفال لندن، على سبيل المثال، تلقى الضوء على الفوارق الكبرى المرتبطة بالطبقة الاجتماعية. وهناك على وجه الخصوص موضوع مؤثر مثير للمشاعر ينتشر في صفحات الكتاب وهو أنه في الموقف المدرسى، كان أطفال الطبقة العاملة (الذين كان الكثير منهم مفكرين مفعمين بالحيوية في بيوتهم، ويطحون الأسئلة، ويجهدون أنفسهم بحثا عن حل للمشاكل التي تواجههم) يشعرون بالخضوع والمذلة، وسليبين، ويعتمدون على غيرهم في كل شيء، وظهر بالفعل أنهم وهم في الرابعة من عمرهم لديهم عيوب وعوائق تعليمية. واضح أن الرسالة الموجهة للمعلمين من هذا الكتاب وغيره من الكتب التي ظهرت مؤخرا حول طرق تشجيع الأطفال على المحادثات تؤخذ مأخذ الجد في الوقت الحاضر؛ يقدم كتاب "دليل المنهاج المدرسى للمرحلة التأسيسية" مثلا إرشادات تساعد على الربط بين حياة الأطفال في البيت والمدرسة. ولكننا لن نتمكن من فهم إلى أي مدى ما زالت صورة النواقص والعيوب قائمة حتى اليوم، وأهم شيء، لماذا ينبغي أن يكون ذلك، إلا إذا اتبعنا إستراتيجية "تيزارد" و"هيوز"، وذلك بدراسة الأطفال في كل من البيت والمدرسة. واضح أن التزاوج غير السوي بين ثقافة البيت وثقافة المدرسة قضية تؤثر بالسلب على التقدم في تعليم الأطفال الذين هم ليسوا فقط من طبقات اجتماعية مختلفة، ولكن أيضا الأطفال الذين هم من مجتمعات عرقية مختلفة، ومجتمعات الأقليات الموجودة الآن في المملكة المتحدة والولايات المتحدة، وفي كل أنحاء أوروبا (انظر على سبيل المثال دراسات "جريجورى" عن أطفال بنجلاديش الذين يعيشون في لندن، والدراسة الكلاسيكية التي أعدها "برايس هيث"، وفيما يتضمنه مستويات التعليم الأبوى على القراءة، انظر بحث "جرينهوج" و"هيوز"). لا يمكن أن يكون هناك بديل لدراسات تفصيلية لنفس الأطفال في حجرات الدراسة، وأيضا وهم وسط عائلاتهم، إذا كان لنا أن نحدث تقدما في فهم الطرق التي يمكننا تقديم المساعدة من خلالها. لقد قدمت لنا "تيزارد" و"هيوز" طريقة واحدة للتعامل مع هذه القضايا، الأمر الذي ينبغي علينا بالتأكيد أن نأخذه مأخذ الجد.





## مقدمة

هذا الكتاب حصيلة مشروع بحث غير عادى. منذ بضع سنوات، وبمساعدة زميلتنا "جيل بينكرتون" و"هيلين كارمايكل"، قمنا بتسجيل شرائط صوتية لمحادثات بنات فى سن الرابعة فى مدرسة حضانة صباحية وفى البيت مع أمهاتهن فى فترة ما بعد الظهر. وما يشكل جوهر هذا الكتاب مناقشة لبعض تلك المحادثات التى وجدنا أنها مصدر دائم من السحر.

وكان دافعنا الرئيسى للقيام بهذه الدراسة هو وصف الطرق التى تتعلم بها الطفلات الصغيرات من أمهاتهن فى البيت. ومما يُعتبر أمرا مفروغا منه على نطاق واسع اليوم، ودون شك تقريبا، أن لدى الأساتذة المهنيين القدر الكبير الذى يُعلمون به الآباء كيفية تعليم وتربية أطفالهم. أما فكرة أن هؤلاء الأساتذة يمكن أن يتعلموا من مراقبتهم للأطفال وهم يتكلمون مع آبائهم فى البيت فتكاد تكون لم توضع فى الاعتبار مطلقا.

وفى الوقت الذى كنا نخطط فيه لدراستنا هذه، كنا قد بدأنا نشك فى هذا الاعتقاد. ولقد أمضى كل منا الوقت الكثير وهو يراقب ويدرس الطفلات فى مدارس الحضانة، وكوّن تقديرا عظيما لقيمة التعليم فى الحضانة لكل من الآباء والأطفال. وكنا مقتنعين - وما زلنا كذلك - أن مدارس الحضانة والفصول تقدم بيئة ممتعة وآمنة يمكن للأطفال فيها أن يلعبوا، ويستكشفوا العالم الاجتماعى الأرحب خارج نطاق البيت.

ومع ذلك كنا غير مستريحين بخصوص الادعاءات التى كانت تُثار حول قيمة مدارس الحضانة كمصدر للدافعية اللغوية والفكرية. وبينما كان العاملون فى مدارس الحضانة يقضون وقتا كبيرا بلا شك وهم يتحدثون مع الأطفال، كان عليهم فى هذه المرة أن يتم مشاركتهم وسط العدد الكبير من الأطفال الموجودين فى رعايتهم.

وعندما راقبنا الطفلات كلا على حدة، كانت محادثاتهم مع هيئة التدريس في المدرسة نادرة بشكل يدعو للدهشة، كما كانت محدودة بتبادل مقتضب من الكلمات. وبدا لنا أنه من غير المحتمل أن تكون البيئة اللغوية لمدرسة الحضانة أكثر ثراء من البيئة اللغوية المستخدمة في البيوت. ومع ذلك، لم نسمع عن أى بحث حاول القيام بهذه المقارنة.

وسرعان ما أصبح واضحاً أن المحادثات في بيوت الطبقة العاملة كانت بنفس درجة غزارة المحادثات في بيوت الطبقة المتوسطة. لم يكن هناك شك فحواه أن هؤلاء الأطفال "لا يكلمهم أحد في البيت"، أو مؤشرات قليلة على الحرمان اللغوي الذي طالما تم وصفه. ورغم وجود فوارق بين الطبقات الاجتماعية في أحدث الأمهات وأسلوب التفاعل، كان من الواضح أن أطفال الطبقة العاملة يشبون في بيئة لغوية ثرية.

وعندما بدأنا في دراسة وتحليل النسخ الأصلية والتسجيلات، ازداد إدراكنا بمقدار ثراء تلك البيئة بالنسبة لكل الأطفال. لقد امتدت المحادثات بين الطفلات وأمهاتهن بحرية لتشمل مجموعة متنوعة من الموضوعات. وكان من الواضح أن الفكرة القائلة بأن اهتمامات الطفلات كانت مقتصرة على اللعب والتلفزيون لم تكن سوى فكرة لا يمكن الدفاع عنها. وكانت الطفلات في البيوت تناقش موضوعات مثل العمل والأسرة والميلاد والنمو والموت؛ وكن يتكلمن مع أمهاتهن عن أشياء قمن بعملها سويًا في الماضي، وعن خططهن المستقبلية؛ وشعورهن بالحيرة تجاه موضوعات متعددة الأشكال مثل شكل الأسطح والكراسي، وطبيعة بابا نويل، وما إذا كانت ملكة إنجلترا تستعمل معصات الشعر عند النوم. وقد حدث الكثير من تلك المحادثات خلال مواقف تعليمية يمكن تمييزها وإدراكها - مثل أداء الأدوار التمثيلية أو قراءة الكتب - لكن الكثير منها أيضاً لم يفعل ذلك. ولقد نشأ عدد كبير من المحادثات المثمرة ببساطة بينما كانت الطفلات وأمهاتهن منشغلت في الواجبات المنزلية لفترة ما بعد الظهر، مثل تناول الغداء، أو التخطيط لمشاوير التسوق، أو إطعام الطفل الرضيع، وما إلى ذلك.

ولم يزد تأثرنا وانطباعنا الجيد عن البيت كبيئة تعليمية فحسب، بل إن تأثرنا هذا ازداد أكثر وأكثر بالطفلة الصغيرة باعتبارها متعلمة. وكانت لدينا ميزة غير متاحة لأحد المشاركين في العملية، وهى تمكننا من دراسة محادثات تمت خلال فترة كاملة من فترات ما بعد الظهر بالتفصيل. وأصبح واضحا أنه فى كثير من المحادثات كانت الطفلات تجاهدن بنشاط من أجل فهم فكرة جديدة أو بعض المعلومات التى لم تتفق مع المعلومات التى كن يعرفنها من قبل، أو معنى لكلمة غير مألوقة لديهن. وعندما نظرنا باهتمام أكبر لتلك الحلقات من المحادثات - التى أسميناها "سبل البحث الفكرى" - أدركنا كم كشفت النقاب عن الطفلة الصغيرة باعتبارها مفكرة دائبة وعقلانية. لم تكن تلك الطفلات بالشخصيات البعيدة عن المنطق والتفكير السليم أو بالشخصيات كثيرة النزوات، وغريبة الأطوار كما صورتها مثلا نظريات "جين باياجيت": لقد كن مفكرات قويات وذوات عزم وتصميم بحكم حقهن الشخصى فى ذلك. وبدا أن قصورهن فى بعض المجالات كان يعود إلى نقص فى المعلومات وعلى مزاعم أو افتراضات غير صحيحة أكثر من عودته على عدم عقلانية أو نقص طفولى فى التفكير.

وعندما وصلنا لتحليل المحادثات بين هؤلاء الطفلات أنفسهن ومعلمتهن فى مدارس الحضانة، لم نستطع تحاشي شعورنا بخيبة الأمل. لقد كانت الطفلات سعيدات بالتأكيد وهن فى المدرسة بسبب كثرة الوقت الذى يمضينه فى اللعب. ومع ذلك فقد شكلت محادثتهن مع معلمتهن تناقضا حادا مع محادثتهن مع أمهاتهن. لقد كانت محادثات المدرسة للأسف ينقصها الثراء والعمق والتنوع الذى كان يميز محادثات البيت. كما ضاع فى محادثات المدرسة الإحساس بالصراع الفكرى والمحاولات الحقيقية للتواصل التى يقوم بها الطرفان. لقد اختفت الطفلة طارحة الأسئلة، المحيرة التى أخذنا بها للغاية فى البيت: وحل محلها طفلة بدا وهى تتكلم مع هيئة التدريس فى المدرسة أنها مقهورة، خاضعة، وكانت محادثتها مع الكبار مقصورة فى الأساس على إجابة أسئلة، أو المشاركة فى القليل النادر من تبادل كلمات عن أماكن تواجد طفلات أخريات أو أدوات ألعاب.

وقد عبرنا عن رأينا في هذه الفوارق بين المحادثات مع الكبار في البيت وبينها في مدرسة الحضانة، لاسيما بالنسبة للطبقة العاملة. وإذا ما عقدنا مقارنة بين طفلات الطبقة العاملة وطفلات الطبقة المتوسطة، كانت طفلات الطبقة العاملة يغلب عليهن أكثر الشعور بالخضوع، ولعب دور سلبي في المحادثات، وتجنب طرح أسئلة على المدرسات بالحضانة. وكثيرا ما كانت طفلات الطبقة العاملة تشارك في مناقشات طويلة يساعد الآباء على امتدادها في البيت، لكنهن لم يظهرن سوى دلالات قليلة على ذلك مع المعلمات. ولم يكن من الصعب إدراك كيف يمكن أن تنشأ خرافات حول الحرمان الفعلي الذي تتعرض له الطبقة العاملة. وعندما تواجه المعلمات طفلة لا تتطق الألفاظ بوضوح في حجرة الدراسة، فإنهن قد يستتجن بسهولة أنها تظل كذلك تماما وهي في بيتها.

وقد تركتنا هذه المراقبة للطفلات أنفسهن مع أمهاتهن ومعلماتهن في حيرة من أمرنا ؛ فمن جهة، أظهرت تلك المراقبة قدرة البيت باعتباره بيئة تعليمية، كما أظهرت الطاقة والقدرة العقلية للطفلة الصغيرة. وفي الوقت نفسه، فإنها أظهرت كيف يمكن أن تتأثر الطفلات الصغيرات بقوة نتيجة انتقالهن من موقع إلى آخر. والدعوى بأن الطفلات تحجزن أفضل ما لديهن من تفكير وتفرجن عنه خارج نطاق المدرسة، مما ينتج عنه تقسيم المعرفة التي يكتسبونها داخل المدرسة إلى أجزاء أو فئات مستقلة كانت قد أثرت عدة مرات من قبل. وتعتقد دراستنا أن هذا قد يكون صحيحا حتى في مرحلة الحضانة. وبالتالي، فرغم أن دراستنا كانت معنية بفترة ما قبل الالتحاق بالمدارس، فإن النتائج التي توصلنا إليها أصبحت وثيقة الصلة بقضايا تعليمية أوسع نطاقا.

وينبغي أن نوضح أننا نستخدم الاصطلاح "يتعلم" بمعنى فضفاض وغير دقيق. لكي نكتشف ما إذا كانت الطفلات قد تعلمن ما تم تدريسه لهن، يتطلب الأمر سلسلة من التجارب الدقيقة. وبهذا المفهوم نصبح وكأننا لم



ندرس التعلم. ومن جهة أخرى، فإن "التدريس" لم يبدو أنه الاصطلاح الصحيح هو الآخر، لأن الكثير مما بدا أن الطفلات تتعلمنه من أمهاتهن لم يكن نتيجة لتعليم مرسوم ومتعمد، ولأن الطفلات أنفسهن كثيرا ما لعبن دورا نشطا في البدء بالعملية التعليمية من خلال طرحهن للأسئلة.

نتمنى أن نفهم النتائج التي توصلنا إليها بهذا المفهوم الأوسع نطاقا، وألا نستخدم فقط في توجيه النقد لمدارس الحضانة. ونحن لا نعتقد أن المشاكل التي حددناها مشاكل مدارس حضانة فحسب، كما لا نعتقد أنها تقدم الأساس المنطقي لتخفيض الاحتياطي المالي القيم الذي يُخصص لمدارس الحضانة، وكما أوضحنا عدة مرات، سواء هنا أو في أماكن أخرى، أن هناك جدلا كثيرا يهدف إلى تقديم خدمة شاملة لمدارس الحضانة. كما أننا لا نعتقد أن معلمو الحضانة يمكن أن يشعروا أن هناك نقدا موجها إليهم شخصيا من كتابنا هذا. إننا نكن لهم احتراما هائلا لإخلاصهم وتفانيهم في أداء رسالتهم وتحمسهم للقيام بمهم تفرض نفسها على الجميع في ظل ظروف صعبة. وفي الوقت نفسه، وكما نشير في الباب الأخير من الكتاب، فإننا نعتقد أن دراستنا تقترح إجراء بعض التغييرات التي يمكن أن تتم في التعليم برياض الأطفال.



## لماذا درسنا تعلم الأطفال

"إن إحدى الطرق الحاسمة التي تقدم الثقافة من خلالها المعونة في مجال النمو الفكري تتم من خلال حوار بين من هم من أصحاب الخبرة العالية مع من هم أقل منهم خبرة."

"جى. إس برونار"، في "الصلة الوثيقة بالتعليم"

يمكن وصف مجموعة الطفلات اللاتي تشكلن الشخصيات الرئيسية في هذا الكتاب في الحقيقة، وبعبارة "برونار"، بأنهن العضوات "الأقل خبرة" في ثقافتنا. عندما قمنا بدراستنا، كانت هؤلاء الطفلات قد اقتربن من عيد ميلادهن الرابع، أى قبل عام من حلول السن الذى يبدأ فيه التعليم الإلجبارى، وكانت خبرتهن بالحياة حتما ذات طابع محدود. ويمكن رؤية هذا النقص في الخبرة في الأسئلة البسيطة الساذجة التي يطرحنها، والتي كثيرا ما تؤثر في مشاعرنا. ويمكن رؤيته أيضا في الثغرات الكبيرة التي كثيرا ما كانت تتكشف في معرفتهن، وفي المسلمات الكثيرة الخاصة بهذا العالم والطريقة التي يتصرف الناس بها فيه والتي يسلم الكبار بها جدلا ولكنهم كانوا لا يزالون يمرون بمرحلة اكتشافها. ومع ذلك، وبرغم سنوات العمر المحدودة لتلك الطفلات الصغيرات، فلقد وجدنا أنفسنا باستمرار مبهورين ومتأثرين بهن. وعندما كنا نقوم بدراسة محادثتهن، كن ينتزعن منا الإعجاب بحبهن للاستطلاع، وبعقولهن المتفتحة المتسائلة، وقيل كل شيء، بالطريقة المثابرة والمنطقية التي كن يناضلن بها لفهم عالمهن وإدراك المراد منه.

وخلال صفحات الكتاب، سنرى تلك الطفلات يشاركن في نوعين مختلفين جدا من الحوار مع الأعضاء "الأكثر خبرة" في ثقافتنا. فسناقن عليهن نظرة أولا وهن في بيوتهن وهن يتكلمن مع الشخصية صاحبة الأهمية المركزية في حياتهن: والدتهن. وفي أيامنا هذه، تعمل حوالى ثلث الأمهات

ممن لهن أطفال تحت سن الخامسة خارج البيت فترة عمل واحدة في غالب الأمر، تاركات أطفالهن في رعاية شخص آخر. إضافة إلى هذا، فالآباء مشغولون أكثر مما كانوا عن تربية أبنائهم. ومع ذلك، فبرغم تلك التغيرات، فلا تزال الحقيقة قائمة بأن معظم الأطفال الذين لم تؤهلهم أعمارهم لدخول المدارس الحكومية بعد، مثل الطفلات في كتابنا هذا، يقضين جزءا كبيرا من ساعات اليقظة في البيوت مع أمهاتهن. وحتما فإن الأمهات والطفلات يمضين قسطا كبيرا من وقتهن وهن يتكلمن مع بعضهن البعض: عما تفعله كل منهن، أو عن أحداث ماضية أو خططا للمستقبل، أو عن الأحداث غير المتوقعة التي تبرز على نحو غير متوقع خلال اليوم، أو عن الآراء والأفكار التي تخطر على بالهن خلال الوقت الذي يقمن فيه بعمل أى شيء. وكما سنرى في هذا الكتاب، فإن تلك المحادثات بين الأم والطفلة، تقدم بلا تخطيط" وبشكل عرضي في كثير من الأحوال، مصدرا ثريا بشكل يدعو للدهشة "للمعاونة على نمو الطفل الفكرى".

وكما نلقى نظرة على تلك الطفلات في بيوتهن، فسوف نراهن أيضا في بيئة تختلف كثيرا عن بيوتهن تلك، وهي مدارس الحضانة. وتذهب الطفلات في هذا الكتاب، مثلهن مثل كثير من الأطفال البريطانيين الذين لم يبلغوا بعد سن دخول المدارس الحكومية، لحضور دورة تعليمية مدتها ساعتين ونصف يوميا في صفوفهن أو مدارس الحضانة المحلية المحيطة ببيوتهن. وتلك الحضانات أماكن تبعث على السعادة والاسترخاء وتقدم للأطفال مقدمة لطيفة لأنواع المطالب التي سيخوضون تجاربها في المدارس الابتدائية فيما بعد. وعلى وجه الخصوص فإنهم يواجهون علاقة مع شخص كبير بالغ يختلف كثيرا عن الشخصية التي اختبروها مع أمهاتهم أو أمهاتهن. ولأول مرة يجدون أنفسهم في حالة تفاعل مع شخص مُدرَّب يقوم المجتمع بتعيينه لغرض واحد لا يوجد سواه وهو "المعاونة في نموهم الفكرى". وسنرى أن محادثاتهم ذات طبيعة تختلف كثيرا عن تلك التي تحدث في بيوتهن. وتكشف المقارنة بين محادثات البيت ومحادثات الحضانة مدى

اختلاف تصرفات الطفلات فى مكانين مختلفين، فى بعض الحالات يصعب أن تصدق أن هذه الطفلة التى تتكلم هى نفسها تلك الطفلة فى مكانها الأول. إضافة إلى هذا، فإن المحادثات فى المدرسة تظهر كيف يمكن أن تكون العملية المتعمدة للمعاونة فى نمو الطفلة الفكرى مليئة فى الواقع بالمصائد والفاخ، وكيف يمكن أن تصبح هذه العملية بالفعل تسير فى الاتجاه المضاد للهدف منها وهى أن تكون مثمرة وناجحة فى المعاونة على النمو الفكرى للأطفال.

وتقدم المحادثات التى انخرطت فيها الطفلات استكشافا مثيرا لحياتهن وما يشغلهن من أمور. كما تقدم تلك المحادثات مادة يمكن أن نجيب من خلالها على بعض الأسئلة الأساسية حول الطريقة التى تتعلم وتفكر بها الطفلات الصغيرات، والدور الذى يمكن أن يلعبه الكبار فى هذه العملية. وفى نهاية هذا الباب، سنقدم موجزا للأسئلة الرئيسية التى سألتناها، ونشرح لماذا اعتقدنا بأنها ذات أهمية. وفى الأبواب التالية سنقدم إجابات اكتشفناها (غالبا ما تكون غير متوقعة)، ونظهر كيف قادتنا تلك الإجابات للشك فى كثير من المعتقدات السائدة، فى كل من أمور التعليم فى مدارس الحضانة، وفى الطريقة التى يفكر بها الأطفال الصغار.

### ماذا يتعلم الأطفال الصغار فى البيت؟

كان الاهتمام الرئيسى فى دراستنا هو وصف المواقف التعليمية فى البيت. ماذا تتعلم الطفلات من أمهاتهن قبل دخولهن المدارس، وكيف يتم ذلك التعليم؟ إن قدرا هائلا من التعلم يحدث بالتأكد فى السنوات الأولى من عمر الطفل. وعند سن الخامسة يكون الطفل قد اكتسب كثيرا من الخبرات، على سبيل المثال إدراك أبعاد المكان والزمان، ومفاهيم حدوث الأشياء بالصدفة أو بشكل عرضى، وثبات واطراد الأشياء، بل وحتى معرفة جيدة بالأدوار التى يلعبها السن والجنس. ويصل متوسط مجموع المفردات اللفظية لمن هم فى الخامسة من العمر إلى أكثر من ألفى كلمة، ويمكنهم فهم واستخدام غالبية



أنواع الجملة المعقدة. ولكننا نعرف القليل عن الطريقة التي يتم بها هذا التعلم، أو عن الدور الذي يلعبه الكبار في هذه العملية.

ويؤيد علماء النفس في الوقت الحاضر فكرة أنه ينبغي على الآباء مساعدة أطفالهم على التعلم باللعب معهم وبالقراءة لهم. وأردنا أن نرى ما إذا كانت هاتين الطريقتين هما في الحقيقة أنجح الطرق وأكثرها ثماراً أو قد يماثلهما في الأهمية أنشطة من أنواع أخرى متصلة بهما، على سبيل المثال مشاركتهم في أداء الأعمال المنزلية، أو في مشاهدة التليفزيون، أو مجرد التحدث معهم أثناء تناول وجبات الطعام. وأردنا أيضاً أن نرى ما إذا كان يمكننا أن نحدد أى شيء مميز عن التعلم الذي يحدث في المنزل، والذي قد يختلف عن نوع التعلم الذي يحدث في المدرسة.

ونظراً للاهتمام الواضح ولأهمية هذه الأسئلة، كان من المنطوق أن نعتقد أنها سبق أن تمت دراستها والبحث فيها فعلاً بشكل مستفيض. ولكن العكس من ذلك في الحقيقة هو الصحيح. ولم نستطع أن نجد سوى القليل من الأبحاث السابقة عن هذا الموضوع في الوقت الذي بدأنا فيه دراستنا. كان هناك الكثير من الأبحاث المختصة بالطريقة التي يتم بها تطوير لغة الطفلات الصغيرات جداً من خلال تفاعلهن مع أمهاتهن. وشملت معظم تلك الأبحاث دراسات وبحوث مكثفة لعدد قليل من الأطفال، رغم أنه كانت هناك بالفعل دراسة على نطاق واسع عن النمو اللفظي في طريقها للظهور قام بها " ويلز " وزملاؤه، وسوف نعود إليها مرة أخرى فيما بعد. وعلى أى حال لم نجد سوى القليل الذي اهتم بالأسئلة التعليمية الأكثر شمولاً التي كانت تهمنا.

لماذا كان هذا الموضوع مهملاً بهذا الشكل؟ نحن نعتقد أن هناك تفسيرين محتملين للإجابة على هذا السؤال. التفسير الأول عملي في المقام الأول. إن اكتشاف ماذا يتعلم الأطفال في بيوتهم وكيف يتعلمونه أمر يتطلب أن يذهب الباحث بالفعل إلى بيت الطفل ويراقب ما يحدث بداخله. وهذا لا يعنى فقط اقتحام خصوصية الحياة المنزلية لأناس آخرين، لكنه أيضاً يثير

التساؤل فيما إذا كان مجرد وجود الباحث في البيت سيكون له تأثير يعطى صورة مزيفة بشكل خطير عما يحدث هناك. ويُضاف لذلك مشكلة التسجيل الدقيق - ثم تحليل - كل الأحداث التي لا يمكن التنبؤ بها والتي يمكن أن تسودها الفوضى في بعض الأحيان. إن شرائط التسجيل في جهاز تسجيل الصوت على شريط كاسيت وكاميرات الفيديو تجعل التسجيل أسهل بالتأكيد، لكنها أيضا تضيف لجعل الموقف بعيدا عن أن يكون طبيعيا. إضافة لهذا، فإن ما يلي ذلك من تحليل لتلك الشرائط مسألة مجهدّة وتستهلك وقتا طويلا، وخصوصا لو كانت الدراسة تتم على عدد أكبر.

وعندما واجهت هذه المشاكل علماء النفس اللذين كانوا مهتمين بالطريقة التي كانت الأمهات يقمن بها بالتعليم جاءوا بهن في معظم الأوقات لمختبر علمي، وطلبوا منهن أن يُعلموا أو يشرحوا عملا معيناً لأطفالهن، أو أن يلعبن معهن مستخدمين مجموعة من ألعاب الأطفال "القياسية". وقام اثنان من علماء النفس الأمريكيين وهما "هيس" و"شيمان" بأشهر تلك الدراسات؛ إذ طلبا من أمهات من الطبقة العاملة وأخريات من الطبقة المتوسطة أن تُعلم كل واحدة منهن طفلها طريقة استخدام لعبة معقدة "كالرسم بالحفر مثلا" ثم عقدوا مقارنة بين إستراتيجيات التعليم للمجموعتين من الطبقات الاجتماعية. ووجدوا أن أمهات الطبقة المتوسطة كن يعلمن أطفالهن بطريقة أكثر فاعلية واستخدمن تعليمات لفظية أكثر وضوحا. ومع ذلك، فلا بد من أن يكون للإنسان تحفظات حول تفسير النتائج، وهذا أمر لا مفر منه. ربما تكون الأمهات من الطبقة العاملة قد شعرن بأنهن أقل شعور بالراحة والاطمئنان عن أمهات الطبقة المتوسطة في موقف وجودهن في المختبر. وقد يكون أيضا أنهن قد فسرن ما كان متوقعا منهن بطريقة مختلفة. وما هو أهم من ذلك هو حقيقة أن التجارب التي من هذا النوع لا يمكن أن تخبرنا ما الذي تختاره الأمهات أن تعلمن أطفالهن في البيت، أو كيف يشرعن في عملية التعليم هذه، لاسيما أن تعليم عمل محدد بعينه يُعتبر حدثا نادرا في محيط البيت.

وفى الوقت الذى بدأت فيه دراستنا، استقر رأى عدد من الباحثين، إضافة لنا، على أن التسجيل فى بيوت خاصة كان هو الطريقة الوحيدة التى يمكن من خلالها الإجابة عن أسئلة معينة تخص الأسرة. ونقدم فى الباب الثانى الطريقة التى حاولنا نحن بأنفسنا التغلب من خلالها على المصاعب التى أوجزناها.

والسبب الثانى لعدم القيام سوى بأبحاث قليلة عما يتعلمه الأطفال فى البيت سبب من نوع مختلف جدا. إن العقبة هنا ليست الحصول على المعلومات بقدر ما هى الاعتقاد من جانب بعض الجماعات أننا لا نجنى الكثير من محاولة عمل ذلك. وبمعنى آخر، كان مرجع العزوف عن القيام بتلك الأبحاث سببه هو الاعتقاد السائد بأن الأمهات ليس لديهن إلا القليل الذى يمكن أن يقدمنه كمعلمات تربويات.

وربما يعود هذا التوجه فى جزء منه للمكانة المتدنية، وغير الحرفية التى كثيرا ما تُعطى لدور الآباء مع أطفالهم. فى حقيقة الأمر، فإن واضعى نظريات التعليم عادة ما يُعرفون التربية والتعليم على أنها عملية يعهد بها المجتمع لنظام متخصص يشمل معلمين ومعلمات ومدارس. ومن هنا فما يقوم به المعلم أو المعلمة فى حجرة الدراسة، فى حد ذاته، هو عمل تربوى تعليمى، بينما ما تقوم به الأم هو مجرد "تنشئة" للطفل أو تكبير لحجم بدنه بالغذاء الذى تقدمه له. وغالبا ما يقبل الآباء أنفسهم وجهة النظر هذه، معتقدين أن التعليم يبدأ فى المدرسة الابتدائية، ويختص "بمواد" دراسية. وهذا يؤدى بهم إلى أن يقللوا من قيمة مساهمتهم فى التعليم، حتى وإن كانت تشكل دعامة جوهرية من النظام المدرسى.

صحيح أن التنشئة فى سنوات العمر الأولى، حتى وإن لم يُضفى عليها المكانة التعليمية، فإنها شددت إليها قدرا كبيرا من الاهتمام المهنى. ومع هذا فقد كان جل ذلك الاهتمام منصب على توجيه النقد لها، واهتم بتطوير عمل الوالدين وتحسينه، وليس بدراسته. ولقد شدد علماء النفس على وجه

الخصوص على أن التدريب على الأبوة الصالحة ينبغي أن يبدأ فى المدرسة، ويُستكمل بحلقات تعليمية للكبار وبدروس فى مستويات مرحلة ما قبل الولادة وصحة الطفل. ولم يُشر أحد تقريبا إلى أن هذا التحرك لتعليم الآباء نشأ فى غياب أى معرفة حقيقية يمكن أن يُبنى عليها. ونعنى بهذا أن هناك القليل جدا - وبشكل جدير بالملاحظة - من أوجه النشاط الأبوى الذى يمكن أن نتنبأ بأى شكل من أشكال الثقة بأنها سوف ينتج عنها عواقب محددة للأطفال.

عرفنا من بحثنا السابق، ومن خبرتنا وتجاربنا فى المدارس، أن هذا الاتجاه للتهوين من قدر مساهمة الأبوين فى التعليم شارك فيه كثير من المعلمين، وأنه يغلب عليهم التشكك فى القدر الذى يتعلمه الأطفال فى البيت. لقد طلبت إحدانا (بربارا تيزارد) فى دراسة سابقة عن معلمى مدارس الحضانة أن يعبروا عن رأيهم فى المساهمات التى قام بها الآباء فى تربية وتعليم أطفالهم. وكان اعتقاد نصف عدد المعلمين تقريبا، رغم تأكيدهم على اهتمام الوالدين بأطفالهم وحبهم لهم، أنهم لم يقدموا أى مساهمة أو إضافة إيجابية فى تربيتهم وتعليمهم على الإطلاق. وكانت التعليقات النمطية، "فى بيت من بيوت الطبقة المتوسطة ذات الإمكانيات، نعم، ولكن ليس فى منطقتنا"؛ لكى نكون صرحاء، الأطفال أحسن حالا بكثير وهم فى المدرسة". وفى دراسة حالية، لم يتم نشرها بعد، سألنا معلمى الصف الأول ابتدائى ما إذا كانوا يودون معرفة ما هو أكثر عن حياة تلاميذهم واهتماماتهم خارج المدرسة أم لا. وأجاب نصف عددهم تقريبا بأنه لا أهمية لمثل تلك المعرفة، وعادة ما كانوا يضيفون أنه لم يكن هناك سوى القليل جدا الذى يودوا أن يعرفوه. وأصابنا الشك فى أن هذا الميل لأن يهوتوا من قيمة حياة الأطفال فى بيوتهم، أو حتى لأن يحونها تماما، أدى بالمدرسين إلى أن يقللوا من تقدير المهارات والاهتمامات التى حملها التلاميذ معهم للمدرسة.

## هل يعاني أطفال الطبقة العاملة من الحرمان اللفظي؟

وكما توحى بعض التعليقات سابقة الذكر، فإن الاتجاه العام بالحط من قيمة حياة الأطفال فى بيوتهم أمر واضح فى مناطق الطبقة العاملة. وهناك اعتقاد واسع الانتشار فى صفوف رجال التربية والتعليم بأن آباء وأمهات الطبقة العاملة لا يُحفظوا أطفالهم على نحو كاف، وأنهم على وجه الخصوص لا يطوروا من لغتهم. ذكر أحدث تقرير حكومى عن تعليم القراءة " اللغة من أجل الحياة "، أن أحد أهم العوامل التى تسهم فى وجود صعوبات فى طريق القراءة هو أن الكثير من الأطفال الصغار لا تتاح لهم الفرصة فى بيوتهم بأن يُطوروا من أشكال اللغة الأكثر تعقيدا التى تتطلبها المدرسة. ولعلاج هذا الموقف دافع التقرير عن وجهة النظر القائلة بأنه ينبغى مساعدة الآباء على إدراك عملية تطوير اللغة ودورهم فيها، بينما ينبغى تحفيز الأطفال على الحضور إلى مدارس الحضانة حتى يمكن لمعلم الحضانة أن يقدم المساعدة عن طريق "العناية المحسوبة لحاجات الطفل اللغوية". كما ينبغى تشجيع الآباء أيضا على قضاء بعض الوقت فى المدرسة ومراقبة مدرسى الحضانة وهم يؤدون عملهم. وسوف يؤدى ذلك إلى تغييرهم لخبراتهم التى يزودون بها أطفالهم فى البيت، ولأنماط المحادثات التى يجرونها معهم. وعبر عن ذلك أحد المعلمين المهتمين بهذا الأمر قائلا، "لو فهم الآباء فقط ما نحاول أن نفعله فى المدرسة، لأمكن أن يتوافر للأطفال حضانة طوال اليوم فى البيت."

ومن المدهش أن تلك المعتقدات الخاصة باللغة غير الكافية أو غير المناسبة المُستخدمة فى بيوت الطبقة العاملة غير مبنية على دراسات حول الطريقة التى يتم بها فعلا استخدام اللغة فى البيت. بشكل عام، استنتج علماء النفس ببساطة من الأداء الضعيف لأطفال الطبقة العاملة فى الاختبارات اللغوية الشفهية أو التحريرية أنهم حرّموا لغويا فى بيوتهم. من أجل ذلك، كان أحد الأهداف الأخرى لدراستنا أن نراقب بيوت كل من الطبقة المتوسطة

والطبقة العاملة لنرى ما إذا كان هناك دلائل على حرمان لغوى لدى الطبقة العاملة، أم أن هذا كله لم يكن سوى خرافة ليس لها أى دليل مادى ملموس. ومرة أخرى نقول: إن ما وجدناه قد يغير ما ينتظره المعلمون من الأطفال. وقد يؤثر أيضا فى طبيعة تعليم الآباء الذى تقدمه المدارس والمستوصفات.

### ما مدى كفاية الأطفال كمفكرين؟

وهناك سبب آخر لمراقبتنا للطفلات الصغيرات فى بيوتهن وهو شكوكنا فى أن مثل تلك المراقبة قد تكشف لنا أن تلك الطفلات يتمتعن بكفايات فكرية تفوق ما اعتقد به علماء النفس والمعلمون. وكانت شكوكنا مبنية على بحث صدر أخيرا فى مجال علم النفس التطويرى ألقى ضوءا جديدا على قدرات الأطفال الصغار. وكان الكثير من هذا البحث الذى بين أيديكم، بما فى ذلك العمل الذى انهمك فيه أحدنا (مارتن هيوجز)، منتقدا لأفكار "باياجيت" عالم النفس السويسرى العظيم.

وكانت لنظريات "باياجيت" تأثير ضخم على التعليم الابتدائى طوال الثلاثين سنة الماضية. وكان لبعض أفكاره تأثير تحررى كبير على المدارس. ويصح هذا الكلام على وجه الخصوص على نظريته القائلة بأن الذكاء ينشأ ويتطور كنتيجة للأعمال التى يقوم بها الأطفال فى العالم المادى، لا بد من أن يكتشفوا، ويستكشفوا الأشياء بأنفسهم خيرا من أن يتعلموها. ومع ذلك، فقد اعتقد "باياجيت" أيضا أن الأطفال الصغار يفكرون بطريقة تختلف عن طريقة تفكير الكبار. وأكد على وجه الخصوص أنه حتى حوالى السابعة من العمر، يكون الأطفال غير قادرين على التفكير المنطقى، ويستطيعون فقط أن يروا الأشياء من منظورهم الخاص.

إنه لأمر صحيح بالتأكيد أن الأطفال الصغار لا يفكرون بنفس الفاعلية التى يفكر بها الكبار، ولا يمكنهم حل المسائل التى يجدها الأطفال الأكبر منهم سنا مسائل سهلة الحل. ومع ذلك، فهناك دلائل متزايدة على أن أخطائهم فى التفكير والاستنتاج قد لا ترجع لأى بُعد جوهرى عن منطق الأمور. وفى

الأونة الأخيرة، ابتكر بعض علماء النفس التطويريين، ومنهم "براينت" و"دونالدسون"، تجارب لإظهار أن فشل الأطفال الظاهري فشل في الذاكرة أو لسوء فهمهم عما يريد منهم الكبار أن يفعلوه، لاسيما في البيئة الاجتماعية للتجربة. وأشارت "مارجريت دونالدسون" إلى أن الإنسان يمكن أن يرى في الحياة اليومية أمثلة لأطفال يفكرون بطرق لا تتسجم بسهولة مع نظريات "باياجيت".

وتقترح نظريات "دونالدسون" الخاصة بها أنه إذا أراد الإنسان أن يرى الأطفال في أحسن أحوال كفاياتهم، فلا ينبغي أن ينظر للطريقة التي يحاولون التعامل بها مع المهام أو الأسئلة التي يكلفها بهم علماء النفس، ولكن للطريقة التي يحاولون بها التعامل مع مهام يضعونها لأنفسهم، وفي جو يكون معاون وله معنى وهدف بالنسبة لهم. وبما أن وجهة نظر "دونالدسون" كانت صحيحة، بدا أنه من المحتمل جدا أنه بمراقبة الأطفال وهم يتصرفون في حياتهم العادية في البيت، رأينا أمثلة من الكفاية الفكرية - كالتفكير المنطقي أو الأخذ بوجهات نظر شخص آخر - التي لا يمكن أن تظهر في أماكن أخرى. وفي الوقت نفسه، يمكن أن نكسب كشفا إضافيا لأنواع الموضوعات التي كان الأطفال أنفسهم مهتمين بها. كما يمكننا إلقاء الضوء على الطريقة التي يمكن للكبار مساعدة الأطفال بها على تحقيق المهام الفكرية التي اختاروها بأنفسهم.

#### ما مدى اختلاف البيت عن مدرسة الحضانة؟

هناك عدة أسباب أردنا من أجلها أن نهتم بأحوال الأطفال في مدارس الحضانة وفي البيت أيضا. أولاً، بدا أنه من الأهمية بمكان أن نقارن بين ما كانت الطفلات تتعلمه من أمهاتهن في البيت وبين ما كن يتعلمنه من المعلمات في المدرسة. وكما سبق أن أشرنا من قبل، اعتقدنا أن الأمهات والمعلمات مختلفات جدا في الطرق التي رأين وتعاملن بها مع مهمة "المعاونة في النمو الفكري للطفلات". ويبدو أن أكبر وجهة نظر انتشارا في نطاق عالم التربية والتعليم هي أن مثل تلك المقارنة ستعرض الطرق الفنية



الفائقة ومهارات التفوق لمدرس الحضانة المُدرب على أداء عمله. لكنه بدا ممكنا لنا أن الأم، بطريقتها الخاصة، قد تثبت أن لها نفس فاعلية المدرس في الحضانة، إن لم تتفوق عليها.

وكنا مهتمين أيضا برؤية التأثير الذى كان يحدثه الانتقال من بيئة إلى بيئة أخرى على البنات. إن معظم الناس لا يرون الأطفال مطلقا فى أكثر من بيئة واحدة، فالآباء لديهم فكرة بسيطة وقليلة عن الطريقة التى يتصرف بها أبناؤهم فى المدرسة، فى الوقت الذى يندر أن يرى المعلمون تلاميذهم فى مكان آخر خارج نطاق المدرسة. وكثيرا ما يشك المعلمون والآباء أن الطرف الآخر يعرف طفلا مختلفا. ومع ذلك فإن علماء النفس يقومون بتقييم سلوك الأطفال وقدراتهم بناء على رؤيتهم لمكان محدود ينحصر فى الفصل أو فى مواقف الاختبارات. وبدا لنا أنه من المهم، لأسباب نظرية وعلمية على حد سواء، أن نرى بأى طريقة اختلف سلوك الأطفال فى المكانين المختلفين تماما وهما البيت والمدرسة. هل كانت القدرات والاهتمامات التى كانوا يظهرونها فى مكان منهما يُكشف عنها النقباب فى المكان الآخر؟ وإذا لم يكن الحال كذلك، فيحتاج علماء النفس إلى إعادة الدراسة والنظر فيما إذا كان لهم ما يبررهم فى تقييم الأطفال فى مكان واحد فقط، بينما يكون على المعلمين أو الآباء دراسة الطرق التى يحصلون بها على القدرات والإمكانات التى يظهروها الأطفال فى مكان ما ، وليس فى المكان الآخر.

وإضافة لدراسة تأثير المكان على سلوك الأطفال، كنا نهتم أيضا بمدى ما قامت الطفلات به من ربط بين حياتهن فى البيت وحياتهن فى المدرسة. هل ربطن بين ما كن يفعلنه ويُمررن به من تجارب فى كل مكان منهما؟ أم هل بدا عليهن أنهن كن ينتقلن بين عالمين واضحى المعالم ولا علاقة ولا صلة بينهما؟

### دراستنا: الخيارات والقرارات

أجزنا أنفا الأسئلة الأربعة الرئيسية التى كانت تهمنا والتى كانت

تدور حول: ما كانت الطفلات تتعلمنه فى البيت؛ وفوارق التعلم فى البيت المرتبطة بالفوارق بين الطبقات الاجتماعية؛ وأنواع المهارات والخبرات التى كانت الطفلات تعرضنها فى بيوتهن، والخلافات الرئيسية بين التعليم الذى تقدمه الأمهات وذلك الذى يقدمه مدرسو الحضانه. ولكى نجيب على تلك الأسئلة قررنا الحصول على تسجيلات كاملة لتفاعلات الطفلات مع الكبار فى عصر أحد الأيام فى بيوتهن، وفى صباح يومين فى مدارس الحضانه. واحتفظنا بتسجيل مختصر فقط بما كان الطفلات تفعله عندما كانت كل واحدة منهن بمفردها أو عندما كن يلعبن مع أطفال آخرين، وهى أنشطة تشغل معظم وقتهن فى المدرسة. لذا سوف يلاحظ القارئ أننا لم نعقد مقارنة شاملة بين حياة الطفلات فى البيت وحياتهن فى المدرسة. ويرجع هذا لأن محور دراستنا كان عن الدور التعليمى الذى تقوم الأم به، ودور المعلم أيضا، ولكن فقط بغرض المقارنة بين دوره ودور الأم.

يتضمن مشروع أى بحث خيارات. وحين تجعل تركيزك منصبا على مسألة واحدة، فإنك بذلك تهمل مسائل أخرى. وقد يجادلنا بعض علماء النفس فى قرارنا بدراسة المحادثات التى تدور بين الكبار والطفلات على أساس أن الطريقة الأولى والأساسية التى تتعلم بها الطفلات الصغيرات تكون من خلال استكشاف العالم المادى من حولنا، وبملاحظة تأثير أعمالنا عليه. وفى الوقت الذى لا ننكر فيه أهمية هذا الشكل من أشكال التعليم، فإننا كنا نتعامل مع مسألة مختلفة، مسألة تخصص بدور الكبار فى إعطاء معنى لخبرة الطفل وتجاربه.

ومن منظور آخر، قد يجادل آخرون أنه بالتركيز على محادثات الكبار مع الأطفال، أخفقنا فى أن نضع فى الاعتبار ما تتعلمه الطفلات من طفلات وأطفال آخرين. ومرة أخرى، نحن لا نود أن ننكر حقيقة أهمية مثل هذا العلم. إن الأطفال كبار السن غالبا ما يعتمدون تعليم إخوتهم وأخواتهم الأصغر منهم سنا، الذين يتعلمون الكثير منهم بالتقليد. لكن بعض نواحي الفهم والإدراك الاجتماعى والمهارات الاجتماعية قد لا يمكن تعلمها فى

الواقع إلا بالتفاعل مع الآخرين. ومع ذلك، هناك قدر كبير من الدلائل التي تشير إلى أن الآباء، وفي المجتمعات الغربية على الأقل، لهم التأثير الأكبر على أبنائهم في اكتساب المعرفة واللغة. فمثلاً، نحن نعرف أن الأطفال الصغار الذين يقضون معظم أوقاتهم مع أطفال آخرين، وليس مع كبار السن – مع توائم، أو أطفال من عائلات كبيرة، وأطفال في مؤسسات اجتماعية – عادة ما يكونون بطيئين في تطوير اللغة مقارنة بالأطفال الذين كانوا أول مواليد آبائهم أو وحيدى آبائهم. وإلى جانب هذا، فنحن نعرف أن كلام الأطفال الموجه للكبار يميل لأن يتكون من جمل طويلة وأكثر تعقيداً، مع قدر أكبر من مفردات اللغة عن سواه من الكلام الذي يوجهونه لأطفال آخرين. وحيث إننا لم يكن لدينا سوى مصادر محدودة، لذا قررنا أن نركز على الشخص المنوط بالمسؤولية الأساسية لتعليم الطفل الصغير، وهي الأم. (كنا ندرك جيداً أهمية الدور المهم للأب في حياة الطفل، ولكنه في معظم العائلات الإنجليزية، بما في ذلك تلك العائلات التي قمنا بدراستها، تقضى الأمهات وقتاً أطول بكثير مع أطفالهن عما يقضيه الآباء)

وهناك قرار آخر اتخذناه وهو أن نقوم بدراسة البنات فقط. وكان من الممكن الحصول على ميزات واضحة في حالة دراسة كل من الأولاد والبنات، ولكنه، ولكي نعقد مقارنات سليمة من الناحية الإحصائية بينهم، كنا سنحتاج لعدد أكبر بكثير من الأطفال. وكان السبب الرئيسي لاختيارنا للبنات هو أن البنات، في سنوات ما قبل الالتحاق بالمدارس، يغلب عليهن أن يتكلمن أكثر من الأولاد، وبطريقة أوضح في الكلام. إضافة لهذا، شعرنا أنه في مجتمع مازال الرجال هم المسيطرون عليه، يصبح هناك ميزة ما في التركيز على البنات، وعلى التفاعلات بين الأم وابنتها.

وأخيراً، وبعد ذلك قررنا مراقبة ثلاثين بنتاً. خمسة عشر منهن من عائلات الطبقة المتوسطة، وخمسة عشر أخريات من عائلات الطبقة العاملة، نتحدث مع أمهاتهن في البيوت ومع معلميهن في مدارس الحضانه. ونصف في الباب التالي كيف اخترنا الأطفال وكيف قمنا بتنفيذ الدراسة.

## كيف تقدم مادتنا

كان التصور في البداية أن تتخذ دراستنا هيكل وتصميم علم النفس التقليدي؛ بمعنى أننا عقدنا مقارنات كمية بين مجموعات مختلفة من الطفلات والأمهات. ونظرنا مثلا إلى عدد الأسئلة ذات الأنواع المختلفة التي تم طرحها، وإلى عدد المحادثات التي تمت في موضوعات متنوعة. كما عقدنا مقابلات مع جميع الأمهات بعد انتهاء المراقبات. وقد أفرز هذا النهج نتائج مفيدة للغاية ؛ ونقدم النتائج بالتفصيل في ملحق لهذا الكتاب، كما تم نشرها في مقالات علمية (مذكورة في الملحق).

ومع ذلك فإن هذا التصميم لم يحظ برضانا. لقد شعرنا بحاجتنا إلى أن نذهب فيما وراء المؤلف، وأن ننظر بالتفصيل لما كان يحدث عندما كانت كل طفلة تتكلم مع أمها أو معلمتها. ولم تكن هذه مجرد رغبة لإضفاء الحياة للجداول الإحصائية بتقديم أمثلة إيضاحية. كان ذلك أيضا لأننا اعتقدنا أن دراسة محادثة بعينها بعمق يمكن أن تقدم بصائر لا يمكن الحصول عليها من التحليل الإحصائي، ويمكن أن تولد أفكارا جديدة عن القضايا التي كانت موضع اهتمامنا. لذا فإن هذا الكتاب لا يشمل فقط مناقشة لبياناتنا الكمية، لكنه يشمل أيضا مناقشات تفصيلية لمحادثات فردية، ودراسة عن بنت معينة بالذات في بيتها وفي مدرسة الحضانة.

## كيف قمنا بهذه الدراسة

نقدم في هذا الباب وصفا للطرق التي اخترنا بها الطفلات للدراسة، وكيف قمنا بتسجيل محادثاتهم وأعدنا نسخ الدراسة. وناقش أيضا القضايا التي تخص ما إذا كانت عينتنا تقدم ما نريد قوله، وإلى أي مدى أثر وجود معدات التسجيل والشخص المراقب في ما كنا نحاول ملاحظته ومراقبته. وربما يود من يهتمون بالنتائج التي توصلنا إليها وليس بالطرق التي اتبعناها أن يمرروا مرور الكرام بسرعة على هذا الباب.

### اختيار الطفلات

لأن مراقبة الطفلات وتحليل محادثاتهم عملية تستغرق وقتا طويلا، كان علينا أن نقصر عينتنا على ثلاثين طفلة فقط، بواقع خمسة عشر طفلة لكل مجموعة من مجموعتي الطبقات الاجتماعية. ونقدم في الباب السادس وصفا لمعاييرنا للطبقة الاجتماعية. ولكي نقدم مقارنة صحيحة وفعالة بين المجموعتين، كان من الضروري أن تكون ظروف الطفلات متشابهة بقدر الإمكان في كل شيء ماعدا الطبقة الاجتماعية. وقد فسرنا من قبل قرارنا باختيار بنات فقط للدراسة. والطفلات الصغيرات تتمون وتتطورن بسرعة شديدة، لذا كان قرارنا التالي هو اختيار بنات داخل نطاق ضيق من معدلات أعمارهن، أي في حدود ثلاثة شهور من أعياد ميلادهن الرابع. يصعب في بعض الأحيان على الشخص الغريب عن البنات أن يفهم كلامهن لو كان عمرهن أصغر من ذلك. ومن جهة أخرى، فإن البنات في لندن غالبا ما يبدأن الانضمام للمدارس الابتدائية التي تستغرق كامل ساعات الدوام المعتادة وهن في سن الرابعة والنصف.

وحيث إننا كنا نريد مراقبة الطفلات في البيت وفي مدرسة الحضانة، فقد ضمنا الطفلات اللاتي كن في مدارس حضانة أو صفوف صباحية فقط،

وكن مع أمهاتهن فى البيوت فى فترة ما بعد الظهر. وكان هذا مطلب سهل التحقيق حيث إن الغالبية العظمى من الطفلات يذهبن لمدارس الحضانة والفصول فى فترة واحدة فقط. وكان معنى ذلك أن الطفلات اللاتى كان عمل أمهاتهن على فترتين، أى دوام كامل، كُن يُستبعدن من الدراسة لكن ٥% فقط من النساء البريطانىات اللاتى كانت أصغر طفلة عندهن أقل من الخامسة هن اللاتى كن يعملن دواما كاملا فى ذلك الوقت. كان لثلث الأمهات فى دراستنا وظائف عمل فترة واحدة إما فى الصباح أو فى المساء. كما استثنينا أيضا العائلات التى يحتمل أن يكون الأب فيها موجودا فى فترة ما بعد الظهر، حيث إن ذلك يمكن أن يودى إلى تغير شكلى كبير فى البيت كموقع للدراسة.

وكان المطلب الأساسى التالى فى عملية الاختيار هو أن يتم سحب طفلات الطبقة المتوسطة وطفلات الطبقة العاملة من المدرسة نفسها. وكان هذا لأننا أردنا أن نضمن أن أى فوارق بين سلوك الطفلات فى المدرسة، أو أى تصرفات لهيئة العاملين بالمدرسة تجاههن، لم يتسبب فيها فوارق بين المدرسات أو المدارس التى تهتم بطبقة اجتماعية واحدة بعينها دون غيرها. كانت كل التلميذات منتظمات فى المدرسة لمدة فصل دراسى كامل على أقل تقدير.

وكان القرار التالى هو استبعاد العائلات التى كانت غير قياسية أو غير سوية فى بعض ظروفها. ومن هنا، استثنينا العائلات التى لم تكن اللغة الإنجليزية لغتها الأساسية. كما استثنينا العائلات التى بها أحد الوالدين فقط، والعائلات التى بها أكثر من ثلاثة أطفال على أساس أنهم قد يتصرفون بشكل مختلف بعضهم عن البعض الآخر، وأن أقل من ١٠% من الأطفال البريطانيين فى ذلك الوقت كانوا يعيشون فى عائلات من أحد الأنواع التى ذكرناها من العائلات.

وبعد أن استقر رأينا على معاييرنا فى الاختيار، كان علينا بعد ذلك أن نجد الطفلات اللاتى يتفقن مع مطالبنا وقراراتنا. ولكى نقوم بهذا الإجراء،

أجرينا اتصالات مع كل مدارس الحضانة والفصول في مكاتب التعليم المحلى اللذين كنا نعرف أنهما يضمنان نسبة كبيرة من الأطفال سواء من بيوت الطبقة المتوسطة أو من بيوت الطبقة العاملة، وطالبنا بتعاون الهيئات العاملة بها. ولم ترفض أى مدرسة الاشتراك فى الدراسة. وعقب ذلك، وبمساعدة هيئة العاملين أعدنا قائمة بالطفلات ذوات السن المناسب، وحجم العائلة. وتم الاتصال بأمهات تلك الطفلات، كما تم إجراء مقابلة قصيرة فى المدرسة مع كل أم. وفى تلك المقابلة، كنا نطلب معلومات من الأم غير متاحة بالضرورة لهيئة العاملات فى المدرسة، مثلا ماذا عن مؤهلاتهن العلمية، وماذا عن وظيفة أزواجهن، ومن كان يرعى كل طفلة فى فترة ما بعد الظهر. وشرحنا ما سوف تتضمنه الدراسة، وسألنا ما إذا كانت تلك الأمهات على استعداد للتعاون فى حال اختيار طفلاتهن. ومن المدهش أنهن جميعا وافقن. وأخيرا اخترنا اثنتين كيفما اتفق - أو أربعة فى بعض الحالات - من الطفلات اللاتى توافقن مع معاييرنا من كل مدرسة، مع وجود شرط تساوى أعداد طفلات الطبقة العاملة مع أعداد طفلات الطبقة المتوسطة اللاتى يتم اختيارهن من كل مدرسة. وكنا نهدف إلى أن نشرك أكبر عدد ممكن من المدارس فى الدراسة حتى لا نتشتت مشاعرنا بسبب أى صفات أو معالم غير عادية لمدرسة بعينها أو معلم بعينه. وفى النهاية كنا قد عثرنا على الثلاثين طفلة، موزعات بالعدل وبالتساوى بين تسع مدارس وفصول حضانة.

كانت عملية الاختيار هذه عملية ممتدة، بينما كانت العينة النهائية صغيرة جدا، لذا قد يتساءل القارئ، وله ما يبرره فى ذلك، كيف كان ذلك الاختيار نموذجيا؟ بالتأكيد لا يمكن تعميم مشاعرنا نحو المجموعات التى استثنيناها، على سبيل المثال العائلات كبيرة العدد والعائلات التى لا تتحدث أساسا باللغة الإنجليزية. وهناك اعتبار آخر، وهو أن جميع الطفلات اللاتى وقع عليهن الاختيار كن يذهبن إلى مدارس حضانة ذات فترة عمل واحدة. ومدارس الحضانة مجانية فى بريطانيا، لكنها ليست إجبارية، لذا يمكن النقاش فى أن العائلات اللاتى تستخدمها، لاسيما عائلات الطبقة العاملة، عائلات



غير قياسية. ونحن لم تتوفر لدينا دلائل على أنها كذلك، فمثلا عندما كنا نسأل الأمهات لماذا كن يرسلن أطفالهن للمدرسة، لم تقدم أى واحدة منهن سببا "تربويا تعليميا". وعادة ما كن يجبن بأن المدرسة كانت قريبة جدا من بيوتهن، أو أن أطفالهن كن يشعرون بالملل فى البيت أو أنهم كن محتاجات لوجود صحبة معهن. ومع ذلك فإن أقوى سبب لاعتقادنا أن العينة التى اخترناها لم تكن غير قياسية هو أن الكثير مما وصلنا إليه تم ثبوت صحته والتصديق على ما جاء به فى الدراسات الأكبر من دراستنا بكثير لأولاد وبنات فى سن الثالثة والرابعة فى بيوتهم، والتى قام بها "ويلز" فى بريستول و"ديفى" فى ستوك. ولا يمكن مضاهاة تلك الدراسات بشكل كامل مع دراستنا حيث إن "ديفى" لم تسجل محادثات، وسجل "ويلز" عينات من الكلام مدتها تسعين ثانية فقط. ولكن تشابه ما وصلنا إليه مع ما وصلوا إليه فى المواضيع التى نتوافق فيها على آراء ووجهات نظر واحدة.

### تسجيل المحادثات

انتهت الآن الأيام التى كان تسجيل المحادثة يتم فيها بالورق والقلم. ويسمح التسجيل السمعى الإلكتروني للباحث بأن يستمع للغة أو الأسلوب صعب الفهم عدة مرات لو لزم الأمر. كما يسمح هذا النوع من التسجيل أيضا بأن يستمع اثنان أو أكثر من المراقبين للمحادثات كل على حدة ثم يقارنوا بين تفسيراتهم لما استمعوا إليه.

ودرسنا باختصار فكرة استخدام الفيديو أو الفيلم، لكننا أسقطنا هذه الفكرة بسرعة من حساباتنا. إن آلات التصوير والمعدات الأخرى يمكن أن تكون مقحمة على المهمة التى نقوم بها، وليس هذا فقط، بل إنها تصعب عليهم أيضا التحرك والانتقال من مكان إلى آخر. وكنا نريد أن تكون للطفلات الحرية فى الانتقال لأى مكان يردن الانتقال إليه، سواء فى البيت أو فى دور الحضانة، ولم تستسغ إحدانا فكرة الركض من أحد أطراف الملعب فى المدرسة للطرف المقابل له، وهى تحمل آلة تصوير ثقيلة، وتحاول أن

تجعل طفلة عمرها أربع سنوات تظل في الصورة. وهناك سبب آخر وهو أن تحليل أفلام الفيديو يستهلك الكثير من الوقت.

أما طريقة التسجيل السمعي التي تبنيهاها أخيرا، لكي نسمح بحرية الحركة للطفلات، فكانت تتطلب تعليق أو ربط ميكروفون لاسلكي في ملابس الطفلة. وقد استخدم باحثون آخرون هذه الطريقة بنجاح. والميكروفون اللاسلكي مايك صغير - مثل ذلك المستخدم في المقابلات التلفزيونية - متصل بسلك توصيل مكسو بمادة عازلة لجهاز إرسال صغير: وهذا الجهاز يجب أن تتقلده الطفلة أيضا. ويرسل جهاز الإرسال إشارة لجهاز استقبال يمددها بدوره داخل جهاز تسجيل وأجرينا تجارب بطرق مختلفة لربط الميكروفون اللاسلكي في ثوب الطفلة قبل أن نصل للحل لنهائي. وتألفت تلك التجربة من تهيئة ثوب جذاب بلا أكمام يمكن لبسه وحده أو بلوزة قصيرة فوق كنزة تائية "تي شيرت" أو "بنطلون". وأمدنا صانع الثياب تلك بصدر رحب بثمانية من هذه الأثواب ذات أحجام وألوان مختلفة. وتم تخييط الميكروفون في جيب مبطن في صدر الثوب على بعد من خمسة عشر إلى عشرين سنتيمترا من فم الطفلة. أما سلك التوصيل من الميكروفون فقد تم تخييطه في بطانة الثوب بحيث ينتهي عند جهاز الإرسال الذي كان موضوعا في جيب مبطن آخر في ظهر الثوب. وكان جهاز الإرسال ثقيلًا جدا في البداية لكننا قللنا من وزنه ليصبح ١٥٠ جراما وذلك باستبدال غلافه الخارجي المصنوع من النحاس الأصفر بغلاف مصنوع من الألومنيوم. وكان هناك سلك هوائي قصير يتدلى على نحو رخو لأسفل من جهاز الإرسال داخل بطانة الثوب. ووُضعت معدات التسجيل في الغرفة التي كانت الطفلة تمضي فيها معظم وقتها (وهي عادة حجرة الدراسة في مدرسة الحضانة، وغرفة المعيشة في البيت) بحيث تستطيع السيدة المراقبة أن تراجع عملها بسهولة. وكلما كان ذلك ممكنا، كانت تلك المعدات توضع بعيدا عن خط الرؤية المباشر للطفلة، فوق بيانو أو خلف أريكة مثلا.

وكانت هناك حتما بعض المشاكل الفنية. فقد كان هناك احتمال بأن

تتعد طاقة البطاريات الكهربائية بشكل غير متوقع أو تفك أسلاك التوصيل، وأحيانا يتوقف جهاز الإرسال عن العمل تماما. إضافة لهذا، كانت التسجيلات عموما ذات نوعية رديئة عند الاقتراب من طريق رئيسي، ووضح أن جهاز الاستقبال له حساسية معينة ضد محرك السيارة أو الشاحنة على وجه الخصوص. ومع ذلك، فإجمالا نجح ترتيب العملية في الأداء الجيد بشكل يثير الدهشة، وتمكنا من الحصول على تسجيلات واضحة بشكل معقول.

ومع ذلك لم يكن مصدر القلق الأكبر الذى يصيبنا هو ما إذا كانت الأجهزة ستعمل بكفاءة أم لا، وإنما كان مبعثه هو ما إذا كانت الطفلة ستوافق على ارتداء الثوب على الإطلاق. إن معظم من تبلغ أعمارهن أربع سنوات لديهن أفكار محددة عن الملابس التى يرتدينها، وكان أشد ما يقلقنا أن ترفض الطفلة ارتداء الثوب فى الصباح، أو أن تخلعه فى منتصف الطريق خلال فترة التسجيل وترفض ارتدائه مرة أخرى. وعند التنفيذ، كان لابد من استبعاد طفلتين من العينة لأنهما رفضتا ارتداء الثوب. وعبرت طفلة أو اثنتين فى البداية عن عدم رضائهما بالثوب، لكن المدرسات تارة أو الأمهات تارة أخرى تولوا إقناعهما بالمواصلة. وأحيانا، لو أن طفلة مثلا أرادت أن تدخل حماما للتجديف، كانوا يشلحون لها ثوبها، وكانت السيدة المراقبة خلال تلك الفترة تسجل المحادثة بالورقة والقلم. وفى الحقيقة، أحببت معظم الطفلات "الثوب الاستثنائي" كما كن يطلقن عليه عادة، ربما لأنه كان يجعلهن يشعرن بأنهن مختلفات قليلا أو لهن أهمية خاصة. ورأينا أن أفضل شيء أن نطلب من الأمهات جعل البنات يرتدين الثياب فى الصباح الباكر بدلا من أن نحاول أن نفعل ذلك بأنفسنا أو أن نطلب من المعلمات فعل ذلك.

### وجود مراقب

فى الوقت نفسه الذى كنا نعد فيه وسائلنا الفنية للتسجيل، كنا نحاول أيضا التعامل مع مشكلة أخرى: هل كان من الضرورى حضور واحدة من فريق البحث أثناء القيام بالتسجيلات؟ واكتشفنا بسرعة أن وجود المراقبة أمر

جوهري. وعندما حاولنا القيام بالتسجيلات دون حضور مراقبة، وجدنا أنه من الصعوبة بمكان استنباط ما كان يحدث. وكان الأمر كذلك في مدرسة الحضانة على وجه الخصوص. إن صوت الطفلات الصغيرات يبدو متشابهاً جداً في التسجيل، وكان من الصعب جداً تحديد أي الطفلات كانت تتكلم ولا أيهن التي كان يُوجه إليها الكلام في أي وقت من الأوقات. إضافة لهذا، فإن الكثير مما كانت تقوله الطفلة – ومما كان يُقال لها، كان له معنى فقط لو عرف الإنسان بالضبط ما الذي كان يدور. إن ملاحظة من نوع "لا يمكنني أن أفعل هذا، بسبب هذا الشيء الموجود أمامك هنا.." لا يمكن فهمها عملياً دون معرفة محيط المكان الذي قيلت فيه.

كان على السيدة المراقبة إذن متابعة الطفلة عن كثب لكي تستمع لمحادثتها، وتدون ما كانت تفعله بالضبط. وكانت تتم مراقبة طفلة واحدة صباح كل يوم في المدرسة. وكانت المراقبات تحاولن الابتعاد عن خط الرؤية لكل من الكبار والصغار كلما أمكنهن ذلك، ومع ذلك، لا بد من أنهن كن يبدون متطفلات بشدة في أمور غيرهن.

وجعلنا قرارنا باستخدام مراقبة وجهها لوجه مع ما يمكن أن تكون أكبر مشكلة في الأبحاث المبنيّة على المراقبة والملاحظة : إلى أي مدى يؤثر وجود مراقبة فيما يتم مراقبته؟ وفي حالتنا، نحن لم يكن عزمنا استخدام مراقبة وحسب، بل إننا كنا نريد أيضاً أن ترندى الطفلة ثوباً من نوع خاص، مجهزاً بميكروفون لاسلكي وجهاز إرسال.

ألم يكن من المحتمل أن هذا التدخل الغريب بلا شك في حياة الطفلات الصغيرات وعائلاتهن يمكن أن يفرز محادثات غير طبيعية وغير نموذجية؟

يعتقد معظم الباحثين ذوي الخبرة في القيام بعمل مراقبة للأطفال الصغار أن تأثير المراقبة يكون ضئيلاً للغاية. ولقد أكدت تجربتنا السابقة في دور الحضانة أنه، وبعد فترة التأقلم الأولى، تتجاهل الطفلات الصغيرات، اللاتي هن أقل من الخامسة بالتأكيد، وجود السيدة المراقبة. ومع ذلك، بدا أنه

من غير المحتمل أن يكون الحال على هذا المنوال للطفلات أو الآباء فى البيوت الخاصة، حيث يكون الغريب أكثر تطفلا واقتحاما لحياة الآخرين الخاصة. ونحن كأباء وجدنا أنه من الصعب الاعتقاد أننا يمكن أن نتصرف بشكل عادى وطبيعى مع طفلاتنا لو كانت مراقبة غريبة تجلس فى ركن الغرفة وتكتب ما يحدث أمامها. وكانت المسألة الحاسمة هى ما إذا كانت الأمهات سوف يتأثرن تأثرا بالغا يجعلهن يتجاهلن النتائج ويضعفن منها.

أما وقد علمنا أهمية تلك المسألة، فمما يدعو للعجب مدى ندرة ما توجهت به الأبحاث لمعرفة التأثير الفعلى للمراقبة فى هذه العملية. ومما لاشك فيه أن مرجع ذلك هو صعوبة قياس تأثيرات المراقبة بشكل فعلى. وكان أحد المناهج الذى استخدم فى هذا المجال هو عقد مقارنة بين موقف ما فى هذه العملية فى وجود مراقبة مرة وفى عدم وجودها مرة أخرى. فمثلا : قارنت دراستان فى أمريكا البيانات التى تم تحصيلها بوجود مراقب فى بيت خاص ببيانات تم تحصيلها بترك جهاز تسجيل يعمل فى البيت. ولم تكن هناك فوارق لها أهميتها بين الحالتين. والمشكلة فى هذه الدراسات هى عدم وجود وسائل لتقييم مدى ما كان من تأثير لجهاز التسجيل فى حد ذاته على العائلات. وفيما عدا حجب المراقبة نفسها عن الأعين داخل خزانة، لا يمكن قياس موقف حقيقى تكون فيه المراقبة غائبة أو غير موجودة.

وهناك طريقة بديلة لتقييم تأثير المراقبة وهى استخدام أسلوب التعويد أو الترويض. ويفترض الباحث هنا أن أى تأثير يحدث بسبب وجود مراقبة سوف يقل حجمه بمرور الوقت، وأنه يمكن ضبط ومراقبة ذلك بالقيام بعدد من المراقبات المتعاقبة. وبالطبع، فطالما تكون المراقبة موجودة، فلا يمكن لأحد أن يتأكد مطلقا من أن تأثيرها قد انعدم بسبب تعود أفراد الأسرة على وجودها ولأن الأسرة أصبحت تتصرف بشكل طبيعى. ومع ذلك فالتغيرات الملحوظة عبر فترة من الوقت يمكن أن توحى بأن التأثير الأولى للمراقبة يتناقص شيئا فشيئا.

واقترحت أبحاث سابقة حول هذه المسألة أنه يمكن أن تكون بعض الجوانب السلوكية للأسرة قد تأثرت بشكل مختلف عن جوانب أخرى. فمثلا: وجد الباحثون الذين نظروا لعدد التصرفات الموجهة نحو المراقبة، أو إلى عدد التعليقات التي قيلت عن معدات التسجيل أن هذا النوع من السلوك سرعان ما يتلاشى خلال الزيارات الأولى القليلة. وعلى الجانب الآخر، لم تجد الدراسات التي نظرت لنواحي أخرى من تصرفات المشاركين تغييرات كبيرة أو لها مدلولها عبر ست أو سبع أو عشر زيارات.

ونظرا لأن الأبحاث السابقة لم تقدم نتائج نهائية حاسمة، قمنا بدراسة تمهيدية صغيرة لتتحري بأنفسنا عما يمكن أن يكون لوجودنا من تأثير. وفي تلك الدراسة التمهيدية، سجلنا لتسع طفلات في كل من البيت و المدرسة خلال أربعة أيام متتالية واستخدمنا الثياب الخاصة التي أعدناها، وبوجود مراقبة. وكما حدث في الدراسة الرئيسية، تولت سيدتان القيام بكل المراقبات في البيوت وهما: "هيلين كارمايكل" و "جيل بينكرتون". لقد شعرنا (وربما كنا مخطئين في ذلك) أن المراقب من الرجال قد يضيف للإجراج الذي تشعر به الأمهات، إضافة إلى كونه قد يسبب القيل والقال في محيط الجيران. ومع ذلك قام "مارتن هيوجيز" ببعض المراقبات في المدارس.

وقمنا بقياس مقدار المحادثات التي كانت مرتبطة بوضوح بالمعدات وبوجود مراقبة، وذلك كاختبار أول لتأثير المراقبة. واشتمل ذلك على الكلام عن المراقبة أو عن المعدات (مثلا، "ماما، متى ستبتعد تلك السيدة؟")، إضافة إلى محاولة إشراك المراقبة في محادثة، أو جعلها تشترك معهن في لعبة ما. وكما وجد باحثون آخرون من قبل، كان تأثير هذا النوع من السلوك أكبر ما يكون في أول يوم من أيام المراقبة – سواء في البيت أو في المدرسة – لكنه تضاعف بسرعة بعد اليوم الأول.

وبعد ذلك أجرينا قياسا لتلك النواحي من الكلام التي اعتقدنا أنها يمكن أن تتأثر لو حاول شخص كبير التأثير على المراقبة. واشتملت تلك النواحي

على المقدار الكلى الذى تحدث فيه الكبار مع الطفلة، ومقدار الكلام المتصل بالتحكم والسيطرة أو اتباع النظام، ومقدار الوقت الذى انقضى فى اللعب مع الطفلة، وفى تعليمها أو تفسير أشياء لها، وإعطائها اهتمامًا خاصًا. وعندما نظرنا إلى مدى تغير تلك النواحي خلال الزيارات الأربع، أصابتنا الدهشة إلى حد ما لما وجدناه. لقد كنا نتوقع أن وجود المراقبة سيكون مصدر فوضى وتعطيل للعملية فى البيت عنه فى مدرسة الحضانة المزدهمة والمليئة بالحركة، وأنه لو حدثت أى تغيرات بمرور الوقت، فإنها ستحدث فى البيت وليس فى المدرسة. ولكن فى الحقيقة ما وجدناه كان على العكس من ذلك. ففى البيت، لم يحدث أى اختلاف بشكل متكرر مطلقا ما بين زيارة والزيارة التى تليها فى قياس قمناه به. ومع ذلك طفا شكل محدد على السطح. لقد أصبح مقدار كلام العاملات فى المدرسة للطفلة فى اليوم الأول أقل بشكل له مغزاه عنه فى أى يوم من الأيام الأخرى. فقد تضاعف مقداره فى اليوم الثانى، ثم ازداد بالتدريج فى اليومين الثالث والرابع. لم تكن هناك تغيرات كبيرة فى الطريقة التى كانت العاملات تتكلمن بها، وبدا بشكل واضح وكأن العاملات كن يتجنبن أن يراقبن الطفلة أحد فى اليوم الأول، وبالتالي أوليتها قدرا كبيرا من الاهتمام، ولكن ذلك تضاعل تدريجيا.

وإذا كان الأمر كذلك، لماذا إذن لم تتكرر نفس العملية فى البيت؟ وقد تكون الإجابة أن الأمر الأصعب بكثير أن تغير مقدار الاهتمام الذى توليه للطفلة فى البيت عما توليه لها من اهتمام فى المدرسة. ففى البيت كان نمط التفاعل بين الأم والطفلة يبدو متأصلا، ومبنيا على عادات تضرب بجذورها بعمق بينهما. وفى الحقيقة، لقد أخبرتنا معظم الأمهات أن لديهن أنماطا محددة للغاية لكيفية قضائهن لفترة ما بعد الظهيرة، وأنهن، وببساطة، اتبعن تلك الأنماط الروتينية كالعادة خلال الزيارات التى قمناه بها لبيوتهن. لقد كان من المستحيل عليهن تقريبا تجنب طفلاتهن دون ظهور احتجاجات، مع أنه يمكن أن تكون كل من المعلمات والأمهات قد أعطين الطفلات اهتماما أكبر خلال الدراسة التى قمناه بها.

وبالطبع ليس معنى أن سلوك الأمهات لم يتغير خلال أربعة أيام، أنهن لم يتأثرن بشكل أو بآخر بوجود السيدة المراقبة. ويبدو أنه من المنطق أكثر أن نستنج أن تلك الفترة لم تكن طويلة بالنسبة لهن بالقدر الذي يألفن فيها وجود المراقبة. وكان السؤال المهم بالنسبة للدراسة هو ما إذا كان تأثير المراقبة كبيرا بالشكل الذي يحدث تحريفات خطيرة في الطريقة التي كانت تتكلم بها الأمهات مع طفلتهن أم لا؟

هناك مصدران للدلائل التي يمكن من خلالها الإجابة على هذا السؤال. أولاً، لقد قمنا بطلب رأى الأمهات أنفسهن. بعد بضعة أسابيع من التسجيل عادت واحدة من فريق البحث (هياين كارمايكل) لتجرى مقابلة معهن، وسألتهن، من بين ما قدمت من أسئلة، كيف شعرن أنهن وطفلاتهن قد تأثرن بعملية التسجيل؟ وقالت أكثر من نصف الأمهات (ثمانية عشر من ثلاثين) أنهن قد تأثرن بدرجة كبيرة حتى إن التسجيلات لم تمثلهن أو تصورهن على حقيقتهن، وقالت معظمهن أنهن شعرن بالقلق والحيرة إلى حد ما، وأنهن كن "غير طبيعيات تماما". وقالت ثلاثة منهن أنهن كن أكثر صبرا عما تعودن، لكن واحدة منهن قالت إنها كانت تصيح أكثر من المعتاد. وقالت ثلاثة إنهن حاولن فعل أشياء مع طفلتهن أكثر مما كان يمكن أن يفعلن عادة. أما عن الطفلات، فإن ما يقرب من نصف الأمهات (أربع عشرة من ثلاثين) اعتقدن أنهن تأثرن بالتسجيلات أيضا، في ثلاث حالات حدث هذا التأثير في اليوم الأول فقط. وقيل عن ثلاث طفلات إنهن كن أهدأ من العادة، بينما واحدة فقط "تكلمت ضعف ما كانت عليه عادتها في التكلم". وقيل عن سلوك اثنتين إنه كان أفضل من المعتاد، لكن ثلاثة منهن سعين للفت الأنظار إليهن.

كانت تلك دلائل لا شك فيها لتأثير السيدة المراقبة، لكن المراقبات أنفسهن اعتقدن أن التأثير كان بسيطا جدا. فلم يبدو القلق والحيرة على الأمهات؛ وبدت تصرفات الأسرة طبيعية جدا، غضب البعض ونفذ صبرهن، وأحيانا كانت الطفلات تسب وتشتتم وتلطم. وواصلت الأمهات



نشاطهن الخاص بهن، مثل قراءة الصحف، أو غسل شعرهن؛ أو الاتصال تليفونيا بالأصدقاء؛ وبكت الطفلات، وعبسن، وأطلقن الصيحات. ويستطيع القراء إلى حد ما عمل تقييمهم الخاص من المحادثات التي اقتبسناها وأوردناها على سبيل المثال في هذا الكتاب. وكان استنتاجنا الخاص هو أن سلوك الأمهات ربما يكون قد تعدل في أى اتجاه كن يعتقدن أنه يجعل منهن "الأمهات الفاضلات". كنا نشك ما إذا كان ذلك السلوك قد تبدل بشكل عنيف، ولو كان ذلك فقط بسبب الدور المهم الذى لعبته توقعات وآمال الطفلات ومطالبهن فى تشكيل سلوك أمهاتهن.

وبناء على دراستنا التمهيديّة هذه إنن، قررنا ألا نستخدم البيانات والمعلومات التي جمعناها فى الزيارة الأولى للمدرسة أو للبيت. كما قررنا أيضا أن تسجيلاتنا كانت تمثل الحياة "الطبيعية" بشكل كاف لتبرير السير قدما فى دراستنا الأساسية.

### الوقت الذى نسجل فيه

فى البدء جربنا مُدداً زمنيةً متنوعاً للتسجيل وصلت لست ساعات على نحو موصول. وكان ذلك يمثل شدا عصبيا شديدا على السيدة المراقبة - وربما على الأسرة أيضا - وفى النهاية استقرر رأينا على فترة ساعتين ونصف. وكان معنى هذا أننا كنا نستطيع تسجيل دورة دراسية يومية دون تغيير شريط التسجيل، وبدرجة سرعة تكفى للحصول على تسجيل ذو نوعية جيدة.

وكنا قد قمنا فى دراستنا التمهيديّة بتسجيلات للطفلات فى ثلاثة أوقات مختلفة بعد الظهر فى أيام مختلفة، بحيث نبدأ الساعة ١٢،٣٠ و ٢،٣٠ و ٤،٣٠. ووجدنا أن معظم الكلام كان يحدث فى الفترة الأولى، بعد الغداء، بينما كان معظم اللعب فى الفترة الثانية. ومن ٤،٣٠ فما فوق ذلك، كانت الحياة الأسرية تتسم بكثرة الفوضى، وذلك لعودة الآباء وأحيانا الأطفال الأكبر سنا للبيت، وتزايد إثارة الانفعالات باقتراب موعد النوم. وقررنا أن

يتم التسجيل في الدراسة الأساسية من أى وقت يبدأ فيه الغداء - عادة ما يكون حوالى الساعة الواحدة - ولمدة ساعتين ونصف. وكان هذا يعطينا فرصة متابعة المحادثات في فترة وقت الغداء واللعب في فترة ما بعد الظهر، وحتى الوقت الذى كانت بعض الأمهات يشرعن فيه للذهاب لإحضار طفل أو طفلة أكبر سنا من المدرسة. أما في المدرسة، فكنا نسجل طوال الفترة الصباحية (ساعتان ونصف في العادة)، من الوقت الذى كانت طفلتنا تصل فيه للمدرسة، فيما عدا الفترات التى كانت المدرسة تحضر الفصل بالكامل من بيوتهن من أجل حصة قصة أو موسيقى.

وحيث إنه لم يكن هناك قدر كبير من كلام بين الكبار والطفلة فى المدرسة، لذا قمنا بالتسجيل صباح ثلاثة أيام فى المدرسة، ويومان بعد الظهر فى البيت، وفى كل حالة كنا نلقى بتسجيل اليوم الأول جانباً.

#### إعداد نسخ مطابقة من الرسالة والتسجيلات

عندما قمنا بتسجيل الشرائط، واجهتنا مهمة كبرى: وهى الاستماع للشرائط واقتباس ونسخ وتدوين كل المحادثات بين الطفلات والكبار فى البيت وفى المدرسة.

من أجل هذا الغرض، قمنا بتشغيل فريق من خمسة ناسخين ومدونين استمعوا للشرائط واضعين سماعات الرأس فوق آذانهم، وباستخدام ملاحظات ومذكرات السيدات المراقبات، حددوا مواقع كل المحادثات التى دارت بين الكبار والطفلات وطبعوها على الآلة الكاتبة. ثم راجعت السيدات المراقبات تلك النسخ مرة أخرى وقمن بتصحيح أى خطأ أو حالات من سوء الفهم أو سوء التفسير، وأضفن ملاحظات كاملة، ورسوم عند الضرورة، حول النصوص التى راجعها على الجانب الأيمن من الصفحة. وكان النتاج النهائى عبارة عن تسجيل كامل للمحادثات.

وينبغى على الباحثين الذين يضعون مثل هذه الدراسة فى الاعتبار ملاحظة أن هذه العملية من النسخ والتدوين والتحرير تستهلك وقتاً كبيراً جداً.

لقد استغرق نسخ وتدوين ساعة واحدة من شرائط التسجيل التي تمت في إحدى مدارس الحضانة تسع ساعات، وثلاث ساعات أخرى للمراجعة وإضافة ملحوظات على النص. واستغرق تدوين ونسخ ساعة واحدة من الشرائط المنزلية اثنتي عشرة ساعة طوال، وخمس ساعات أخرى لمراجعة النصوص. وجمع ساعات العمل بشكل تقريبي نجد أنها تصل إلى أربعة آلاف ساعة انقضت في العمل الذي تضمن جمع البيانات والمعلومات، وتدوينها ونسخها، ومراجعتها وإضافة ملاحظات على النصوص، كل ذلك حتى قبل أن تبدأ عملية التحليل.

### موقع مدرسة الحضانة

قد يكون الوصف المختصر لمدارس الحضانة والفصول مفيدا في هذه الدراسة. كانت السلطات المحلية هي التي تدير جميع تلك المدارس والفصول، ولم تكن تفرض أي رسوم أو مصاريف على التحاق الأطفال والطفلات بها، مثلها مثل بقية النظم التعليمية. وكان الأطفال الذين يبلغ عمرهم من ثلاث إلى خمس سنوات يلتحقون في الحصة الدراسية الصباحية أو الدورة الدراسية التي تبدأ بعد الظهر، وكل دورة منهما مدتها ساعتين ونصف أو ثلاث ساعات، وتتوزع حجم الصف ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين طفلا وطفلة، وكان كل فصل يضم أطفالا أعمارهم ثلاث وأربع سنوات، وكان يعمل به مدرس مُدرّب أو مدرسة مُدرّبة، ومساعد مدرس أو مساعدة، وأحيانا يساعدهما أحد التلاميذ.

وكانت كل الفصول مزودة بوفرة بمجموعة كبيرة من أدوات اللعب. وكان الأطفال يختارون أنشطة اللعب بأنفسهم، كما كانت لهم الحرية عادة للدخول أو الخروج من الملعب الخارجي المتاخم للمدرسة كما يشاءون. وكان دور هيئة العاملين بالفصل هو اقتراح لعبة ما على الأطفال أو حثهم على مزاومتها، أو عرض أنشطة حرف يدوية أو ألعاب جديدة، وأن يتكلموا مع الأولاد فيما كانوا يفعلونه. وكان لمعظم المدارس نشاط واحد جماعي أو

اثنين في الصباح، وكان من المتوقع انضمام جميع الأطفال إليه أو إليهما، وعادة ما كان هذا النشاط عبارة عن حصة قصص أو حصة موسيقى.

ونحن لم نقم بتسجيل تلك الحصص، لكننا نسخنا ودونا جميع محادثات العاملين في الصف مع الطفلات.

ومن أجل تبسيط عملية التحليل التي كان علينا القيام بها، لم نُفرق بين المدرسات ومساعدتهن والتلميذات، واعتبرناهن جميعا "هيئة العاملات بالمدرسة". ومع أن الإنسان بالتأكيد قد يتوقع فوارق بين أساليبهن في المحادثات، لكن قرارنا هذا كان قرارا منطقيا لأنه، ومن وجهة نظر الأطفال، كانت كل الكبيرات الموجودات تساعدن في تقديم البيئة اللغوية للكبار في المدرسة. ومع ذلك، فعندما نقّتبس نصوص محادثات في هذا الكتاب، فنحن نشير لوظيفة كل منهم في الصف.

#### ما الذي حذفناه من النسخ الأصلية

وحيث إن ما كان يهمننا هو محادثات الكبار مع الطفلات، فإن دراستنا بالتأكيد لا تقدم صورة كاملة عن يوم كامل في حياة طفلة. ففي معظم الأوقات لم تكن الطفلات تتكلم مع العاملات، لكن كانت كل واحدة منهن تلعب وحدها أو مع طفلات أخريات. وكثيرا ما كانت الطفلات في البيت يلعبن في حديقة البيت، أو على الإفريز، أو كن في حجرات مختلفة عن حجرة أمهاتهن وأينما كانت الطفلة تذهب، كانت السيدة المراقبة تظل قريبة منها بشكل معقول.

#### ما قلناه للمدرسات، والأمهات والطفلات

قلنا للمدرسات والأمهات إننا كنا نقوم بدراسة لنمو اللغة في الطفلات الطبيعية نوات الأربع سنوات من العمر. ولم نذكر أننا كنا ندرس أيضا كلام الكبيرات وحديثهن مع الطفلات، وذلك خشية أن نجعلهن يشعرن بالخجل أو الوعي بالذات، رغم أنه كان من الواضح من خلال الملاحظات

اللاتى كن يبدينها أنهن كن مدركات عادة بأن الميكروفونات كانت تلتقط حديثهن أيضا. وطلبنا من كل من العاملات فى الصف ومن الأمهات أن يحاولن التصرف بشكل طبيعى قدر الإمكان، وشرحنا لهن أننا لن نتمكن من أن نتحدث معهن فى غير كلفة إلا بعد انتهاء التسجيل. وطلبنا من الأمهات أن يشرحن لأطفالهن ما يستطعن شرحه لهن بالقدر الذى يعتقدن معه بأنهن قد فهمن. ولو حاولت الطفلات التحدث مع السيدات المراقبات أثناء التسجيل، كن يقدمن لهن إجابات صغيرة وسريعة جدا ويشرحن لهن بلطف وكياسة أنهن كن مشغولات. وكانت العاملات والأمهات عادة ودودات ومرحبات بنا. وبعد ما انتهينا من كلا التسجيلين فى البيت، كنا كثيرا ما نذيع للأمهات بعضا من محتويات الشريط. وفى نهاية مشروع البحث، عقدنا اجتماعات فى بعض المدارس للعاملات والآباء والأمهات الذين اشتركوا معنا ووصفنا فيها الأشياء الرئيسية التى وجدناها.

\* استخدمنا سرعة ١،٧/٨ بوصة فى الثانية على شريط خمسة بوصة ثلاثى الاستماع لما تم تسجيله من بكرة لبكرة، ويعطى فترة تسجيل أقصاها ثلاث ساعات لكل شريط. وكان جهاز الإرسال يعمل ببطارية ٩ فولت صغيرة كان لا بد من تغييرها كل أربع ساعات. وإذا كانت الطفلة تتفقد الميكروفون، فيمكنه تسجيل كل شىء تقوله الطفلة وكل شىء يقال لها فى داخل نطاق نصف قطر قدره حوالى خمسة عشر قدم. والميكروفون اللاسلكى يعمل فى مجال حوالى مئة ياردة من جهاز التسجيل؛ وهذا يعنى أن الطفلة يمكنها أن تجرى بحرية فى أرجاء ملعب الحضانة، أو على الرصيف خارج بيتها، ومع ذلك يظل يُسجل لها كل شىء.

(٣)

### التعلم في البيت:

### لعب الأدوار، وألعاب التسلية، والقصص، و"الدروس"

نناقش في هذا الباب والباب التالي ما تتعلمه الطفلات من أمهاتهن في البيوت، والظروف والبيئة التي يجرى من خلالها هذا التعلم. وكما ألمحنا في الباب الأول، فإنه نادرا ما تمت دراسة هذه المسألة. ويعتقد بعض المهنيون أن كثيرا من الأطفال - لاسيما في مناطق الطبقة العاملة - يتعلمون القليل في البيوت، أو قد لا يتعلموا شيئا، ويقضون معظم أوقاتهم في مشاهدة التلفزيون. وبالإضافة إلى هذا، فإن المهنيين كثيرا ما يحثون الوالدين على قضاء وقت أكثر في التحدث مع أطفالهم واللعب معهم بغرض المساعدة على تنمية المهارات الفكرية واللغوية لديهم. لكن تلك الآراء والنصائح تقدم في غياب أي معرفة حقيقية عن الطرق التي يُعلم بها الآباء أطفالهم في الوقت الحاضر.

ومن بين طرق التعامل مع هذه المسألة توجيه السؤال للآباء عن الأشياء التي يعتقدون أنهم يُعلمونها لأولادهم في البيت. وعندما أجرينا مقابلات مع الأمهات في دراستنا هذه، وجدنا أنهن جميعا كانت لديهن أفكار محددة عما كن يُعلمن طفلاتهن. وعادة ما كان أول ما يذكرنه هو العادات الحميدة أو السلوك الحسن والطاعة. وبعد ذلك أشارت اثنتا عشر من أمهات الطبقة المتوسطة، وأربع من أمهات الطبقة العاملة أنهن كن يُعلمن بناتهن مناهج متنوعة جدا: "إننا نناقش كل شيء"؛ و"إنها تتعلم في الأساس من خلال إجاباتي لجميع أسئلتها"؛ و"كل شيء... كيفية تنظيم وترتيب الحياة". وذكرت ثمانية من أمهات الطبقة العاملة، وأم واحدة من الطبقة المتوسطة، المعلومات الخاصة بالمنزل أو العائلة: "شغل البيت"؛ و"التسوق"؛ "كل شيء يحدث في العائلة". وقالت تسع أمهات في كلتا الطبقتين الاجتماعيتين إنهن كن يعلمن

طفلاتهن القراءة والكتابة أو عد الأرقام. وذكرت والدتان فقط أنهما كانتا تعلمان اللغة، ولم تشر أم واحدة لمهارات التفكير أو النمو الذهني والفكري.

وتمكننا من عقد مقارنة بين تلك الإجابات مع ملاحظتنا على ما تكلمت الأمهات به بالفعل مع طفلاتهن. ومع أننا قمنا بتحليل ساعتين ونصف فقط مما سجلناه على شرائط، لكنه حدث قدر كبير من الكلام فى هذه المرة. وبدأنا بتقسيم النسخ الأصلية إلى محادثات، أى حلقات من الكلام على نفس الموضوع، تنتهى بتغيير فى ذلك الموضوع، أو بأم أو طفلة تبتعد عن مدى السمع. وبعد ذلك قمنا بقياس طول المحادثات بعدد "الأدوار" التى جاءت على لسان المشاركات فى الحديث. وعلى هذا فتكون المحادثة التالية:

الأم: تعالى هنا، من فضلك.

الطفلة: فى ظرف دقيقة واحدة.

الأم: لا، بل تعالى حالا.

عبارة عن محادثة من ثلاثة أدوار.

وفى المتوسط، كانت الطفلات تعقد سبعة وعشرين حديثا مع أمهاتهن كل ساعة، وفى المتوسط أيضا كان كل حديث منهم يدوم ستة عشر دورا. وكان هناك قدر كبير من التنوع فى هذه الجوانب؛ ففى نهاية حديث من تلك الأحاديث، كانت طفلة قد عقدت تسعة وثمانين محادثة مع أمها فى فترة ما بعد الظهر، بينما كان للأم تسعة فقط. ومع ذلك، فقد حدث قدر كبير من الكلام فى كل البيوت عدا البيت الذى ذكرناه أخيرا، ولم تكن تلك الأمهات تتطلب أوامر أو وصايا منا لتتكلمن أكثر مع طفلاتهن.

وقد يتساءل القارئ ما إذا كان حضور السيدة المراقبة قد أدى بالأمهات لأن يتكلمن أكثر من المعتاد مع طفلاتهن. وقد تمت مناقشة هذه المسألة فى الباب الثانى، ولكن يحسن بنا أن نضيف أن كلام من الطفلات والأمهات كن يتحكمن فى مقدار الكلام بنفس القدر، بدأت الطفلات الحديث

فى أكثر من نصف المحادثات. وكانت هناك فترات من الهدوء فى كل التسجيلات التى تمت فى البيوت، وذلك عندما كانت الطفلات تلعبن فى حجراتهن أو فى حدائق المنازل.

ولكى نفحص ما كانت الأمهات يقمن بتعليمه، أمعنا النظر فى كل دور كلام جاء على لسان الأم لنرى ما المعلومة التى نقلها لنا هذا الدور. ونظرنا إلى ما إذا كانت تلك المعلومة تخص السيطرة والتحكم (ما ينبغى على الطفلة عمله أو ما لا ينبغى عمله) أو تخص أنواعا أخرى من المعرفة. وكانت المعلومة التى لا تختص بالتحكم والسيطرة تتدرج تحت مجموعات كلام من سبعة وعشرين عنوانا تتراوح ما بين معلومة أساسية عن اللون والحجم مروراً بمعلومة عن العلاقات الزمنية، والعلاقات الأسرية، والتفاعلات الاجتماعية، إلى المعلومات العامة والمواد الدراسية كالتاريخ والجغرافيا والعلوم. ولم تكن نحسب الكلام الذى ينقل معلومة متناهية فى الصغر، مثلاً: "نعم"، و "لا"، و"شكراً"، و"هذا شىء جميل"، إلخ. وتم استبعاد الأسئلة والعروض والاقتراحات من هذا التحليل بالذات، رغم أنه تم تحليل الأسئلة فيما بعد كل على حدة. وكان يمكن أن نوزع دور الكلام المشتمل على أكثر من معلومة على أكثر من مجموعة كلام.

وفى المتوسط، كان ثمانية وعشرون من أدوار الأمهات المائتين من الكلام فى كل ساعة تختص بالتحكم والسيطرة. وكانت مسألة التحكم والسيطرة التى تحدث فى أكثر الأحيان فى البيوت من كاتنا الطبقتين الاجتماعيتين عن التبديد أو الإضاعة والتلف: "لا تسكبيها"، و"احرصى على عدم كسرها"، و"تذكرى أين وضعتها"، وما إلى ذلك. وكثر بالمثل الكلام فى مسألة السلوك الحسن والطباع الحميدة، مثل الطباع الصحيحة أثناء تناول الطعام، أو قولك "من فضلك" و"شكراً" إلخ.

وأكثر قدر من كلام الأم كان يختص بتقديم معلومات ليست لها علاقة بالتحكم والسيطرة. وفى المتوسط، كان مئة وخمسون دوراً من الكلام فى



الساعة يحتوى على معلومة عن موضوع معين، وهذا مقدار ضخم من الكلام الذى يمكن لطفلة أن تتلقاه. وكانت هذه المعلومات تغطى سلسلة طويلة من الموضوعات. وقد أعطت كل الأمهات عدا اثنتين منهن معلومات من اثنتين وعشرين قائمة على الأقل من بين ثمانية وعشرين من المعلومات البعيدة عن السيطرة والتحكم. وكانت أكبر قائمة من المعلومات هذه التى تناولتها الأمهات تختص بلعب الطفلة، وكانت ثانياً أكبر قائمة تختص بمعلومات عن أعضاء الأسرة، والعلاقات الأسرية، ورعاية الطفل، ومسائل تخص التنمية وأخرى تخص الشئون المنزلية. كما قدمت كثيراً أيضاً معلومات عن اللون والحجم والعدد، وكذلك المعلومات العامة بما فى ذلك معلومات عن التاريخ والعلوم. وعادة ما كانت تلك المعلومات تقدم فى نَفص صغيرة جداً، وليست فى قالب "دروس". وكانت "العلوم" تتخذ فى الأساس شكل معلومات عن النباتات والحيوانات. على سبيل المثال، كانت "روث" تشاهد أمها وهى تزيل الأعشاب الضارة من الحديقة فرأت شيئاً غير مألوف.

الطفلة: توجد بصلة مية.

الأم: لا، إنه ليس بصلا مية، إنما هى بصلات نبات.

الطفلة: هل هى مية؟

الأم: لا، ستنمو مرة أخرى هذا العام. إنها قامت بتخزين كل الطعام من الأوراق القديمة، كلها تتعفن وتذبل. إنها تخزن الطعام، وتكبر وترتفع مرة أخرى فى العام القادم.

كانت "هيلين" تشاهد برنامج عن الطبيعة فى التليفزيون فرأت شيئاً أثار

اهتمامها:

الطفلة: ما هذا يا أمى؟

الأم: إنها الخادرة. بعدما كانت يرقات، وعندما يحين الوقت لهن ليبدأن فى أن يصبجن فراشات، يصنعن لأنفسهن نوعاً من الشرائق ويمكنن بداخلها فترة. ويتحولن إلى فراشات: وتلك فراشة خرجت لتوها من الخادرة.

وأخذت الجغرافيا في العادة شكل معلومات عن مواقع الأماكن المختلفة. وغالبا ما كان لذلك صلة بخطط قضاء العطلات، ولكن أحيانا، وكما في المحادثة المقتطفة في صفحة ٢٩ كانت لها صلة باللعب. وغالبا ما كان يتم التذكير بأحداث التاريخ من خلال صور في كتاب تعرض على الطفلات.

الأم: وهذا فارس من الفرسان، تعود على القتال بسيف.

الطفلة: وما كل هذا الذي يضعه على جسمه؟ (لا إجابة) إنه يرتدى درعا، مثل ذلك الرجل الذي شاهدته في أحد الأفلام.

وفي الجزء الباقي من هذا الباب، كما في الباب التالي، سنضع في الاعتبار بشيء من التفصيل الظروف والأجواء التي تم تلقين الطفلات في ظلها ذلك القدر الكبير من المعلومات. وسرعان ما اتضح لنا أن شيئا من التعليم قد حدث في ظروف وبيئات نقر بأنها "تعليمية"، ومن الأنواع التي نحث الأمهات على استخدامها الآن، مثل لعب الأدوار والقصص. ومع ذلك فقد حدث تعليم آخر بشكل عرضي طارئ من خلال مجرد العيش والتحدث سويا في غير كلفة. وسوف نناقش في هذا الباب كيف حدث التعليم في أربعة أنواع من المواقف "التعليمية" وهي: لعب الأدوار، وألعاب التسلية والقصص و"الدروس".

### التعلم من خلال اللعب

يُعتبر اللعب عموما الموقف التعليمي بغير منازع في السنوات التي تسبق التعليم. لقد كان رجل التعليم الألماني "فريدريك فروبل" (١٧٨٢-١٨٥٢) أول من قدم قيمة التعلم من خلال التمثيل. ولقد حررت حركة روضة الأطفال ومدارس الحضانة التي نشأت من كتاباته الأطفال الصغار من طغيان الجلوس في صفوف وهم ينشدون ويرتلون ويكتبون الحروف الهجائية. وقدم "باياجيت" تيريرا منطقيا لهذا المبدأ بتأكيد على أن الاستكشاف النشط للطفل لمجموعة متنوعة من الأشياء ما هو إلا بشير أساسي

للفهم اللغوى والمعرفى الذى يتحلى به المرء فيما بعد. وكثيرا ما تُعتبر هذه الأفكار الآن شيئا بديهيا في نطاق عالم التعليم المبكر لمرحلة الطفولة.

لكن جميع الآباء على أية حال متعودون على تلك النظرية " التطويرية" الخاصة باللعب. وقد يعتبر آباء الطبقة العاملة على وجه الخصوص، وآباء من ثقافات أخرى، اللعب ببساطة طريقة يُسلى بها الأطفال أنفسهم ويشغلون بها أوقاتهم. وفى دراسة سابقة، وجدت إحدانا (بربارا تيزارد) أن الآباء الذين يتخذون وجهة النظر هذه كثيرا ما يحيرهم، أو حتى يكونوا معادين، للأولوية التى يعطيها معلمو مدارس الحضانة للعب. ويشعر رجال التربية المتخصصون هم الآخرون بالتساوى بالقلق لأن هؤلاء الآباء، وبعدم اللعب مع أطفالهم، قد يحرمونهم من فرص تعليمية طيبة.

وفى الدراسة الحالية، تمكنا أن نرى كم كانت الأمهات تلعبن مع طفلاتهن فى فترة ما بعد الظهر، وما بدا على الطفلات أنهن يتعلمنه من خلال تلك التجربة مقارنة بما بدا أنهن يتعلمن من أمهاتهن فى مواضع وظروف أخرى. وعندما أجرينا مقابلات مع الأمهات عقب التسجيلات، طلبنا منهن إعطائنا رأيهن فى...

إن أول سؤال طرحناه عليهن هو ما إذا كن يعتقدن بأهمية اللعب، وإذا كان الأمر كذلك، فلأى الأسباب؟ وكان جواب جميع أمهات الطبقة المتوسطة وإحدى عشر أما من بين الخمسة عشر أما من أمهات الطبقة العاملة أن اللعب الخيالى كان شيئا مهما بالنسبة للطفلة. وعند تقديم الأسباب، تكلمت القليلات منهن عن حاجة ابنتها للتعبير عن نفسها، لكن معظمهن تكلمن عما كانت الطفلة تتعلمه من خلال اللعب. وأفردت عشرة من أمهات الطبقة المتوسطة وخمسة من أمهات الطبقة العاملة اللعب الخيالى على وجه الخصوص على أنه له قيمته المنفردة. وفسرت القليلات منهن تلك القيمة بالعبارات التى يمكن أن يستخدمها معظم علماء النفس. (كأن تكون تلك القيمة

فى توسيع الخيال، والسماح بحل مشاكل التوتر العصبى والصراع العاطفى أو التخلص منها). وكثيرا ما ذكرن قيمة اللعب الخيالى فى مساعدة الطفلة على فهم عالم الكبار عن طريق تمثيلهن لأدوار معينة ("إنه التمرين على الحياة"، "إنها تتعلم بتقليدها للكبار")، أو فى حالة واحدة، قالت إحدى الأمهات "إنه يجعلنا أكثر قربا من بعضنا البعض". وكانت أمهات الطبقة العاملة أكثر احتمالا لذكر قيمة التمثيل فى تعليم مهارات محددة (إن لعبة "السلم والثعبان" تعلمها الأرقام)؛ و("إنها تتعلم كيف ترسم وكيف تلون الرسم"). وقالت أربعة من أمهات الطبقة العاملة إنهن يعتقدن أن اللعب ليس له أهمية، لكنه مجرد طريقة لشغل وقت الأطفال.

ولكن رغم أن غالبية الأمهات اعتقدن أن بناتهن كن يتعلمن من خلال اللعب، اعتقد عدد أقل منهن أنه من المهم أنهن يلعبن بأنفسهن مع طفلاتهن. وعندما كنا نسألهن، "هل تعتقدن أنه ينبغى عليك اللعب مع ابنتك؟" كان جواب معظم الأمهات فى كلتا الطبقتين من الطبقات الاجتماعية (واحد وعشرون من ثلاثين) بالنفى، وكان اعتقادهن هو أن الطفلات ينبغى أن يتمكن من اللعب بمفردهن أو مع طفلات أخريات. وكان ذلك بلا شك يرجع جزئيا بسبب أن معظم الأمهات لم يكن يستمتعن باللعب بشكل خاص مع طفلاتهن. وأجابت سبعة فقط منهن بالإيجاب غير المبرر على السؤال "هل تستمتعين باللعب معها؟" كما أجابت سبعة أخريات منهن بالنفى غير المبرر، وقدمت الباقيات إجابات لها تبريراتها مثل، "أفضل أن تلعب مع طفلات أخريات"، أو "إذا كانت حالتى النفسية تسمح بذلك" أو "طالما هى تخسر فى منافستى لها فى اللعب".

وخلال الملاحظات التى تمت بعد الظهر، وجدنا أن جميع الأمهات، عدا ثلاثة من الطبقة العاملة واثنتين من الطبقة المتوسطة، كن يلعبن لفترة معينة، مهما كنت وجيزة، مع طفلاتهن، وأن كل الأمهات كن يتكلمن معهن عما قمن به من لعب. وفى معظم الأحيان كن يُعلقن أو يقدمن اقتراحات فى

أثناء مواصَلتهن للأعمال المنزلية أو بينما كن يشربن القهوة. ومتوسط الوقت الذى كانت الأمهات تقضينه فى اللعب مع طفلتهن خلال الساعتين والنصف من التسجيل كان خمسة وثلاثين دقيقة. وكان أقصر وقت هو اثنتا عشر دقيقة، وأطول وقت كان ما يزيد عن ساعتين. ولم يكن هناك فوارق طبقية فى هذا المجال.

### التعلم من خلال اللعب الخيالى

كان من المستحيل أن تقول ما مقدار اللعب الخيالى الذى يحدث فى البيت. فإن لم تكن الطفلة تتكلم عما كانت تفعله، لم يكن لدينا وسيلة نعرف من خلالها ما إذا كانت تلعب ببيت الدمية، مثلا، أو ما إذا كانت غارقة فى الخيال، أو ما إذا كانت ترتب فى قطع الأثاث. ومع ذلك، تكلم ثلث الطفلات من كلتا الطبقتين الاجتماعيتين مع أمهاتهن حول لعب خيالى فى وقت ما فى فترة بعد الظهر. وعموما كن يلعبن بمفردهن. وقامت ستة من أمهات الطبقة المتوسطة، وواحدة فقط من أمهات الطبقة العاملة بتمثيل دور فى ألعاب التسلية تلك.

وعادة ما كانت تقوم تلك الأمهات، سواء بقصد أو بغير قصد، بتحويل تلك المناسبة لميزة تعليمية. وكانت الطفلات فى كل الأحوال تقريبا هن اللاتي يبدأن ألعاب المسابقات تلك ويقمن بتشكيلها، ولكن سرعان ما كانت الأمهات يشاركن بأدوار رئيسية فيها. ومن المسلم به أن الطفلات كن يقدرن مشاركة أمهاتهن بالقدر الذى يجعلهن لا يمتعضن من ذلك. ولو كن قد فعلن ذلك، لتوقفن بالتأكيد عن اللعب. وعادة ما كانت مدة تلك المسابقات فى الحقيقة طويلة جدا، وكانت الأم هى التى تنتهيها أخيرا وليست الطفلة.

أمضت سوزان وأمها قسطا كبيرا من فترة ما بعد الظهر جالستين على الأريكة وهما تواصلان سلسلة من الرحلات الخيالية. وخلال تلك الفترة، كانت أم سوزان، وفى الوقت الذى كانت تشاركها فى المسابقة، كانت تتأكد أن الخيال يتبع قيودا جغرافية حقيقية واقعية، فتقدم لها سيلا من المعلومات

الجغرافية. ونقتبس هنا جزءا صغيرا من هذه السلسلة:

الطفلة: هل تريدان الذهاب للحديقة العامة؟

الأم: لا أعتقد ذلك. هل تريدان أنت ذلك؟

الطفلة: هل تريدان الذهاب للندن؟

الأم: "تفكر ماذا تقول".....

الطفلة: لقد دفعت ثمن تذكرة للندن.

الأم: ما وسيلة مواصلتنا للذهاب إلى هناك؟

الطفلة: سوف نركب... علينا أن نعبر الكوبرى. هل تريدان الذهاب

للقلعة التى عند بيت جدتى؟

الأم: لا، إنها ليست فى لندن. أين تعيش جدتك؟

الطفلة: فى شاتهم.

الأم: شاتهم. ليست لندن بالرغم من هذا، أليس كذلك؟

وبعد بعض المفاوضات، تقرران الذهاب إلى لندن، وشراء بعض

التذاكر.

الأم: هاهى التذاكر، لا تضيعيها، وإلا ستُطردان من الأتوبيس. لماذا

نذهب إلى لندن بالأتوبيس على أى حال؟ الذهاب بالقطار أسرع.

أحبت سوزان فكرة الرحلة بالقطار، واتجهتا إلى لندن بالقطار. وأحيت

سوزان الرحلة بتقديمها دور "لص" حاول سرقة نقودهما وتذاكرهما. وبعد

استطراد لمناقشة طبيعة بابا نويل، عادت لموضوع الرحلات.

الطفلة: إلى أين تريدان أن تذهبي الآن؟

الأم: أوه، أريد الذهاب لجزيرة إغريقية جميلة، رغم أن على أن أذهب

بالطائرة. هل تستطيعين الطيران؟

الطفلة: لا فى الحقيقة... أستطيع فقط أن أدعى أنى أطيّر.

الأم: وهو كذلك، سنذهب لليونان إذن.

الطفلة: خذى! (وتسلمها تذكرة)

الأم: أشكرك.

الطفلة: أين اليونان؟

الأم: (تضحك) أوه، الآن سألتنى. إنها فى البحر الأبيض المتوسط.

الطفلة: ماذا؟

الأم: إنه بعيد جدا عن هنا. اليونان اسم بلد. وهى على طول الساحل بجانب شورهام (تضحك). هذا ما تعودت هيلين (الأخت الكبرى لسوزان) أن تقوله. لقد تعودت أن تقول أن إفريقيا بجانب شورهام.

وأحدثت سوزان ضوضاء تحاكي بها صوت طائرة بعض الوقت، وفى النهاية وصلنا إلى اليونان:

الطفلة: هنا!

الأم: أوه، نحن هنا بالفعل، أليس كذلك؟ إنها رحلة ممتعة للغاية، نشكرك يا قبطان الطائرة. (وتبتعد عن الأريكة، التى هى الطائرة وتذهب للمطبخ لتحضر سيجارة)

الطفلة: لقد عدت إلى وطنك.

الأم: إننى فى اليونان.

الطفلة: لا، أنت لست فى اليونان. لقد عدت لوطنك سيرا على الأقدام. لقد كان الطريق بعيدا.

الأم: لا أستطيع المشى لأعود إلى الوطن من اليونان، إن المسافة بعيدة جدا.

الطفلة: لماذا هي كذلك؟

الأم: إنها مسافة بعيدة جدا.

وباستمرار لعبة التسلية هذه، كانت سوزان فى نهاية التلقى لمقدار كبير من المعلومات الغامضة إلى حد ما عن وجود أماكن مثل لندن و شانهام، وأفريقيا، وشورهام، واليونان. وبالطبع فإن المجال مفتوح للشك فى ما يخص القدر الذى يمكن أن تظل سوزان تحتفظ به من معلومات من هذا الحديث؛ ومع ذلك، لو كانت تلك هى طريقة أمها المعتادة فى الاشتراك فى اللعب الخيالى، فإنها بالتالى ستجمع بعض المفاهيم الجغرافية. ويبدو أنه من غير المحتمل، لو قمنا بفحص تلك المقتطفات من المحادثات، أن تكون والدة سوزان قد اشتركت فى لعبة التمثيل الخيالى هذه بأى قصد صريح بتعليمها "الجغرافيا". فلو كان لها ذلك القصد لكانت معلوماتها أكثر دقة. ولكن يبدو أنها قدمت لها معلومات جغرافية فى المحادثة لأنها أرادت أن ترسو باللعبة على أرض الواقع. لم تكن تلك محض خيال طبيعته "كله ماشى"، بل كان تطورا خيالياً مبنياً على حقيقة ضمنية.

وأصرت والدة سوزان أيضا على أن تكون التمثيلية الخيالية متماسكة ومتناغمة بشكل منطقي. ويتضح ذلك على وجه الخصوص فيما بعد فى اللعبة، عندما دعت سوزان أمها لتراقبها فى "نزهة خلوية":

الأم: أين ستذهبين فى هذه النزهة الخلوية؟

سوزان: بعيدا فى البلد الأحمر.

الأم: البلد الأحمر؟

سوزان: البلد الأحمر.

الأم: البلد الأحمر؟ أين هو؟

سوزان: الشمال.



الأم: الشمال؟ أوه. هل الجو حار أم بارد هناك؟ أنى أريد أن أعرف ما إذا كان على أن آخذ حذائى وجوربى معى إلى هناك (تجلس حافية القدمين فى الحقيقة).

سوزان: (تفكر قليلا) حار.

الأم: أوه، أنا بالتالى لا أحتاج إلى الحذاء والجورب. ماذا أحتاج؟

سوزان: (تفكير قليل) تأخذين حمام شمس لمدة وجيزة؟ ثم تحضرين بعض الملابس لو كان الجو باردا.

الأم: لقد قلتى لتوك إن الجو حار.

سوزان: حسنا لكنه يمكن أن ينقلب فيصبح باردا.

الأم: متى؟

سوزان: عندما يكون فى الشمال.

الأم: وكيف تعرفين أن الجو بارد فى الشمال؟

ولم تستطع سوزان الرد على هذا السؤال، وهذا أمر لا يدعو للدهشة، وبدلا من ذلك أدارت دفة الحديث فقدمت عرضا لقطع كرامل كل قطعة فى طرف عود (مصنوعة من طين الصلصال) أعدتها للنزهة الخلوية. وأظهرت لأمها أنها كانت قد صنعتها "بشيئين يبرزان لأسفل من كل واحدة منها":

الأم: أسفل ماذا؟

سوزان: بعض من هذه يبرز أسفل قطعة الكرامل.

الأم: مثل الأيس كريم وهو يذوب فوق الحافة.

سوزان: نعم.

الأم: (تفكر قليلا)... لكننا لو كنا قد ذهبنا شمالا والجو بارد هناك، فلن تذوب.

سوزان: أوه، لماذا؟

الأم: لأن الأيس كريم لا ينوب في البرد.

لم تكن والدة سوزان هي الأم الوحيدة التي فرضت تلك الأنواع من التقييد على اللعب الخيالي لابنتها. إن ما اقتطفناه فيما يلي من حديث كان من سلسلة طويلة أخرى من اللعب الخيالي الذي تضمن طفلة أخرى اسمها "آن" وأمها. وكان الخيال يدور حول موضوع "المستشفيات"، لكنه نشأ مباشرة من حدث وقع في عالم الواقع؛ ففي منتصف الوقت نحو فترة ما بعد الظهر تقريبا، شجت والدة آن إصبعها في علبة بها طعام محفوظ للكلاب. وأرسلت أن لتحضر قطعة من القطن وديتول بينما كانت أمها تغسل إصبعها. وبعدما قاموا بعمل اللازم مع الجرح، ادعت "آن" أن دميتهأ أصابها جرح في إصبعها، وأن أمها كانت ممرضة في مستشفى:

الأم: ما الذي يمكنني عمله لك؟

الطفلة: لقد حدث جرح في يدها.

الأم: صحيح؟

الطفلة: كانت تعبت بقطعة من الزجاج...

الأم: صحيح؟

الطفلة: ... فانكسرت، ووضعت إصبعها فيها مباشرة، فأصابها هذا الجرح.

الأم: وهل كنت في الغرفة؟ (الطفلة تومئ بالموافقة) لماذا إذن لم توقئها عن العبث بالزجاج؟

الطفلة: حسنا، لقد كنت نائمة... وهي... ولم أستطع سماعها وهي تفعل ذلك.

الأم: أوه، فهمت. هل كنت نائمة في نفس الغرفة؟

الطفلة: نعم.

الأم: لا بد من أنك كنت مجهدة جدا. هل كنت مجهدة جدا؟ (الطفلة تومئ بالموافقة)، لماذا كنت متعبة بهذا الشكل؟

الطفلة: لأنى كنت أعمل.

الأم: أوه، أنت تعملين، صحيح؟ (الطفلة تومئ بالموافقة)، ماذا تفعلين؟  
الطفلة: التمريض.

الأم: ( تضحك ) أنت ممرضة، أليس كذلك؟

الطفلة: وأرتدى وزرة بيضاء.

الأم: حقيقى؟

الطفلة: ولها قبعة بيضاء.

الأم: فهمت. إذن أنت ممرضة، لماذا لم تستطعى علاج طفلتك إذن؟  
الطفلة: لكنها فى.... وأنا فى عملى لا أس... (تتلعثم فلا تكمل الكلمة) غير مسموح بأخذ الأطفال.

الأم: أوه، فهمت. من هم الذين ترعيهم إذن فى عملك؟

الطفلة: (تفكر قليلا)... الناس، على أن...، عندما أعطيهم حمامات...

الأم: صحيح؟

الطفلة: إنهم بدناء.

الأم: هل هم كذلك؟

الطفلة: وعلى أن أحملهم لأضعهم فى الحمام.

الأم: يا إلهى! لا بد من أن هذا الأمر صعب جدا... إذن فأنت لا ترعى الأطفال؟

الطفلة: لا.

الأم: هل الأطفال من الناس؟

الطفلة: لا.

لقد أخذت أم أن دورا أكثر نشاطا بكثير من الدور الذى أخذته أم سوزان فى السير قدما لمواصلة التمثيلية الخيالية، مع أنه من الصعب القول ما مقدار ذلك بسبب دورها المزعوم كـ: "مرمضة" فى التمثيلية. لقد كان تأثير طرحها للأسئلة هو أن "أن" كانت مضطرة أن تبنى سردا متماسكا من الناحية المنطقية للحادثة التى أصابت "طفلتها"، ودورها فيها، وعدم قدرتها على مواصلتها بنجاح. فى الحقيقة كانت طريقة طرح أمها للأسئلة تشبه استجابا لشخص مشتبه به ودليل براءته مشكوك فيه. إن تلك الأسئلة تبتعد كثيرا عما يمكن الاحتياج إليه لمجرد لعب دور الممرضة؛ وعلى العكس، فهى تبدو كجزء من إصرار أكثر شمولية من جانب الأم لكى تكون أن منطقية ومتوافقة فى أقوالها مع ما تفعله.

وما نقتبسه من سلسلة الأسئلة الختامية لم يعد جزءا من اللعبة بعد، لكنه يبدو محاولة من جانب الأم لتفسير وتوضيح ما تعنيه "أن" بالكلمات: "الناس" و"الأطفال". ولقد تبع ذلك ذكر "أن" بأن الأطفال ليسوا من الناس، كما ذكرنا آنفا. وهذا مثل جيد للضغط الذى غالبا ما تتعرض له بنات الطبقة المتوسطة من أمهاتهن ليكن صريحات... واضحا ويتسمن بالدقة فى استخدام اللغة.

الأم: ما هم الأطفال إذن؟

أن: حسنا، هم أطفال.

الأم: إذن ما هم الناس؟

أن: النساء.

الأم: وماذا عن الرجال؟

آن: رجال.

الأم: بلى.

آن: الرجال رجال.. لا.. والنساء نساء.

الأم: نعم، حسنا، من هم الناس؟

آن: لا! إنهم أطفال...

واقفت تلك الأمهات، إذن، على تعريف طفلاتهن للعبة أو التمثيلية والدور المنوط بهن فيها. وفي الوقت نفسه مارسن تأثيرا قويا على اللعبة، لاسيما بتأكيدهن على أنها تشبه الموقف الواقعي الذي قامت عليه. ويتوافق هذا السلوك مع نوع التفسيرات التي كانت الأمهات تقدمها للأسباب التي اعتقدن من أجلها بأن للتمثيل قيمته (انظر صفحة ٢٧)، بمعنى أنه كان يساعد الطفلات على تعلم أشياء عن مواقف الواقع الفعلي التي بُنيت عليها التمثيليات. وكانت تلك التفسيرات تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التفسيرات التي تعود علماء النفس على تقديمها، فهم الذين يعتبرون التمثيل الخيالي شيئا مهما في المساعدة على إيجاد حل للنزاعات العاطفية أو في تنمية ملكة التصور والخيال. وخلال لعب أدوار مع طفلاتهن في تلك التمثيليات الخيالية، قدمت لهن قدرا لا بأس به من المعلومات. وهناك دافع مساوٍ في الأهمية بالنسبة لبعض الأمهات وهو الرغبة في مساعدة طفلاتهن على التفكير المنطقي المتوافق السليم. ونحن هنا لا ندافع بأن هذه هي الطريقة "الصحيحة" التي يجب أن تتبعها الأمهات مع طفلاتهن. ويعتقد البعض أن أفضل طريقة أن تترك الأمهات طفلاتهن لتنمية ملكات الخيال الخاصة بهن، وأن يوجهن جهودهن التعليمية في مواقع أخرى. وبالتأكيد فإن ذلك النوع من التمثيل يتطلب اهتماما مركزا من جانب الكبار، الأمر الذي كانت كثير من الأمهات مشغولات أكثر من اللازم بحيث لا يستطعن الوفاء به، أو لم يستمتعن به. إن أم "جويس" على وجه الخصوص، على سبيل المثال، كانت مشغولة خلال دورة التسجيل التي تمت بعد الظهر، حيث إنها كانت تعد لخروج العائلة

لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. واكتفت بمساهمة ضئيلة جدا، ومع ذلك كانت مساهمة ودية، مع تمثيلية ابنتها الخيالية:  
الطفلة: ماما، أنا الآن فى عطلة.

الأم: صحيح؟

الطفلة: نعم

الأم: إلى أين ستذهبين؟

الطفلة: لشاطئ لبحر حيث ذهبنا (تبتعد بنفسها وهى تحدث نفسها، وتعود فيما بعد) شاهدينى، شاهدينى وأنا أسبح، يا أمى (تبتعد مرة أخرى، ثم تعود) لقد ذهبت إلى المياه العميقة.

الأم: بعيدا فى البحر فى المياه العميقة؟ خذى الحذر.

الطفلة: لقد ذهبت للمياه العميقة.

الأم: هل فعلت ذلك؟

الطفلة: (تفكر قليلا) هل يمكنى أن أخذ شيئا من ذلك (الطعام)؟

وعند هذا الحد تعود المحادثة لموضوع وجبة الطعام التى كانت أم جويس تعدها.

وكانت أمهات أخريات ترضين بالتلقين وليس بالمشاركة فى التمثيلية الخيالية، وحتى ولو لم يكن مشغولات. كانت والدة "سيندى" تأخذ حمام شمس فى حديقته وتراقب "سيندى" وهى تحفر فى الطين: الأم: لماذا لا تصنعين كعكة؟

الطفلة: كعكة؟

الأم: نعم.

الطفلة: وهو كذلك، سأصنع كعكة شوكولاته. من هذا؟ (تشير للطين)

الأم: نعم.

الطفلة: أنا فقط لا أريد أن تتوسخ يداى.

الأم: أوه. لا. لا تضعى يديك فيه.

وبعد ذلك، شاركت والدّة "سيندى" بالحد الأدنى من المشاركة، وذلك بقبولها شريحة من "الكعك".

وحاولت "ويندى" أن تشرك أمها فى لعبة التمثيل الخيالى هذه متلما فعلت والدّة سوزان. ومع أن أمها قامت بمجهود رمزى، إلا أنها شعرت بالضيق إلى حد ما:

الطفلة: إنها مريضة، أمى (وهى تلعب بدميتها).

الأم: مريضة؟ ما الذى حدث، إذن؟

الطفلة: إنها لا يمكنها الذهاب للمدرسة.

الأم: أوه، مسكينة هذه الطفلة الصغيرة. لا أعتقد أنها تحب تلك الوسادة القديمة القذرة. إنها تطلب التخلص منها. (تغير مجرى الحديث عند هذا الحد).

### التعلم من خلال الألعاب ذات القواعد

فيما يتعلق بملكة الإبداع، فإن الألعاب ذات القواعد تكون فى الطرف المضاد تماما للعب الأدوار الخيالية. ومع ذلك، فهى الأخرى تقدم للكبار فرصا تعليمية متنوعة. وخلال تلك الألعاب التمثيلية، لم يكن من الواضح دائما ما إذا كانت لدى الأمهات أهداف تعليمية صريحة، أم كن فقط يقمن بتسليّة طفلاتهن وأنفسهن أيضا.

وكانت طفلة واحدة فقط، اسمها "جون"، هى التى قدمت الإمكانيات التعليمية للألعاب ذات القواعد بطريقة ملفتة تماما للنظر. أثناء التسجيل فى

فترة ما بعد الظهر، كانت جون، والتي كان والدها عامل أسفلت ويعيش فى شقة تابعة لجمعية الأسفلت، تلعب مجموعة من الألعاب التقليدية ذات القواعد مع أمها وتشمل: فنش عن الكشتبان، وإنى أتجسس، ولعبة ورق الشدة "الهويست بالضربة القاضية". وكان واضحا أن تلك الألعاب جزء من ذخيرة الأسرة من الألعاب، وكانت المحادثة تنتشر فيها إشارات إلى مناسبات أخرى كانت تمارس فيها هذه الألعاب، مثلا مع الأخ الأكبر لـ "جون"، ومع جدتها. وكان من الواضح أيضا أن الأم والطفلة كانتا تستمتعان بمزاولة تلك الألعاب، وكانت والدة جون فى الحقيقة واحدة ممن أخبرتنا فيما بعد أنهم كن يستمتعن باللعب مع بناتهن.

ومن بين اللعبات الثلاث التى ذكرناها لتوتنا، كانت المهارات التى يتم اكتسابها من خلال لعبة "فنش عن الكشتبان" أقل المهارات التى يمكن أن تعترف المدارس بقيمتها، ومع ذلك فهى تسهم فى النمو الفكرى. إن استنباط ما إذا كان الشيء يراه شخص آخر أم لا، ومعرفة ما إذا كان المكان الذى يختبئ فيه شخص أو شيء سهل الاكتشاف أم صعب، أو إرشاد الشخص الآخر بملاحظات من أمثال: "برد"، "أدفا"، و"حار جدا"... إلخ. والاستفادة الشخصية من مثل تلك التلميحات، ترتبط جميعها ارتباطا وثيقا بعملية تغلب الطفل على ما أسماه "باياجيت" (الأناية "اعتبار" الأنا "نقطة الانطلاق فى الفلسفة"). ويستخدم "باياجيت" هذا الاصطلاح للإشارة إلى الأناية، ليس بمعنى حب الذات، ولكن بمعنى عدم قدرة الطفل الصغير على رؤية الأحداث والأشياء من منظور شخص آخر. وطبقا لما يراه "باياجيت"، فإنه لا يمكن التغلب على الأناية حتى يصل عمر الطفل إلى حوالى سبع سنين. ومع أننا سنناقش هذا الأمر ونعترض عليه بشدة فى الباب الخامس، فمما لا شك فيه أن القدرة على رؤية وجهة نظر الآخرين تعتبر مهارة صعبة، ويتم اكتسابها بالتدريج عبر مدة زمنية طويلة. وتعتبر لعبة "فنش عن الكشتبان" بالنسبة للأطفال فى الرابعة لعبة تفرض التفكير الذهنى، الذى يخلق إضافة لها قيمتها لهذه العملية.



وفى لعبة "إنى أتجسس"، ترتبط المهارات التي يتم تعليمها بوضوح  
باكتساب مهارة القراءة والكتابة. والمهمة الرئيسية لهذه اللعبة هي التعرف  
على الأشياء على أساس الحرف الأول لكل منها. وهناك دلالات على أن  
"جون" كانت تحقق كفاءة ما في هذا المجال:

الأم: الدور على، حسنا. إنى أتجسس، بعيني الصغيرة، بحثا عن شيء  
يبدأ بحرف "الحاء".

الطفلة: شيك (هكذا نطقت شيء) يبدأ بحرف "الحاء"؟

الأم: وأنا الآن أنظر إليه. (وتتجه بنظرها لأسفل عند قدمي ابنتها جون  
وهي جالسة على الأريكة)

الطفلة: الجورب؟

الأم: لا.

الطفلة: الأريكة؟

الأم: لا.

الطفلة: الطاولة؟

الأم: لا.

الطفلة: حذاء؟

الأم: إجابة صحيحة. الدور عليك الآن، هيا.

الطفلة: إنى أتجسس، بعيني الصغيرة، شيء يبدأ بحرف "اللام"  
(وتكرره ثلاث مرات)

الأم: الضوء؟ (الطفلة تهز رأسها بالنفي) المصباح؟ (الطفلة تهز رأسها  
بالنفي) الولاة؟

الطفلة: (الطفلة تهز رأسها بالنفي) ساعة الحائط!

الأم: ساعة الحائط؟ إنها لا تبدأ بالحرف الذي قلتِ إنها تبدأ به.  
الطفلة: لا... وهو كذلك، سأفعل ذلك مرة أخرى (بنطق غير صحيح  
لكلمة "مرة أخرى"). إنى أتجسس، بعيني الصغيرة، شىء يبدأ  
بحرف "السين"

الأم: حرف "السين"... (تدعى أنها تفكر)... تراها...  
الطفلة: وأنا الآن أنظر إليها (وتنظر لساعة الحائط)... وها هي هناك  
إلى أعلى... ولونها أسود.

الأم: تراها... (وتضحك)

الطفلة: وهى ساعة حائط... ساعة حائط.

الأم: ستائر؟

الطفلة: لا، ساعة حائط. مثل، ساعة حائط، إنها تبدأ بحرف "السين".

الأم (ضاحكة) ساعة حائط!

كان من الواضح أن أمام "جون" طريق طويل قبل ضلوعها فى القراءة  
والكتابة الأساسية. ولكن البدء فى التفكير فى الكلمات فيما يتعلق بالحروف  
التي تشكلها عنصر أساسى من عناصر محو الأمية، وإنجاز لا شك فيه  
بالنسبة لمرها.

وما هو ذو أهمية خاصة فى التسلسل الذى اقتطفناه من المحادثة أعلاه  
هو طريقة قبول أم جون وهى ضاحكة لأخطاء ابنتها وبعدها عن اللعب  
"الصحيح". إن إزالة التوتر عن الموقف بهذه البساطة وخفة الدم قد يكون له  
عون عظيم فى العملية التعليمية.

وكان أكبر عرض مؤثر لجون عندما مثلت هى وأمها جولتين كاملتين  
للعبة الشدة الورقية "الهويست بالضربة القاضية". ولمن هم غير متعودين  
على هذه اللعبة، فهى لعبة تؤدي بورق الشدة "الكوتشينة" يبدأ كل لاعب فيها

بسبع كروت من ورق الشدة. ويرمى اللاعبان الكارت بالدور، ويفوز اللاعب صاحب الكارت الأكبر عددا. ويُحسب الأس فيها كأعلى كارت، وفيما عدا ذلك تتبع الكروت التسلسل العددي، بمعنى أن الكارت الذى به "أربعة" يكسب الكارت الذى به "ثلاثة"، وهكذا. ومجموع الكروت ذات النقش الواحد هى "الكروت الاربعة"، ويجب على اللاعبين تتبع تلك الكروت إذا استطاعوا. وبعد أن تكون مجموع كروت اللعب السبعة قد لعبت، يُعاد توزيع الكروت، لكن كل لاعب فى هذه المرة يأخذ ست كروت. وتستمر الأدوار إلى أن يُوزع كارت واحد فقط لكل لاعب.

وبدا على جون أن لديها فهما ما لقواعد اللعبة. ومع ذلك، فقد لعبت اللعبة بسرعة شديدة حتى إنه كان من المستحيل على السيدة المراقبة الحصول على أى تسجيل يمكن الركون إليه بالشدة التى لعبت، وبواسطة من، وبأى ترتيب لعبت. وبدلا من هذا، كان علينا أن نعتمد على المحادثة المسجلة التى دارت أثناء اللعب بين جون وأمها. لقد غطى النص الأصى لتلك المحادثة خمسة عشر صفحة من النسخ المطبوعة على الآلة الكاتبة، ونحن نقدم فيما يلى مقتطفاً قصيراً منها:

الأم: (توزع ست كروت على كل واحدة منهما) عليك أن تطلبى.  
(ربحت الطفلة الجولة السابقة، لذا فهى التى تقرر الكروت الاربعة فى هذه المرة)

الطفلة: أوه، عندى هنا كروت جيدة مرة أخرى، لكنى أستطيع تعزيزها  
(ترتب الكروت الموجودة فى يدها). عندى هنا كرتين بكل منها  
أس.

الأم: لا ينبغى أن تقولى ما الذى عندك، استمرى، اطلبى الكروت الاربعة.

الطفلة: أطلب الكروت التى عليها رسم القلب. وأنا لن أنزل بالقلب.

الأم: القلوب (الأم تريح مجموع الكروت فى المرة الأولى). جاء الدور على فى الطلب. (الطفلة تفوز فى المرة الثانية). هذه المرة الطلب لك (الطفلة تفوز).

الطفلة: لا، الدينارى.

الأم: أوه، لقد غيرتى رأيك. هذه لى إذا (الطفلة تفوز فى مجموع الكروت فى الدور الأخير: فازت بأربع مجموعات مقابل اثنتين لأمها).

الأم: كم عدد ما ربحتى من أدوار إذن؟  
الطفلة: ثلاثة.

الأم: لم ترحى ثلاثة، عدى. وأنا عندى...؟

الطفلة: اثنتان. وما عدد المرات التى ربحتها أنا؟

الأم: أربعة (الطفلة تقول شيئا غير واضح: الأم توزع خمس كروت لكل منهما للدور التالى) خمسة.

الطفلة: أوه، عندى هنا كروت جيدة بالمثل مرة أخرى... أس بستونى.

الأم: ماذا ستطلبين؟

الطفلة: الدينارى.

الأم: (تنظر ليد الطفلة) لىس عندك ولا كارت دينارى.

الطفلة: عندى، عندى كارت واحد دينارى.

الأم: كان عليك أن... اطلبى كارت به... أعلى كارت. ما نوع الآس الذى عندك؟

الطفلة: بستونى.

الأم: حسنا، اطلبيه إذن.

الطفلة: بستونى

من الصعب أن نفكر في نشاط يدخل في نطاق قدرة طفلة صغيرة  
تُجمَع كثيرًا من المهارات الرياضية مع بعضها. إن جون، وهي طفلة عمرها  
ثمانية وأربعون شهرًا، وحاصل الذكاء عندها متوسط، تمكنت من إدراك  
الرموز العددية وعد الأشياء، وتعرف أى الأرقام أكبر أو أصغر من غيرها،  
كما تعرف تحديد كروت اللعب ذات النقش الواحد، والتصرف في الكروت،  
وفهم قواعد لعبة من نوع الهويست فى ورق الشدة.

لقد لعبت عدة أمهات ألعاب أطفال تقليدية مثل "اللودو" و"اللوتو" (وهي  
لعبة من ألعاب الحظ) مع طفلاتهن. ولم نعرف ما إذا كن يعينها معهن  
بغرض تعليمهن مفاهيم الأرقام، أم لتسلية الطفلات، أم، وكما هو الاحتمال  
الغالب، من أجل كلاً السببين. وهناك أمهات أخريات زاولن لعبات تعليمية  
بشكل مُعلن. لعبت "مارى" وأمها لعبة مضاهاة الكلمات (حيث يجب مضاهاة  
الكارت المكتوب عليه كلمة مثل: "علبة طعام محفوظ" بالصورة الصحيحة  
التي تقابلها. ووجدت "مارى" هذه اللعبة سهلة. فى الحقيقة كان من الواضح  
من خلال المحادثة التالية أنها كانت تهتم بشكل أصعب من أشكال القراءة،  
والطريقة الصوتية (وهي طريقة لتعليم المبتدئين القراءة واللفظ عن طريق  
إدراكهم القيم الصوتية للحروف، ومجموعات الحروف وبخاصة المقاطع).  
وكان فهمها وإدراكها لهذه المهارة أفضل من فهم وإدراك "جون" لها بكثير:

الطفلة: (وهي تنظر لبطاقة بها صورة لسمكة) كيف تكتبين كلمة  
معناها "ذكور سمك السلمون"؟

الأم: كيف تعتقدين أنك تكتبها؟

الطفلة: إن أول حرف منها يُنطق "... (باتباع علم تمثيل أو تصوير  
الأصوات)

الأم: نعم

الطفلة: وثانى حرف فيها يُنطق "... (باتباع علم تمثيل أو تصوير  
الأصوات)

الأم: نعم.

الطفلة: وثالث حرف فيها يُنطق "... (باتباع علم تمثيل أو تصوير الأصوات)

الأم: حرفان متتاليان مثل بعضهما وليس حرف واحد.

الطفلة: (تكرر الحرفين المتشابهين المتتالين)

الأم: وحروف الكسر والفتح فيها لا تُنطق باتباع علم تمثيل أو تصوير الأصوات.

وفيما بعد في اللعبة، استعرضت "مارى" مرة أخرى فهمها وإدراكها لمهارات القراءة الأساسية:

الأم: هذا الذى أمامك "ولد". هل يمكنك التفكير فى كلمة أخرى آخرها "لد"؟

الطفلة: بلد

ولعبت "مارى" أيضا ألعاب كوتشينة مع أمها، واكتسبت فهما وإدراكا جيدين لبعض مفاهيم الأعداد الأساسية. وأثناء تناول الغذاء، وفجأة وبشكل غير متوقع كما كان يبدو، رفعت أصابعها وبدأت تعد أرقامًا:

الطفلة: هل اثنان واثان يساويان... أربعة (وترفع أصبعين من كل يد)؟

الأم: نعم

الطفلة: ثلاثة زائد ثلاثة تساوى... واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، (ترفع ثلاثة أصابع من كل يد وتعددهما).

الأم: نعم.

الطفلة: عدى هذا... واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية (ترفع أربعة أصابع من كل يد وتعددهما).

الأم: حسنا فعلتِ، نعم، هذا صحيح.

إن استخدام كلمة "يساوى" بالطريقة الفنية الخاصة التى قالتها مارى بها توحى بأنها لم تكتشف فجأة عملية الجمع، لكنها كانت تمارس مهارة علمتها لها أمها فيما مضى.

وكثيرا ما يشغل بال المعلمين، ولهم الحق فى ذلك، أنه لا ينبغى على الآباء دفع خطى التعليم الأكاديمى عنوة. وأعدت الملاحظات التى قدمناها للذاكرة أن الطفلات كثيرا ما كن يحددن سرعة تلك الخطى، كما ينهين الدورات التعليمية، عندما يجدن أنها تتطلب أشياء أكثر من اللازم تفوق طاقتهن. على سبيل المثال: عملت "بيني" وأمها أحجية الصور المقطوعة (أجزاء من صورة يتعين على المرء تجميعها وترتيبها بحيث تصبح صورة كاملة) كانت رموز الأرقام فيها (ثلاثة مثلا) تقرن بعدد يماثلها من الأشياء (مثلا ثلاث ضفادع). وقبل أن يبدأ، أرادت والدة: "بيني" استبعاد الأعداد الكبيرة من الأحجية، لكن "بيني" احتجت بصخب "لا، ليس كذلك، لا، لا، ليس كذلك، لا تستبعدى الأرقام الصعبة، لا تستبعدى الأرقام الصعبة" تعرفت "بيني" على عدد ليس بقليل من رموز الأعداد، ولكن، ولأنها لم تستطع عد الأشياء التى فى البطاقات بدقة، لم تستطع مضاهاة الصور مع الرموز بشكل صحيح. وفى النهاية اعترفت بالهزيمة: "يا أمى، دعينا نبتعد عن هذه الأحجية، لأنها فى غاية الصعوبة. على بالانتظار حتى يصبح عمري خمس سنين."

وشاركت والدة "بيث" ابنتها فى لعبة "الأحجار المسطحة التى توضع فى مياه ضحلة حتى يمكن المرور فوقها دون أن تبلى القدمان" التى كانت جزءا من مجموعة من الأشياء تعين على القراءة تم بث إعلانات تجارية عنها. وصُممت هذه المجموعة لمساعدة الآباء فى تعليم الأطفال القراءة فى البيت. وكانت تحتوى على حروف أبجدية، وكتب قراءة بسيطة، وأحجيات وألعاب. وبدا أن لدروس القراءة مساحة منتظمة من الوقت كل يوم فى منزل

"بيث" عقب برامج التليفزيون الخاصة بالأطفال والتي تعرض كأول فقرة في فترة ما بعد الظهر مباشرة. ولعبة الأحجار تلك فى جوهرها استمرارية لأنشطة القراءة. و"الأحجار" هنا عبارة عن قطع كبيرة من الورق عليها كلمات مكتوبة، ومُلقاة على البلاط. وتقول والدة "بيث" بصوت عال جملا مثل: "يمكننى رؤية أمى"، فتقفز "بيث" حول المكان من حجر "قطعة ورق" إلى آخر. وكانت تتعرف على البطاقات ومعانى الكلمات المكتوبة فيها بالقدر الكافى الذى يقدم نوعا من المرونة للعبة. وعندما نادى أمها قائلة: "انظرى إلى أمى"، أشارت "بيث" أن الحجر المكتوب عليه "أم" بعيد جدا عن الحجر المكتوب عليه "ى" أى ضمير المتكلم المضاف إليه. لذلك فضلت أن تقفز لتصل للكلمة المكتوبة بمعنى ضمير المتكلم فى حالة النصب أى المفعول به.

لكن لعبة الأحجار هذه لعبة خالية من المنافسة. فالبنيت لم تكسب أى شىء من مخالفة القواعد، وكان من الواضح أن "بيث" كانت تستمتع باتباع تلك القواعد حقيقة. فمثلا: أخبرت أمها عند نقطة معينة أنها رأتها وهى تضع "الأحجار" فى أماكن معينة على البلاط:

الطفلة: (ضاحكة) أنا لم أكن مغمضة عينيَّ عندما بدأت.

الأم: لماذا فعلت ذلك؟ لا بد من أن تغمضى عينيك إذن.

الطفلة: اطلبى طلبك عندما أكون مستعدة.

الأم: مستعدة!

ومع ذلك، فغالبية ألعاب الرقعة والبطاقات بها منافسات، وبالتالي فهى مملوءة بالتوتر العصبى. إن من يبلغ عمرهم أربع سنوات قادرين إلى حد كبير على اتباع قواعد لعبة بسيطة؛ وتظهر متاعبهم من قيود اللعب بالدور، وليس الغش، والفوز أو الخسارة بقبول حسن. وفى الحقيقة فإن الأطفال الأصغر سنا غالبا ما يجدون أنه من السهل عليهم اللعب أكثر ممن بلغ عمرهم أربع سنوات، لأنهم لا يهتمهم كثيرا من يفوز ومن يخسر. ولكن عند



سن الرابعة يبدأ بعض الأطفال بالاهتمام الأكثر من اللازم بهذه الناحية فى اللعب لدرجة أن ذلك يقضى على استمتاعهم باللعبة.

ولقد تم توضيح هذه النقطة بشكل جيد عن طريق "بيني" التى اقتبسنا فى السابق حديثا لها مع أمها وهما تلعبان لعبة مضاهاة الأرقام. كانت "بيني" فى الحقيقة تنن وتنتحب على غير عاداتها عصر اليوم الذى سجلنا فيه، ولم تكن الألعاب التى شاركت فيها غاية فى النجاح. وبينما كان أخوها الأصغر "سين" يسلى نفسه ببعض صور أقنعة التكر فى الكرنفالات، قررت "بيني" وأمها أن يلعبا مباراة فى اللقطات المصورة. ومع ذلك، وحتى قبل أن تبدأ المباراة، أعلنت "بيني" بصراحة أنها لم تكن مُعدة لأن تتبع قواعد اللعبة بحذافيرها. وأعلنت أنها كانت تريد كلتا البطاقتين وعليهما القاطرات، وعندما قالت أمها إنها لن تحصل عليهم بشكل آلى، أصبحت أكثر إصرارا على ذلك. فقالت لها أمها "حسنا، يا حبيبتى، هذا نوع من الغش، أليس كذلك؟" واعترضت "بيني" على تقسيم أمها لمجموعة الأوراق إلى نصفين متساويين فى العدد، وأرادت كروتا أكثر من كروت أمها. وأرادت أمها بعد ذلك أن تخلط أوراق الشدة حتى توجد فرصا أكثر للحصول على "مكاسب سريعة" لكن "بيني" رفضت ذلك. وأخيرا بدأت المباراة، لكن "بيني" استمرت على حالها كما كان من قبل. وكانت تشعر بالسعادة طالما كانت تفوز فقط، وتصبح مضطربة ومنزعجة عندما كانت أمها تقول "لقطة" أولا، بل إنها حاولت منعها من أخذ الكروت التى ربحتها. وأثناء المباراة، ظلت أمها تحاول أن تجعلها تتبع قواعد اللعبة وتقول لها، "لا يمكنك الفوز كل مرة" و"أنت لا تلعبى إذا كنت تغشين"، و"الناس لن تحب أن تلعب معك إذا كنت تغشين"، لكن لم يكن لذلك سوى تأثير قليل.

إن معظم الطفلات اللاتى لعبن ألعابا تنافسية مع أمهاتهن وجدن أنه من الصعب عدم الغش أحيانا. وعلى أى حال، بدا أن بعض الأمهات كن مرحات ولطيفات وتقبلن قدرا معيناً من الغش كأمر لا مفر منه، وبدا أن هذا النهج

البعيد عن التوتر العصبى كان أنجح من النهج الأخلاقى. وكانت أم "جون"، التى سبق أن وصفنا مباراتها فى لعبة الشدة "هويست الضربة القاضية" قد ضبطت ابنتها تعش عدة مرات. وفى كل مرة كان رد فعل "جون" هو السماح لأمها بالفوز فى الدور التالى:

الطفلة: ألعب هذا الكارت الرابع (لكنها لا تلعب كارت رابع).

الأم: أوه، أوه، لم يكن ذلك كارتا رابعا.

الطفلة: هذا لأنى ليس عندى سوى اثنين منهما، لذا فأنا أبتزها.

الأم: حسنا إذن. استمرى.

الطفلة: ويمكنك... سادعك تكسبين هذا الدور (وتسمح بأن تفوز أمها بالدور التالى).

فى الحقيقة، ولأنها ربما كانت تعتقد أن أمها لابد من أنها كانت تكره الخسارة بنفس درجة كرهها لها، كانت تتعمد أن تدعها تكسب عدة مرات:

الطفلة: أنا أدعك تفوزين، فوزا صغيرا سهلا، فوزى بهذا الكارت (وترمى كارت عدده صغير على الأرض).

### ألعاب للتسلية

يولى علماء النفس اليوم اهتماما كبيرا بما يتعلمه الأطفال من خلال اللعب حتى إنهم كثيرا ما يغفلوا حقيقة أن بعض أشكال اللعب هى فى المقام الأول مصدر للتسلية والإثارة. وهذا الكلام ينطبق على ألعاب من أمثال "أنا فين؟" والمطاردات، واللعب الناتج عن الاحتكاك أو التلامس البدنى كالدغدغة وقلب الطفل رأسا على عقب. لعبت ثمانية من أمهات الطبقة العاملة ووالدتان من الطبقة المتوسطة فى دراستنا هذه ألعابا من هذا النوع مع طفلاتهن خلال فترة ما بعد الظهر، وواضح أنها كانت مصدرًا للمتعة الهائلة. وكانت تبدو أنها تنبغ من، وتعبر عن ألفة ومودة مفعمة بالرقة والحنان.

وكان هذا الجمع بين التسلية وبين الألفة والمودة المفعمة بالرقّة والحنان يتم التعبير عنه بالكلمات، وليس بالاحتكاك البدني. لعبت "جويس" وأمها العديد من ألعاب الكلمات. وكما ذكرنا من قبل، كانت أم "جويس" مشغولة بالطهي، وكى الملابس، وتعد للخروج مع قافلة من العربات في عطلة نهاية الأسبوع. وعلى أي حال، كانت إحدى الأمهات التي قالت لنا فيما بعد إنها لم تكن تستمتع على وجه الخصوص باللعب مع ابنتها. وكانت "جويس" طوال غالبية الوقت في فترة ما بعد الظهر سعيدة بانشغالها في مساعدة أمها، والثرثرة معها، وأحيانا كانت تلك المحادثات تتقلب لتصبح ألعابا. وإليك مثلان لذلك:

الأم: لقد تم طهي اللحم يا "جويس"، تم بالفعل (وهي تنظر إلى اللحم في القدرّة الصغيرة ذات المقبض)

الطفلة: هل يمكنني أن أرى، يا عزيزتي "ليزا"، عزيزتي "ليزا"، (وهي تشير بذلك لأغنية شعبية قديمة).

الأم: عزيزتي ليزا، عزيزتي ليزا، هناك ثقب في دلوي، عزيزتي ليزا. الطفلة: أوه، نعم، نعم، عزيزتي ليزا (وتنظر للحم).

الأم: لقد تم طهيه، عزيزتي ليزا.

الطفلة: عزيزتي ليزا، عزيزتي ليزا.

الأم: سأعطيكي، عزيزتي ليزا، سأعطيكي، عزيزتي ليزا، يا شقية، يا جميلة (وتعانق الطفلة).

الطفلة: وبعد ذلك سأأكلك، عزيزتي ليزا (وتربت على كفل الأم).

الأم: سأأكلك، عزيزتي ليزا.

وفيما بعد في فترة ما بعد الظهر، تشير "جويس" إلى أن هناك بعض من التورّطة أو الكعكة المحشوة بالمربي في سلة المهملات:

الأم: يمكنك رمي كعكات المربي في الزبالة لو كانت كعكات مربي قديمة.

الطفلة: نعم، لكن إذا لم تكن كذلك، فأنت لا تفعلين ذلك.

ثم تطور تبادل الحديث التالي ليصبح نوعا من التراتيل المُغناة:

الأم: لا، لكن إذا كانت كذلك، فأنت تفعلين ذلك.

الطفلة: نعم، لكن إذا لم تكن كذلك، فأنت لا تفعلين ذلك. إذا كانت كذلك، فأنت تفعلين ذلك.

الأم: لا، لكن إذا كانت كذلك، فأنت تفعلين ذلك.

الطفلة: إذا لم تكن قديمة، فأنت تفعلين ذلك.

الأم: إذا كانت قديمة، فأنت تفعلين ذلك.

الطفلة: إذا لم تكن قديمة، فأنت لا تفعلين ذلك.

الأم: لآخر ولثالث مرة، أنت تفعلين ذلك .

لكن "جويس" استمتعت بهذه اللعبة جدا حتى إنها استمرت ست مرات متتالية، حتى سئمت أمها منها وغيرت الموضوع.

تُعتبر ألعاب الكلمات التي من هذا النوع مصدرا عظيما للمتعة والسرور، ولكن لها أيضا قيمتها التعليمية. إن جزءا مهما من عملية كونك تصبح قادرا على القراءة والكتابة هو قدرتك على رؤية الكلمات كأشياء ملموسة يمكنك التفكير فيها والتلاعب بها. ومن بين سبل اكتساب هذه القدرة ألعاب من هذا القبيل، التي يلعب فيها الطفل بالكلمات وليس بلعب الأطفال. ومن المستبعد تماما أن يكون الآباء في دراستنا لديهم أى فكرة عن أن لتلك الألعاب أى قيمة تعليمية تُذكر، ولربما قلت متعتها لو كان لديهم هذه الفكرة.

وكانت الألعاب من أجل التسلية والإثارة والمتعة أنواع الألعاب الوحيدة

التي لعبتها بعض من أمهات الطبقة العاملة مع طفلاتهم. ومن الممكن أن تكون مثل تلك الألعاب في ذهن تلك الأمهات عندما كانت إجاباتهن، "اللعب هو في الأساس طريقة من طرق تسلية الأطفال".

### التعلم من خلال القصص

إن معظم الأساتذة التربويين المهنيين مقتنعون بأنه من المهم أن يقرأ الآباء لأطفالهم الصغار لمضاعفة مفرداتهم اللغوية، وإثارة ملكة التصور والخيال لديهم و تنمية حبهم للكتب. وكانت ملاحظتنا تشير إلى أن قراءة القصص، أو الأسئلة التي يسألها الأطفال حولها، لكي نكون أكثر دقة، قد يكون لها دور مهما آخر، وهو مساعدة الطفل على توضيح أفكاره.

ونحن لم نشهد للأسف عددا كبيرا من فترات قراءة القصص. لقد قرأت أقل من ثلث الأمهات لطفلتهن خلال ما قمنا به من تسجيلات. وقد يرجع هذا لأن الكتب والقصص ارتبطت بميعاد النوم. وبالتأكيد، فإن عددا من فترات القراءة التي حدثت بالفعل كانت من اقتراحا الأمهات عندما كانت الطفلات تصبحن متعبات وعنيدات. وربما لهذا السبب ندر أن كانت أوقات قراءة القصص هي تلك المناسبات العائلية الحميمة المليئة بالقصص والقصائد الرعوية الرومانسية التي تصورها لنا وسائل الإعلام بشكل تقليدي.

وفي أكثر من نصف فترات القراءة تلك كانت الطفلات يخترن الكتاب الذي يقرأ لهن منه. وكثيرا ما كان ذلك يؤدي لحدوث مشاكل: كانت الطفلات يخترن كتابا صعبا للغاية، فيصيبهن الملل والأرق، ولكنهن يتمسكن بأن تقرأ أمهاتهن منه. وانتهى عدد من فترات القراءة فجأة عندما كانت الأمهات يفقدن الاهتمام والشغف بالقراءة لاعتقادهن بسخافة الكتاب، أو لأن الطفلات لم يكن يركزون على القراءة. وفي الحقيقة لم تحقق فترات القراءة القصصية تلك نجاحا قاطعا إلا في ثلاث حالات فقط، إذ كانت الطفلة تحتفظ خلالها باهتمامها وتركيزها خلال رواية القصة لها.

ومع ذلك، فمع أن غالبية فترات القراءة القصصية لم تكن رعوية رومانسية بأى حال من الأحوال، فإن ذلك لم يكن يعنى أنها كانت لا قيمة لها.

وكانت فترة قراءة القصة بالنسبة للطفلة "لين" حالة وثيقة الصلة بما نقول؛ فمثلها مثل "بينى" كانت حالتها النفسية على عكس طبيعتها خلال فترة ما بعد الظهر، ولم تكن فترة قراءة القصة بالنسبة لها تشذ عن حالتها. وقبل بدايتها، كانت "لين" تغش على طول الخط فى لعبة من ألعاب الرقعة مع أمها، وكانت قد طلبت أيضا تحية الألباز ولعب الأطفال بعيدا إذ إنها كانت قد فقدت الاهتمام بها. وفى النهاية سألتها أمها وهى فى حالة من السخط والغضب، "ما الشئ الذى تريدينه بالفعل يا "لين"؟" ولم تستطع "لين" إلا أن ترد وهى تبكى قائلة، "لا أعرف" فردت عليها أمها قائلة، "أعتقد أنه قد حان الوقت لأن أقرأ عليك قصة من القصص، لأنك الآن متعبة، أليس كذلك؟ تعالى واحضينى".

وبرغم العناق، ظلت رياح "لين" عاتية. واختارت أحد كتب أختها الكبرى التى كانت قد استعارته من المكتبة، لكن لغته كانت صعبة للغاية، وسرعان ما فقدت "لين" الاهتمام به، وقاطعت أمها مطالبة بكتاب آخر مختلف. وسألتها أمها "هل تريدين قراءة هذا أم لا؟" وأومات "لين" بالقبول، ولكنها قلبت منه عدة صفحات بعد دقيقة، ثم أشارت إلى صفحة أخرى قائلة، "أريد قراءة هذه الصفحة الآن". فردت أمها قائلة، "لا، لا يمكنك مجرد النقر فوق الصفحات وتقليبها هكذا. هذا لن يجعلك تفهمين شيئا مما تقرئين. ومع ذلك استمرت "لين" فى طلباتها، وبدأت أمها فى قراءة صفحات قديمة وهى تبدى اعتراضها على طول الخط.

وبعد التخلص من عدة بدايات فاشلة لكتب غير مناسبة، اختارت "لين" مجلدا يحوى صورا توضيحية من قصص الإنجيل. وبرغم الهواجس والظنون - قالت أمها "إنك لن تفهمي بعض الكلمات" وأخذت تقرأ لها منه.

ولم تفهمه "لين" فهما جيدا وقاطعت أمها باستمرار بأسئلة حول الصور وعن مقاطع نصف مفهومة في الكتاب. وكانت فترة القراءة تلك كارثة في بعض مواضعها، إذ لم تكن "لين" تستمع للقصص أو تستمع بها. ومع ذلك، فقد حدث أن استمعت بدقة بالقدر الذي جعلها تركز على بعض نواحي القصص التي حيرتها، والتي أدت بها لأن تسأل بعض الأسئلة المؤثرة. وبدا أن حلقة من تلك الأسئلة نشأت نتيجة لحيرتها في أمر الصور المتعددة ليسوع المسيح وهو طفل، ورجل وإله في السماء. وزاد من مشكلتها سوء فهم أمها لسؤالها عندما جاء الدور الرابع في الكلام:

- ١- الأم: (تقرأ) "تم عادوا إلى الناصرة حيث كبر الولد يسوع"
- ٢- الطفلة: هل هذا هو يسوع عندما كبر؟ (وهي تشير لصورة للمسيح وهو طفل رضيع)
- ٣- الأم: هذا هو يسوع وهو طفل رضيع.
- ٤- الطفلة: هل نما وكبر؟
- ٥- الأم: لا، إنه طفل رضيع هنا.
- ٦- الطفلة: إنك تقولين... هل هو... هل كبر يا أمي؟
- ٧- الأم: ماذا، الآن؟
- ٨- الطفلة: (تتمتم وتفكر)
- ٩- الأم: إنه فوق، إنه فوق، إنه فوق في السماء.
- ١٠- الطفلة: من؟
- ١١- الأم: يسوع المسيح.
- ١٢- الطفلة: الآن؟
- ١٣- الأم: نعم.

١٤- الطفلة: هل هذا هو وهو طفل رضيع؟ مشيرة لصورة فى الكتاب؟

١٥- الأم: تلك الصورة عندما كان طفلا صغيرا رضيعا، نعم، لكن هذا كان منذ زمن طويل، طويل، طويل، طويل، طويل، طويل، طويل، طويل، طويل، مضى.

وعندما جاء الدور رقم ١٦ فى الكلام وكان على "لين"، حاولت أن توضح الشيء الذى كان يحيرها. وليس مؤكدا ما إذا كانت لا تزال مرتبكة ومشوشة بسبب الصور المتعددة للمسيح، أم إنها كانت تقدم استفسارا عاما عن النمو والكبر. واختارت أمها الاحتمال الثانى:

١٦- الطفلة: ماما، لماذا لم يعد طفلا رضيعا بعد؟

١٧- الأم: حسنا، أنت كنت فى الماضى طفلة رضيعة لكنك لست طفلة رضيعة الآن، أليس كذلك؟ وكانت أمك فيما مضى طفلة رضيعة، لكنها لم تعد طفلة رضيعة بأى حال الآن، أليس كذلك؟ إنها أم لك الآن.

١٨- الطفلة: لا، أنت بنت صغيرة.

١٩- الأم: أنا لست بنتا صغيرة.

٢٠- الطفلة: كنت.

٢١- الأم: كنت ذات مرة فى الماضى بنتا صغيرة، مثلك أنت تماما، لكنى اليوم كبيرة، وأنا أم، أنا أمك.

٢٢- الطفلة: كيف أصبحت كبيرة؟

٢٣- الأم: أنت تتمين وتكبرين.

٢٤- الطفلة: كيف؟



٢٥- الأم: عندما كنت طفلة رضيعة صغيرة، كنت ذات حجم صغير مثل هذا (وترفع الأم يديها متباعدتين)، لكن انظري لنفسك الآن... وكنت لا تستطيعين الكلام، كل ما كنت تستطيعين عمله هو البكاء.

٢٦- الطفلة: وكنت أستطيع أن أقول "جا - جا".

كانت جميع الفترات المخصصة للقصص تقطعها أسئلة تطرحها الطفلات، وعادة بأعداد كبيرة. وسألت الأمهات أيضا أسئلة، ولكن بشكل أقل. وبذا تكون فترات قراءة القصص من هذه الناحية تشكل تناقضا قويا مع الفترات المخصصة للتلفزيون. فعندما كانت الأم والطفلة يشاهدان التلفزيون سويا، كنا نجد أن الطفلات كن يجلسن بهدوء، وعموما قلما كن يطرحن أسئلة. وعلى الجانب الآخر كانت أمهاتهن يكثرن من الكلام، فيبرزن للطفلات كل شيء يهمهن أو يمتعهن، بما في ذلك روابطهن بخبرة الطفلات الخاصة بهن. كما كانت الأمهات أيضا تغذين طفلاتهن بالكثير من المعلومات العامة من خلال تعليقاتهن.

وخلال الفترات المخصصة للقراءة، كانت تعليقات الطفلات تضاهي في كثرتها تقريبا عدد تعليقات أمهاتهن، وكانت كثيرا من إسهامات أمهاتهن إجابات لأسئلة الطفلات. وهكذا، فبعيدا عن التوسع في المعلومات العامة والمفردات اللغوية التي قد تأتي من القصة نفسها، كانت الأمهات دائما تقريبا تضيفن معلومات من عندهن. وكثيرا ما كن يربطن القصة بتجارب مرت بها طفلاتهن؛ وكانت الطفلات بأنفسهن يقمن أحيانا بهذا الربط.

وفي المثال التالي، كانت أم "روزي" قد انتهت من غسل وجهها ويديها، وعرضت عليها قراءة قصة لها. واختارت "روزي" كتابا عن الطائر البحري من طيور الأطلسى الشمالى ذو المنقار المثم الملون المسمى باليفن، وعلقت أمها على ذلك بأنها لم تكن قد قرأت في ذلك الكتاب منذ وقت طويل. بدأت القصة بسلاسة وبمعلومات عامة كثيرة عن تلك الطيور البحرية ونقلها من

بينتها، سواء كما ذكرت القصة أو من خلال تعليقات أمها. وبدا عند نقطة معينة أن "روزى" أصابتها الحيرة نتيجة لتركيب أمها الغريب للجمل وللكلام.

الأم: إن المستطلعين لمواقع الأهداف من طيور البفن هذه هم الذين يخرجون ويعرفون أين يمكن الحصول على السمك كله.

الطفلة: ماذا يُحصل من السمك (مستخدمة قواعد خاطئة في تركيب السؤال فأصبح غير مفهوما)

وقسرت أمها سؤالها على أنها سألت عن المكان الذى ذهب إليه السمك، وفسرت ذلك لها. واستمرت القصة، ولكن "روزى" شعرت أنها خائفة ومضطربة عندما رأت طيور البفن تلك سفينة وهى تتحطم فى البحر.

الطفلة: هل السفن وهى تسير فى البحر تتحطم بهذا الشكل؟

الأم: حسنا، لا يحدث ذلك كثيرا، لكنها تتحطم أحيانا. لو كان الطقس سيئا للغاية، وارتطمت السفن بالصخور، فإنها تتحطم بالفعل.

وحيث إن العائلة كانت تخطط لرحلة إلى فرنسا فى عطلة الصيف، وجدت "روزى" أن هذه الإجابة لا تُهدئ من روعها:

الطفلة: أنا، أنا، أنا لا أريد أن. أنا لن أذهب، لكننا لن نذهب فى، لو كان هناك عددا أكبر من اللازم فى المركب فلن نذهب فيها، أليس كذلك؟

الأم: هل تفكرين فى ذهابنا لفرنسا؟ (وتضحك)

الطفلة: نعم.

الأم: تلك السفن لا تتحطم.

ولم تكن "روزى" مستعدة لأن يطمئن قلبها بهذه السهولة، وعارضت تفسيرات أمها التى كانت أقل من أن تكون مقنعة ومنتاسكة:

الطفلة: لماذا لا تغرق؟

الأم: حسنا، إن السفن التي تغرق هي السفن الكبيرة التي تسير فى البحر فى طقس عاصف للغاية.

الطفلة: لكن لماذا لا تغرق ونحن ذاهبون لفرنسا؟

الأم: حسنا، إننا سنكون على ظهر ال...، فى المركب لفترة قصيرة من الوقت.

الطفلة: لكن الطريق لفرنسا طويل.

الأم: إنه ليس بعيدا جدا فى الحقيقة، الذهاب من هنا إلى فرنسا.

واستمرت القصة بإنقاذ للطيور بواسطة طائرة مروحية، لكن بطل القصة من تلك الطيور يُحاصر فى بقعة من الزيت فى البحر. وهنا أصبحت "روزى" فى غاية القلق، وأخذت تهز فى الصندوق التي كانت تمسك به بعصبية.

الطفلة: هذا هو ابنها (وهى تشير لطائر آخر من طيور البفن) الذى كان يبحث عنها، وهى تصيح وتبكي.

ويتم إنقاذ الطائر من بقعة الزيت على يد صائد السمك الذى أخذه إلى بيته، ويأتى طائران آخران من طيور البفن لزيارته. وأشارت "روزى" إلى أن هناك خطوة ناقصة فى القصة:

الطفلة: لكن لماذا لم، كيف، عرف "بافريد" و "فريبي" المكان الذى كان فيه؟

الأم: لا أعرف، أعتقد أنه لابد من أنهما قد رأوه.

وعندما يتم شفاء "باف"، يصبح طائرا مستطعا لمواقع الأهداف ويذهب للصيد مع صائد السمك، غير أن ذلك أضفى على "روزى" قلقا جديدا:

الطفلة: ولكن متى ستأتى أمه لتأخذه معها؟

الأم: أوه حسنا، أتوقع أنه يرى أمه، يراها كثيرا.

وانتهت القصة، وأعلنت "روزى" قائلة، "أنا لا أحب هذه القصة".

وبالتأكيد شغل ذلك الكتاب "روزى" من الناحية العاطفية، من حيث إنها "أبدت حزنها الشديد على آلام الآخرين". لقد رأت "روزى" كل النوايب التي ألمت بطائر البفن على أنها يمكن، وبقوة، أن تكون تهديدا لها. إنها لم تربط فقط وبوضوح بين تحطم سفينة طيور البفن وبين رحلتها البحرية التي اعترضت عليها، لكن الغم الذى أصابها لانفصال طائر البفن عن عائلته بدا مرتبطا فى ذهنها بالقلق الذى أصابها لاحتمال انفصالها عن أمها. إن القصة التى تضمنت صدمة مزدوجة لتحطم السفينة والانفصال عن العائلة كانت تثير الأسى والشجن أكثر مما تتحمله الطفلة. ومع ذلك، تمكنت "روزى" من أن تعبر بألفاظها عن قلقها وتحصل على شىء من الطمأنينة، حتى وإن لم تضارع تلك الطمأنينة شدة القلق الذى ألمَّ بها.

إن هذين المثلين لقراءة القصة فى البيت ليخدمان فى إيضاح بعضا من المزايا التعليمية الكامنة فى الأمهات فى هذا المجال. وبسبب موقف المواجهة وجها لوجه، تستطيع الأم أن تدع ابنتها تتابع طرح سلسلة من الأسئلة طالما كانت ترغب فى ذلك، ودون أن تضطر لمسايرة الطلاب التنافسية لطفلات أخريات. وتعنى العلاقة الوثيقة بين الأم والطفلة أن الطفلة تشعر بأنها قادرة على التعبير عن القلق الذى تصاب به فى سير أحداث القصة. وكنيجة لمعرفة الأم الوثقى بطفلها، تستطيع تفسير الإشارات غير المباشرة لمصادر القلق الذى يحل بابنتها (كما فى المحادثة الأخيرة، "هل تفكرين فى ذهابنا لفرنسا؟")؛ كما تستطيع أيضا أن تربط بين ما يحدث فى القصة وبين تجارب الطفلة فى الماضى وخططها المستقبلية.

### "الدروس": الكتابة

فى المواقف التعليمية التى ناقشناها حتى الآن، تتعلم الطفلة من خلال لعبة أو قصة ممتعة، أن تجعل الطفل يجلس فى حصة للدرس إجراء تخطى

عنه معلوم الأطفال الذين لم يبلغوا الخامسة بعد من فترة طويلة، غير أننا اكتشفنا أن هذا الإجراء يعود للانتشار في قليل من العائلات.

لقد راقبنا العديد من أمهات الطبقة العاملة وهن يُعلمن أطفالهن كتابة أسمائهن، كتمرين في حد ذاته، دون ارتباط ذلك بأنشطة أخرى. وكان ذلك أحيانا يتم كإجراء سريع، وعرضي في معظم الأحوال. وفي أوقات أخرى، كان ذلك يتم بكل جدية.

كانت "ساماناثا" تُلوّن في دفتر التلوين الخاص بها، ورسمت ما يشبه حرف الهاء "h". وعرضت ذلك على أمها فاقترحت عليها نقل الكلمات في نهاية كل صفحة من صفحات دفتر التلوين. ولم يبدو على "ساماناثا" الاهتمام بهذه الفكرة ولم ترق لها، لذا عرضت عليها أمها اقتراحا آخر:

الأم: سأكتب أنا اسمك، وعليك أن تنقله.

الطفلة: نعم.

الأم: وهو كذلك. (وتكتب "ساماناثا" أعلى الصفحة). هذا اسمك أعلى الصفحة. حاولي أنت وانقله. تحته... انقله تحت المكان المكتوب فيه. (تبدأ "ساماناثا" تَشْف وترسم فوق حروف أمها، إذ كانت قد تعلمت ذلك في المدرسة) يا بنتي ليس فوق الكلمة. ليس كما تفعلين في المدرسة. اعملي ذلك بنفسك تحت الكلمة. حاولي نسخ اسمك وتنقله.

الطفلة: لا أستطيع (وترسم خريشة لا تشبه أي حرف من الحروف).

الأم: هذا لا يشبه ذلك، أليس كذلك؟

الطفلة: أستطيع رسم أحد تلك الحروف (وتشير للحرف "a" أي "a").

الأم: ارسمي واحد منها إذن. (ترسم الطفلة شيئا يقرب من الحرف "a")  
صح تقريبا. ليس صح تماما، لكن تقريبا. يمكنك رسم واحد مثل

هذا، أليس كذلك؟ (وتشير لحرف "هاء" "h" ارسمي واحدا منهم.  
الطفلة: لا أعرف كيف أرسمه. أوه... نعم.

الأم: ضعي جزءا صغيرا جدا في نهاية الحرف، اجعلي الزيادة امتدادا  
لآخر ما رسمت.

الطفلة (تكتب حرف "هاء") الزيادة هذه فوق نتوء "تقصد قنطرة"  
خفيف.

الأم: هذا صحيح. وماذا عن هذا الحرف (وتشير إلى حرف الميم  
"m")؟ إن له قنطرتين.

الطفلة: لا أستطيع رسمه...

الأم: ذلك حرف الميم. إن به قنطرتين.

واجهت "ساماناثا" صعوبة في رسم حرف الميم، وطلبت المعونة من

أمها.

الأم: نعم، لكنك لن تتعلمي كتابته إذا كتبته أنا لك، أليس كذلك؟ حسنا،  
انظري (تكتب حرف الميم أسفل كلمة "ساماناثا" الأصلية).

الطفلة: نعم.

الأم: اثنان...

الطفلة: قنطرتان (تنطق الكلمة ناقصة أول حرف منها).

الأم: قنطرتان (تنطق الكلمة بشكلها الصحيح وبالحروف الكاملة لها).  
تمام؟

الطفلة: نعم. سأنسخ ذلك الحرف الآن... قنطرتان... (مرة أخرى  
لا تنطق الحرف الأول للكلمة).

واستمرت "ساماناثا" في كتابة الحروف:

الأم: والآن هذا الحرف الذى يليه نو القنطرة (وتشير لحرف الهاء "h").

الطفلة: أوه... نعم، أنا رسمته من قبل "بلغة أطفال كلها خطأ فى القواعد". (كانت الطفلة قد رسمت حرف "h" منذ لحظات)

الأم: نعم أعرف ذلك، لكنك لا يمكنك رسم الحروف كلها فوق نفس المكان. عليك رسمهم كل حرف بجانب الآخر. بجانب ذلك الحرف (وتشير لها إلى المكان الذى ينبغى أن تكتب فيه حرف الهاء).

الطفلة: أرسم قنطرة صغيرة (وترسم حرف النون "n").

الأم: لا، هذا ليس صحيحًا. عليك أن تضيفى جزءًا قليلاً لأعلى هنا. ماذا عن هذا الجزء؟ الذيل؟ (الأم تعنى جرة القلم المتجهة لأعلى لتحول حرف النون "n" إلى حرف الهاء "h")

الطفلة: أوه... نعم (لكن ساماناثا ترسم حرف "l" بدلا من ذلك، أسفل مستوى الكتابة)

الأم: لا، هناك.

الطفلة: هذا لا يهم.

الأم: إنه يهم قطعاً. كيف سيعرف أى إنسان ما اسمك إذا كتبتَه كله فوق المكان؟

واستمر الدرس لبعض الوقت على نفس المنوال. كان من الواضح أن والدة ساماناثا تعتبر ما كانت تفعله أمرا جادا، شيئا من المهم أن تصححه. وكانت تلتفت نظر ساماناثا لأخطائها بصرامة وفى لحظة وقوعها. ولم تسمح لها بالهروب من المهمة، كذلك لم تكن راغبة فى قبول مستوى متدن من الإنجاز. فى الحقيقة، لم تتلق جهود ساماناثا أى نوع من المديح على

الإطلاق. إن هذا النهج من التعليم يختلف كثيرا عما هو متبع حاليا فى المدارس، ومن المفهوم أن الأمهات من أمثال والدة ساماناثا لا يتقن فيما يعتبرنه طرقا تقدمية "رقيقة". لقد كان يبدو على والدة ساماناثا، فى الحقيقة، أنها تنتقد المدرسة لتعليمها التلميذات شف الحروف وغيرها.

وينبغى أن نسجل هنا أن طرق والدة ساماناثا "فى التعليم" كان لها ميزاتها. لقد أنشأت مفردات لغوية ثرية ("الذيل" و"القنطرة") للتعليم، وبدا أنها نجحت بشكل معقول فى توصيل ما كانت تريد تعليمه لابنتها. وتمكنت أيضا من توصيل شىء من معنى المهمة التى كانت تؤديها - مثلا، عندما سألت ابنتها كيف سيعرف أى إنسان ما اسمك إذا لم تكتبه "ساماناثا" بالشكل الصحيح. وأهم من كل شىء أنها نجحت فى شد انتباه "ساماناثا" لفترة طويلة نسبيا من الوقت.

وفى الباب السابع، نقتبس محادثات مماثلة تعلم فيها والدة "دونا" طفلتها عد الأرقام وهجاء حروف الكلمات. وبدا عليها أنها، مثلها مثل والدة "ساماناثا"، كانت تدرك أن المدارس حاليا تستخدم نهجا مختلفا غير مستحب فى التعليم.

كما رأينا، لم تكن أمهات الطبقة العاملة فقط هن اللاتى تعلمن طفلتهن القراءة والكتابة الأساسية وعد الأرقام، رغم أن هؤلاء الأمهات فى الأساس هن اللاتى أجلسن طفلتهن لتلقى "دروس". وكانت إحدى الأمهات من الطبقة المتوسطة تعلم طفلتها القراءة من خلال مشروع تجارى لتعليم القراءة، للعبة التى سبق أن قدمنا وصفا لتفاصيلها. وكانت الدروس تؤخذ فى أوقات منتظمة كل يوم. وهناك عدد من أمهات أخريات قمن بتعليم القراءة والكتابة والأعداد، سواء فى سياق ألعاب (انظر المثال السابق)، أو بشكل عرضى أثناء أداء الأعمال المنزلية اليومية (الباب الرابع). ولم يحدث فى أى حالة من هذه الحالات أن خرجنا بانطباع بأنه كان هناك ضغط على الطفلات لنقمن بأى عمل لم يرقُ لهن القيام به أو لم يكن على استعداد لأدائه. على



العكس من ذلك تماما، كانت الطفلات مهتمات بما كن يتعلمنه، وبدا عليهن  
أنهن يمتعن بالدروس وكثيرا ما بدأنها بأنفسهن. أحضرت "تينا" بعض الأقلام  
الرصاص لأمها:

الأم: وهو كذلك، ماذا ستفعلين؟

الطفلة: إني سأكتب اسمي. وماذا ستفعلين أنت؟ .

الأم: أراقبك.

الطفلة: لا، لابد من أن تعلمي شيئا. (لكن الأم لا تفعل شيئا)

الأم: ما هذا؟ (الطفلة ترسم حرف "o")

الطفلة: برتقالة. هل يشبه برتقالة؟ والآن ماذا أكتب؟ من تحت إلى فوق  
(وتحاول أن تكتب حرف النون "n"). أوه، ماذا سأفعل؟ لأعلى.  
ليست هذه هي الطريقة، أليس كذلك؟

الأم: لا، هذه هي الطريقة التي نكتبينه بها (تكتب "تينا").

وحاولت "تينا" نسخ حروف اسمها، لكنها، وقد جعلها عدم نجاحها فى  
ذلك تشعر بالإحباط، انتقلت لشيء آخر وهو رسم منزل.

#### دروس: مهارات البقاء على قيد الحياة

وهناك مجال آخر من مجالات المعرفة حاولت بعض الأمهات تعليمه  
لطفلاتهن بأسلوب "الدرس" وهو كيفية التعامل مع مواقف يمكن أن تكون  
خطيرة، على سبيل المثال: عبور الطريق، وعندما تضل الطريق، أو فى  
حالة الذهاب بعيدا فى مياه البحر. وكان واضحا أن الأمهات كن مشغولات  
ومهمات جدا بسلامة بناتهن، ومتهفات على تعليمهن مهارات البقاء على قيد  
الحياة.

ولسوء الحظ، فإن هذا النوع من التعليم، وهو يتم خارج نطاق البيئة  
التي يحدث فيها عادة، يصعب على الأطفال الصغار فهمه وإدراكه. وقد

يرجع هذا لأنه يتضمن مواقف افتراضية خارج نطاق تجارب الطفل أو الطفلة، أو لأنه يتضمن استخدام مفاهيم عامة، مثل كلمة "يسار" أو كلمة "يمين"، وهما، إلى حد ما، خارج نطاق إدراك من هم في سن الرابعة. وفي محاولات الأمهات نقل مثل هذه المعلومات لعقول طفلاتهن، كن ينزعن إلى اللجوء لتقنيات لابد من أنهن تذكرنها من أيام الدراسة مثل طرح أسئلة، ومحاولة استخلاص إجابة محددة. وفي كل حالة، كان ما تعلمته الطفلة أمرا مشكوكا فيه.

كانت والدة "بولين" مثلا تساعدها على كتابة اسمها عندما سألتها:

الأم: ماذا تقولين للشرطي؟

الطفلة: آه... (تتردد)

الأم: لو ضللت الطريق.

الطفلة: لو ضللت الطريق.

الأم: إنك تقولين له...؟ (تترك الجملة معلقة لها لتكملها)

الطفلة: قولى له اسمك.

الأم: أنت تقولين له اسمك (بلهجة الموافقة).

الطفلة: نعم.

الأم: وماذا تقولين له؟

الطفلة: تكتبين اسمك.

كان واضحا أن "بولين" لم يكن عندها فكرة عن الإجابة التي كان من المفترض أن تقدمها في هذه النقطة. حينئذ قامت أمها بتلقينها:

الأم: لا أنت لا تكتبين اسمك. ماذا تقولين له؟ يا شرطي؟ "يا سيد

شرطي، أنا تائهة" (البنت تضحك)

الطفلة: نعم.

الأم: وسيقول لك، "أين تسكنين؟"

الطفلة: أنا أقول... (تخطئ في القواعد)

الأم: ماذا تقولين؟

الطفلة: ماذا قال؟ (كلاهما يضحكان)

الأم: لا ! لا، كوني جادة يا بولين، أين تسكنين؟

الطفلة:...

الأم: عندما أنت... عندما يسألك، "بولين، أين تسكنين؟"

الطفلة: أنا قلت، "أنا أسكن هناك بجوار الحشائش" (يوجد حشائش خارج الشقق السكنية)

هذه الإجابة مثل لطيف لما أسماه "باباجيت" بالفردية أو الأنوية (أن يكون الفرد معنى بنفسه لا بالمجتمع)، أى بمعنى أن تفشل الطفلة فى إدراك أن شخصا آخر قد لا يشاركها اعتقاداتها ومعرفتها. وتشير أمها لعدم دقة ردها:

الأم: هناك بجوار الحشائش! (تكرر ذلك بازدراء) أنت تعرفين العنوان؟

ولم يبدو على بولين أنها تعرف معنى كلمة "عنوان"، لكنها لم تعترف بجهلها:

الطفلة: إيه؟

الأم: هل تعرفين العنوان؟

الطفلة: نعم.

الأم: نعم وماذا تقولين له؟

الطفلة: ...؟ لقد قلت ... (تتردد)

الأم: ما رقم المنزل؟

الطفلة: (تفكر قليلا) رقم سبعة.

الأم: لا أنت لا تقطنى فى رقم سبعة.

الطفلة: ماذا؟

الأم: أنت تقولين: اسمى بولين روبنسون.

الطفلة: نعم.

الأم: "وأنا أسكن فى رقم سبعة عشر..."

الطفلة: نعم.

الأم: ... "عمارات الأسطول السكنية"

الطفلة: نعم.

الأم: قولى ذلك.

الطفلة: سبعة عشر.

الأم: "سالى" تفعل ذلك. إنها تقولها. ("سالى" ابنة أكبر من "بولين")

الطفلة: سبعة عشر.

الأم: لا، قولى له اسمك.

الطفلة: نعم، أقول، "سبعة عشر، عمارات الأسطول السكنية".

الأم: سبعة عشر، عمارات الأسطول السكنية.

الطفلة: نعم.

الأم: إذن عندما تضلين الطريق تقولين له ذلك.

الطفلة: نعم (وتضحك)

الأم: وسيقول لك، "الآن سنأخذك إلى بيتك لتقابلى أمك".

الطفلة: هو لا يفعل ذلك (وتضحك).

الأم: إذا كان يعرف مكان السكن سيفعل ذلك.

الطفلة: لن يفعل ذلك. هو يقول، "أين تسكنين؟" وأنا أقول: أنا أسكن

هناك فى عمارات الأسطول.

الأم: نعم، لكن لا بد من أن تعطيه رقم العمارة.

الطفلة: انظرى! رقم ستة.

الأم: سيأخذك لبيت ليس بيتك إذن. إذا قلت له رقم ستة. لا بد من أن

تقولين له الرقم الصحيح.

الطفلة: ماذا؟

الأم: تقولين "سبعة عشر".

الطفلة: نعم.

الأم: أليس كذلك؟

إن "بولين" لم تنس رقم العمارة فقط، لكنها بدا عليها القلق الآن من

فكرة أن تضل الطريق، ومن الظهور المحتمل الوقوع لرجل الشرطة. لقد

وجدت أنه من الصعب عليها أن تلم بفكرة أنها كانت تحتاج إلى أن يخبرها

أحد ما الذى تقوله لو ضلت الطريق، ولم تكن المشكلة قد حلت بشكل نهائى

بعد مطلقاً:

الطفلة: هو لا يأتى اليوم.

الأم: أوه... لا، هذا عندما تضلين الطريق. عندما تصبحين تائهة.

الطفلة: أين؟

الأم: حسنا. أنت لا تعرفين ذلك أبدا. "لأنك ستذهبين للشاطئ فى الصيف، أليس كذلك؟"

الطفلة: نعم.

الأم: "إيرين" والجميع. ("إيرين" إحدى الجارات التى تأخذ "بولين" للشاطئ أحيانا)

الطفلة: نعم.

الأم: وإذا تاهت عنك.

الطفلة: نعم.

الأم: ورأيت رجل الشرطة.

الطفلة: نعم.

الأم: وأتى رجل الشرطة لك "لأنه من المفترض أن يلتقطك أحدهم من على الشاطئ، أليس كذلك؟ (لهجة الأم ساخرة)

الطفلة: (تفكر قليلا) سأذهب لأشاهد شرطى على الشاطئ غدا.

توضح هذه الملحوظة الأخيرة بوضوح أن بولين لا تزال مرتبكة فى هذا الدرس. وعند هذا الحد رأت كتابا تحت الأريكة، وغيّرت الموضوع. واعترفت أمها بالهزيمة وتخلت عن الدرس.

### الخلاصة

بدأنا هذا الباب بوصف مجال الموضوعات الواسعة التى ناقشتها الأمهات فى هذه الدراسة مع طفلاتهن. (فى الباب الثامن سنظهر أن هذه الموضوعات كانت تختلف فى بعض نواحيها عن تلك التى يتم مناقشتها فى المدرسة). ثم وضعنا فى الاعتبار الظروف والملابسات التى عُرِضت فيها

هذه المواضيع، وواصلنا العمل فناقشنا الظروف والمناسبات التعليمية التي يدركها الجميع ويُقر بها والمرتبطة بلعب الأدوار، وألعاب التسلية والقصص والدروس.

ورأينا أن غالبية الأمهات كن يُؤمن بأهمية لعب الأدوار، وكن يقضين على الأقل فترة وجيزة بعد الظهر وهن يلعبن مع طفلاتهن. وكانت ألعاب التسلية الخيالية أداة من أدوات تزويد الطفلات بكم وافر من المعلومات العامة، وإصرارهن على التفكير المنطقي المترابط. وكان اتجاه الألعاب ذات القواعد يرتبط ارتباطا واضحا ببدايات تعلم القراءة والكتابة وعد الأرقام. وقدمت القصص، والأسئلة التي كانت تثيرها حولها، كثيرا من المعلومات العامة، ومنحت الطفلة الفرصة لتوضيح الأمور التي كانت تحيرها، وكانت تسمح لها بالتعبير عن مصادر قلقها وأن تشعر بالطمأنينة. وقدمت بعض الأمهات طفلاتهن للكتابة بطريقة رسمية.

في هذا الباب اقتبسنا محادثات من أربعة عشر بيتا مختلفا. وبالطبع، لم نقدم أي من الأمهات موضوعات للطفلات في جميع المواقف والظروف التي قدمنا وصفا لمجرياتها. ورأينا خلال ساعتين ونصف نظرة خاطفة فقط من مجموع ما يقضيه من أوقات مع طفلاتهن. ومع ذلك، يبدو من المحتمل أن تلك الأمثلة تقدم تمثيلا جيدا لمجال الموضوعات والمواقف والمناسبات التعليمية الموجودة في معظم البيوت.

(٤)

## التعلم في البيت: العيش والتحدث سويا

عرضنا في الباب الثالث كيف حولت بعض الأمهات لعب الأدوار وألعاب التسلية والقصص إلى ميزة تعليمية، في الوقت الذي أعطى القليل منهن "دروسا" رسمية. ولكن كانت مثل تلك المناسبات نادرة نسبيا في معظم العائلات. وكرست القليل من الأمهات معظم أوقات فترة بعد الظهر لطفلاتهن، ولكنهن كن يقمن بأعمال منزلية أو برعاية أطفال أصغر سنا من الطفلة المعنية بالدراسة. وكن غالبا ما يفضلن احتساء القهوة والتدخين في لحظات خلوهن من الواجبات المنزلية بينما كن يثرثرن مع طفلاتهن، ولا يلعبن معهن.

ولكن ذلك لم يكن يعنى أن الأمهات كن يغفلن تماما عن منح الطفلات فرصا تعليمية. لقد كانت إحدى أقوى انطباعاتنا عن هذه الدراسة عن القدر الذى تعلمته الطفلات لمجرد وجودهن في البيت حول أمهاتهن: فمن مناقشة ما كانت تفعله أى منهن، أو ما كانت قد فعلته، إلى ما سوف يفعلنه عقب ذلك، وجدالهن مع بعضهن البعض، وفوق كل شيء، طرح أسئلة أو الرد عليها بشكل لا ينقطع. وفي هذا الباب سوف نقدم بعضا من تلك المواقف العادية اليومية، ونناقش ما الذى كانت الطفلات تتعلمنه منها.

### موقف تعليمى يومية: إعداد قائمة للتسوق

إن إعداد قائمة للتسوق مثل توضيحي جيد للإمكانيات التعليمية الكامنة الناتجة عن حدث عادى في محيط الشئون العائلية. وفي المثال الذى ننقل مجريات أحداثه الآن، كانت "بولين" وأمها تشربان القهوة، وكانتا تتناقشان بين الحين والآخر ماذا كانتا تحتاجان من المشتريات. ورفعت أم بولين قائمة المشتريات التى كانت قد أعدتها وأخذت تغير فيها وتضيف إليها. وبالتأكيد فإنها لم تشرع في عمل ذلك لأسباب تعليمية، لكنها استخدمت المناسبة بالفعل



لنقل رسالة لابنتها فحواها أن محتويات قائمة المشتريات يجب أن ترتبط بمقدار النقود المتاحة المخصصة لهذا الغرض. وكانت بولين فى الأصل راغبة فى أن تعرف ما الذى كتبه أمها فى القائمة، واعتقدت أن ذلك كان مطلباً لصديقتهم وجارتهم، إيرين، التى كانت تسكن فوقهم:

الطفلة: ماذا ستكتبين؟ إيرين؟

الأم: لا.

الطفلة: من؟

الأم: سأضيف أشياء للقائمة.

الطفلة: تجرين حشوا زائدا لما أعددت فى القائمة؟

الأم: لأرى ما المبلغ الذى تصل إليه أسعار ما أطلبه.

الطفلة: تحشرين أشياء؟

الأم: أضيف أشياء للقائمة.

الطفلة: أعتقد أنك قلت "أجرى حشوا زائدا".

وفيما بعد مرت "إيرين" عليها وعرضت أن تتسوق لها ما تريده من سوق "فيفو" المحلى المجاور. ووافقت الأم على العرض. وانصرفت "إيرين"، وبدأت أم بولين تشطب من قائمة المشتريات الأشياء التى كانت إيرين ستشتريها لهم:

الأم: ليس أمامنا الآن سوى شراء هذا القدر البسيط من الأشياء (وتطلع بولين على القائمة).

الطفلة: أمى؟ هل يمكنى أن أنال مشروبا من هذه المشتريات؟ هل يمكنى ذلك؟

الأم: الحصول على مشروبات أكثر؟

الطفلة: نعم. يمكن كتابتها هناك فى القائمة (وتشير للمكان الذى تريد أن تكتب اسم المشروب فيه). فوق هنا.

الأم: سأحضر لك بعضا منه عندما أذهب للتسوق باكرا.  
الطفلة: آه (وقد خاب رجاؤها).

الأم: وهو كذلك؟ لأنى لن أحصل عليه لك اليوم.

الطفلة: لا... فى، فى سوق " فيفو "؟

الأم: لم أحصل على نقود أبىك بعد.

الطفلة: ليس عندى نقود.

يبدو أن بولين لم تحسن سماع ما قالت له لها أمها فى هذه النقطة.  
وتصححها أمها:

الأم: لا، ليس عندى ما يكفى للحصول على مشترياتي. على كل ما أريد.

الطفلة: ليس كلها؟

الأم: لقد أخذت منى إيرين الآن خمسة جنيهات. وستعود بالقليل الذى يتبقى منها. لو كان معها شيء باق فستعود به. إن الخمسة جنيهات لا تكفى لشراء كل هذه الأشياء، أليس كذلك؟ (وتشير لقائمة المشتريات)

الطفلة: لا

الأم: تفهمين؟ وبالتالي عندما يستلم والدك أجره سأحصل منه على نقود أكثر، وعندها سأذهب وأشتري الباقي.

الطفلة: نعم. هذا شيء جميل، أليس كذلك يا أمى؟

الأم: (تفكر قليلا)... عندى واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة،

سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، إحدى عشر، اثنا عشر (تعد بنودًا في القائمة).

الطفلة (تشارك في العد) تسعة، عشرة، إحدى عشر.

الأم: أربعة عشر، خمسة عشر، ستة عشر، سبعة عشر، ثمانية عشر  
بندا.

الطفلة: أمي، دعينا نلقى نظرة ! (الأم تعرض القائمة على الطفلة)  
أقربها مرة أخرى.

الأم: كان من المفروض أن نشترى أرزًا، وشايًا، ولحم بقر للطهي  
ببطء في قدر مقفلة، وجبنًا، ومخللا " طرشي "، وجزرًا، وسمكا،  
ودجاجًا، وخبزًا، وبيضًا، ولحم خنزير مملح، وشطائرًا من لحم  
البقر، وفاصوليا... أوه، إن إيرين سوف تشتريها (تشطب  
الفاصوليا)... والبازيلا، وفخذ الخنزير، ولحم البقر مملح.

الطفلة: وما هذا؟ (تشير لكلمة في القائمة)

الأم: هذا مشروب ليمون (وتشطبه من القائمة). لقد ذهبت الآن  
لشراؤه. فهمت؟

تُرى ماذا يمكن أن تكون "بولين" قد تعلمته من هذه المحادثة؟ لو سألت  
أمها، فربما تذكر فقط نشاط عد الأرقام؛ وعندما أجرينا مقابلة معها فيما بعد،  
ذكرت أنها كانت تعلم بولين عد الأرقام. لكنها نقلت لها قدرًا أكبر بكثير من  
المعلومات إضافة لعد الأرقام. لقد كانت بولين تتعلم بعض الحقائق الرئيسية  
عن التسوق، على سبيل المثال، أنه يتضمن التخطيط له وبعد النظر في  
عواقبه، وأن إعداد قائمة مكتوبة يُعد طريقة مفيدة للترتيب لذلك. وكانت تتعلم  
أن عدد الأشياء التي يمكن شراؤها يجب أن يتوازن مع النقود المتاحة، وأن  
ذلك بدوره قد يعتمد على ما إذا كان من يحصل على الأجر أو الراتب في  
الأسرة قد تسلم أجره عن ذلك الأسبوع أو لا. ولعلها حتى قد اكتسبت فكرة  
معينة عما يمكن شراؤه من مبلغ مثل خمسة جنيهات. وبمعنى أشمل، كانت

تتعلم كيف يمكن أن تساعد النساء بعضهن البعض، وأنها هي وأمها كانتا تعتمدان على أبيها من الناحية المالية.

وما يمكن أن يكون أقل وضوحا هو أن بولين كانت تكتسب بعض المعلومات المهمة عن طبيعة اللغة المكتوبة. كثيرا ما يُفترض أن أطفال الطبقة العاملة ليس عندهم خبرة كبيرة عن انخراط آبائهم في "أنشطة تتعلق بالقراءة والكتابة"؛ ومع ذلك، فإن قائمة المشتريات تقدم عرضا غاية في الواقعية والحيوية في الطريقة التي يمكن بها استخدام اللغة المكتوبة داخل نطاق نشاط إنسانى له معنى وهدف. إن قوة الكلمة المكتوبة تكمن في قدرتها على الربط بين مواقع مختلفة في مساحتها وتناغمها، وها هي هنا تفعل ذلك بدقة، تكوين رابطة بين البيت، حيث تتخذ القرارات والاختيارات، والدكان، حيث يتم تنفيذ تلك القرارات والخيارات. ويمكن أن تساير التغييرات المفاجئة للخطة، صديقة تعرض القيام بشراء بعض المشتريات فيؤدى ذلك لشطب بعض البنود من القائمة. فالنشاط بهذا الشكل ليس فقط أقوى عاطفيا، بل إنه أقوى فكريا وذهنيا أيضا عن لعبة تصنيف ولصق الصور، التي قد تكون هي التي مهدت لبولين القدرة على الكتابة عندما تدخل المدرسة الابتدائية. وغير واضح من المحادثة القدر الذي فهمته بولين عن طبيعة اللغة المكتوبة، لكن تعليقاتها توحى بأن لديها فكرة جيدة عن خواص قائمة المشتريات والغرض منها.

### الإطلاع من النافذة

إن رؤية شيء جديد وغير مألوف من الشباك كان من بين المواقف التي تخلق تبادل تعليمى، فلم يكن الأمر هنا يقتصر على تزويد الطفلة ببعض المعلومات الجديدة عما رأتها، لكن حدث أيضا نمو في آفاقها الذهنية أحيانا بطرق غير متوقعة. وفي الباب التالي نناقش بالتفصيل محادثة نشأت من رؤية رجل ينظف الشبابيك، نمت من خلالها درجة فهم الطفلة ومداركها عن العلاقة بين العمل والمال. أما المحادثة التالية، وهي أقصر بكثير عن محادثة

الباب التالي من الكتاب، فتوضح كيف يمكن لمحادثة عرضية حول أحد الجيران أن تؤثر على تفكير الطفلة.

كانت سوزان وأمها تطلان من النافذة عندما شاهدتا رجلا يصل إلى البيت المجاور لبيتهما:

الطفلة: لماذا يحمل حقيبة فوق ظهره؟

الأم: إنه يقود دراجة بخارية صغيرة. وبهذا فهو لا يستطيع حمل الحقيبة. إنه يحتاج كلتا يديه لقيادة الدراجة. (الطفلة تضحك)

الطفلة: هل سيفعل ذلك الآن؟

الأم: لقد عاد الآن من عمله. إنه الساكن الذى يسكن عند "ديك". ("ديك" جارهم فى السكن)

الطفلة: ماذا؟

الأم: إنه الرجل الذى يسكن فى الدور العلوى فى منزل "ديك". الشخص الذى أيقظته من نومه فى منتصف الليل عندما أحدثت ضوضاء عالية.

الطفلة: ماذا؟

الأم: إنه الشخص الذى يسكن فى الغرفة المتاخمة لغرفة نومك.

الطفلة: هل يستيقظ؟

الأم: يمكنه سماعك عندما تتسببين فى ضوضاء شديدة.

الطفلة: ماذا قال؟

الأم: ينبغى أن تعتقدى أنه يغضب جدا من جرأ ذلك.

الطفلة: لن أصرخ بعد ذلك.

الأم: إنك لن تصرخى بعد ذلك. أرجو ألا تفعل ذلك.

خلال هذه المحادثة، تم إخبار "سوزان"، ويبدو أنها استوعبت، ليس فقط معلومات عن الشخص الذى يسكن فى البيت المجاور لبيتهما، ولكن أيضا عن أن غرفته ملاصقة فى الحقيقة لغرفتها، وأن ما تفعله فى غرفتها يؤثر عليه بشدة ويضايقه. وتساعد المعلومات من هذا النوع الطفلة على فهم بيئتها الاجتماعية. وقد يكون لها تأثيرات بعيدة المدى على نموها الفكرى. وبتفسير الطريقة التى يؤثر بها نشاط الطفلة على شخص آخر لم تكن حتى تعرفه من قبل، هنالك تساعد الأم ابنتها فى التغلب على "أنويتها" (أى اهتمامها بأمرها فقط، بعيدا عن هموم الآخرين). وكما ذكرنا من قبل عند مناقشة لعبة "جون" "ابحث عن الكشتبان"، أننا وجدنا عددا من الأمثلة لطفلات لم يصل عمرهن لأربع سنوات بعد، استطعن بلا شك إدراك وجهة نظر الآخرين. وربما كانت المحادثات من أمثال المحادثة التى ذكرناها أعلاه عاملا مهماً فى المساعدة على نشأة وتطوير تلك القدرة.

### العيش مع أطفال رُضع

إن ما يقرب من نصف عدد البنات فى دراستنا كان لكل واحدة منهن أخ أو أخت أصغر منها. وكثيرا ما كان الطفل أو الطفلة فى حالة استيقاظ فى جزء من وقت ما بعد الظهيرة الذى كان يتم فيه التسجيل. وتتوعت المواقف التعليمية التى نتجت عن ذلك من أسرة لأسرة أخرى.

أمضت أم "بولين" وقتا كبيرا فى العناية بطفلتها وتسليتها. وبدا أن بولين مغرمة جدا بأختها الصغيرة، "روثى"، وكانت سعيدة للغاية عندما تضى كثيرا من الوقت فى مساعدة أمها. وكننتيجة لذلك، تعرضت خلال فترة بعد الظهر لسيل من المعلومات والنصائح التى تخص رعاية الطفل الرضيع.

واتخذ الكثير من هذه المعلومات شكل تعليقات متكررة عن احتياجات الطفل الرضيع وكيفية مواجهتها والتعامل معها. وعند اللحظات الأولى من الدورة، كانت والدة "بولين" غير قادرة على تغذية الطفلة الرضعية لأنها كانت

تبكى قائلة: "إنها تبكى بشدة لدرجة أنها لا تريد أى شىء". وأرسلت الأم "بولين" لإحضار الزجاجاة للطفلة، وأوقف هذا الإجراء بكاءها فى الحال: انظري كيف توقفت؟ كانت عطشانة. "وأفرغت "روثى" الزجاجاة وتم الإشارة بذلك لبولين: انظري للزجاجاة. لقد شربت الآن كل ما كان فيها. لقد كانت عطشانة بالفعل". وشرحت الأم لبولين بعد ذلك كيف تحمل الطفلة، وكيف تعطىها قطعة من البسكويت، وشرحت لها كيف أن البسكويت يساعد على طلوع الأسنان. وفيما بعد، ساعدت بولين أمها عندما غيرت لها حفاظها. أحضرت بولين حفاظاً نظيفاً، وكريماً أو مستحضرًا طيباً لكفل الطفلة، وسُح لها بوضع الكريم ثم المسحوق أو البودرة على الطفلة. وفى النهاية، سُمح لها بإعطاء الطفلة زجاجاة أخرى عندما هدأت واستقر حالها.

ومع أن "بولين" كانت لم تبلغ الرابعة بعد، فإنها تلقت معلومات أكثر عن العناية بالطفل، وكلفت بمسئولية أكبر للمساعدة فى قضاء حوائج الطفلة عما يمكن أن يفكر كثير من المتخصصين فى تكاليف طفلات أكبر منها سنا بكثير.

ولم تكن أى طفلة أخرى لها أخوات رُضع تتخرط فى العناية بهن بهذا الشكل. وشجعت بعض الأمهات طفلاتهن بمنح رعاية تشبه رعاية الأم للدمية التى بين يدي كل واحدة منهن فى الوقت الذى كن يرعين فيه الطفل الرضيع. وحاولت أمهات أخريات تقسيم وتوزيع اهتمامهن بين الطفلة الأكبر سنا والطفلة الرضيعة. وعلى أى حال من الأحوال، فقد وسع وجود الطفلة الرضيعة حتما من آفاق الطفلات. إن "بيت" على سبيل المثال تعلمت أن الأطباء لا يظهرون فقط عندما تكون مريضا، وإنما يظهرون أيضا لإجراء فحوصات صحية خاصة بتنمية ورعاية الأطفال الرضع. وبينما كانتا تتناولان الغداء، قالت لها أمها:

الأم: ذهبت لزيارة الدكتور "جونز" هذا الصباح. أخذت "ناعومى" ليكشف عليها حيث إنها بلغت السنة الأولى من عمرها، ليرى إن كانت على ما يرام، وإن كانت طفلة رضيعة لطيفة وتتمتع بصحة جيدة.

الطفلة: وماذا فعل الطب...، وماذا قال الدكتور جونز؟

الأم: قال إنها كانت بصحة جيدة جدا. فيما عدا أنها ما زالت تعاني من تنفسها الديكى المضحك. وقال إن هذا الشيء سيختفى بعد فترة قصيرة.

الطفلة: ولكن ماذا، ماذا قلت له؟

الأم: قلت أعتقد أنها كانت... كانت تبدو فى حالة جيدة جدا.

واستغلت العديد من الأمهات وجود أطفال رضع فى تذكير الطفلات أنهم كن طفلات رضع فيما مضى مثلهن. ضحكت "إيريكيا" عندما رأت أباها الرضيع يأكل بأصابعه، وقالت أمها: لقد كنت متعودة على الأكل بهذا الشكل عندما كنت طفلة رضيعة. كنت متعودة على أكل مهلبية بالشوكولاته بأصابعك". وغالبا ما كنت الأمهات تفسر سلوك الطفل الرضيع - "أعتقد أنه يريد أن ينزل" - وحتى الطفلات أنفسهن تدخلن فى عقل الرضيع لتصور ما يدور بداخله، "يا أمى، أعتقد أنه يريد أن يدخل الحديقة"، "لا أعتقد أنه يريد أن يأكل بعد ذلك أى شىء آخر".

وياستثناء "بولين"، التى يبدو أنها تبنت كلية لعب دور الأم، كانت الطفلات متأرجحات فى اتجاههن نحو الأطفال الرضع. فأحيانا كن يلعبن ويتحدثن معهم بحب، وأحيانا أخرى كن يخطفن طعامهم ولعب الأطفال الخاصة بهم، ويضايقونهم ويعبرون عن امتعاضهن وغيظهن منهم. وكانت "مينا" أشد وأعنف البنات غيرة. وعند نقطة معينة فى فترة ما بعد الظهر، وعندما سألوها عما تحب فى عيد ميلادها، أجابت قائلة، "أحب أن تعود تيسا (الطفلة الرضيعة) لبطنك مرة أخرى". وكثيرا ما كانت تهزأ بأختها "تيسا"، ومع أنها لم تهاجمها، لكنها عبرت بالفعل عن رغبتها بوفاة طفلة أخرى:

الأم: هل تعرفين "قيل" و "تورا"؟ اللذين قاما بزيارتنا؟ وكانت "تورا" تحمل طفلا فى بطنها؟



الطفلة: (تتمتم بالإيجاب)

الأم: حسنا، لقد خرج الطفل إلى النور بالأمس، وأصبح لديها ولد صغير!

الطفلة: أوه! هل عندهم نية لزيارتنا؟

الأم: لا، ليس إلا بعد فترة من الآن، كما أعتقد.

الطفلة: لماذا؟ هل سيموت الطفل؟

الأم: لماذا ينبغي أن يموت؟

الطفلة: لأنى أريده أن يموت. أريد ذلك فعلا.

ومن الطبيعي أن تشعر أم "مينا" بالقلق والاضطراب بسبب هذه الملحوظة:

الأم: لا تكونى فظيعة! ما أقبح ما قلت! لنفرض أن أحدهم قال لك إنهم يتمنوا أن تموت "تيسا"، طبعا ستحزنى جدا لذلك، أليس كذلك؟ إن "فيل" و "تورا" يحبان طفلهما الجديد، وسوف يشعران بالحزن الشديد لو فكرا أنك كنت تقولين ذلك. أنت لا تعنين ذلك حقيقة، أليس كذلك؟ (مينا تهز رأسها بالنفى، وتغير مجرى الحديث)

وتوحى تعليقات أمها أنها لم تدرك، أو لم تكن راغبة فى الإقرار بمدى قوة مشاعر "مينا" الغاضبة نحو "تيسا". أما "مينا" نفسها فقد اعتقدت أن الطفلة سوف تبادلهم الأحاسيس. وفى مناسبة ما، وصلت "تيسا" بالقرب من "مينا":

الأم: إنها تقول، "دعيني أتحنس وجهك".

الطفلة: إنها تقول، "دعيني أأخذش ذقنك".

وحاولت أم "مينا" توليد اتجاه ودى أكبر فى قلب "مينا" عن طريق شرح ضعف الأطفال الصغار وقابليتهم للجروح بسهولة، وتشجيع "مينا" بأن تضع نفسها مكان الطفلة الرضيعة. فمثلا، ضحكت "مينا" عندما بكت الطفلة

وصاحت، فقالت أمها، "أنا في الحقيقة لا أحب أن أرى الأطفال يضحكون عندما يكون شخص آخر حزين، هذا ليس شيئا لطيفا. لو كان لي أن أضحك عليك عندما كنت حزينة لأصبحت في غاية الضيق. ولا تستطيع "تيسا" الصغيرة أن تقول، "لا تضحكى على يا "مينا"، وكان من بين إستراتيجيات أم "مينا" الأخرى إظهار نواحي من تصرفات الطفلة يمكن أن تسعد وترضى "مينا"، لاسيما النزعة للنمو والكبر ("هل لاحظت أنها بدأت تحاول التقاط الأشياء؟). وما لم تفعله هو إشراك "مينا" في رعاية الطفلة.

وبهذا فإن مجرد وجود طفلة رضية في البيت لم يكن يعنى أن الطفلات سيتلقين خبرات تعليمية متشابهة. ففي الوقت الذي كانت تؤدي بولين فيه تدريبا على مهام الأمومة، كان مجرد وجود طفل رضيع بالنسبة لـ "مينا" يتضمن محادثات كثيرة عن الشفقة والرحمة وعن وجهات نظر أناس آخرين. ونحن بالطبع لا يمكننا أن نقول ما إذا كان مرجع أو نتيجة علاقة "بولين" بأختها التي كان يسودها الحب هو انخراطها في رعاية الأطفال الرضع. وعلى أى حال، فإن "جودي دان"، في دراسة لها عن العلاقات بين الإخوة والأخوات، وجدت أن الأطفال الذين كان أبواهم يشجعانهم على لعب دور حقيقى وعملى في رعاية إخوتهم وأخواتهم الرضع من الأسابيع الأولى في حياتهم كانوا هم بالذات يهتمون بهم وبهن ويشعرون تجاههم وتجاههن بكل حب ومودة. كما وجدت أيضا أن تلك العلاقة الجيدة من الصغر كانت يغلب عليها أن تستمر بقوة لمدة ستة أعوام.

### مناقشة أحداث الماضى والمستقبل

إن أحد المعالم المهمة بالذات للبيت كبيئة تعليمية هي حقيقة أن الأم والطفلة يملكان ثروة من التجارب المشتركة التي يستخدمانها كمصدر لمحادثتهما. ويختص هذا في معظم الأحوال بالأحداث التي مرا بها سويا في الماضى. ومع ذلك، فكثيرا ما كانت تمتد لتشمل الرحلات أو النزاهات التي تخططان لها في المستقبل، كما في قضاء عطلة أسرة "روزى" في فرنسا.

إن المحادثة التالية التى نناقشها لها مغزى وأهمية خاصة بسبب الطريقة الحساسة التى تتجاوب بها الأم مع حيرة الطفلة فى مجريات حدث فى الماضى. تتناول "جويس" "سندويتش" للغداء، بينما تصنع أمها فنجان قهوة ثم تبدأ فى إعداد وجبة المساء. كانت المناقشة معقدة، وبعد أن نقتبسها، سوف نقوم بتحليلها بشيء من التفصيل.

١- الطفلة: يا أمى، كان أمرا جيدا أن يكون هناك شيء نأكله عندما كنت على شاطئ البحر، أليس كذلك؟ (الأم تقطع السندويتش)

٢- الأم: كان أمرا جيدا، أتفق معك.

٣- الطفلة: حسنا، إن بعض الناس لا يوجد معهم شيء يأكلونه عند شاطئ البحر.

٤- الأم: حينئذ ماذا يفعلون؟ هل يستغنون عن الأكل؟

٥- الطفلة: (تفكر)

٦- الأم: أعتقد أنك لا بد من أن يكون لديك شيء تأكلينه. (البراد يغلى وتصنع الأم الشاي)

٧- الطفلة: نعم وإلا ستصبحين (كلمة أو كلمات غير واضحة)، أليس كذلك؟

٨- الأم: (تتمم) عندما نذهب لمدرسة "دافيد"، سيكون علينا أن نأخذ شيئا نأكله، وحينها نستقل الحافلة. (وتتخيل "جويس" أنها وأمها ذاهبتان للنزهة مع مدرسة الطفل الأكبر سنا)

٩- الطفلة: (تتمم) لشاطئ البحر؟

١٠- الأم: ربما نذهب لتمشية قصيرة إلى شاطئ البحر.

١١- الطفلة: ماما؟ أنا ما زلت جائعة.

١٢- الأم: متى؟

١٣- الطفلة: عندما كنا على شاطئ البحر، ألم أكن كذلك؟

١٤- الأم: لم تكن جوعى. كان معنا "سندويشات"، كان معنا تفاح.

١٥- الطفلة: لكننا، لكننا عندما كنا هناك، كنا لا نزال جوعى، ألم تكن كذلك؟

١٦- الأم: لا، إنك تناولت طعام الإفطار، أليس كذلك؟

١٧- الطفلة: لكن، كنا عطشى عندما وصلنا هناك.

١٨- الأم: نعم، افترضى ذلك، نعم كنا عطشى.

١٩- الطفلة: ماذا حدث؟ لم تكن عطشى ولا جوعى.

٢٠- الأم: لماذا لم تكن كذلك؟ ما الذى حدث؟

٢١- الطفلة: حسنا، لقد اختفى كل ذلك العطش.

٢٢- الأم: صحيح؟

٢٣- الطفلة: (تتمم).

توضح هذه المحادثة قدرة "جويس" المحدودة فى التعبير عن نفسها، كما توضح الطريقة التى تجاهد بها للتعبير عن أفكار معقدة رغم قدرتها المحدودة على التعبير. وكان لها فى ذلك درجات متنوعة من النجاح. وفى الجزء الأول من المحادثة (الأدوار ١ - ٧)، نجدها قادرة على إظهار تناقض بين حقيقتين منفصلتين، لكنهما مرتبطتان ببعضهما: (١) أنه كان من الجيد وجود شيء يؤكل على شاطئ البحر، و (٢) أن هناك أشخاصا آخرين لم يكن لديهم شيء يأكلونه. وحتى يمكن النظر لهذين البيانيين على أنهما يشكلان المقدمة المنطقية لجدال منطقي، على اعتبار أن يكون فحوى الدور رقم (٣) هو الاستنتاج فى تلك القضية المنطقية: إذن فما الذى يفعله الأشخاص

الآخرون؟ ولن نعرف أبدا ما إذا كان في إمكان "جويس" القيام بهذه الخطوة من تلقاء نفسها، إذ إن أمها قامت بها نيابة عنها (الدور ٤). ومع ذلك، وفيما بعد، وعن المحادثة نفسها، تكون "جويس" أقل نجاحا في نقل معناها، رغم محاولات أمها لمساعدتها (الأدوار من ١١ إلى ٢٣)، ورغم كل ذلك، لا يستطيع الفرد إلا أن يُعجب بمثابرة "جويس" وهي تجاهد من أجل أن تعبر عن نفسها، وتختتم بالإبداع الممتع (في الدور ٢١): لقد اختفى كل ذلك العطش".

ونحن لا ندري ما الذى نكرها بهذه المحادثة وماذا كان الدافع لها، رغم أنه من المحتمل أن يكون تناول "السندويتش" فى المطبخ قد ذكر "جويس" بتناول "السندويتشات" على شاطئ البحر. ومهما كان السبب الذى نشأت حيرتها من أجله، فإن الموقف سمح لها بالتعبير عنه. كانت "جويس" وأمها مع بعض سويا فى المطبخ، وكانت كلاهما مشغولتين فى أنشطتهما المختلفة، وكان أمام "جويس" فسحة من الوقت والمكان للتعبير عن أفكارها وتأملاتها والسماح لها بالتطوير.

وتلعب أمها دورا مهماً فى المحادثة. فهي تساعد "جويس" على التعبير عن المعنى الذى تريده، بمساعدتها لها وتجاوبها معها ومتابعة بعض ما ينطوى عليه ما تقوله. وعلى امتداد المحادثة، نجد أن الأم لديها حساسية بما تحاول "جويس" قوله: وهى فى الحقيقة وعند نقطة معينة (الدور ١٢) تظهر قدرا كبيرا من نفاذ البصيرة فى فهم المعنى الذى تقصده ابنتها. وكانت "جويس" قد قالت فى الدور السابق (١١)، "أنا مازلت جائعة" وهذه الملحوظة تبدو أنها تشير ظاهريا للموقف الحالى وهما فى المطبخ: "جويس"، قبل كل شىء، تتناول الآن غدائها أو وجبتها الخفيفة. ومع ذلك، فهناك احتمال بديل، بأنها لا تزال تشير للنزهة الخلوية على الشاطئ، - وتلتقط أمها بطريقة ما فحوى هذا الغموض أو الالتباس، وتحاول توضيحه فى الدور (١٢). وكما يتضح بعد ذلك، كانت الطفلة لا يزال تفكيرها منصبا على النزهة الخلوية

على الشاطئ، وتحاول أم "جويس" في الأدوار القليلة التالية، برغم عدم نجاحها في ذلك، أن تكتشف ما الذي لا يزال يحير الطفلة.

ودور الأم، على أي حال، ليس مجرد تجاوب مع ما تقوله ابنتها. فهي تدخل في الأدوار ٨ و ١٠ من المحادثة بعض المواد الجديدة وهي تخبر "جويس" بالرحلة المخطط للقيام بها لشاطئ البحر مع مدرسة أخيها. وهذه المعلومة لا ترتبط ارتباطا سريعا مع ما يشغل بال الطفلة حينئذ، ومن الممكن أن تعتبرها تدخلا غير مرغوب فيه في مجرى الحديث. والنقطة الرئيسية في هذه المعلومة الجديدة، على أي حال، هي الطريقة التي تربطها بها الأم بما دار في الحديث من قبل. ومن خلال العناصر المشتركة الخاصة "بالنزاهات الخلوية" و "شاطئ البحر"، تتمكن الأم والطفلة من الربط بين شيء حدث في الماضي مع حدث سوف يحدث مستقبلا، وهكذا يمكن لعالم التجربة المشتركة الذي اشتركا في صنعه أن يصبح القماشة الخلفية لمحادثتهما. إن خلق عالم مشترك والإشارة له والعودة إلى أحداثه لمن المعالم المميزة لكثير من المحادثات التي تدور بين الأم والطفلة، وإنما نعتقد أن لها أهمية كبرى. وكما نعرض فيما بعد، فإن عدم وجود عالم مشترك بين العاملين في المدرسة والطفلة يشكل عائقا كبيرا للتواصل بينهم.

وفي المحادثة التالية، تسترجع "كاثي"، وهي طفلة تنطق ألفاظها بوضوح أكثر من غيرها، تجربة ماضية مشتركة مع أمها. و"كاثي" هذه لا تناضل مع مشكلة فكرية، كما كان الحال مع "جويس": إن المحادثة هنا تقوم بدور الرابطة العاطفية بين الأم وابنتها، كما تسمح لـ "كاثي" بالعودة للحديث عما كان من وجهة نظرها تجربة مخيفة. وتحدث المحادثة عند ظهور عربة مقطورة على شاشة التليفزيون في فيلم والت ديزني "كنوز ميت كيومبي". وبالصدفة كانت "كاثي" وأمها قد شاهدتا هذا الفيلم بالفعل في السينما من قبل: الطفلة: انظري، إنه "كنوز أكا كومبي (هكذا نطق اسم الفيلم من غير تعديل).

الأم: أوه، أذكر، هل تذكرينه؟ إنهم هنا على وشك أن يجدوا الكنز؟

الطفلة: نعم... لكننا ذهبنا مع "هايببت" و "إيرين".

الأم: هذا صحيح. هل تذكرين هذا الفتى فى العاصفة؟

الطفلة: نعم... واعتقدت أنت أنه مات، أنه غرق، ألم نعتقد ذلك؟ لغة إنجليزية غير صحيحة "

الأم: اعتقدنا أنه غرق، أليس كذلك؟ لغة إنجليزية صحيحة"

الطفلة: (تتمم وكأنها تقول نعم)

الأم: ومع ذلك يعود الفتى فى النهاية. هل تذكرين؟

الطفلة: نعم... كان الدم يغطى زراعيه وكل أجزاء وجهه، أليس كذلك؟  
"لغة سليمة هذه المرة"

الأم: ليس بهذه الكثرة من الدم، أليس كذلك؟ لقد كانت به بعض الكدمات وقليل من الخدوش...

هل تذكرين؟ ثم أصبح على ما يرام وعادوا جميعا للبيت بسلام.

الطفلة: نعم.

الأم: لقد كان هذا المشهد مشهدا مخيفا جدا، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم.

الأم: مَرُوع جدا.

الطفلة: وهم جميعا ناس يلبسون أقنعة ويحملون سهامًا. هذا الشخص

اسمه "ديفى"، أليس كذلك؟ "مرة أخرى بلغة غير سليمة"

الأم: نعم، لقد كانوا كذلك، أليس كذلك؟ "بلغة سليمة"

الطفلة: سهام زائفة.

الأم: نعم.

الطفلة: وأقواس، سهام وأقواس، أقواس وسهام. ذلك الشخص اسمه "ديفى"، أليس كذلك؟ مرة أخرى سؤال التوكيد بطريقة خاطئة

الأم: نعم هو "ديفى" وفجأة يسقط فى الحفرة، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم.

الأم: كان هذا مثيرا، أليس كذلك؟

وهنا ينتهى عرض الجزء المقتطف من الفيلم، لكن "كاثى" وأمها تواصلان مناقشة ما كان بوضوح تجربة مزعجة:

الطفلة: ذهبنا مع "هاريت" و "إيرين".

الأم: نعم.

الطفلة: لكن "إيرين" كانت خائفة إلى حد ما.

الأم: كانت خائفة جدا، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم.

الأم: لم تكونى أنت ولا إيريك "أخت كاثى" بهذه الدرجة من الخوف.

الطفلة: ليس بدرجة خوف "إيرين" و "هاريت".

الأم: لا لم تكونا كذلك.

ويبدو أن إعادة معايشة تجربة مشاهدة فيلم مثير، ومخيف فى أوقات منه، قد أقامت نوعا من القرب بين "كاثى" وأمها، الشيء الذى ينعكس على تركيب هذه المحادثة. وهنا لا تتسيد الأم ولا الطفلة مجريات هذه المحادثة، لكن كلاهما تسترجع ذكرياتها الخاصة عن الحدث بالتساوى وبشكل مستقل. وفى نفس الوقت، فكلاهما تصغى باهتمام واضح للإضافات التى تسهم بها كل منهما عن الحدث، وتقر كل واحدة بما تقوله الأخرى وتتجاوب معه.



ومن خلال محادثتهما تلك، ومن خلال حالة القرب الذي أقامته بينهما، مرت كاثى بتجربة الخوف التي مرت بها فى النزهة الأصلية مرة أخرى ولكن فى موقع آمن، وربما يكون القلق الذى أصابها قد هُدا نتيجة لهذه المحادثة.

ويمكن لمناقشة أحداث الماضى والمستقبل أن تؤدى مهمة أخرى، وهى مساعدة الطفلة للوصول إلى درجة أوضح من الفهم عما حدث، أو كان يمكن أن يحدث لها. ففى المحادثة التالية، على سبيل المثال، تخبر والدة "ساماناثا" عن رحلة مرتقبة للكشف عند أخصائية فى علاج الكلام. وطبيعى أن تكون "ساماناثا" خائفة وقلقة، وتريد أن تعرف ماذا سيحدث. وتحاول أمها بث الطمأنينة فيها.

١- الأم: أوه ساماناثا، إن عليك أن تذهبي وتقابلي سيدة أخرى يوم الثلاثاء.

٢- الطفلة: أى سيدة؟

٣- الأم: هناك سيدة أخرى تريد أن تسمعك.

٤- الطفلة: أى سيدة؟

٥- الأم: السيدة التى فى العيادة تريد أن تسمعك وأنت تتكلمين يوم الثلاثاء.

٦- الطفلة: (الصوت غير واضح) أين (الصوت غير واضح) تذهب؟

٧- الأم: لا، حيث أجرى اختبار على أذنك. إنها ستعلمك كيف نقولين كلماتك بالشكل الصحيح.

٨- الطفلة: أنا لا أعرف كل الكلمات.

٩- الأم: نعم. لكنها ستعلمك. ستُدرس لك هذه الكلمات.

١٠- الطفلة: ما اسمها؟

١١- الأم: إيه... الأنسة "باتريك".

١٢- الطفلة: و... ذلك هو المكان الذى تم عمل اختبار على أذننى فيه.

١٣- الأم: الذى حدث اختبار على أذنك فيه حينئذ.

١٤- الطفلة: وهذا هو المكان الذى سوف أذهب إليه؟

١٥- الأم: نعم.

١٦- الطفلة: يجب ألا يحدث "كيفين" أى ضوضاء. (كيفين هو الأخ الأصغر لـ "ساماناثا"، ومن المفترض أنه طُلب منه أن يلتزم الهدوء عندما كانت "ساماناثا" تجرى اختبارا على أذنيها)

١٧- الأم: كان ذلك عندما كنت تجرين اختبارا على أذنك، يجب ألا يحدث ضوضاء.

١٨- الطفلة: لا.

فى هذه المحادثة تربط "ساماناثا" وأمها الزيارة المرسومة لأخصائية علاج عيوب نطق الكلام بغير أدوية ولا جراحة بزيارة سابقة لعيادتها. وفى الدور رقم ٧ من المحادثة، تخبر والدة "ساماناثا" طفلتها أنها ستعود لنفس العيادة التى أجرت فيها اختبارا على أذنيها، وتراجع "ساماناثا" بنفسها هذا الكلام مرة أخرى فى الأدوار ١٢ و ١٤ من المحادثة. وفى الدور ١٦ منها، تتذكر شيئا كان قد حدث فى الزيارة السابقة، أنه طُلب من أخيها الأصغر الالتزام بالهدوء أثناء الاختبار. وهكذا تكون قد تخلصت من بعض القلق الذى كان يشوبها نتيجة لهذه التجربة المجهولة التى ستحدث مستقبلا من خلال تلك الروابط بالماضى المشترك.

## مشاهدة التلفزيون

هناك اعتقاد واسع الانتشار بأن الأطفال الصغار الآن يقضون الكثير من أوقاتهم أو معظمها في مشاهدة غير مثمرة للتلفزيون. ومع ذلك فإن "ديفي" التي راقبت الأطفال في سن الثالثة والرابعة في "ستوك" على "ترنت" طوال اليوم، وجدت أنهم كانوا في الواقع يشاهدون شاشة التلفزيون بمعدل من الوقت لا يتجاوز خمسة وستين دقيقة في اليوم. ولا ينكر أحد أن هذه المدة أكبر من أي مدة كانوا يقضونها في أي أوجه نشاط أخرى، كالاستماع للقصص مثلا، ولكن ذلك لم يكن يصل بأية حال إلى "معظم أوقاتهم". ووجدت "ديفي" أيضا أن أطفال الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة كانوا يشاهدون التلفزيون بنفس المعدل الزمني، رغم أن أجهزة التلفزيون كانت تظل مفتوحة لفترة أطول بكثير في بيوت الطبقة العاملة. ولم يكن هناك أيضا أي فوارق بين الطبقات الاجتماعية في مقدار الوقت الذي كانت الأمهات تقضينه في مشاهدة التلفزيون ومناقشة ما شاهدته مع أطفالهن، ومتوسط هذا الوقت هو سبع دقائق فقط يوميا.

وفي دراستنا أيضا، لم نجد دلائل على مشاهدة التلفزيون بشكل مكثف. لقد شاهدت سبعة من طفلات الطبقة المتوسطة وخمسة من طفلات الطبقة العاملة التلفزيون خلال الساعتين والنصف التي كنا نقضيها في مراقبتهم، وكن في العادة يشاهدن البرنامج الخاص بالصغار الذي يُبث بعد الظهر. وفي نصف تلك الحالات، كانت الأمهات تشاهدن التلفزيون مع بناتهن لجزء من الوقت على الأقل. وفي المتوسط، كانت البنات اللاتي يشاهدن التلفزيون يمضين إحدى عشر دقيقة في المشاهدة. هذا بالمقارنة بمتوسط المدة الكلية التي تصل لاثنتين وستين دقيقة التي كانت الطفلات يقضينها في اللعب خلال فترة ما بعد الظهر، وتسع دقائق في الاستماع للقصص من خلال تلك الطفلات اللاتي كانت القصص تُقرأ لهن.

ما الذي يمكن أن تكون الطفلات قد تعلمنه من مشاهدة التلفزيون؟

أكانت مشاهدة التلفزيون مع الأمهات تقدم نفس النوع من الفرص التعليمية التي كانت تقدمها فرص الاستماع للقصص؟ كانت الطفلات تسأل أسئلة عما كان يسبب لهن الحيرة والارتباك: "ما الذي حدث له؟"، "هل ستغضب منه وتخاصمه؟" "لماذا يتكلم بهذه السرعة الكبيرة؟". وغالبا ما كانت أسئلة البنات في هذه الأمثلة تختص بدوافع الناس وما يثير حوافزهم. وقليلًا ما كن يسألن عن أشياء أو أحداث محيرة. وكنا قد اقتبسنا أسئلة "هيلين" عن الخادرة "الحشرة في الطور الذي يعقب اليرقانة"؛ وسألنا "لين" سلسلة متتابعة من الأسئلة حول إحدى نُمى التلفزيون المتحركة "كالتى يحركونها في مسرح العرائس":

الطفلة: كيف يجعلونها تتكلم؟

الأم: هم فقط الذين يتكلمون ... والرجل يتكلم بصوت مضحك.

الطفلة: هل هو داخل الدمية؟

الأم: لا، إنه يضع يده بداخلها، ثم يجعل الدمية تتحرك، ثم يتكلم بعد ذلك.

الطفلة: ماذا؟

الأم: يتكلم، ويبدو لك ولغيرك كما لو كانت الدمية هي التي تتكلم.

وعلى أى حال، كانت الطفلات تملن إلى أن تسألن قدرا أقل من الأسئلة في أثناء مشاهدة التلفزيون عما كن يسألن في أثناء سماعهن للقصّة. أما أمهاتهن، على الجانب الآخر، فكن يتجهن لطرح عددا أكبر من الأسئلة على طفلاتهن. وكانت الأمهات يشرن للنقاط ذات الأهمية، وينطقن بأسماء الحروف الأبجدية، ويسألن الطفلات عما كن يشاهدنه، أو تذكرهن بأشياء موازية مرت عليهن في تجاربهن السابقة، "لقد شاهدنا أحصنة مثل ذلك الحصان في الحديقة العامة مع والدك، هل تذكرين؟" وكانت أمهات الطبقة المتوسطة، على وجه الخصوص، تغذين طفلاتهن بالكثير من المعلومات

العامة المناسبة لما تشاهده البنات على الشاشة، وذلك فى الأوقات التى كن يشاهدن فيها التلفزيون معهن، وذلك إما لتوسيع مداركهن عن البرنامج المعروف أو ليردوا على أسئلتهن. واحتارت "بيث" عند الإشارة فى البرنامج لعيد ميلاد ملكة إنجلترا:

الطفلة: لكن هذا ليس عيد ميلاد ملكتنا، لأنها احتفلت به، أليس كذلك؟

الأم: حسنا، هذا هو عيد ميلادها الرسمى، تذكيرين، كان والدك يخبرك عنه. عندما يكون عندهم أشياء من هذا القبيل".

ورغم ذلك، كانت الطفلات يشاهدن التلفزيون معظم الوقت من تلقاء أنفسهن ودون طلب مساعدة من أحد. وبدون دراسة خاصة، ومن المستحيل معرفة ما كانت الطفلات يتعلمنه فى تلك الأوقات. وأحيانا كانت أمهاتهن تحاولن اكتشاف ذلك، لكن حتى أكثر البنات وضوحا وبيانا ونطقا للألفاظ كانت تقدم إجابات غير مرضية. وقد يرجع ذلك لصعوبة قيامهن برواية ما شاهدنه، أو أنهن لم يخترن خوض غمار ذلك، ولكن غالبا ما كان يبدو أنهن لم يكن قد استوعبن ما شاهدنه. كانت "مارى" تشاهد التلفزيون بينما كانت أمها تعد العشاء، فسألتها أمها:

الأم: ماذا فعلوا فى بيكين (اسم البرنامج)؟

الطفلة: هم، فعلوا موسيقى، و "هارتلى" فعل...

الأم: كانوا يغنون؟

الطفلة: (بتردد) نعم.

الأم: ماذا كان اسم السلحفاة؟

الطفلة: كان اسمها مجرد سلحفاة.

الأم: (بتردد) نعم. رأيتها تغنى فى الدقائق القليلة الأخيرة. ماذا عن

"جرانى بيكين"، ماذا فعلوا هناك؟

الطفلة: لا أدري، أعتقد أنهم صنعوا فطيرة.  
الأم: أعتقد أنهم صنعوا مرقاً، هل صنعوا يخنة "طعام مطهو بالغلى  
البطيء"، أو شربة أو شيء ما؟  
الطفلة: لا أعرف، أنا فقط لا أعرف.  
الأم: ماذا وضعوا فيه؟  
الطفلة: أشياء.  
الأم: أوه هل فعلوا ذلك حقاً؟  
الطفلة: لا أعرف أى شيء آخر.

وسواء شاهدت أمهاتهن التلفزيون معهن أم لا، بدا أنه من المحتمل أن  
العرض المنتظم لبرامج الأطفال ساعدهن على اكتساب فكرة ما عن الزمن  
بالساعة، وأيام الأسبوع. وتلك مفاهيم يجدها من بلغت أعمارهم أربع سنوات  
من الأمور الصعبة، لكنهم يبدؤون بالإمساك بتلابيبها. وكثيراً ما كانت  
الطفلات تسألن عن موعد عرض برنامج مفضل لديهن. وتوضح المحادثة  
التالية مع "بيت" أن أكثر البنات تطورا فى الكلام الشفهى كونت بالفعل  
بعض المفاهيم فى هذا المجال، الذى نعترف بأنه ما زال غير واضح:

الأم: ما اليوم الذى نحن فيه؟ (مشيرة لبرنامج الأطفال الذى يُعرض  
اليوم)

الطفلة: يوم الخميس، يُعرض برنامج "فى المدينة".

الأم: آه، لكن اليوم هو الأربعاء، أليس كذلك؟

الطفلة: إنه برنامج "مارى، ومنجو، وميدج" فى يوم الخميس.

الأم: نعم، لكن اليوم ليس يوم الخميس، إننا الآن فى يوم الأربعاء، كما  
أعتقد، أليس كذلك؟ نعم.

الطفلة: يمكننى أن أسمع، يمكننى أن أسمع مارى، ومنجو، وميدج.

وساعد انتظام مواعيد برامج الأطفال فى التليفزيون أيضا على تنظيم حياتهن فى قالب روتينى متكرر. فكان بعض منهن يشاهدن برامج الأطفال فى الوقت الذى كانت أمهاتهن فيه إما تقمن بإعداد الغداء أو تزيين بقاياها بعد تناوله؛ وكانوا دائما يرسلون "مارى" للعب فى غرفتها بطريقتها الخاصة بعد الغداء، ثم يستدعونها للنزول لمشاهدة برنامج الساعة الواحدة والنصف؛ وكان موعد درس القراءة بالنسبة للطفلة "روث" بعد نهاية هذا البرنامج. وربما ساعدت الروتينيّات من هذا النوع الطفلات فى تسهيل عملية التنبؤ بأيام الأسبوع، وقد تكون بعض الأمهات قد استخدمنها كأحد وسائل إدارة أعمال البيت.

### المنازعات

كثيرا ما يشير الأساتذة المتخصصون المتشككون فى القدر الذى يتعلمه أطفال الطبقة العاملة فى البيت إلى الخلافات والمنازعات التى لا نهاية لها التى يعتقدون أنها من سمات تلك العائلات. وفى دراستنا وجدنا نزعة لعائلات الطبقة العاملة بأن يكون بينهم إما عدد كبير من الخلافات والنزاعات أو تكاد تختفى هذه النزاعات فيما بينهم تماما.

وعرفنا النزاع بأنه يحدث عندما كانت الأم أو الطفلة تطلب طلبا من الأخرى فترفضه، ثم تقوم صاحبة الطلب بالتراجع عن مطلبها. ومعنى ذلك أن النزاع كان يستمر لثلاثة أدوار من الكلام على أقل تقدير. وفى العائلات الأربعة التى فاقت جميع العائلات فى كثرة نزاعاتها، كانت ما بين ٣٠٪ و ٥٠٪ من المحادثات التى دارت بين الأم وطفلتها تشتمل على نزاع واحد على الأقل. وعلى الجانب الآخر، اشتملت نسبة أقل من ٥٪ من خمس محادثات تمت مع عائلات الطبقة العاملة على منازعات. وفى المقابل، كان للغالبية العظمى من عائلات الطبقة المتوسطة (اثنا عشر من خمسة عشر عائلة) معدل نزاعات ما بين ١٠٪ و ١٥٪، ولم تكن لأى عائلة من عائلات الطبقة المتوسطة معدل نزاعات يتعدى ١٩٪.

كيف كانت بعض الأمهات تتحاشين المنازعات؟ كان انطباعنا أنه في معظم العائلات التي قلت فيها نسبة النزاعات، كانت الأمهات يبادرن برسم مخطط لحياة الطفلات لفترة ما بعد الظهر. وكان يتجهن لإعلان نيتهن واقتراح أنشطة تقوم بها كل طفلة فيما يأتي من الوقت بحيث يتبع كل نشاط منهم النشاط الذي يليه دون ثغرة أو توقف. ولكن لم تكن كل العائلات التي خلت من المنازعات من هذا النوع. كانت بعض الأمهات أكثر سلبية بكثير، وبدا أنهن يتجنبن النزاعات بالنزول على طلبات طفلاتهن عن طيب خاطر. أما في العائلات المتنازعة، فكانت الأمهات عموما يرفضن طلبات الطفلات وقلما كن يقدمن لهن اقتراح بأى نشاط يقمن به، أو يعلن مقاصدهن مقدما. وكانت أمام الطفلات بالتالي فترات طويلة لا يقمن فيها إلا بنشاط قليل، فلا يبقى أمامهن إلا الجدل.

ومع ذلك، أصابتنا دهشة شديدة لمدى ما كانت النزاعات تقدمه من مواقف تعليمية. ففي ٦٨٪ من المنازعات التي حدثت في عائلات الطبقة المتوسطة، و٥٧٪ من المنازعات التي حدثت في عائلات الطبقة العاملة، كانت الأمهات تقدمن إن أجلا أم عاجلا تفسيرا لطلباتهن أو لرفضهن لطلبات طفلاتهن. وكانت جميع الأمهات، فيما عدا من لم يحدث عندهن خلافات أو كانت النزاعات شبه معدومة، تقدم بعض التبريرات لطلباتهن أو لرفض طلبات بناتهن. وسوف نوضح الإمكانيات التعليمية لمنزل ملء بالمنازعات في الباب السابع. وهناك مثال آخر نقدمه في الباب الخامس لأم تقدم لطفلتها قدرا كبيرا من المعلومات العامة خلال نزاع حول شراب الورد البرى.

في النزاع التالي كانت "كيللي"، التي كانت تتشاحن باستمرار مع أمها، في نهاية حالة استقبال لمجموعة متنوعة من المعلومات. وقد تراوحت تلك المعلومات ما بين مناقشة ذات أبعاد مختلفة لنفاذ البصيرة في العلاقة بين والديها، وبين النصائح المختصة بالطرق التي تتعامل بها مع أبنائها طلبا للمساعدة. كان لدراجة "كيللي" جهاز لحفظ توازنها. وكانت قد أعارتها لأولاد



أكبر منها سنا فى عمارتهم السكنية، وانكسرت الدراجة نتيجة لذلك، وأصبحت لا يمكن أن تصلح للركوب من تلقاء نفسها، أى كان لابد من إصلاحها:

الطفلة: إنها غير ثابتة. إنها ما زالت تميل وتتقلب. ثبتها لى.  
الأم: (متضايقَة) حسنا، أنت تسمحين للأولاد الكبار بقيادتها، أليس كذلك؟

الطفلة: إنها مكسورة. (وتتوح)  
الأم: (غاضبة) استمرى، لن يضرك هذا شيئا. يا إلهى إنك تجعلينى أفقد صوابى. تسمحين لهم بقيادتها. ماذا تتوقعين إذن؟ إنها تتكسر وبابا يقول إنه لن يصلحها ثانية. وأنا لن استمر فى دفع ثمن التصليح لك يا كىلى. أقول لك لا تدعى الأولاد الكبار يركبونها ، وأنت ماذا تفعلين؟

الطفلة: "جوان" (أحد صديقاتها) فعلتها.

الأم: "جوان" ليست كبيرة أكثر من اللازم. لكن "كولين" و"ديفيد" كبيران أكثر من اللازم، وهما أطول بكثير عما ينبغى أن يكون عليه راكب دراجتك وهما يكسران أجهزة حفظ التوازن المركبة عليها. والآن عليك أن تطلبى من أبيك إصلاحها الليلة. وأراهنك أنه حانق عليك. اطلبى منه، فلن أطلب منه أنا. لقد فعلت ذلك بالأمس. عليك أن تكونى طيبة معه الليلة وقد يصلحها لك.

الطفلة: (وهي ترى أختها الصغرى فوق دراجة أخرى) يا أمى، دعينى أخذها لفة. (وتستمر المشاحنة)

ونحن هنا لا نقدم اقتراحا بوجوب تشجيع النزاعات العائلية؛ لقد كانت أكثر الأمهات ميلا للنزاع سريعات الغضب والانفعال، وربما كن مكتئبات

إلى حد ما. إن النقطة التي نود الإشارة إليها أن المنازعات هي إحدى المواقف العائلية اليومية التي يكون للأُم فيها نية للتعليم، إنها تريد أن تبرز نفسها، أو توضح للطفلة ما تتضمنه أفعال ابنتها من معان. لذا فإن هناك مساهمات كبيرة للمنازعات في التعليم، لاسيما التعليم في النواحي الاجتماعية.

### الكتابة للجدّة، ومهام أخرى تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الموقف

رأينا في الباب الثالث أن بعض الأمهات كن يُعلمن الكتابة كحصّة مدرسية. ومع ذلك فإن أمهات أخريات كن يشجعن طفلاتهن على الكتابة باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل. ولكي نستخدم اصطلاحاً اشتهر وبرز في الأونة الأخيرة في مجال علم النفس التطويري، نقول إن الأمهات أقحمن الكتابة في نشاط ذي هدف أو معنى بدلاً من تعليمها خارج أي موقف أو مضمون. وهكذا، كانت بعض الأمهات تشجعن طفلاتهن على عمل بطاقات لعيد الميلاد وكتابتها، وشجع البعض الآخر طفلاتهن على كتابة خطابات.

اقترحت والدة "كاثي" على الغداء ما يلي، "سنكتب رسالة لجدتكم بعد تناول الغداء، موافقة؟ إنها تود ذلك". وقرب انتهاء الوجبة قالت "دعينا نفكر ما الذي سنقوله لجدتك". وانتهى الغداء فذهبت وأحضرت عدداً من ورق الكتابة:

الأم: والآن، سأكتب، ماذا ستقولين لجدتك؟

الطفلة: جدتي العزيزة، أتمنى أن تكوني، بخير،... (تتردد)... لك كل الحب من "كاثي".

الأم: أتمنى (تكتب "أتمنى").

الطفلة: أتمنى.

الأم: أن تكوني (وتكتب "أن تكوني").

الطفلة: أن تكوني.

الأم: بلغى جدى جيبى له.

الطفلة: له الحب من "كاثى"... قبلة، قبلة، قبلة.

كان تعود "كاثى" على كتابة الرسائل واضحا من الرسالة الكلامية التى أملتها على أمها. وتظهر ملاحظاتها التالية أن لديها معرفة جيدة بالطريقة الروتينية لكتابة الرسائل عامة:

الطفلة: مامى، أليس عليك أن... أليس عليك أن تضعى العنوان،  
يا أمى؟

الأم: نعم.

الطفلة: أنا عندى ظرف.

الأم: عندك ظرف، حسنا.

وكان من الواضح أنه ليس من النادر أن تكتب والدة "كاثى" بناء على ما يُملى عليها ثم تجعل كاثى تنقل ما كتبتّه، لأنها قالت، وبدون أى إشارة مرجعية واضحة لهذه الخطوة:

الأم: هل سنكتب فى الحديقة؟ أم هل سنكتب هنا بالداخل؟

الطفلة: نكتب فى الخيمة فى الخارج.

وخرجت كلتاها إلى الحديقة، وكانت كل منهما تحمل نوتة أوراق، ودخلت "كاثى" زاحفة إلى خيمتها، ثم سألت:

الطفلة: لكن ما الذى أسند عليه لأكتب؟

الأم: خذى هذا... (وهى تعطيها كتاب)

وبعد ذلك أعطتها أمها نوتة أوراقها لتتقل الرسالة منها:

الأم: انقلى هذا، واسندى على ذلك الكتاب، تمام؟

الطفلة: ماذا أنقل؟

الأم: انقلي "جدتى وجدى العزيزين".

الطفلة: نعم... شكرا لك.

وجلست أمها فى الحديقة، وأخذت تقرأ فى الجريدة، بينما نقلت "كائى"  
"جدتى العزيزة":

الطفلة: مامى، انظرى.

الأم: "جدتى العزيزة"، يا حبيبتى، "و" جيد جدا، هل ستضيفين الآن  
"جدى"؟

الطفلة: لا اكتبى أنت "جدى".

الأم: اكتبى أنت "جدى" ثم سأريك كيف تكتبين الجزء التالى.

الطفلة: حرف... "الديم" (وتنطقه بشكل غير صحيح) ... هو أول  
حرف فى جدى؟.

الأم: الجيم هو الحرف الأول لكلمة جدى، الجيم.

الطفلة: ما هى الجيم؟

الأم: الجيم هو الحرف الأول لكلمة جدى مثل الجيم التى كتبتها كأول  
حرف فى كلمة "جدتى"

الطفلة: تقصدين أحد هذه الحروف (وتشير إلى الجيم)

الأم: نعم... حرف جيم كبير ولطيف... وبعد ذلك أنت لست فى حاجة  
لتكملة الكلمة، لك أن تكفى بضمير الملكية "ى" الذى فى نهاية  
الكلمة.

واستمرت المناقشة، واستغرقت حلقة كتابة الرسالة بأكملها أكثر من

عشر دقائق. وواضح أن كاثي التي احتفلت منذ أيام قليلة بعيد ميلادها الرابع كان لديها فهم جيد بأساسيات الكتابة والقراءة، أن النص المكتوب ينقل رسالة ما، وأنها تتألف من كلمات منفصلة تقابل الكلمات المنطوقة، وأن تلك الكلمات تتكون من حروف، وأن النص المكتوب يُقرأ في اللغة الإنجليزية من اليسار إلى اليمين.

وكان القدر الكبير من طريقة التعليم الرسمية يتم بطريقة كثيرًا ما يغلب عليها طابع الصدفة. وكان عد الأرقام هو أكثر نشاط الرياضيات شيوعاً. وكانت بيئة ما يحتويه البيت تقدم كثيرًا من المواقف الطبيعية لتعليم العد. فكانت الأمهات تعد السكاكين وهن يُعدنّ المواد للأكُل، وتعد بنود قائمة المشتريات، وتطلبن من طفلتهن عد الأفراد الذين سيتناولون الشاي، أو عد النقانق التي وضعتها في كل طبق. وواضح أن الطفلات كن يتمتعن بالعد، وكثيراً ما كن يبادرن به من تلقاء أنفسهن. كما أن هذا العد كان عادة يحدث في مواقف ذات معنى وهدف، مثل عد العملات المعدنية في حصاله الطفلة مع ملاحظة أن مهارتهن كانت لا تزال في بداياتها. إن أحد أهم المهارات الأساسية في عد الأرقام هو أن تعرف تسلسل الأرقام عن ظهر قلب، ولكن عددا كبيرا من الطفلات كن يرتكبن أخطاء في بداية تعلمهن للعد، فمثلا قالت إحداهن، "واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة عشر". ومع ذلك، كانت المشكلة الكبرى بالنسبة لهن هي التتابق والتشابه التام، بمعنى عد الأشياء بالشكل الصحيح، دون عد الرقم مرتين أو نسيان رقم.

وكانت بعض المعلمات تُعلمن طفلتهن مهارات عددية متقدمة. ورأت والدة سوزان أن أغنية أطفال تقليدية عن الأعداد مناسبة وموقف جيد لتعليم عملية الطرح. وكانت تغني مع سوزان أشعاراً من مدرسة الحضانه. وكانت تتوقف عن الغناء في جزء من الأغنية التي كانت تصف نقصاً متواصلاً في عدد الفطائر في أحد المخازن بشراء الناس لها لتعلمها عملية الطرح بطريقة أكثر وضوحاً:

الأم: لو كان معك ثلاث فطائر محشوة بالزبيب فى المخبز (وترفع ثلاثة أصابع)، ثم أخذت أنا واحدة منهن (وتثنى إصبعًا منهما لأسفل) فكم فطيرة تبقى معك؟

الطفلة: (تغنى) "ثلاث فطائر محشوة بالزبيب فى المخبز"

الأم: كم يتبقى إذا أخذت أنا واحدة من الثلاث بعيدا (وترفع ثلاثة أصابع ثم تثنى أحدهما لأسفل)؟ الطفلة: اثنتان.

الأم: صح.

الطفلة: " ثلاثة... (وتبدأ تغنى)

الأم: لا. فطيرتان محشوتان بالزبيب فى المخبز.

وهنا تأخذ "سوزان"، التى يبدو أنها لقطت المبدأ التعليمى، دور المدرسة وتبدأ فى تعليم أمها:

الطفلة: "فطيرتان محشوتان بالزبيب فى المخبز، وهما مستديرتان وسميكتان ومرشوشاً عليهما سكر. وفى أحد الأيام يأتى ولد ومعه قرشا (وتوقف عن الغناء). ارفعى يدك لأعلى بإصبعين. (الأم تفعل ذلك) وفى أحد الأيام يأتى ولد ومعه قرشا (وتثنى أحد أصابع أمها لأسفل).

الأم: كم فطيرة تبقى الآن؟

الطفلة: (تغنى) "فطيرة واحدة محشوة بالزبيب فى الفرن" (وتتوقف عن الغناء) أبعدى إصبعك... (الأم ترفع إصبعها واحدا) "ويأتى ولد... ويأخذها" فلا يبقى شىء.

الأم: لم تبقى أى فطيرة الآن.

واضح أن سوزان استمتعت بإتقانها لهذا العمل، وقدمت اقتراحا:

الطفلة: هل سنلعب، هل سنلعب، هل سنلعب ثلاث فطائر محشوة  
بالزبيب فى المخبز مرة أخرى؟  
الأم: إذا أردت ذلك.

الطفلة: عليك برفع ثلاثة أصابع لأعلى (وترفع كل أصابعها الخمسة).  
الأم: هذا أكثر من ثلاثة. كم عددهما؟  
الطفلة: لا أعرف.

الأم: عدّهم.

الطفلة: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية (وتبدأ  
فى عد أصابعها بالشكل الصحيح، لكنها تخطئ فتصرخ ضاحكة).  
الأم: لا تكونى سخيفة.

وعند هذا الحد، أصبح من الواضح أن سوزان لم تكن متمكنة من  
معرفة الأعداد بالقدر الكافى الذى يجعلها تتقن الدرس بالشكل الكامل، وعادت  
ببساطة لتغنى الأغنية. ووجدنا أن طفلات أخريات إلى جانب سوزان كن  
يقين أنفسهن من أى اتجاه من جانب أمهاتهن لممارسة ضغط زائد عليهن،  
وذلك بتغيير الموضوع أو بأن يصبحن "سخيفات" عندما تُفرض عليهن  
طلبات غاية فى الصعوبة بالنسبة لهن.

ونظهر فى الباب التالى كيف حاولت والدة "دونا" أن تعلمها الجمع فيما  
يتعلق بعدد الكعكات المطلوبة مع الشاى.

وكانت كل الأمهات تستخدمن مفاهيم الحجم والشكل (مثلا: كبير/  
صغير، أكثر/ أقل، أكبر من / أصغر من، مربع / مستدير) فى كثير من  
الأوقات وبشكل عرضى. وكانت المحادثات حول الحجم النسبى شائعة جدا  
هى الأخرى. قاست "جون"، على سبيل المثال، معطفا قديما، وأشارت أمها  
إلى أنه كان صغيرا أكثر من اللازم، إذ إنها كانت قد أصبحت سمينة أكثر

من اللازم. وناقشت "إيريكاً" وأمها باستفاضة أى ألعاب الأطفال يمكن تركيبها فى كرسى الألعاب الخاص بها و الذى يُدفع باليد:

الأم: إن رجلي "جين" أطول من اللازم، أليس كذلك؟ وماذا عن "تومى" (تمثال لجندى بريطانى)؟ إنه يمكن تركيبه بشكل جيد فى الكرسى، أليس كذلك؟

الطفلة: و"تيدى" (لعبة على هيئة دب). والدب الآخر.

الأم: لست أدرى ما إذا كان ثلاثتهما يمكن تركيبهما فى الكرسى أم لا. الطفلة: فهمت.

وهناك محادثة أخرى مماثلة اقتبسناها فى الباب السادس، كانت الأم فيها تتعمد تعليم طفلتها كلمات رياضية بين الحين والحين. كانت والدة "سوزان" تُخرج الملاعق من أجل حفلة شاي لبعض الدمي:

الطفلة: أخرجى ملاعق أكثر بقليل.

الأم: ملاعق أكثر بقليل؟

الطفلة: نعم.

الأم: أكثر بعدد صغير من الملاعق.

**تعليم دور الجنس (الذكر أو الأنثى)**

كان من الصعب فى أغلب الأحيان أن نحدد ما مقدار التعليم فى البيت الذى كان نتيجة نية متعمدة من جانب الأم. كانت القيم والاتجاهات تنتقل للطفلات بشكل صريح تارة وبشكل ضمني تارة أخرى. ونحن لم نقم بأى تحليل نظامى لتعليم أدوار الجنس، لكن كانت هناك محادثات كثيرة كانت تنتقل فيها وجهات نظر الأمهات فى هذا الموضوع للطفلات إما بشكل واضح وصريح أو بشكل ضمني. وعلى سبيل المثال، كانت أولويات والدة "دونا"



لتقسيم وقتها وموضوع تكثر مناقشته. وكانت الطفلة يُوضح لها عادة كما فى المحادثة التالية مع "دونا" أن العمل المنزلى يسبق اللعب مع الطفلة وأهم منه:  
الأم: أمامى غسيل أقوم به، وكى ملابس أقوم به، وكنس للبيت أقوم به...  
الطفلة: نعم؟

الأم: حسنا، إن ذلك يستغرق وقتا طويلا.

الطفلة: ثم تكونى قد انتهيت من كل شىء؟

الأم: نعم.

الطفل: أنا لا أريدك أن تقومى بالكنس والغسل.

الأم: آسفة، إن من واجبى القيام بذلك كله.

وكانت الطريقة التى يتم بها تقاسم الأدوار بين الأمهات والآباء تتقل للطفلات بأشكال رقيقة ودقيقة. وكان الآباء يتم تصويرهم بطريقة ضمنية على أنهم أشخاص قوامون ولهم نفوذهم. وعادة ما كان يُنظر لهذه القوامة على أنها شىء يفيد الأسرة. تعلمت الطفلات أن الأمهات والأطفال يعتمدون على الآباء فى قيادة المركبات (كانت القليل من الأمهات فقط هن اللاتى يستطعن قيادة السيارة، أو كان لهن الحق فى استخدامها) وفى الحصول على المال وفى المهارات الآلية والحرفية. ("أوه، لقد كسرتها. سيكون على أبيك إصلاحها"). وتعلمن أيضا أن من بين الأدوار المهمة للنساء هى تقديم الخدمات الخاصة بالأعمال المنزلية للرجال (جدتك ذاهبة للتسوق. ذاهبة لتحضر لجدك بعض المأكولات للغداء؛ "على أن أتأكد من أن هناك قميصا نظيفا لوالدك").

وكانت قوامة الآباء تُصور أحيانا على أنه لها إمكانية التهديد مثلما أنها إيجابية. وكما رأينا من قبل عندما انكسرت دراجة "كيللى"، قالت لها أمها،

"الآن عليك أن تطلبى من أبيك أن يصلحها لك الليلة. أراهنك أنه حانق عليك. اطلبى أنت منه ذلك. أنا لن أطلب منه. لقد طلبت منه إصلاحها بالأمس. عليك أن تكونى طيبة معه الليلة، وربما يصلحها لك". وقطعت والدة "آن" صفحة لها من دفتر أوراق لتكتب عليها، وعلقت على ذلك قائلة، "من الأفضل لك ألا تخبرى أباك أنى أعطيتك قطعة ورق من دفتر أوراقه". كانت تلك الأمهات تتقلن لبناتهن فهما واقعيًا للعلاقات فى عائلاتهن وتوزيع وتقسيم دور الجنس داخل نطاقها. وفى بعض الحالات، كانت الأمهات تقمن هذه الاتجاهات لدرجة أنهن كن يتضايقن لو حتى تم اقتراح دور تمثيلى أو غير حقيقى للجنس؛ كما فى حالة والدة "إلين":

الطفلة: قومى أنت بدور أمى، وسأقوم أنا بدور أبى.

الأم: أنت تقومين بدور أبىك؟ وهو كذلك... لا، ينبغى أن تكون البنات الصغار أمهات، وليس آباء. قومى أنت بدور الأم، وأنا سأقوم بدور العمّة.

الطفلة: نعم؟

الأم: دعينا ندعى أننا نلعب دور أبىك أثناء العمل. موافقة؟

ومع أننا ليس بين أيدينا دلائل كمية على ما نقوله، إلا أن انطباعنا هو أن تعليم دور الجنس كان يتم بشكل مكثف فى البيت، لاسيما فى بعض منازل الطبقة العاملة، عما كان يتم فى مدارس الحضانة.

### صفات مميزة خاصة للتعليم فى البيت

تذكرُ دراستنا أن التعليم فى البيت يحدث فى مواقف وظروف متعددة الأشكال، وأنه لا يوجد سبب واحد وجيه لاختيار موقف أو ظرف واحد منها، كموقف تبادل لعب الأدوار بين الأم والطفلة، على أنه له قيمته الخاصة مقارنة ببقية المواقف والظروف التعليمية. وفى مستهل دراستنا، حدث لدينا شك بأن النشاط المشترك من أى نوع بين الأم والطفلة يمكن أن يقدم أهم

الخبرات التعليمية، لكننا لم نجد أى دليل يدعم هذه الفكرة. وفى الحقيقة، وكما سنعرض فى الباب التالى، فإن أكثر المحادثات تحدياً من الناحية الفكرية والذهنية كانت تتم فى الغالب فى أثناء الوجبات الغذائية، أو عندما كانت الأم والطفلة لا تقومان بعمل شىء محدد، أو عندما كانت الطفلة تراقب أمها وهى تقوم بعمل شىء ما.

وما كان يبدو مهماً، فى الحقيقة، ليس الظرف أو المكان المحدد، وإنما رغبة الأم فى تعليم طفلتها، مقرونة بحب استطلاع الطفلة ورغبتها فى التعلم. وغالبا ما كانت الاعتبارات التعليمية، بالمعنى الأشمل لهذا الاصطلاح، من أولويات فكر الأمهات. لقد كن معلمات مخلصات فى أداء واجباتهن، ولديهن النية لتعليم طفلتهن ما كن يعتقدن أنه من المهم تعليمهن إياه. كانت موضوعات التعليم تتنوع وتختلف، بالطبع، من أسرة لأخرى. ومع ذلك، كان كل حدث تقريبا مهما بلغت ثقافته، يمكن أن يصبح مناسبة لتعليم الطفلة شىئا ما.

وهذا لا يعنى أن حياة البيوت تقدم تجارب وخبرات تعليمية غنية بشكل تلقائى. إن بعض الأمهات، لاسيما عندما يشتد شعورهن بالكآبة، أو بعض راعيات الأطفال اللاتي يرعين الأطفال فى بيوتهن، قد لا يكون لديهن سوى التزام ضئيل بالتعليم. وبالتوازي، فى بعض المواقف، قد لا تتجه الطفلات للكبار لمراقبتهم أو لإشباع غريزة حب الاستطلاع لديهن. ونعرض فى الباب الثامن أن هذه هى الحالة التى يغلب أن تحدث فى مدارس الحضانة.

وكان من بين المعالم الجديرة بالملاحظة للتعليم فى البيت المقدار الهائل من المعلومات العامة الذى كان يُقدم للطفلات، لاسيما فيما يتعلق بالأحداث اليومية العادية للعيش مع عائلة. كانت الطفلات تهتم على وجه الخصوص بالناس، ودوافعهم وأنشطتهم، وكان الكثير من المعلومات التى قدمتها الأمهات لهن يختص بالعالم الاجتماعى.

وفى الوقت الحاضر لا يعتبر علماء النفس أن تزويد الأطفال

بالمعلومات والمعارف العامة له أولوية أو أفضلية. وبدلاً من ذلك، فإنهم يرون أن المهمة التعليمية الأساسية خلال سنوات العمر التي تسبق دخول المدارس هي تعليم اللغة الأساسية ومهارات التفكير وتشجيع الأطفال على ذلك. وفي رأينا، هذا أمر غير صحيح. إن مشاكل التواصل مع الآخرين والمشاكل الكبرى المتعلقة بالتفكير للأطفال الصغار تظهر، ليس بسبب عدم القدرة على التفكير أو الإقناع أو المقارنة، لكن بسبب المعلومات الخاطئة، ونقص المعلومات، وعدم وجود أطر إدراك أو فهم مترابط منطقياً يقيسون عليه خبراتهم. وسوف يتطور الكلام حول هذه النقطة في الباب التالي.

إضافة لذلك، فإن إحاطة الأطفال علماً بالمعلومات المناسبة يمكن أن يزيد من ثقتهم بأنفسهم ومن شعورهم بالأمن. لقد اقتبسنا حتى الآن عدة محادثات بدا من خلالها أن قلق الطفلات خفت حدته إلى حد ما بمساعدتهن على زيادة فهمهن للأحداث. لقد كان للطفلة "بيث" قدر مذهل من المعلومات العامة بالنسبة لطفلة عمرها ثلاث سنوات وعشرة شهور. وفي مناسبة ما، قاطعت لعبة تمثيل أدوار خيالية مع معلمتها لتعلن:

الطفلة: هل تعرفين أن عمر طفلتى سنة واحدة الآن؟

المعلمة: ستأتى طفلتك إلى هنا عندما يكبر سنها.

الطفلة: ومع ذلك، ستذهب لجماعة ألعاب عندما تبلغ الثانية.

المعلمة: هل ستفعل ذلك حقاً؟

الطفلة: نعم. لأنك وأنت فى الثانية، تذهبين ل... عندما بلغت الثانية، ذهبت لجماعة ألعاب.

طفلة أخرى: كذلك فعلت أنا.

الطفلة: وهذا يظهر لك أن الناس تذهب لجماعة ألعاب عندما يصبح عمرهم سنتين.

المعلمة: لماذا يذهبون لجماعة ألعاب؟

الطفلة: لأنهم لا يكونوا فى عمر يسمح لهم بالذهاب للمدرسة.

المعلمة: فهمت. وكم كان عمرك عندما جئت إلى هنا إذن؟

الطفلة: ثلاث أو أربع سنوات.

المعلمة: ثلاثة أو أربعة. وماذا يحدث عندما تبلغين الخامسة من

عمرك؟

الطفلة: تذهبين.. عندما أبلغ الخامسة، فقط سوف ... سأذهب إلى...

أتوقع أنى لن أتى إلى هنا بعد ذلك.

المعلمة: أين ستكونين إذن؟

الطفلة: أكون؟ فى مدرسة مختلفة عن هذه، طبعاً.

المعلمة: هل تعرفين إلى أى مدرسة ستذهبين؟

الطفلة: مدرسة تقاطع طريق (اسم المدرسة الابتدائية المحلية للطفلة).

إن معرفة "بيت" بالمراحل المتعددة للتعليم الأولى، والسن الذى يحدث فيه الانتقال بين كل مرحلة والمرحلة التى تليها كانت أفضل من معرفة كثير من الكبار. وبدا من المحتمل أن تكون قدرتها على أن تضع ماضيها ومستقبلها فى نطاق النظام التعليمى بهذه الطريقة قد أعطتها ثقة إضافية للتحرك فى الحياة.

وكما رأينا، فإن هناك صفة مميزة خاصة أخرى للتعليم فى البيت وهى أنها عادة ما تحدث فى ظرف أو مضمون له معناه الكبير بالنسبة للطفلة. وبينما يبدو أن ذلك يغلب عليه تيسير العملية التعليمية، فهو يمثل أيضاً تقييداً يجب على الطفلة التغلب عليه فى النهاية. فالعدد، على سبيل المثال، يجب فصله فى المدرسة عن موقف ألعاب البطاقات أو الفطائر المحشوة بالزبيب إذا كان للطفلة أن تتقدم فى مادة الرياضيات. وسوف نتبع هذه النقطة

ونناقشها مرة أخرى في الباب الثامن، عندما نناقش أوجه الخلاف بين البيت والمدرسة.

### الخلاصة

أظهرنا في هذا الباب أن كثيرا من الأحداث اليومية في حياة الأسرة، على سبيل المثال: عمل قائمة للمشتريات، والإطلال من النافذة، وحتى التشاحن الذي يبعث على الضيق، يمكن أن تتضمن خبرات تعليمية للطفلات. وللأمهات على وجه الخصوص موقع جيد يلعبه من خلاله دورا تعليميا مهماً حيث إنهن يشاركن الطفلات عالمهن، الذي يمتد من الماضي إلى مستقبل كل منهن. ولم ينفرد موقف واحد باعتباره ذا قيمة متفردة للتعليم. لقد كانت رغبة الأم في تعليم ابنتها وتوضيح الأمور لها، إضافة لغريزة حب الاستطلاع عند الطفلة هما اللذان يخلقان إمكانية التعليم والقدرة على اكتسابه. ونحن نؤكد على أهمية القدر الكبير من المعارف والمعلومات العامة التي ينقلها البيت للطفلة لنموها الفكري ولزيادة شعورها بالأمن والثقة.



(٥)

## العقل المحير لمن هم في سن الرابعة

"ينشأ التعطش للفهم من أعمق احتياجات الطفل الوجدانية، وهو بالنسبة للطفل الذكي عاطفة هوى حقيقي".

سوزان إيزاك، في "الأطفال الذين نعلمهم"

كان اهتمامنا منصبا في البابين الأخيرين بما كانت الطفلات تتعلمنه في البيت، والمواقف والمناسبات التي كان التعليم يحدث من خلالها. وفي هذا الباب نركز أكثر على طريقة تفكير الطفلات، الطريقة التي يحاولن بها إدراك المراد من عالمهن، والمصاعب التي تواجههن. وهذه المسائل ليست فقط ذات أهمية حيوية، ولكن لها أيضا تأثيرها البالغ على أفضل الطرق التي يمكن للكبار مساعدة الأطفال من خلالها. ونثبت بالبراهين أن نموذج التعليم الذي يتمسك به علماء النفس والمعلمون في الوقت الراهن يقودهم للاستخفاف ليس فقط بقدرات الأطفال وطاقاتهم، ولكن أيضا بإمكانيات الكبار في مساعدتهم في نموهم الفكري.

ويظهر التعطش للفهم الذي كتبت عنه "سوزان إيزاك" بوضوح في وثائق دراستنا. وبالنسبة لطفلات أصغر بكثير من الطفلات اللاتي أجرينا دراستنا عليهن، يتم إشباع هذا التعطش أساسا باستكشاف البيئة الطبيعية وبتناول أشياء جديدة؛ وتشكو أمهاتهن من أنهن "يحسرن أنفسهن في كل شيء". ومع ذلك، فعند بلوغهن سن الثالثة أو الرابعة، يصبح الكثير من استكشافاتهن من خلال الكلمات. وتصبح الطفلة حينئذ كثيرة الطرح لأسئلة محيرة تماما، ومتلهفة على توسيع مداركها من خلال حوارها مع الكبار. ويشكو الآباء الآن من أن أطفالهم "لا يكفون مطلقا عن طرح الأسئلة". وطرح الأسئلة هو برهان إظهار للعقل المحير، وسوف نبدأ نقاشنا بوضع الأسئلة إلى طرحتها الطفلات في الاعتبار.



## أسئلة الأطفال

لقد كانت أسئلة الأطفال، لاسيما أسئلتهم السببية، موضع اهتمام الكثير من علماء النفس ورجال التربية والتعليم. وطبقا لما تراه "باياجيت"، فإن أسئلة الأطفال تكشف حدودهم الفكرية والذهنية. وكان الاعتقاد السائد أن الأطفال قبل سن السابعة أو الثامنة لا يكون لديهم فهم حقيقى للسببية، "أى العلاقة بين السبب والمسبب" أو المنطق؛ وإنما يكون لديهم نموذج "قبل السببى" عن العالم، يحدث فيه أى شىء بسبب نية أو قصد شخص ما فى حدوثه، أو لأنه "لابد من أن يكون كذلك". وهناك من علماء النفس الآخرين ومن أبرزهم سوزان وناثان إيزاك، من يعارضون هذا الرأى. لقد اعتبروا أسئلة الأطفال دلالة لذكاء نشط يحاول أن يدرك المراد من هذا العالم، وأنها البشير لحب الاستطلاع العلمى. وقد يميل الآباء، الذين أغضبهم بشدة على ما يبدو أسئلة أطفالهم التى لا تتوقف، ألا يأخذوا أمر هذه الأسئلة بهذه الدرجة من الجدية. وكثيرا ما يبدو أن أسئلة الأطفال فى الأساس شكل من أشكال السعى وراء جذب الانتباه، أو طريقة لجعل المحادثة تستمر، لاسيما أنه، وطبقا لما أظهرته عدة أبحاث، يندر أن يسأل الأطفال الصغار أسئلة سببية عن أطفال آخرين.

وفى دراستنا، وجدنا بالتأكيد أن الطفلات قمن بطرح عدد كبير من الأسئلة على أمهاتهن، بمعدل ستة وعشرين سؤالاً فى الساعة. واختلفت كل طفلة فى هذه الناحية اختلافا كبيرا. ففى خلال الساعتين ونصف الساعة التى كنا نقضيها فى بيت كل طفلة، سألت واحدة منهن ثمانية أسئلة فقط، بينما سألت طفلة أخرى مئة وخمسة وأربعين سؤالاً. وكانت الأسئلة من خلال كلام طفلات الطبقة المتوسطة ذات نسبة أعلى بقليل عنها فى كلام طفلات الطبقة العاملة.

وحيث إن طرح الأسئلة كان علامة بارزة بهذا القدر فى سلوك الطفلات، بدا أنه من المهم أن نحدد مدى أهميتها. هل كانت تلعب حقيقة

دورا مهمًا في حياة الأطفال الفكرية والذهنية، أم أن الأمر الأقرب للحقيقة هو أن الآباء الذين مروا بتجربتها تعاملوا معها على أنها مطالب تبعث على الضيق؟

لقد بدا أن أسئلة الطفلات تتبلور في ثلاثة مواضع محددة. في الموضوع أو السياق الأول، والذي أسميناه "عمل أو شغل"، كان الدافع للأسئلة حاجة الطفلة للقيام بعمل ما. وكان الكثير من تلك الأسئلة يستفسر عن مكان وجود شيء ما: "أين المصق؟". لقد تبلور حوالي ربع الأسئلة التي طُرحت في البيوت في هذا السياق. ورغم أن هذه الأسئلة كانت تحقق بجلاء مطلبًا مفيدًا، إلا أنها كما يبدو لم تؤدي إلا إلى مساهمة بسيطة في النمو الفكري للطفلات.

وفي الموضوع أو السياق الثاني، والذي أطلقنا عليه "تحديات"، كانت الأسئلة تنشأ من خلال نزاع عما يجب أن تفعله أو لا تفعله الأم أو الطفلة. وكانت تلك الأسئلة عادة تبدأ بأداة الاستفهام "لماذا" أو "لماذا يجب على أنا؟" ووصل عددها إلى عشرة بالمائة من كل الأسئلة التي طُرحت في البيوت. ويمكن أن يعتقد البعض أن الأسئلة من هذا النوع ليست أسئلة حقيقية، ولكنها طريقة لتحدي سيطرة الكبار. ومع أنه كثيرًا ما كان يبدو ذلك حقيقياً سواء بشكل جزئي أو بشكل كلي، إلا أنه، ومهما كانت دوافع الطفلة ل طرحها، كان لها نفس الإمكانيات التعليمية مثلها مثل الأسئلة الأصلية الحقيقية. وهذا لأنه كان أمراً غير عادي بالمرّة أن ترد الأمهات على مثل تلك الأسئلة بأن يقلن ببساطة، "لأنى أقول ذلك" - كان هذا هو الرد على سبعة فقط من بين ١٣٩ "تحدي" في البيوت. ولكنه في معظم الحالات، حتى لو حدث أن قامت الأم بالرد على الأسئلة، فقد كانت في النهاية تقدم نوعاً من أنواع التبرير أو التفسير.

وأحياناً كانت الطفلة، كما هو الحال في المحادثة التالية مع "مينا"، تستخلص قدراً كبيراً من المعلومات من أمها عن طريق سلسلة من التحديات:

١- الأم: ما نوع المشروب الذي تريدينه؟

- ٢- الطفلة: شربات الورد.
- ٣- الأم: أوه. لقد تناولت منه شرابا من لحظات.
- ٤- الطفلة: شربات الورد (بثبات).
- ٥- الأم: حسنا، سأعطيك منه مرة أخرى الآن، ولكن علينا أن نحفظ بالباقي منه إلى "تيسا"، اتفقنا؟ ("تيسا" هي أخت مينا الرضيعة)
- ٦- الطفلة: لماذا؟
- ٧- الأم: لأن تيسا لا يمكنها أن تشرب عصير البرتقال، أو أنواعا مما تستطيعين أنت أن تشربيها.
- ٨- الطفلة: لماذا لا يمكنها ذلك؟
- ٩- الأم: لأن كل تلك المشروبات تحوى سكرًا أكثر من اللازم بالنسبة لها. ومثل هذه المشروبات ضرر على الأطفال. إنها في الحقيقة ضرر على أى إنسان، لكننا لا نزال نشربها. عندما نذهب إلى "سانسيبرى" سنشتري مشروبًا لك وحدك.
- ١٠- الطفلة: لماذا؟
- ١١- الأم: حسنا، حينئذ سوف لا تضطرين إلى مواصلة شرب شربات الورد، أليس كذلك؟
- ١٢- الطفلة: سأشربه. (بتحد)
- ١٣- الأم: لا، يا "مينا" (بحزم)
- ١٤- الطفلة: لماذا؟
- ١٥- الأم: لأن شربات الورد يكلف الكثير من المال.
- ١٦- الطفلة: هل "تيسا" ستشربه كله؟

١٧- الأم: إن تيسا تشرب منه قدرا ضئيلا جدا، لذا يستمر عندنا وقتا طويلا، لكن إذا شربت أنت منه، فإنك تشربين زجاجة بأكملها في اليوم.

توضح هذه المحادثة نوع التفسيرات التي يمكن أن يستخلصها التحدى. كما تظهر أن الأسئلة السببية التي هي تحديات قد تحتوى أيضا على أحد عناصر حب الاستطلاع الحقيقي. بالتأكيد تبدأ "مينا" تلك السلسلة من الأسئلة بتحدى القرار الذى أصدرته أمها بما يمكنها أن تشربه، وتظهر ملاحظاتها فى الأدوار ١٢ و ١٦ من المحادثة أنها مازالت تشعر بالبعضاء تجاه أختها الصغيرة بسبب شربات الورد. ومع ذلك، فلا يمكن لنا إغفال احتمال كونها فضولية وتحب أن تتعرف على تبريرات أمها. وعلى أى حال فالنقطة الأساسية التى نود طرحها هى أنها مهما كان دافع "مينا" فإنها هنا يُعرض لها، ويبدو أنها تستوعب، قدرا كبيرا من المعلومات عن تغذية الأطفال الرضع وعن عادات تناول المشروبات، وعن تكاليف شربات الورد، وما إلى ذلك.

لقد تدربت والدة "مينا" لأن تصبح معلمة، ويمكن أن تعتبر رغبتها واستعدادها لتبرير قراراتها أخيرا أمرا يبشر بالخير بالنسبة لمستقبلها كمعلمة. وعلى أى حال، كانت المحادثة التالية للطفلة "دونا" نموذجا لما يمكن أن تسمعه فى بيوت الطبقة المتوسطة:

الطفلة: (وهى تعترض على قول أمها بأنها ليس لديها وقتا لتلعب معها) لماذا؟ لماذا تضطرين للقيام بالغسيل الآن؟

الأم: حسنا، أنا لم أقم بأى غسيل أمس. لقد خرجنا وزهينا لمنزل "نانا" بالأمس، أليس كذلك؟

إن والدة "دونا" تنقل فى جملتين قصيرتين لابنتها أنه لايد من القيام بالغسيل مرة واحدة على الأقل كل يومين (فهناك طفلة رضية فى الأسرة)، وأنها لايد من أن تعطى الغسيل أولوية على اللعب. إضافة لذلك، فإنها تذكر

الطفلة بما حدث فى اليوم السابق، وتشير لها أن ما حدث له تأثيره على أنشطة اليوم.

فى كلتا هاتين المحادثتين، أدى رفض الطفلتين، الذى يبعث بلا شك على الضيق، بأن يضرب القرار المبدئى لأمهاتهن بطلباتهن عرض الحائط، إلى توسع فى أفق فهم ومدارك كل منهما. ولهذا السبب، قد يكون "التحديات" أهمية تعليمية أعظم بكثير من بعض تلك الأسئلة التى تم طرحها فى السياق الثالث الذى وضعناه فى الاعتبار، تلك الأسئلة التى يبدو أن الدافع لها كان فى الأساس هو حب الاستطلاع. ولقد كان حوالى ثلثى جميع الأسئلة التى طُرحت فى البيوت من هذا النوع، فمثلاً، "أين الطفلة الرضيعة؟" و"ما هذا؟" و"كيف تفعلين ذلك؟" و"لماذا تصعدين للدور العلوى؟" و"لماذا تذهب هى للبيت؟" و"لماذا هو منزل لكبار السن من السيدات؟" إن بعض الأسئلة المتعلقة بحب الاستطلاع، كما فى السؤال الأول من هذه الأمثلة، طلبات مباشرة للحصول على معلومات عن أشياء عادية، التى تكون الإجابة عنها واحدة من عدة بدائل معروفة. وهذا النوع من الأسئلة المتعلقة بحب الاستطلاع له وضع ومكانة مشابهة جداً للسؤال الخاص بـ"العمل أو الشغل"، وربما تكون أهميته فى التطوير أقل من أهمية الأسئلة ذات طابع "التحدى". وهناك أسئلة أخرى، كالسؤال الثانى - "ما هذا؟" - قد تُطرح حول شىء جديد، ويمكن أن تؤدى إلى أن يعرف الطفل مادة جديدة للتوضيح أو للتعريف، وقد يكون بها معلومات إضافية. ("منظار الأوبرا ثنائى العينين. نستطيع أن ننظر للطيور فى الحديقة من خلاله، فتبدو الطيور أكبر بكثير.")

وهناك الأسئلة التى تبدأ بأداة الاستفهام "كيف" والأسئلة التى تبدأ بالأداة "لماذا؟"، مثل المثالين الثالث والرابع، وهما مهمين للغاية لأنهما قد تؤدى إلى تشجيع وزيادة إدراك الطفل بالتقنيات والعمليات "أو الإجراءات" والدوافع. وفى الحقيقة كانت القليلات جداً من بناتنا هن اللاتى سألن أسئلة تبدأ بأداة الاستفهام "كيف". وكما أشارت "باياجيت" يغلب على الطفلات

الصغيرات أكثر أن يسألن أسئلة سببية عن الدوافع والمقاصد. وفي دراستنا، كان الكثير من أسئلتهن لأمهاتهن تدور حول مثل تلك المسائل (مثلاً، الطفلة: "لماذا تصعدين إلى الدور العلوى يا أمى؟" فترد الأم، "لقد حان الوقت لإيقاظ الطفلة الرضيعة").

وإذا كانت الأسئلة المرتبطة بحب الاستطلاع تدعم معرفة الطفلة بحقيقة الأشياء، فلقد علّقنا نحن أهمية استثنائية لنوع خاص من أسئلة حب الاستطلاع، والتي أسميناها "الأسئلة المُتَحيرة". وكان الباعث على تلك الأسئلة حيرة الطفلة وارتباكها عند مواجهتها لحقائق و أحداث بدأ أنها لاتنسجم ولا تتفق مع معارفها وتجاربها السابقة. "لماذا تذهب هى للبيت؟" "لماذا هو بيت لكبار السن من السيدات؟" كانت تلك أنماط من هذا النوع من الأسئلة. كان الباعث على طرح السؤال الأول هو مغادرة إحدى المعلمات للمدرسة بشكل غير معتاد فى منتصف الفترة الدراسية الصباحية، وكان الباعث على السؤال الثانى ملحوظة الأم بأن سيدة هرمة كانوا يعرفونها ذهبت لتعيش فى بيت مخصص لكبار السن. وهذا السؤال الثانى يوحى بأن الطفلة كانت تدرك أن الناس عادة يعيشون فى جماعات أسرية، وأنها ارتبكت وشعرت بالحيرة بسبب الشيء الشاذ الذى طرأ عليها. وكما أشارت "تاتان إيزاك"، إن الصدام بين قاعدة مألوقة وحقيقة مضادة لها هو الذى أوصل العلماء لاكتشافاتهم الكبرى. ويحب معظم رجال التربية تشجيع الأطفال على طرح أسئلة من هذا النوع والحث عليها.

وشكلت الأسئلة السببية حوالى ربع الأسئلة التى طرحت فى البيوت. وتم طرح نصفها فى نطاق حب الاستطلاع، والنصف الآخر خلال مجادلات بين الأم والطفلة. وحاولنا أن نحلل بشكل منفصل الأسئلة السببية، التى كان الباعث عليها فيما يبدو الحيرة بسبب ظهور شيء غير معتاد بين الأشياء الأقل أهمية من الناحية الفكرية، لكن أثبتت هذه المهمة أنها مستحيلة. وكثيراً ما كان هناك شك كبير فى الباعث الذى دفع الطفلة إلى طرح السؤال، وكانت

الأسئلة "المتحيرة" على نحو غير غامض نادرة. والأكثر من هذا، لم تبدأ كل الأسئلة "المتحيرة" بأداة الاستفهام السببية، "لماذا؟". وسوف نرى في هذا الباب فيما بعد محادثات تبدو الطفلة فيها مرتبكة ومتحيرة بالتأكيد، لكنها لا تعبر عن حيرتها بالسؤال "لماذا...". في الحقيقة، بدا لنا أن الاتجاه الذي اتفقنا عليه في الأصل بأن نعتقد أن الأسئلة السببية على وجه الخصوص لها أهمية كبرى في النمو الفكري كان اتجاها خاطئا. إن الهدف من وراء السؤال هو الأمر الحاسم هنا، وليست الكلمات التي يتم من خلالها التعبير عن السؤال.

ويمكن اعتبار بعض الأسئلة التي صنفناها على أنها تنشأ في المقام الأول في مواقف حب الاستطلاع والجدال أنها حشو أو أشياء لشغل الفجوات أو الفراغات في المحادثات، أو باعتبارها أدوات للسعى إلى جذب الانتباه. وكان من المستحيل تقرير ذلك في حالة بعينها. ومن وجهة النظر التعليمية، قد لا يهم الدافع على السؤال؛ شريطة أن تكون الأم قد أجابت عليه، لأنه في هذه الحالة يغلب أن يحدث تقدما في درجة فهم وإدراك الطفلة. وناقش في الباب السادس كم كانت إجابات الأمهات كثيرة وكم كانت مناسبة وكافية.

لماذا طرحت الطفلات عددا كبيرا من الأسئلة؟ بعد قراءة النسخ الأصلية من الدراسة، أخذنا الشك فيما إذا كان السعى وراء جذب الانتباه لعب دورا كبيرا في ذلك. كما تشككنا أيضا في نظرية "باياجيت" القائلة بأن كثيرا من أسئلة الأطفال تكون من نوعية "لماذا توجد الشجرة هناك؟"، بمعنى أنها أسئلة تنشأ لأن الأطفال لا يدركون أن كثيرا من الأشياء تحدث عن طريق الصدفة. وبدا لنا بدلا من ذلك أن الطفلات كن يطرحن الأسئلة لأنه كان هناك القدر الهائل من المعلومات التي لم تكن تعرفنها عن هذا العالم، وأنه كانت هناك المناسبات الكثيرة التي كن يدركن فيها مدى الجهل وسوء الفهم والارتباك الذي وجدن أنفسهن غارقات فيه. وفي معظم الأوقات، كانت الأسئلة التي صنفناها على أنها أسئلة مرتبطة "بحب الاستطلاع" تحدث خلال محادثات تكون الطفلة فيها منهمكة تماما في النضال من أجل فهم عالمها.

## أحداث عن طرح أسئلة بشكل متواصل

لقد ترك لنا تحليلنا لأسئلة الطفلات انطبعا بعدم الرضاء. وأصابنا الشك في أننا عندما ركزنا على أسئلة فردية - وليس على مجموعات من الأسئلة التي يدعم بعضها بعضا - كنا نغفل عن بعض من أهم وأدق الصفات المميزة في تفكير الطفلات: ومنها مثابرتهن، ورغبتهن في الفهم والإدراك، وقدراتهن المنطقية. وبدا من المحتمل أيضا أن يكون التركيز على الأسئلة الفردية هذا قد سبق وضلل كثيرا من علماء النفس الأوائل، ومنهم باياجيت. إن أجهزة التسجيل الإلكترونية، بقدرتها على تمكين الباحثين من دراسة المحادثات الطويلة، إضافة للمحادثات المتقطعة عبر فترة زمنية طويلة، تجعل من الممكن إيجاد مدخل ومنهج يختلف عن النظريات السابقة. وفي الجزء الباقي من هذا الباب، نناقش بعض القرارات والمسائل التي نتجت عن تحليل لمجموعات من الأسئلة المتواصلة المثابرة.

## حالات من سوء الفهم لم يتم ضبطها

نشأ بعض من هذه المجموعات بسبب حدوث سوء فهم بين الأم والطفلة، ولم تكتشفه الأم. في المحادثة التالية، أصيبت الطفلة بأسى وحزن شديدين لفشل أمها في فهم مقصدها. وكان السبب في المشكلة الرئيسية هو عدم تذكر الطفلة أن هناك معنيين لكلمة letter أى خطاب أو أحد حروف الأبجدية. وبدأت المحادثة عندما كانت والدة "كارول" تساعد في تشييد لعبة على هيئة بيت من البيوت. وكان باب ذلك البيت مصنوعاً من قطعة قماش مكتوب عليها "بيت وندى": وكان له أيضا صندوق بريد مكتوب عليه letters أى رسائل. وقالت والدة "كارول لابنتها معنى كلمتي "بيت وندى"، ثم أشارت لكلمة letters:

الأم: ما الكلمة هذه؟

الطفلة: ما الكلمة هذه؟



الأم: إنها...؟

الطفلة: ويندى.

الأم: لا. هذه الكلمة لا تشبه نفس تلك الكلمة، أليس كذلك؟ (وهي تقارن كلمة letters بكلمة Wendy أى: وندى) إن هذه الكلمة تُقرأ letters. هذا صندوق الخطابات letters الذى يضع ساعى البريد الخطابات بداخله.

على أى حال، حدث ارتباك فى ذهن "كارول"، فقد كانت تود من أمها أن تفسر لها ما تعنيه كلمة letters حيث إن المفهوم المختزن لديها هو أنها تعنى "حروف"، ولم تدرك أن هذا موقف استثنائى، وأن المعنى الحقيقى لها فى هذا الموقف هو "الرسائل"

الطفلة: لا... ما... ما هذا؟ ماذا نسمى تلك الأرقام؟

الأم: إنها خطابات letters وليست أرقام.

الطفلة: لا...

الأم: حرف L "أول حرف من الكلمة"

الطفلة: لا. ما هؤلاء... ما هو... ما اسم ما هو هناك؟ (وهي غارقة فى الارتباك والاضطراب)

الأم: إن معناها "رسائل". أى letters

الطفلة: لا، ما اسم ما هو هناك؟

الأم: "رسائل" هل تقصدين أن معناها "حروف" مثل حرف C الذى يبدأ به اسم صديقتك Carol؟

الطفلة: (وهي تنتهد وتكاد تبكى)... أنا أعنى الاسم (ويتملكها الآن أسى حقيقى)

الأم: اهدئي يا ابنتي ، إنه "رسائل" letters. هذا هو المكان الذي يضع فيه ساعي البريد الرسائل. مثل ساعي البريد الخاص بمنطقتنا...

صرفت والدة "كارول" اهتمام طفلتها بعيدا عن مصدر الحزن والأسى هذا، واستمرا في بناء البيت. ومع ذلك، لم يبدو أن الاضطراب الذي استولى على عقل "كارول" كان قد أتى إلى نهايته، ولم يبدو على الأم أنها أدركت كنه المشكلة التي حدثت. يبدو حقا أن سوء الفهم من هذا النوع - الذي يدور الشخص الكبير والطفل خلاله في دائرة مغلقة لمعان مختلفة لكلمة واحدة - يصعب على الكبار اكتشافه، حيث إن ذلك يتطلب منهم تحولا ملموسا في رؤيتهم للموقف كي يحيطوا علما بمعنى الكلمة كما يعرفها الطفل.

وحدث شكل مختلف لهذا النوع من سوء الفهم في المحادثة التالية. فشلت هنا والدة "لين" أن تكتشف أن ابنتها وهي تشير في كلامها إلى "والد ناني" Nanny's Daddy، كانت تتكلم عن جدّها، وليس عن والد جدّها. كانت "لين" ترسم صورة لجدتها واسمها (ناني) Nanny عندما سألت:

الطفلة: أين والد "ناني"؟

الأم: والد ناني؟ إنه فوق في السماء.

الطفلة: أوه، إنه ليس فوق، ليس فوق حقا...؟

الأم: نعم، لقد مات.

الطفلة: لا، ليس... ناني... إنه ليس...

الأم: هو ميت، لقد كبر سنه جدا جدا، ثم مات بعد ذلك.

الطفلة: هل ناني فوق في السماء؟

الأم: لا، لقد جاءت لنا هنا منذ أيام قليلة، أليس كذلك؟

وعند هذا الحد، كسرت "لين" سن "أو رأس" قلمها المصنوع من اللباد، وتغير موضوع الحديث. توضح هذه المحادثة القصيرة ببراعة الحيرة التي

يمكن أن تقع فيها بسهولة طفلة عمرها أربع سنوات. تواجه طفلات كثيرات في هذا السن صعوبة في إدراك الطبيعة النسبية لاصطلاحات معينة مثل "الأب" و "الزوج" وكثيرا ما ينشأ حالات من سوء الفهم نتيجة لذلك. وزادت قلة خبرة "لين" من حدة الاضطراب والارتباك. وربما تدرك طفلة أكبر منها سنا أن الخبر كان سيبلغها لو كان جدها قد مات منذ أيام قليلة، ولم يكن يمكن حينئذ أن يُشار لموته بهذا الشكل العرضي. وكانت "لين" تتقصصها الخبرة التي كانت يمكن أن تساعد على إدراك حدوث سوء فهم، وبالتالي تحاول أن تجد تفسيراً منطقياً لما كانت أمها تقوله. وفي سؤالها الأخير - هل "تاني فوق في السماء؟" - تبدو وكأنها تقوم بمحاولة لتوضيح الموقف؛ ويبدو أن تفكيرها هداها أنه لو أن جدها الذي كان حياً وفي صحة جيدة منذ أيام قلائل، أصبح الآن في السماء، إذن فربما تكون جدتها أصبحت هناك هي الأخرى. وصحت والدتها فكرها من هذه الناحية، لكنها فشلت في تحديد سوء الفهم الأساسي.

#### حالات من سوء الفهم تم اكتشافها ولكن لم يتم حلها

كان الميلاد والموت، والنمو والتطور موضوعات اهتمت بها معظم الطفلات اهتماماً بالغاً، غير أنها كانت مشوشة في أذهانهن. وكانت مصدراً لعدة محادثات عبرت الطفلات فيها عن حيرتهن. ولقد ناقشنا بالفعل محادثة من هذا القبيل في الباب الثالث، عندما سألت "لين" لماذا لم يعد يسوع المسيح طفلاً رضيعاً. وبينما بدا على غالبية الطفلات أنهن يدركن أنهن كن طفلات رضيعات، وأنهن ستكبرن وتصبحن يافعات يوماً ما في المستقبل، غير أنه بدت على كثير منهن الحيرة والارتباك بسبب فكرة أن الكبار الحقيقيين - مثل آبائهم ومعلميهم - كانوا في يوم من الأيام أطفالاً رضعاً أو أطفالاً صغاراً، أو بسبب حقيقة أنه لا يربط بين العمر والحجم علاقة تلقائية تربط بينهما. وحيث إن تلك المسائل كانت تتضمن أفكاراً معقدة للغاية، فلا نعجب أن نترك الأمهات طفلاتهن في حيرتهن في معظم الحالات.

في المحادثة التالية، يظهر أن "إيريكاً" اعتقدت أن حجم الجسم يتماشى

مع عمر الإنسان. وكرد فعل لذلك، انطلقت أمها فى تفسير الأساس الجينى المتوارث للفوارق فى طول الجسم، الأمر الذى ترك "إيريكاً" أكثر ارتباكاً من ذى قبل. بدأت المحادثة فجأة وبلا مقدمات بينما كانت "إيريكاً" تراقب أمها وهى تضع حفاظات على دمي الدببة الخاصة بطفلتها:

الطفلة: مامى، أنا سأكبر قبل "ماريا"، أليس كذلك؟ (ماريا إحدى صديقات إيريكاً)

الأم: ليس كثيراً، يا حبيبتي، فهى من نفس عمرك تقريباً.

الطفلة: أوه، لأنى أكبر منها حجماً.

الأم: نعم، لكن ربما تظل "ماريا" دائماً أقصر منك قليلاً لأن أباهما وأمها أقصر منى ومن والدك. لذا فربما لن تصبح "ماريا" فى نفس طولك، حتى عندما تشب وتكبر.

الطفلة: لماذا؟

الأم: هذا لا يعنى أن نقول إنها لن تكون كبيرة مثلك، هى فقط لن تكون طويلة مثلك.

الطفلة: لماذا، هل لأننى "مثل" أمى؟

وعند هذا الحد كانت والدة "إيريكاً" قد أنهت ما كانت تفعله مع دمي الدببة، وبدأت تتكلم عنهم.

ويتم توضيح مصاعب تفسير تلك المسائل المعقدة فى المحادثة التالية. وتبدأ المحادثة عندما كانت "روث" تقطع وتفصل بعض الصور التى كانت أمها قد رسمتها على بطاقات:

الأم: هذا صعب بالنسبة لك، لأنك عسراء "أى تستخدم يدها اليسرى فى الكتابة وغيرها"، أليس كذلك؟ إنك تفعلين ذلك بطريقة جيدة جداً.

الطفلة: هذا ليس بالشىء الصعب.

الأم: لا، لا يبدو أنه كذلك، على أى حال.

الطفلة: ربما فى يوم ما ستصبحين عسراء... الناس...

الأم: لا، لا أعتقد ذلك. لأنك عندما تستخدمين اليد اليسرى، فمعنى ذلك أنك وُلدت هكذا، وأنت عادة لا تتغير.

الطفلة: لكنى أمسك بقطعة الورق بيدى اليمنى.

الأم: نعم، نعم، لكنك، الشىء الأساسى الذى تفعيلينه يتم بيدك اليسرى. ذلك لأن يدك اليسرى هى اليد الأقوى، اليد التى تفعل كل شىء، أليس كذلك؟

وعادت "روث" بعد ذلك للكلام عن نشاط تقطيع وفصل الصور.

تكشف هذه المحادثة عن بعض الأفكار الخاطئة المهمة من جانب الطفلة. لقد بدا أنها تعتقد أن احتمال نمو أمها وكبر حجمها ما زال قائما. أو ربما أن معنى عبارة "يشب أو يكبر" يساوى فى معناه عبارة "يكبر عمره". وبدا أيضا أنها تعتقد أن الشخص يمكن أن يتحول ليصبح أعسر وهو كبير السن. وتظهر هذه المحادثة أنه من السهولة بمكان أن تقدم تفسيرات مربكة ومحيرة. إن ملاحظة الأم الختامية، ("اليد التى تفعل كل شىء") تبدو وكأنها تتناقض تماما مع ما تحاول قوله: وهو بالتحديد أنه كون الإنسان يكون أعسر، فإن ذلك لا يعنى أن اليد اليسرى تفعل كل شىء، كما بدا على "روث" أنها فهمت من كلام أمها.

حتى عندما كانت تُثار مسائل أقل تعقيدا، فإن تفسيرات الأمهات كثيرا ما كانت غير واضحة أو محددة بالقدر الكافى بحيث تنتهى حالة الحيرة والارتباك لدى الطفلات. وكان ذلك هو الوضع فى المحادثة التالية التى حدثت بينما كانت الأم والطفلة تتناولان طعام الغداء سويا، وكانت الطفلة

الرضيعة على أرضية الغرفة. وعلى ما يبدو أن "مينا" فجأة وبلا مقدمات بدأت تتكلم عن النمر:

الطفلة: هل تحبين النمر؟ هل أنت كذلك؟

الأم: النمر؟

الطفلة: نعم

الأم: أنا أحب النظر إليهم، نعم، إن شكلهم جميل.

الطفلة: النمر!

الأم: نعم، إن النظر إليهم ممتع وجميل، هم حقيقة محبين. انظري إليهم وهم يركضون. شيء جميل أن تشاهدهم في حديقة الحيوان.

الطفلة: لا، النمر الحقيقية.

الأم: نعم. ومع ذلك أنا لا أحب الاقتراب منهم أكثر من اللازم خشية أن يحاولوا التهامي.

عند هذا الحد أصبحت "مينا" في حيرة من أمرها. وربما كانت حيرتها مرتبطة بملاحظة من ملاحظات أمها كانت قد قالتها منذ لحظات قليلة بأن الطفلة الرضيعة لم تستطع ابتلاع شخشيخة الأطفال الخاصة بها، حيث إنها كانت أكبر من أن تدخل فمها. ومن هنا، بدا على "مينا" أنها تمنطق الأمور، إذ إن النمر لا يمكنه أن يرتب لدخول أمها في فمه:

الطفلة: لا يستطيعون.

الأم: قد يفعلونها.

الطفلة: هل يفعلون ذلك... هل يأكلونك؟ (تشعر بالحيرة)

الأم: لا، ولكن لو كانوا جوعى، فربما حاولوا ذلك.

الطفلة: هل لهم أفواه، أفواه صغيرة؟

الأم: لا، إن لهم أفواه واسعة كبيرة.

الطفلة: حجمك؟

كان سؤال "مينا" هذا غامضاً. "حجمك؟" قد يعنى إما أن أفواه النمر بنفس كبر حجم فم أمها، أو بمثل حجم بدن أمها. وفسرت أمها السؤال بالمعنى الأول:

الأم: أعيدى السؤال من فضلك.

الطفلة: حجمك؟

الأم: ماذا؟ تعتقدين أنى لى فم عظيم كبير؟

الطفلة: لا، بل النمر.

وتشير إجابة "مينا" إلى أنه حدث سوء فهم ما، جعل أمها بسؤالها بعد ذلك، "ماذا تعنين؟"، تتوقع منها التوضيح. وسواء كانت "مينا" أهل لذلك التوضيح أم لا، هذا أمر لن نعرفه أبداً، لأن أمها هنا تقوم بقفزة خيالية للمعنى المحتمل الآخر. أما وقد قامت بهذه القفزة، كان المرء يتوقع من أم "مينا" متابعة أسئلة الطفلة، لكنها فى الحقيقة تسمح للمحادثة أن تخفق بعد بداية كانت تبشر بالنجاح:

الأم: ماذا تعنين؟

الطفلة: لها... كبيرة

الأم: أوه، أفواههم بنفس حجم فمى؟ (ترفع ذراعيها لتظهر حجم جسدها كله وليس مجرد فمها).

الطفلة: أوه (وتتلعثم)

الأم: لا، ليس بهذا الحجم الكبير.

## الطفلة: لماذا؟

الأم: فقط هم ليسوا كذلك.

وكما كان الحال فى معظم الأحيان، لم يحدث توضيح جلى صريح، وانقطعت المحادثة. وكان سؤال الطفلة الأخير، "لماذا؟" يوحى بأنه كانت لاتزال عاجزة عن فهم كيف يمكن أن تدخل أمها فى فم النمر.

### مفهوم البحث الذهنى "الفكرى"

إن محادثة "مينا" عن النمر مثال لما قررنا أن نسميه "مجموعة من البحث الذهنى أو الفكرى".

هذه محادثة تسعى فيها الطفلة بنشاط للحصول على معلومات جديدة أو تفسيرات، أو أنها ترتبك وتشعر بالحيرة بسبب شىء لا تستطيع فهمه، أو أنها تحاول أن تترك المقصود وتفهم شيئاً يبدو لها غير عادى فى معرفتها المحدودة بالعالم. وتتسم مثل هذه الأحداث بسلسلة متتابعة من طرح أسئلة متواصلة وكلها إصرار من جانب الطفلة، تدرس من خلالها إجابات الأم أو الشخص الكبير الموجهة له وتربطها بما هو متاح لديها من معرفة حالية؛ وهذا بدوره قد يودى إلى طرح أسئلة أخرى عن الموضوع نفسه. وتكشف "مجموعة من البحث الذهنى أو الفكرى" مواطن القوة فى الطفلة - مثابرتها، ومنطقها، وقدرتها على استيعاب أفكارا معقدة - كما تكشف أيضا ضعف معلوماتها، أو سداجة مفاهيمها الخاطئة. وكانت هذه الأشياء تتكرر كثيرا بالذات فى النسخ الأصلية لطفلات الطبقة المتوسطة (انظر الباب السادس).

لقد سببت الفكرة العامة عن قديس الأطفال بابا نويل ظهور مجموعات متعددة من محادثات البحث الذهنى أو الفكرى. فى هذا السن تنتاب الأطفال حيرة وارتباك بسبب كثرة التناقضات وعدم الترابط المنطقى فى أسطورة بابا نويل. وفى الوقت نفسه، فهم لا يملكون فهما وإدراكا راسخين فى الأذهان لبعض من النواحي الأساسية فى القصة، على سبيل المثال، أن بابا نويل



لايقوم بزياراته إلا فى أيام عيد ميلاد المسيح. وفى المحادثة التالية، نجد "ببنى" مهتمة أساسا بمعرفة الخطوات المطلوبة التى تجعلها تحصل على هدايا عيد الميلاد التى تريدها. ويظهر أن المحادثة نشأت فجأة عندما كانت "ببنى" تعد بطاقة بمناسبة عيد ميلاد إحدى صديقاتها، وكانت أمها تنتظر لأحد البيانات المصورة "أو الكتالوجات". وكانت والدة "ببنى" قد وعدت بشراء ثوب زفاف لدمية راقصة الباليه التى تملكها فى عيد ميلادها التالى، وكانت "ببنى" تمنع التفكير فى ما يتضمنه هذا الوعد. ومن المحتمل أنها عرفت من واقع تجربتها الخاصة عن الحصول على الهدايا أو منحها، أنه من غير المحتمل أن تصحب أمها عند شراء فستان زفاف دمية راقصة الباليه. وهداها عقلها أنها فى هذه الحالة ستحتاج لشخص آخر يرفعى أمورها:

الطفلة: أمى، من سيرعانى وأنت تشتريين ثوب راقصة الباليه (وتقولها بشكل خاطئ) لعيد ميلادى؟

الأم: عيد ميلادك لن يأتى إلا السنة القادمة يا حبيبتى.

الطفلة: لا، أدرى، أنا لا... أعنى أن...

الأم: من سيرعى شئونك؟ أتوقع أننا ربما حصلنا عليه وأنت فى المدرسة أو شيئا من هذا القبيل.

الطفلة: أوه...

الأم: أو قد تحصلين عليه من بابا نويل.

الطفلة: لا... أوه.. نعم! (تشعر بالفرحة والإثارة)

الأم: لو حدث ذلك، فسوف تحصلين عليه أسرع بكثير عما لو انتظرنا لعيد ميلادك.

الطفلة: على أن أذهب لبيته وأطلب منه.

الأم: أنت غالبا ما ترين بابا نويل فى المحلات قرب أيام عيد ميلاد

المسيح. يمكنك أن تطلبى منه ثوب زفاف لدمية راقصة الباليه الصغيرة التى عندك.

وهناك استطراد قصير خلال مناقشة بين "بيني" وأمها حول رغبة "بيني" أن ترتدى لبس راقصة الباليه فى مدرسة الحضانة صباح ذلك اليوم. ومع ذلك، فإن "بيني" لا تزال تفكر فى بابا نويل و ثوب زفاف راقصة الباليه، فتعود بشكل تلقائى للموضوع:

الطفلة: هل بابا نويل... يعطينى... هل بابا نويل يقول، "لا" إذا لم يكن لديه... واحد من راقصة الباليه؟ (تقولها بشكل خاطئ)  
الأم: حسنا، إنه عادة يكون معه فعلا هذه الأشياء.

الطفلة: هل ستطلبين أنت منه؟

الأم: سنفعل ما فعلناه العام الماضى، ويمكنك كتابة رسالة له، هل تذكرين؟

الطفلة: وماذا سيقول لو كتبت رسالة له؟

الأم: سيقول، "هذا يبدو خطابا جميلا، سأنظر فيما يمكننى أن أحصل عليه. إنها تريد ثوب زفاف لراقصة باليه."

الطفلة: لن يعرف اسمى.

الأم: سيعرفه إن كتبتَه أسفل الرسالة.

وتطلب "بيني" بعد ذلك من أمها أن تكتب لبابا نويل، وتشرح لها أمها أنه مازال أمامهم الكثير من الوقت خلال السنة لكتابة هذا الخطاب.

بالإضافة إلى استعراض قدرة "بيني" على التفكير فيما يمكن لبابا نويل أن يفعله أو فيما لا يمكنه أن يفعله، فإن هذه المحادثة تحتوى على عدة ملامح تميز البحث ذهنى أو الفكرى لمن أعمارهم أربع سنوات. أولا، هناك الطريقة التى تعود بها "بيني" للموضوع الذى يحيرها، رغم أن المحادثة

كانت قد انتقلت لموضوع آخر. لقد رأينا عدة أمثلة لطفلات يتكرر عودتهن لموضوعات كانت تشغل أفكارهن بشدة خلال فترة ما بعد الظهر، حتى إن الموضوع الذى كان يبدو ظاهريا أنه يُثار فجأة وبشكل غير متوقع، قد يلقي بظلاله على محادثة حدثت من قبل كانت مجرياتها لا تزال تشغل بال الطفلة. ثانيا، هناك الصعوبة التى تواجه "ببنى" فى أكثر من مناسبة للتعبير عن نفسها. ولم تكن تلك من الصفات المميزة لـ "ببنى" - التى كانت عادة طفلة تتطرق ألفاظها بوضوح - لكن ذلك كان ملمحا عاما للجهد ذهنى الذى كانت تبذله. وكانت هناك عدة مناسبات تصبح فيها حتى الطفلة طليقة اللسان عادة مترددة وغير طليقة، وكانت تلك عادة مناسبات تناضل الطفلة خلالها للتعبير عن فكرة محددة صعبة أو جديدة. وأخيرا، هناك المنطق والتماسك الذى تعرضه "ببنى" فى وضع خططها للمستقبل. وواضح أنها لا تقر بفكرة كون بابا نويل شخصية عليمه بكل الأمور وتعرف بالضبط ما تريده كل طفلة. وبدلا من ذلك، نجدها تعامله كأى إنسان عادى فان وليس خالدا مقيد بالقيد البشرية الطبيعية، يجوز أن يتهرب من أثواب الزفاف لراقصة الباليه، وسيكون على "ببنى" أن تخبره عما تريده، ولن يعرف اسمها إلا إذا أعطاه شخص آخر هذه المعلومة.

وسوزان أيضا حدث لها ارتباك حول نواح كثيرة من قصة بابا نويل. وبدأت المحادثة التالية عندما كانت تلعب بلعبة أطفال على هيئة حقيبة يد، وأبدت أمها ملاحظة على جمال تلك الحقيبة:

الطفلة: هل أعطاه لى بابا نويل؟

الأم: آه، أعتقد أنه فعل ذلك. ولكن ليس فى عيد الميلاد هذا.. ولا حتى فى العيد الماضى.

الطفلة: هل أعطاه لى بمناسبة عيد ميلادى؟

الأم: ماذا، بابا نويل؟ إنه لا يأتى يوم عيد ميلادك.

الطفلة: متى يأتى: فى الكريسماس. ولهذا يُسمى الأب كريسماس أو بابا نويل. هل رأيته فى الكريسماس الماضى؟

الطفلة: لا ! هل رأيته أنت؟

الأم: لا. لم أراه. كنت نائمة.

الطفلة: لم تكن نائمين. كنا نفكر ما إذا كان بابا نويل خارج الشباك. (وتخطئ فى قواعد الجملة)

الأم: وهل كان كذلك؟

الطفلة: لم تلق عليه نظرة من الشباك. نحن فقط فكرنا. (خطأ قواعد آخر)

وتنتقل المحادثة لمناقشة من الذى كان يقيم مع سوزان فى عيد الميلاد السابق، والألعاب التى لعبوها جميعهم سويا. ولكن، وكما حدث مع "بينى" كانت "سوزان" لا تزال تفكر فى بابا نويل:

الطفلة: أماه؟

الأم: نعم.

الطفلة: هل اعتقدت أن بابا نويل كان سيأتى إلى هنا؟

الأم: عرفت أنه كان سيأتى، نعم.

الطفلة: هل اعتقدت أنه كان سيهبط إلى هنا عن طريق المدخنة؟

الأم: لا، لم أعتقد أنه كان سيهبط إلى هنا عن طريق المدخنة. لأننا ليس عندنا مدفأة.

الطفلة: لماذا لا يوجد عندنا مدفأة؟

الأم: حسنا، لقد قمنا بسد فتحاتها جميعا... تركنا باب الطابق السفلى "البدروم" مفتوحا، أليس كذلك، حتى يتمكن بابا نويل من الدخول.

الطفلة: العام الماضى؟

الأم: نعم.

الطفلة: لابد من أن الجو كان مليئا بالرياح.

ولسبب ما، لم تتجح أم سوزان فى فهم ما كانت تعنيه بهذا الاستنتاج،  
وسألت، "لماذا تجزم أن الجو كان مليئا بالرياح؟"، مع أنه يبدو واضحا لنا  
أنها كانت تشير لتأثير ترك باب الطابق السفلى "البدروم" مفتوحا.

تجاهلت سوزان السؤال، وعادت مرة أخرى لأحجية زيارة بابا نويل:

الطفلة: لماذا سمحت بدخول بابا نويل؟

الأم: حسنا، كان عليه أن يحضر لك هداياك.

الطفلة: أبا لم أكن أعرف أنه سيأتى ويدخل هنا.

الأم: حسنا، أين فكرت أنه سيأخذها؟

الطفلة: هل هو،، هل هو، ألم يعرف أنه إذا، ما إذا كان يعرف شكل  
بييتا؟ (بأسلوب خاطئ)

الأم: أوه، إنه يعرف أماكن بيوت جميع الأطفال.

الطفلة: أعنى، ألا يعرف ما، ما، ما هو شكله؟

الأم: ماذا يشبه؟ (الطفلة تومئ) أتوقع أنه يعرف. لقد جاء هنا من قبل،  
أليس كذلك؟

الطفلة: هل فعل ذلك؟

الأم: نعم، جاء فى العام قبل الماضى.

واستمرت المحادثة بطرح سوزان لأسئلة أخرى عن الشيء الذى كان  
بابا نويل يضع فيه الهدايا عندما أحضرها لهم. (قيل لها إنه أحضرها فى  
كيس)، واما إذا كان ذلك الكيس ثقيلًا جدا عليه فى حمله.

مرة أخرى، توضح هذه المحادثة كثيرًا من معالم البحث الذهني التي رأيناها في محادثة "بيني"، الطريقة التي تعود بها الطفلة للموضوع الذي يحيرها، وزلاتها في طلاقة النطق السليم للكلمات وذلك عندما كانت تناضل من أجل التعبير عن فكرة صعبة، والطريقة المنطقية والتي تتسم بالمشابرة التي تتابع بها الموضوع. ومع ذلك فهناك اختلاف بين المحادثتين، لاسيما في الطريقة التي يتم بها عرض مفاهيم الطفلة عن بابا نويل.

لقد أعطتنا المحادثة التي تضمنت "بيني" ضوءًا خافتًا لمفهومها عن بابا نويل، بصرف النظر عن معاملتها له باعتباره شخصية بشرية عادية. وعلى النقيض من ذلك، تكشف محادثة سوزان عن قدر أكبر من معتقداتها. وفي بداية المحادثة، يبدو أنها تعتقد أن بابا نويل يعطيها هدايا عيد ميلادها مثلما يعطيها هدايا الكريسماس. وفيما بعد تتساءل ما إذا كانت أمها تعتقد أنه جاء عن طريق المدخنة، وعلى ما يبدو لم تكن قد استوعبت حقيقة أن المدافئ كانت قد سُدت. وتستمر في الكلام فتعبر عن دهشتها بأنه قد جاء للبيت من قبل على الإطلاق، ثم تبدأ في التساؤل كيف يعرف بابا نويل شكل بيتها. كما أنها لا تدرك أن المفترض أن يقوم بابا نويل بزياراته سنويًا. وهناك تشابه كبير في الحقيقة بين أسئلتها الأخيرة وأسئلة "بيني" الأخيرة، وتوحي بأن الطفلات الصغيرات يبدأن من فكرة أكثر بشرية عن شخصية بابا نويل ثم يعملون على تضخيمها وتعليق شأنها، ولا يبدأن من رؤيته كإنسان عليم بكل شيء، ثم يكتشفن حدوده الأكثر بشرية.

واضح أن مفهوم بابا نويل ليس بالمفهوم الذي يسهل على الطفلات إدراكه إذا وضعنا في الاعتبار الغموض الذي يحيط به، وعدم وجود تكامل منطقي للمفهوم نفسه. ولا يوجد هناك ما يدعو للدهشة مطلقًا أن تتكون لديهن أفكار واعتقادات خاطئة عن هذه الأسطورة يمكن أن يتم توضيحها فقط من خلال نوع المحادثات التي اقتبسناها. وتعرض هاتان المحادثتان أيضًا قدرة الطفلة الصغيرة على أن تحدث إسقاطًا بخيال واسع وبارع لوجهة نظر

شخص آخر، وأن تُكوّن افتراضات واقعية عما يمكن أن تتوقع ما يعرفه أو ما لا يعرفه ذلك الشخص. لقد تأثرنا بالقدر الكبير الذى فعلن به هذا، وباهتمامهن نحو استكشاف دوافع الآخرين ومعرفتهم ووجهات نظرهم.

### البحث الذهني "أو الفكري": الصراع مع عدة أفكار معقدة

إن الطاقة والقدرات التعليمية الكامنة فيما أسمىناه "مجموعة أحاديث البحث الذهني أو الفكري" تُعرض بشكل جيد، ويتم توضيحها إلى حد ما فى المحادثة المُطوّلة التالية التى تتعرض فيها الطفلة للحيرة والارتباك حول العلاقة بين المال، والعمل والسلع الاستهلاكية. بدأت المحادثة عندما كانت روزى وأمها تتناولان طعام الغداء، وكان السبب المباشر لها ظهور العامل الذى ينظف النوافذ فى الحديقة. وذهبت أم روزى للمطبخ لتحضر له بعض الماء، ونادت على جارتها "بامبلا":

الطفلة: ماذا قالت "بامبلا"؟

الأم: عليها أن تدفع فواتير جميع السكان الآخرين لمنظف النوافذ، لأنهم جميعا خارج البيت.

الطفلة: لماذا هم جميعا بالخارج؟

الأم: لأنهم يعملون أو شيء من هذا القبيل.

الطفلة: أليسوا سخفاء؟

الأم: حسنا، عليك أن تعلمى حتى تكسبى المال، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم... إذا كانوا يعرفون اليوم الذى يأتى فيه منظف النوافذ، ينبغي أن يظلوا هنا.

الأم: ينبغي أن يظلوا فى البيت؟ حسنا، أنا لا أعرف، إنهم لا يمكنهم دائما...

وعند هذا الحد ظهر منظم النوافذ عند نافذة غرفة الطعام، وأخذ ينظف النافذة بينما كانت روزى وأمها تواصلان تناول الغداء، وانتقل الحديث لما يمكن أن يكون عندهما من أجل صنع حلوى البودنج، وما يمكنهما عمله عصر ذلك اليوم. ومع ذلك كانت روزى لا تزال تفكر فى منظم النوافذ:

- ١- الطفلة: مامى؟
- ٢- الأم: نعم.
- ٣- الطفلة: (تفكر قليلا)... إنها لا يمكنها أن تدفع... الجميع،... جميع الفواتير لمنظم النوافذ، أليس كذلك؟
- ٤- الأم: لا، يمكنها دفع جميع الفواتير لمنظم النوافذ... أحيانا تدفع فاتورتى عندما أكون بالخارج.
- ٥- الطفلة: لأن الفاتورة مناسبة.
- ٦- الأم: نعم. هى كذلك.
- ٧- الطفلة: (تفكر قليلا) لكن أين تترك النقود؟
- ٨- الأم: لا تتركها فى أى مكان، إنها تسلمها لمنظم النوافذ، بعدما ينهى عمله.
- ٩- الطفلة: ثم تعطىها لنا؟
- ١٠- الأم: لا، لا، ما عليها أن تدفع لنا شيئا.
- ١١- الطفلة: ثم يعطىها لنا منظم النوافذ؟
- ١٢- الأم: لا، نحن نعطى منظم النوافذ نقودا، إنه يودى لنا عملا، وعلينا أن نعطيه نقودا مقابل ذلك.
- ١٣- الطفلة: لماذا؟



١٤- الأم: حسنا، لأنه كان يعمل لنا وهو ينظف نوافذنا. إنه لا يفعل ذلك مقابل لا شيء.

١٥- الطفلة: لماذا يكون معك نقود إذا كنت... إذا نظف الناس نوافذكم؟

١٦- الأم: حسنا، منظف النوافذ يحتاج نقودا، أليس كذلك؟

١٧- الطفلة: لماذا؟

١٨- الأم: لشراء ملابس لأطفاله وطعام لهم ليأكلوه.

١٩- الطفلة: حسنا، أحيانا لا يكون لمنظف النوافذ أطفال.

٢٠- الأم: كثيرا ما يكون لديهم.

٢١- الطفلة: وشيء يأكله على حسابه، وللسنانير؟

٢٢- الأم: وليدفع فواتير الغاز الخاصة به وفاتورة الكهرباء. وليدفع لوقود سيارته. عليك أن تدفعي لكل أصناف الأشياء، هل تفهمين؟ وعلينا أن تكسبي نقودا بطريقة أو بأخرى، وهو يكسبها بتنظيف نوافذ ناس آخرين، وفترينات المحلات الكبرى وأشياء أخرى.

٢٣- الطفلة: ثم يعطى الشخص الذى حصل على النقود هذه النقود للناس...

يبدو أنه حتى الدور ١١ فى الكلام، كانت روزى لديها انطباع يسيطر عليها وهو أن منظف النوافذ يدفع لريبات البيوت، وليس العكس. وتقدم لها معلومات خلال المحادثة عن العلاقة بين العمل والنقود والسلع ببطء، ولكن يبدو من ملاحظتها الأخيرة أنه ما زال الأمر غير واضح فيما لو كانت قد أدركت حقا كل ما قيل لها. وفى الحقيقة تستمر المحادثة بعد أن شاهدت "روزى" أمها بالفعل وهى تسلم النقود لمنظف النوافذ:

- ١- الأم: أتوقع أن يذهب منظف النوافذ لتناول طعام الغداء الآن.
  - ٢- الطفلة: سيأكل كل ذلك الطعام (وتفرد ذراعيها على اتساعهما) لأنه كان يعمل طول الوقت.
  - ٣- الأم: نعم... أتوقع أنه يصبح فى غاية الجوع، أليس كذلك؟ أتوقع أنه سيذهب للحانة ويتناول بعض البيرة والسندويشات.
  - ٤- الطفلة: عليه أن يدفع من أجل ذلك.
  - ٥- الأم: نعم، يفعل ذلك.
  - ٦- الطفلة: ومع ذلك، ليس دائما.
  - ٧- الأم: دائما.
  - ٨- الطفلة: لم لا؟
  - ٩- الأم: لن يعطوه أى بيرة أو سندويشات إذا لم يكن معه أى نقود.
- وعند هذه النقطة تتعجب "روزى" بوضوح بسبب عدم استطاعته الاستغناء عن النقود عندما يذهب للحانة:
- ١٠- الطفلة: لكن لماذا لا يستخدم طعامه الخاص؟
  - ١١- الأم: حسنا، قد يفعل ذلك، ربما يكون قد أحضر معه سندويشات، هل تعتقدين ذلك؟
  - ١٢- الطفلة: يذهب للحانة ويأخذ غداءه ويتأوله فى بيته.
  - ١٣- الأم: لا، لن يفعل هذا ولا ذاك، لا.
  - ١٤- الطفلة: يفعل كل ذلك مرات قليلة. لكنه عادة يذهب للحانة.
- وتتهى والدة روزى المحادثة، بمثال للتخطيط مقدما فى إدارة أحوال الطفلة الذى ناقشناه فى الباب الرابع:

١٥- الأم: اهدنى، اعتدلى فى جليستك. سأقوم الآن بأعمال الغسيل، ثم أقرأ عليك قصة، وبعد ذلك أقرأ قليلا فى الجريدة.

وتوحى ملاحظات روزى (لا سيما فى الدور ٦ من الحديث، ولكن ليس فى كل الأدوار) أنها فهمت ما قيل لها، ولكن فقط بشكل غامض، وأن فهمها للمعاملات التجارية المالية لا يزال يبدو مهزوزا. لا يرجع ذلك لنقص فى طاقتها الذهنية، ولا لأن تفسيرات أمها كانت معقدة أكثر من اللازم. والأغلب أنه يبدو من المحتمل أن هذه المحادثة تكشف شيئا يميز الطريقة البطيئة والتدرجية التى تبنى الطفلة عليها فهمها لموضوع مجرد، غير ملموس، أو معقد. وقد يمر وقت طويل، وعدة محادثات إضافية أخرى كالمحادثة السابقة قبل أن تدرك روزى تعقيدات العلاقات التى يتضمنها الحديث، وقد تضطر للرجوع لنفس الموضوع مرة أخرى، بل مرات أخرى قبل أن تحقق فهما كاملا.

ومن المهم أن نضع فى الاعتبار لماذا تظل "روزى" تطرح أسئلة عن هذا الموضوع. وواضح أن أسئلتها الأولى تم طرحها بدافع حب الاستطلاع الذى أثار حفيظته الحدث غير العادى فى الروتين اليومى - وصول منظم النوافذ والمحادثة التى أعقبت ذلك بين والدتها وجارتهم. لكن عودتها التى حدثت فيما بعد لنفس الموضوع توحى بشيء يتعدى حب الاستطلاع الأولى. فى الحقيقة إنها توحى بأن روزى مدركة إلى حد ما أنها لم تفهم جيدا العلاقات التى يتضمنها الحديث، وأن أسئلتها مدفوعة برغبتها فى توضيح أفكارها الخاطئة. والشىء غير الواضح لدينا هو لماذا ينبغى أن تكون مدركة لعدم قدرتها على الفهم، كان يمكن لها أن تظل متمسكة بفكرتها بأن جارتها تسلمت بالفعل نقودا من منظم النوافذ، وواصلت تناولها لطعام الغداء. وتوحى حقيقة أنها لم تفعل ذلك بأنها كانت إلى حد ما غير راضية عن فهمها الخاص للموقف، ربما لأنه لم يكن يتناسب أو يتفق مع حقائق أخرى كانت تعرفها، فأرادت أن تجد حلا لذلك.

وبدا أن الحيرة والارتباك بسبب العلاقة بين العمل، والنقود والسلع أقل انتشارا فيما بين طفلات الطبقة العاملة. ربما لارتباط عمل آبائهن بشكل واضح بالنقود، أكثر من ارتباطه باهتمامهن بالوظيفة، أو لأن وصول الأجر الأسبوعي كان هو الحدث الأكثر أهمية عن غيره بسبب دخلهم المحدود مقارنة بطبقات أخرى من المجتمع، كانت العلاقة بين النقود والعمل تتم مناقشتها أكثر في عائلات الطبقة العاملة. وفي الباب السابع، نقتبس محادثة لطفلة من طفلات الطبقة العاملة، دونا، كان إدراكها لهذه العلاقة أفضل بكثير من فهم روزى.

### البحث الذهني: قدرة العقل المُحير

ينبغي أن يكون واضحا الآن أن الأمهات كثيرا ما قدمن إجابات لأسئلة طفلاتهن كانت أقل من أن تكون كاملة، أو كانت تفشل في مواجهة النقطة الرئيسية في السؤال. وبدا أن حالات التقدم في مستوى فهم الطفلات وإدراكهن كانت تعتمد على جهودهن الخاصة للوصول إلى درجة أكبر من الوضوح عن نوعية التفسيرات الأولية التي كانت تقدمها أمهاتهن. وتقدم المحادثة التالية مثلا شديدا للوضوح لهذه النقطة. كانت "بيت"، وعمرها ثلاث سنوات وعشرة شهور تتناول طعام الغداء مع أمها. وكان السكون يسبق المحادثة، وقطع السكون هذا التساؤل:

١- الطفلة: هل السطح عندنا سطح منحدر؟

٢- الأم: نعم. عندنا سطحان منحدران، وهما كأنهما يلتقيان في المنتصف.

٣- الطفلة: لماذا عندنا ذلك؟

٤- الأم: أوه، هذه هي فقط الطريقة التي تم بها بناء بيتنا. ومعظم الناس عندهم أسطح مائلة حتى يمكن للمطر أن ينحدر سريعا بعيدا عنهم. وإلا، لو كان عندك سطح مستوٍ ومسطح، يبقى المطر في

منتصف السطح، ويكون بركة موحلة قذرة كبيرة، ثم تبدأ في النفاذ إلينا.

٥- الطفلة: إن مدرستنا لها سطح مستو، تعرفين ذلك.

٦- الأم: نعم، لها سطح كذلك بالفعل، أليس كذلك؟

٧- الطفلة: والمطر يستقر هناك ويتخلل الماء السقف.

٨- الأم: حسنا، إنه لا يتخلل السقف. ربما لأنه بُنى بنظام صرف يجعل الماء يجرى بعيدا. عندك عمارات سكنية كبيرة لها أسطح من النوع المستوي. لكن البيوت التي بُنيت في الوقت الذي تم فيه بناء بيتنا هذا كان لها عادة أسطح منحدره.

٩- الطفلة: هل عند "لارا" سطح منحدر؟ ("لارا" صديقة "بيث")

١٠- الأم: نعم. منزل "لارا" يشبه منزلنا كثيرا. في البلاد التي يتكون فيها ثلج كثير، توجد أسطح حتى أكثر انحدارا من أسطحنا. حتى يمكن للثلج أن يسقط من فوق البناءات عندما يكثر عندهم.

١١- الطفلة: بينما، لو كان عندك سطح مستو، ماذا يفعل؟ هل يكون فيه نظام صرف فقط؟

١٢- الأم: لا، حينئذ يستقر الثلج على السطح، وعندما يذوب، يكون بركة موحلة قذرة كبيرة.

تمثل هذه المحادثة محاولة بارعة لطفلة لم تبلغ الرابعة بعد لاستكشاف موضوع مجرد. نحن لا نعرف لماذا كانت تفكر في الأسطح المنحدرة في المثال الأول، حيث لم يكن هناك شيء في المحادثات التي حدثت قبلها (التي انصبت على الطريقة التي ينبغي أن نتناول بها غداها، وبزيارة تم التخطيط لها للطبيب في ذلك اليوم) يشير لهذا الموضوع من قريب أو بعيد. ومع ذلك، فبمجرد إثارة الموضوع، نجد "بيث" تتبعه بمنطق ذكي حاد لا يعرف الندم.

وتشرح لها أمها أن الأسطح المنحدرة تسمح للمطر أن ينصرف بعيدا عنها، وبالتالي يمنع المطر من النفاذ والتسلل خلال الأسقف. ومع ذلك، نجد أن "بيث" يمكن أن تفكر في مثال مضاد: إنها تعرف أن مدرستها لها سطح مستو غير مائل، لكن المطر لا يتخلل السطح للسقف هناك. وتواجه أم "بيث" هذا الاعتراض بتقديم فكرة مصرف المياه، وفي دورها التالي في الكلام تمد في الموضوع بالإشارة إلى أن البلاد التي بها الكثير من الثلج تحتاج لأسطح حتى أكثر انحدارا. وهنا تتساءل "بيث" عما يحدث للثلج لو أن عندك سطح مستو، وتعيد تقديم فكرة صرف ورشح المياه: وهي فكرة استوعبتها بسرعة غير عادية في تلك المساحة الضيقة من الوقت منذ قدمت لها. (لاحظ هنا استخدامها المناسب لأداة الوصل المنطقية "بينما") وتشرح أمها أن الثلج يذوب ويكوّن بركة ماء موحلة قدره كبيرة، رغم أنها ربما تكون مضللة في اقتراحها بأنه قد لا يحتاج الأمر لنظام صرف لإبعاد الثلج المذاب.

كانت "بيث" طفلة ذكية وبارعة في تفكيرها بشكل استثنائي، ومن الخطأ اقتراح أن جميع الطفلات اشتركن في محادثات من هذا النوع. ومع ذلك، فالمحادثة توضح بالتأكيد الإمكانيات الكامنة للبحث الذهني باعتبارها إحدى طرق التعلم، مثلها مثل استعراض طاقة العقل الصغير جدا في سعيه إلى الحصول على معرفة مجردة.

### نظرة جديدة لعقل الطفل الصغير

قادتنا دراستنا لطفلات في سن الرابعة في بيوتهن وفي مدرسة الحضانة لأن نشك في معتقدات وافتراسات كانت سائدة على نطاق واسع عن طبيعة عقل الطفل الصغير. ومعظم تلك المعتقدات مشتقة من كتاب "جين باياجيت". إن نظريات "باياجيت" معقدة، ومن الصعب تقديمها بإيجاز دون تعرضها للتحريف. وربما كان إسهامه الأكبر، الذي يتفق وأسانيدنا اتفاقا تاما، هو أن التعلم عملية إيجابية نشطة، وليست مسألة استيعاب سلبي

للمعلومات. ويلاحظ القارئ المتعود على نظريات "باياجيت" أن عملية البحث الذهني أو الفكري التي نقدمها، والتي تفكر بمقتضاها الطفلة فى إجابات الكبار عن أسئلتها، وتدخلها فى ذهنها وتدمجها فيه، ثم تطرح أسئلة أخرى تتبثق منها، تشبه بقوة نظرية باياجيت عن التعلم عن طريق الاستيعاب والتوفيق والتكيف.

والعنصر الثانى المهم فى نظرية "باياجيت" هو أن البنية الذهنية لعقل الطفل تختلف عن بنية الشخص الكبير. الأطفال تفكر بطريقة مختلفة عن تفكير الكبار، كذلك يختلف تفكير الأطفال الصغار عن تفكير الأطفال الأكبر منهم سنا. وتنشأ الأنماط الناضجة للتفكير وتتطور فقط بعد تجارب عديدة، والتأمل فى مدلولاتها. ومرة أخرى، لن نختلف مع هذه النظرية، فرغم أنه فى بعض المحادثات التى اقتبسنا نصوصها، كانت الطفلات تفكر بنفس مقدره أمهاتهن على التفكير، إن لم تتفوق عليهن، فإن ضيق أفقهن الفكرى كان واضحا فى بعض المحادثات (وكانت أحيانا تتضمن نفس الطفلات).

ومع ذلك، فهناك نواحى أخرى فى نظرية "باياجيت"، ومعه عدد من علماء النفس المعاصرين، نود أن نناقشها ونفندها. كان "باياجيت" يعتقد أن العملية الإيجابية للنشطة للتعلم فى مرحلة الطفولة تعتمد اعتمادا كبيرا على تجربة أعمال استكشافية لا حصر لها ومدى التجاوب معها. بذلك تكون تلك العملية طويلة وانفرادية فى الأساس. ويتبع ذلك بناء على نظرية "باياجيت" أنه حتى تصبح الطفلة فى السابعة أو السابعة من العمر، لا يمكن للكبار سوى لعب دور بسيط وصغير فى نموها الذهني والفكري. إن تلك النظرية عن الطفلة "المستكشفة"، والتي تتعلم من العالم المادى الملموس بالسلوك وفقا لما يفرضه عليها، تبدو لنا وكأنها تستحوذ على الكثير من جوهر وروح الطفلة الصغيرة جدا. ولكنه، وفى سن الثالثة أو الرابعة، تؤكد أن حوار الأطفال مع آبائهم له نفس أهمية الاستكشاف المادى. فى هذا السن، يستكشف الطفل من خلال الكلمات بنفس القدر الذى يستكشف به من خلال الأفعال. وكما عرضنا

من قبل، يمكن للكبار بالتالي أن يلعبوا دورا مهماً في تطوير وتحسين فكر الطفل وذهنه من خلال المحادثات.

ولا يمكن أن نتقبل أيضا أن الطفل الصغير محدود فكريا وذهنيا كما كان "باياجيت" يعتقد. طبقا لما ذكره "باياجيت"، يكون الأطفال وهم ما بين الثانية والسادسة أو السابعة من العمر في مرحلة "ما قبل التشغيل". ويتسمون بالفردية أى معنيون كل بنفسه وليس بالمجتمع، ولم يكن "باياجيت" يعنى بهذا أنهم أنانيون، ولكنه كان يعنى أنهم قادرون على رؤية الأشياء من منظورهم الخاص فقط. وبالتالي فإنهم لا يستطيعون النقاش والمجادلة بأى مفهوم حقيقى للكلمة، لأنهم لا يدركون أن الآخرين قد يرون الأشياء بطريقة مختلفة. وهم أيضا لا يمكنهم التفكير بشكل منطقي، لأنهم لا يمكنهم عزل المعلومات التى تستنتى بعضها البعض الآخر أو تتناقض مع بعضها. وبشكل عام، فإنهم يقبلون العلاقة بين السبب والنتيجة. وليس لديهم فهما وإدراكا حقيقيا بالسببية، لكنهم يعتقدون أن كل شىء يحدث بسبب دوافع شخص ما، أو لأنه "يجب أن يكون كذلك".

وتؤكد نسخ دراستنا وتسجيلاتنا الأصلية أن الطفلات الصغيرات أقل فردية وأقل بعدا عن اللامنطقية بأكثر مما كان باياجيت يعتقد بكثير. لقد وجدنا كثير من الأمثلة (كما فى المحادثات حول بابا نويل) تدل على إدراكهن واهتمامهن بوجهات نظر الآخرين. وربما كان أكبر مثال دقيق وصریح عندما ذهبت "روث" إلى المرحاض. كانت تحنى جسدها كى تمسح أمها كفلها. وفى هذا الوضع، كانت أمها لا تستطيع رؤية رأسها:

الطفلة: مامى، لقد فقدتتى.

الأم: فقدتك، نعم.

الطفلة: ألا يمكن رؤية سوى كفى ورجلى؟

الأم: هذا صحيح.



الطفلة: وحذائي وسروالى الداخلى.

الأم: هذا صحيح. قفى واستقيمى.

الطفلة: ها أنا ذا.

الأم: هذا شيء لطيف. ها هي تعود مرة أخرى. اذهبي!

لم تكشف هذه المحادثة فقط عن قدرة "روث" على استنتاج ما يمكن أن تراه أمها منها، ولكنها أظهرت أيضا تعبيرها عن هذه المعرفة فى شكل لعبة أو مسابقة - "لقد فقدتني" التى كان لها صداها الجاهز عند أمها عندما قالت فى النهاية - "ها هي تعود مرة أخرى!" بالطبع لم تعتقد "روث" ولا أمها حقيقة أن "روث" كانت قد "فقدت"، أو ولت ذاهبة: والصحيح أن هذه اللعبة التى قاما بأدائها قدمت إطارا مناسباً ومرحياً لاستكشاف الموقف. وتوجد متوازيات كثيرة هنا ابتكرها أحدنا (مارتن هيوجز) فى مهمة للقيام بدراسة دقيقة عن هذه القدرة فى طفلات مرحلة ما قبل المدرسة. فى هذه المهمة، كان على الطفلة أن "تخبئ" تمثالا لولد صغير عن تمثال لشرطى أو أكثر يقوم أو يقومان بالبحث عنه". وكما حدث مع "روث" وطفلها، لم تجد الطفلات فى مهمة رجال الشرطة سوى صعوبة بسيطة فى تكوين وجهات نظر أخرى فى هذا الموقف الذى على شكل لعبة أو مسابقة.

ومتلما تستنج الطفلات ما يمكن أن يراه الآخرين، فكثيرا ما أظهرن القدرة على حساب أو تخمين ما يمكن أن يعرفه شخص آخر، أو ما يحتاج معرفته للقيام بعمل معين. وتكون بعض الطفلات أقل قدرة على القيام بذلك عن طفلات أخريات: نحن لا نريد أن نؤكد أن الفتيات اللاتى يبلغن أربع سنوات فقط من العمر كن على نفس مستوى قدرة الكبار فى النظر للأشياء أو الأحداث من وجهة نظر شخص آخر. وعلى وجه الخصوص، لم تكن قدرتهن فى الحكم على قدر المعلومات الذى يجب أن تقدم للآخرين حتى يتمكنوا من تفسير ملاحظاتهم قد تطورت تطورا كبيرا بعد. وتوضح عدة محادثات تمت فى المدرسة اقتبسناها فى الباب التاسع والباب العاشر تلك

الحدود الضيقة. ومع ذلك فهذه المهارة لم يتم تعميمها بشكل دائم بواسطة الكبار: إن معظمنا فرديون وأنانيون من وقت لآخر. والنقطة التي نود إيضاحها أن أولئك الطفلات الصغيرات لم يكن ينقصهن القدرة بشكل تام، ولكن بدا أنهن يحتجن لقدرة كبير من الخبرة الجيدة في استخدامها.

وأكثر من هذا أن الطفلات بدا عليهن الاهتمام البالغ بوجهات نظر الآخرين، وبالطريقة التي يتشابهون فيها معهن أو يختلفون. وكان الاهتمام بالآخرين - الطفلات والكبيرات منهن على حد سواء - صفة مميزة لغالبية الطفلات في الدراسة، وأظهرت نفسها في عدة أمور مختلفة: صديقاتهن، وأعضاء آخرين في الأسرة، والنمو، والميلاد، والمرض، والموت، وما كان الناس يفعلوه سعياً وراء لقمة العيش، وما إلى ذلك. في الحقيقة، إن ما يستحق الملاحظة هو سعة أفق اهتمامات الطفلات، ودرجة تعقيد القضايا التي أثرنها. ويعتقد البعض أحياناً أن الطفلات في مثل هذا العمر يكون لهن اهتمامات صبيانية خاصة تتصل في الأساس بالأمهات، والأطفال الرضع، والدمى، ولعب الأطفال على هيئة الدببة والحيوانات الأخرى، ويمكن دعم مثل هذا المشهد بمعظم الصور التي تنشرها الكتب للأطفال في هذا العمر. وتؤكد المحادثات في دراستنا أنه على النقيض من ذلك، كانت الطفلات يستفدن من كل التجارب البشرية لصالح بحثهن الفكري والذهني.

ولا يمكن أن نقبل أن الطفلات الصغيرات ليس لديهن منطق أو أنهن غير قادرات على القيام باستنتاجات معقولة من المعلومات التي بين أيديهن. وكانت النسخ الأصلية والتسجيلات - وخصوصاً المحادثات المتعلقة بالبحث الفكري والذهني - تحتوى على كثير من الأمثلة لطفلات يتعقبن موضوعاً كان يحيرهن بمنطق وتفكير يتسم بالمتابعة والهمة. وفي الوقت الذي نتفق فيه مع "باياجيت" أن تفكير الطفلات الصغيرات ليس بدرجة تفكير الكبار، فنحن لا نعتقد أن الفرق الرئيسي بينهن يكمن في انعدام المنطق لديهن. وبدلاً من ذلك، يمكن أن نؤكد أن العقبين الرئيسيتين هما جهلهن المطبق وإطار الفهم المحدود الذي يتم في نطاقه تنظيم خبراتهن وفكرهن.

ومع أنه قد يبدو واضحا أن الطفلات الصغيرات يتصفن بالجهل الشديد، فإن العلماء المتخصصين نادرا ما يناقشون هذه الناحية من أدائهن. والأمر يحتاج لمجهود أوفر حتى نتفهم موقفهن، الذى ما زال يتطلب تعليمهن كل ما يعتبره الآخرون تقريبا أمورا مسلما بها. ولأن الطفلات مفكرات نشطات لهذا الحد، فهن يقمن عادة نظرياتهن الخاصة بهن وذلك لسد الثغرات فى معلوماتهن. وتظهر تلك النظريات على السطح ويمكن ملاحظتها عندما يتضح وجود سوء فهم. إن ما تعتقده "روزى" بأن التجار يزودون عملاؤهم بالنقود، كما برز فى محادثة "منظف النوافذ" تعتقده طفلات صغيرات على نطاق واسع، رغم أن الآباء لا يدركون ذلك دائما. وأوضحت طفلة فى دراستنا، اسمها "ساندرا"، من خلال رجاء وجهته لأمها بأنها كانت تعتقد أن أضواء الشوارع يتم التحكم فيها عن طريق مفتاح فى غرفة معيشتها. وظهر أن طفلة أخرى "بولين" كانت تعتقد أن الناس الذين يتشابهون فى اسمهم الأول يتشابهون أيضا فى كنيتهن:

المدرسة الجديدة: ما هو اسمك الآخر، "بولين" ماذا؟

الطفلة: بولين روبنسون. أنا عندي اثنين بولين روبنسون.

المدرسة: اثنان بولين روبنسون؟ من هى بولين الأخرى؟

الطفلة: بولين التى هناك (وتشير إلى طفلة أخرى تدعى بولين).

المدرسة: هل عندنا هنا بولين أخرى؟ نعم، لا أعتقد أنها بولين روبنسون. اسمها هى بولين، نفس اسمك. أعتقد أن لها اسما آخر يختلف عنك.

وهناك الطفلة "فيدا" التى يمكن أن يكون برنامج أطفال شهير فى التليفزيون قد أصابها بالحيرة والارتباك، اعتقدت أن ساعات الحائط تذكر أيام الأسبوع. وكانت تلعب بلعبة أطفال على هيئة ساعة حائط، وكان اليوم هو يوم الأربعاء:

الطفلة: أين يوم الأربعاء؟

الأم: أين يوم الأربعاء؟

الطفلة: نعم.

الأم: اليوم.

الطفلة: أين هو؟ أى رقم؟

الأم: إنه هنا.

الطفلة: أين؟

الأم: أين "أوه، لا، أنت لا تجدينه على ساعة الحائط، أنت تجدينه فى التقويم.

الطفلة: أوه.

طلبت ساماناثا شيئاً من الكريم (مستحضر طبي) لتضعه على وجهها لأنها شعرت بسخونة. وأدركت أمها سبب خطأها وصحته بوضوح شديد: "أنت لا تضعى الكريم على وجهك عندما تشعرين بسخونة. إنك تضعين الكريم عندما تأخذين حمام شمس".

وهكذا فإن اللامنطقية البادية على الطفلات الصغار تعود، فى رأينا، ليس للمنطق الخاطئ، ولكنها تعود لأنه فى مكان ما على طول الطريق تعرضت لاعتقادات خاطئة زائفة، أو أنهن كن ينقصهن خبرة رفض معانى متضمنة غير قابلة للتصديق لخط معين من الجدل. وهناك مثال جيد لذلك، وهو المحادثة التى احتارت فيها "لين" بخصوص "والد نانى" وأيضاً فى المحادثة التالية التى تتضمن طفلة عمرها أربع سنوات لم تكن تذكر فى غرفة المكتب فى البيت. وأعلنت أختها الأكبر منها أنها كانت ذاهبة لتساعد فى أعمال "الاستعداد للحفلة":

الطفلة: حفلة من هذه؟

الأخت: حفلة والدة ووالد "قرانى".

الطفلة: هل وُلدت والدة فرانى ووالدها فى نفس اليوم؟

إن استنتاج الطفلة هنا استدلال صحيح طبقا لمعرفتها المحدودة. فالناس يقيمون حفلات فى أعياد ميلادهم، وبالتالي فإذا أقام اثنان من الناس حفلة فى نفس اليوم، فلا بد من أنهما كانا قد وُلدا فى نفس اليوم. الطفلة هنا لم يكن ينقصها التفكير المنطقى السليم، لكنها فى الحقيقة كان ينقصها المعرفة بأن الكبار يقيمون حفلات لأسباب غير حفلات الميلاد. ولهذا السبب نشك فى النظرية الحالية القائلة بأن لامنطقية الأطفال هى التى تجعلهم على استعداد لتصديق حقيقة قصة الجنيات. ويبدو من المحتمل أنهم يقبلون حقيقة بابا نويل، أو خروج "رد رايدنج هود" من بطن الذئب، أو العالم الذى يمكن أن يوجد فى قاع البئر لأنهن تنقصهن المعرفة لكى يحكموا باستحالة وقوع هذه الأحداث.

إن مشكلة الأطفال فى التفكير ليست مجرد أنهم ينقصهم فقرات من المعلومات المفيدة، كما يمكن لطفل يكبرهم سنا مثلا أن يعرف اسم رئيس الوزراء، وإنما المشكلة أن لديهم فهما غير مكتمل ولا تام لمجموعة هائلة من المفاهيم التى يحصل عليها الأطفال الأكبر منهم، بل وحتى كبار السن، كأمر مُسلم بها دون مناقشة. وهكذا رأينا فى هذا الباب طفلات يعتقدن بارتباط حجم الجسم بعمر صاحبه، وأن الكبار يمكن أن يكبروا و"يشبوا"، وأن التجار يدفعون نقودا لعملائهم، وأن السلع لا تحتاج بالضرورة أن يدفع الناس أثمانها. وهذه الآراء ليست آراء غبية، ولكنها تتبع من تجاربهم الخاصة، على سبيل المثال، من رؤية أصحاب المحلات وهم يعطون أمهاتهم ما تبقى لهن من نقود. ولتوضيح هذه المسائل، يحتاج الأمر لقدرة كبير من التجارب مصحوبا بمناقشات مع الكبار.

وكان الانطباع الذي اكتسبناه هو أن عقول من هم فى الرابعة من العمر تحتوى على عدد كبير من مواد سقالات "ركائز" نصف مجمعة، عليها أن تتدمج وتتداخل فيما بينها حتى تكون إطاراً أكثر ترابطاً وتماسكاً. وفى نفس الوقت، يسمح هذا العجز فى الاكتمال للطفلة الصغيرة بدرجة معينة من المرونة الذهنية والفكرية، بطريقة يمكن أن تميز بينها وبين الطفلات الأكبر سناً أو كبار السن عموماً على نحو واضح. هناك أشياء وأحداث معينة لا تراها الطفلات بالضرورة من وجهة نظر واحدة - مثل ما يحدث مع أى طفلة أكبر منهن سناً أو مع أى شخص كبير - ولكنها يمكن أن ترى من خلال عدد من وجهات النظر المختلفة، يكون بعضها مناسباً وصحيحاً، ويكون البعض الآخر أقل صحة وملاءمة. وبالتالي فعندما ترى "روث" براعم لنباتات معينة فى الحديقة، تسميها "بصل ميت". وعندما صححت لها أمها، واصلت بعزم وعناد التمسك بتسميتها لتلك النباتات وسألت، "هل هذا البصل ميت؟" ليس هذا بسؤال للكبار، الذين يتحلون بإطار ذهنى وفكرى أكثر ثباتاً ورسوخاً: فإن صفتى الحى أو الميت ليستا من فئات الصفات التى يطلقونها عادة على البصل أو النباتات.

وقد يفسر هذا النقص فى المعرفة، والسيولة والمرونة الذهنية المقرونة به، سبب تلك الأهمية الكبيرة لطرح الأسئلة فى سنى مدارس الحضانة. لقد بدا على الطفلات فى هذه الدراسة أنهن مدركات إلى حد ما أن إطارهن الخاص بالمفاهيم فى ذلك العمر كان لا يزال غير قوى أو متين بالقدر الكافى بحيث يصبح على مستوى تجاربهن، كما أنهن شغلن أنفسهن بنشاط وإيجابية فى عملية تحسين مواد سقالاتهن "ركائزهن" الفكرية والذهنية. وبدا أن مجموعات البحث الفكرى على وجه الخصوص كانت مفيدة فى تلك العملية، ودلت على أن الطفلات كن مدركات إلى حد ما أن الحوار المتواصل مع الكبار كان وسيلة مفيدة لتطوير معارفهن الفكرية. وكما سنرى فى الباب الحادى عشر، أن تلك القضايا ليست بذات أهمية عند علماء النفس فقط، لكن

لها أثرها المباشر على التربية والتعليم في مدارس الحضانه، وعلى نوع النصائح التي تُقدم للآباء.

### الخلاصة

ناقشنا في هذا الباب وأكدنا أن الطفلات في سن الثالثة أو الرابعة يكن في أشد الحاجة لفهم وإدراك عالمهن، وهذا ينعكس على العدد الكبير من الأسئلة التي يطرحنها. ويكشف تحليل محادثات كاملة، "لاسيما مجموعات البحث الفكرى" وليست الأسئلة الفردية، الطريقة المنطقية والتي تتسم بالمتابرة التي يحاولن من خلالها توسيع أفقهن الفكرى. كما يكشف التحليل أيضا عن مساحات واسعة من الجهل في هذا المجال، والمعلومات الخاطئة، وحالات من سوء الفهم. وفي رأينا، فإن نموذج "باياجيت" لعقول الأطفال يبخس قدر طاقاتهم الفكرية، ويجانبه الصواب في تقدير الطريقة التي يمكن للكبار من خلالها مساعدتهم في توضيح أفكارهم.

(٦)

## الحرمان اللفظى لدى الطبقة العاملة... أسطورة أم حقيقة؟

حتى هذه اللحظة، لم نركز تركيزاً خاصاً على الخلفية الاجتماعية للطفلات. صحيح أننا ذكرنا أن بعض المواقف التعليمية (مثل استخدام الأمهات للعب الأدوار الخيالية) كانت شائعة أكثر في بيوت الطبقة المتوسطة، بينما كانت مواقف أخرى (مثل الدروس الرسمية) شائعة أكثر في بيوت الطبقة العاملة، لكننا لم نكتب تقريراً عن أى مقارنات منظمة لجماعتي الطبقة الاجتماعية. ونقوم في هذا الباب بوصف التحليلات التي قمنا بها للمقارنة بين البيئة التعليمية في بيوت الطبقة المتوسطة وبيوت الطبقة العاملة.

### لماذا دراسة الطبقة الاجتماعية؟

كما أشرنا في الباب الأول، هناك الكثير من علماء الاجتماع، والمعلمين، ورواد جماعة التمثيل الذين يعتقدون أن أطفال الطبقة العاملة محرومين من الناحية اللغوية، وسوف ندرس في هذا الباب تلك المعتقدات في ضوء ما وجدناه. ومع ذلك، فهناك الكثيرون أيضاً الذين يؤكدون أن الطبقة الاجتماعية ليست عاملاً وثيق الصلة بمن يعمل مع الأطفال الصغار. لذا سنبدأ بشرح السبب الذي أدخلنا من أجله الطبقة الاجتماعية كأحد المتغيرات المهمة في دراستنا.

عند ذكر الطبقة الاجتماعية فإننا نشير إلى وظيفة أو مهنة والد كل طفلة، فعادة ما تكون هي الأساس في تصنيف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة. وفي تصنيف أمين التسجيل العام البريطاني، تُصنف الوظائف أو المهن بدءاً من الرقم "١" وحتى الرقم "٥"، طبقاً لمراكزهم ومستوياتهم المفترضة. ويكون التقسيم الرئيسي في هذا التصنيف بين العاملين من الطبقة المتوسطة أو بيض الياقة (من ذوى الرواتب " كالمدرسين والموظفين، إلخ".



الذين تقتضى وظائفهم الظهور أمام الناس بمظهر أنيق) (الطبقات ١، و٢، و٣ غير اليدويين) والطبقة العاملة أو العمال اليدويين (الطبقات ٣ يدوى، و٤، و٥).

يُعد هذا التصنيف للطبقة الاجتماعية أقوى الأدوات الوصفية من بين أسلحة عالم الاجتماع أو مورده. إن الإطار الرئيسى لحياة الطفلة - بدءا من فرصتها للبقاء على قيد الحياة فى السنة الأولى من عمرها، وحتى السن الذى يُحتمل أن تتزوج فيه، وعدد الأطفال الذى يغلب أن تلدهم وتربيهم، واحتمال موتها نتيجة إصابتها بأمراض مختلفة - يرتبط ارتباطا شديدا بطبقتها الاجتماعية. والأكثر من هذا، تظهر دراسات تربية الأطفال التى قام بها "جون" و"إليزابيث نيوسون" فى نوتنجهام، أن كل ناحية من نواحي تربية الأطفال، بدءا من احتمال امتصاص الطفلة لإصبع الإبهام فى يدها وإلى نوع العقوبة التى تتلقاها، تتصل بطبقتها الاجتماعية.

وتكون تأثيرات الطبقة الاجتماعية قوية على وجه الخصوص فى التربية والتعليم. لقد وجدت دراسة موسعة عن الأطفال البريطانيين "دراسة حول نمو الطفل المواطن" أن الأطفال من الطبقة الاجتماعية الخامسة يغلب أن يكونوا أضعف ست مرات فى قراءتهم وهم فى سن السابعة عن أطفال الطبقة الاجتماعية رقم ١، وبخمس عشرة مرة فى العجز التام عن القراءة. وبالطبع كل تلك البيانات عبارة عن احتمالات فقط؛ فالكثير من أطفال الطبقة المتوسطة ضعاف فى القراءة، وأحيانا ما يكون أطفال الطبقة العاملة ناجحين فى المدارس. ولكن يظل أقوى عامل فى تفسير نواحي كثيرة لحياة الأطفال هو الطبقة الاجتماعية لآبائهم.

والسؤال الذى يثر اهتمام وفضول الناس هو كيف يحدث أن يكون لوظيفة الرجل مثل هذا التأثير الملحوظ على حياة أطفالهم. يجب أن تكون الوظيفة أحد "التفويضات" بسلسلة من المتغيرات المرتبطة عادة بهذه الوظيفة، بما فى ذلك دخل الأسرة، والمسكن، والوضع التعليمى، والقيم والمعتقدات.

وتنشأ كثير من الفوارق بين الطبقات الاجتماعية بوضوح بسبب التباين بين الثروات، لكن لا يمكن أن ترجع تلك الفوارق لذلك التباين فى الثروات فحسب؛ فالعوامل الاقتصادية وحدها لا يمكن أن تفسر، على سبيل المثال، السبب الذى يجعل عدد من يدخن من نساء الطبقة المتوسطة أقل ممن يدخن من نساء الطبقة العاملة، ولكن عدد من يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية منهن، ويشجعنهم على لعب الأدوار الخيالية معهن، ويقرأن لهم قصصا قبل النوم يزيد عن عدد من يفعل ذلك كله من نساء الطبقة المتوسطة. ويبدو أنه من المرجح أن الذى يحدد تلك الأنماط من السلوك هو نوع المعرفة المتاحة للشخص، بما فى ذلك نوع الصحف، والمجلات وبرامج التليفزيون التى يختارها، ومجموعة كاملة من الميول والاتجاهات والقيم. لكن لماذا يكون للأفراد ذوى الوظائف المختلفة قيما مختلفة؟ قد يكون مستوى التعليم وتجارب الحياة المختلفة عوامل تطرأ وتتداخل فتحدث ذلك الاختلاف فى القيم. ومن هنا فإن المرأة التى درست فى كلية أو جامعة، أو التى يعتمد رزقها على مهارتها فى اللغة المكتوبة يغلب عليها أن تهتم بنوع الكتب التى يقرأها أطفالها أكثر بكثير من المرأة التى تعتمد على مهاراتها اليدوية فى المقام الأول.

ولأن هناك دلائل كثيرة على ارتباط الطبقة الاجتماعية بنواحي كثيرة فى تربية الأطفال، فإن أى دراسة للتعليم فى البيت من المؤكد أنها تأخذ هذا العامل المتغير فى الحسبان. ويصح هذا الكلام على وجه الخصوص لو كانت اللغة هى بؤرة الاهتمام، كما سنعرض فى القسم التالى من هذا الباب.

### الطبقة الاجتماعية وتطوير اللغة

أظهرت الدراسات الأمريكية والبريطانية لمدة خمسين عاما بشكل متكرر أن أطفال الطبقة العاملة يحصلون فى المتوسط على درجات أقل من درجات أطفال الطبقة المتوسطة فى اختبارات حاصل الذكاء وفى اختبارات التطوير اللغوى. وبينما يؤكد بعض علماء النفس أن هذه الفوارق فى درجات

الاختبارات ترجع لفوارق جينية "أى وراثية" فى الذكاء، فمن الشائع أكثر أن نفسرها اعتمادا على الفوارق والاختلافات فى البيئة المنزلية للأطفال. وعلى وجه الخصوص، كثيرا ما يؤكد العلماء أن السبب الأساسى لتدنى درجات أطفال الطبقة العاملة فى الاختبارات هو "الحرمان اللغوى" لبيوتهم. ونتيجة لذلك، يُقال عن الأطفال إنهم ينقصهم المهارات اللغوية المطلوبة للتعامل مع متطلبات حجرة الدراسة. وهذا، كما يجادلون، هو السبب الرئيسى للتدنى النسبى لإنجازاتهم فى المدرسة.

ولقد تم تصوير الطبيعة الدقيقة لهذا الحرمان اللغوى فى البيت بطرق متعددة. وكانت أكثر الصور صراحة وبلا مجاملة هى أن أطفال الطبقة العاملة قلما يتحدث معهم أبائهم. ويؤدى هذا الاعتقاد إلى نوع التالى من الوصايا التى تُقدم للأباء، والتى تمت الموافقة على نقل نصها فى تقرير بولوك: "عندما تعطى طفلك حماما، دعه يستحم فى اللغة". وترى نظرية أخرى أكثر تطورا أن اللغة لا تُستخدم فى البيوت المحرومة "من المزايا" إلا فى أغراض بسيطة، على سبيل المثال: لوصف أحداث، أو للسيطرة على الأطفال. ويذكر "تقرير بولوك" فى فقرة أخرى منه: "إذا لم يواجه الطفل مواقف يتعين عليه فيها أن يستكشف، ويتذكر، ويتنبأ، ويفسر... فإنه لا يمكنه أن يأتى للمدرسة ولديه القابلية والتعود المسلح بهما لاستخدام مثل تلك القدرات. وهناك اعتقادات يؤمن بها الكثير على نطاق واسع وهى أن أمهات الطبقة العاملة لا يلعبن مطلقا مع أطفالهن، وأنهن يفشلن فى الإجابة على أسئلتهم.

والشئ الشائع فى كل صور نظرية "الحرمان اللغوى" هو الخلاصة التالية: إن أطفال الطبقة العاملة لديهم مهارات لغوية ضعيفة؛ وإن هذا الضعف يرجع لنواقص وعيوب فى البيئة اللغوية لبيوتهم، وإن مهارات اللغة غير الكافية لديهم هى السبب الرئيسى لأدائهم الضعيف فى المدرسة. وقد رفع العالم اللغوى الأمريكى "وليام لايف" راية التحدى لكل الخطوات الثلاث

في هذه الخلاصة. كتب "لابوف" في ١٩٦٩ بحثاً شهيراً عن لغة أطفال حي الأقلية السود عنوانه "منطق اللغة الإنجليزية غير المثالية" أكد فيه أن "نظرية الحرمان اللغوي جزء من الميثولوجيا (علم الأساطير) الحديثة لعلم النفس التربوي". وأكد "لابوف" أنه، بعيداً عن تلقى أطفال حي الأقلية محفزات ومنبهات لغوية غير كافية وغير مناسبة في بيوتهم، فإنهم يشبون في بيئة وثقافة لغوية عالية، وأن لهجتهم المحلية لها نفس إمكانيات التفكير المنطقي كما للغة الإنجليزية الفصحى. ومن هنا استنتج أنه لا يمكن أن تكون نواقص ومثالب لغة الطفل هي المسئولة عن ضعف أدائه في المدرسة. لذا فإن البرامج التعويضية للغة لا لزوم لها كما أنها مضللة. ولا بد من البحث عن سبب تدنى إنجاز الأطفال التعليمي، ليس في بيوتهم، لكن في المدارس، على سبيل المثال: التوقعات والمستويات المتدنية للمدرسين والمدرسات.

وسأل لابوف: "لماذا إذن نشأت هذه الأسطورة؟" وكان تفسيره لذلك هو أن أطفال الطبقات الدنيا يميلون لأن يكونوا أحادي المقاطع في الكلام مع الشخصيات ذات السلطة. وهذا العيب اللغوي الظاهر، كما يؤكد "لابوف"، هو في الحقيقة رد فعل لموقف اجتماعي يتصور الأطفال أنه يهددهم. وأوضح وجهة نظره تلك باقتباسه من نص نسخة أصلية لمقابلة أجاب فيها طفل أسود على أسئلة وجهت له باختصار، وتقريباً مستخدماً كلمات ذات مقطع واحد. وعندما نقل نفس مجرى الحديث الموقف الاجتماعي بجلوسه على أرضية الحجرة، ومشاركته نفس الطفل رقاقت البطاطس المقالية، وإحضاره طفل آخر، ويتقدمه لكلمات ومواضيع محظورة، ويتحوّله المقابلة لشيء يأخذ طابع حفلة أكثر منها مقابلة، بدأ الطفل السابق عديم الكلام يتكلم بحرية. واستنتج "لابوف" من ذلك أن الموقف الاجتماعي هو الذي يفرض السلوك اللفظي، وأن الشخص الكبير يجب أن يخرط في علاقة اجتماعية صحيحة مع الطفل فيما لو أراد تقييم قدرته اللغوية.

وينبغي ملاحظة أن "لابوف" لم يدّعي أنه لم تكن هناك فوارق بين

الطبقات الاجتماعية فى لغة الأطفال وطريقة كلامهم. ورأى أن أطفال الطبقات الفقيرة قد يحتاجون لمساعدة فى تعليمهم كى يكونوا واضحين وغير متحفظين، وفى توسيع حجم مفرداتهم اللغوية، ولكن ليس بتفكير مفاهيمى ومنطقى. ومع ذلك تبنى بعض علماء النفس وجهة النظر القائلة بأنه لا توجد فوارق حقيقية بين الطبقات الاجتماعية فى مجال القدرة على الكلام واستخدام اللغة، ويدافعون عن الرأى الذى يقول إن النواقص والعيوب تظهر فى مواقف الاختبارات، التى يمكن أن يشعر خلالها أطفال الطبقة العاملة بأنهم أقل طمأنينة وراحة بال أو أقل تحفيزا بشكل جيد عن أطفال الطبقة المتوسطة.

لقد بُنيت معظم النظريات التى أوجزناها على قرائن قليلة بشكل ملحوظ. أولا، لم يوضح أحد بالضبط كيف تنتج عن العيوب والنواقص اللفظية لأطفال الطبقة العاملة مشاكل ومصاعب فى غرفة الدراسة. ما هى بالضبط المتطلبات اللغوية التى لا يمكنهم الوفاء بها وتنفيذها؟ ثانيا، لقد ظهر القليل جدا من الدراسات المباشرة حول ما إذا كان استخدام اللغة يختلف فى الحقيقة وسط عائلات الطبقة الاجتماعية المختلفة. وعادة ما كانت الدلائل التى تُرصد تُقترن إما بمواقف مصطنعة للغاية، كأن تعلم أمهات أطفالهن مهام معينة كأن يلعبن معهن فى مختبر جامعى، أو فى مقابلات كان الأمهات يُسألن عما يتكلمن مع أطفالهن فيها. ثالثا، إن علماء النفس الذين يؤكدون أن درجات الاختبارات تبخس تقدير المهارات اللغوية عند أطفال الطبقة العاملة لم يعرضوا قضيتهم بإظهارهم أنه فى المواقف الطبيعية أكثر لا يوجد فارق فى الطبقة الاجتماعية تجاه المهارات.

وسمحت الدراسة التى قمنا بها بقيامنا بمساهمة جديدة فى تلك المسألة. من خلال مراقبتنا للأمهات والطفلات فى البيوت، تمكنا من أن نرى ما إذا كان هناك أى دلائل أم لا على التعميمات التى كثيرا ما تُقام عن اللغة فى بيوت طبقات اجتماعية مختلفة. وبمتابعة الطفلات من المدرسة إلى

البيت، تمكنا من أن نرى ما إذا - كما أكد "لابوف" - كانت الطريقة التى كانت أطفال الطبقة العاملة تتكلم بها تتأثر متأثراً مضاداً بالموقف المدرسى. وأخيراً، بإجراء اختبار نكاء لغوى لفظى قياسى للطفلات، تمكنا من أن نرى ما إذا كانت درجاتهن فى الاختبار لها أى علاقة بمقاييسنا لكلامهن التلقائى فى البيت.

### كيف اخترنا مجموعتنا من الطبقات الاجتماعية

لقد اخترنا طفلات من مجموعتين مميزتين ضمنا لإيجاد تباين بين خلفيات الطبقات الاجتماعية. فى مجموعة الطبقة المتوسطة، كان الآباء من الطبقة الاجتماعية رقم ١ ورقم ٢؛ وفى مجموعة الطبقة العاملة، كان الآباء من الطبقة الاجتماعية رقم ٣ يدوية، ورقمى ٤ و ٥. وكان الأب فى جميع عائلات الطبقة المتوسطة فى وظيفة مهنية، صحفى على سبيل المثال، أو فى مجال العمل الاجتماعى أو التدريس. وفى مجموعة الطبقة العاملة، كان تسعة من بين خمسة عشر والداً فى وظائف يدوية مهارية، سباك محركات وأدوات ميكانيكية على سبيل المثال، أو كهربائى، أو سائق شاحنات للسلع الثقيلة. وكان الستة آباء الآخرون فى وظائف شبه مهارية أو غير مهارية: عامل أسفلت، وعامل بناء وتاجر ألبان.

ولكى نأخذ تأثير الأمهات فى عين الاعتبار، شملنا مستوى التعليم الذى حصلت عليه كل أم فى معايير اختيارنا. لذا تم اختيار مجموعة الطبقة المتوسطة من تلك الأمهات التى كان آباؤهن من الطبقة الاجتماعية رقم ١ ورقم ٢، وكانت أمهاتهن إما درسن فى كلية أو جامعة، أو كن قد تأهلن لهذه الدراسة. وتم اختيار أمهات مجموعة الطبقة العاملة من أولئك اللاتى كان آباؤهن من العمال اليدويين، وكانت أمهاتهن قد تركن التعليم عند الحد الأدنى للسن المسموح فيه بترك التعليم، ولم تحصلن على أى شهادة عامة. وبهذا الشكل كانت أمهات الطبقة العاملة على النقيض تماما من الناحية التعليمية من أمهات الطبقة المتوسطة. ولأننا استخدمنا كلا من المعايير التعليمية والمعايير

المهنية، كان من المحتمل أن تكون الفوارق بين العائلات أكبر منها فى أى من الدراسات البريطانية السابقة التى استخدمت المعايير المهنية فقط.

وكان ثلث الأمهات فى كلتا المجموعتين تعمل فترة واحدة فى اليوم فقط. وفى حالة أمهات الطبقة المتوسطة، كن يعملن عموماً كمدرسات ورائدات ألعاب أو باحثات. أما بالنسبة لأمهات الطبقة العاملة فكن يعملن عموماً كعاملات تنظيف. وكما هو متوقع، كانت عائلات الطبقة المتوسطة تعيش فى أماكن إيواء فخمة. وكانت جميعها تقطن بيوتا وليس شققاً، وكانت جميع تلك البيوت ذات حدائق. أما بالنسبة للخمسة عشر عائلة من عائلات الطبقة العاملة، فكانت ست منهن يسكن فى شقق جمعيات بلا حدائق، وباقى العائلات كن يسكن فى بيوت مصفوفة فى بقعة أرض منحدره لها فناء خلفى صغير أو حديقة. وكانت كل الطفلات لهن قدرًا معقولاً من لعب الأطفال والكتب، مع أن طفلات الطبقة المتوسطة كن يملكن فى الغالب لعب أطفال تشبه اللعب الموجودة فى مدرسة الحضانه.

#### هل هناك فارق بين الطبقات الاجتماعية فى كم الحديث بين الأمر والطفلة؟

بدأنا التحليل بدراسة ما إذا كنا نثبت أحد أكثر المعتقدات رسوخاً وانتشاراً عن الطبقة الاجتماعية واللغة، وهو أنه لا يوجد من يتكلم مع الأطفال فى بيوت الطبقة العاملة. ونحن لم نجد أى دليل يسند هذا الاعتقاد. لم يكن هناك أى فارق له مغزاه بين الطبقات الاجتماعية فى عدد المحادثات، ولا طول المحادثات، ولا فى عدد الكلمات فى أنوار الكلام سواء للأمهات أو لبناتهن. وحدث قدر كبير من الكلام فى جميع محادثات عائلات الطبقة العاملة، باستثناء عائلة واحدة فقط. وعلى هذا لم يكن هناك سند للنظرية المفرطة فى تبسيط الأمور والتي تزعم أن طفلات الطبقة العاملة كن يعانين من شح فى التعرض للغة الحديث.

#### هل هناك فارق بين الطبقات الاجتماعية فى استخدام اللغة؟

أما الاعتقاد الثانى الذى حاولنا بحثه ودراسته فكان فحواه أن اللغة

تُستخدم لعدة أغراض في بيوت الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة. في بريطانيا، قدّمت "جوان تاف" وجهة النظر هذه بكل قوة. وأكدت أن طفلات الطبقة العاملة الصغيرات نادرا ما استخدمن اللغة في أغراض معقدة من أمثال عقد مقارنات، أو استدعاء الذكريات الماضية، أو تقديم تفسيرات، أو البحث عن أوجه اختلاف. وكان معظم كلامهن ينصب على السيطرة على الأخريات ("توقفي عن عمل ذلك")، أو التعبير عن الحاجات والمطالب ("أريد الحليب الخاص بي")، أو الوقاية الذاتية ("إنك تجرحيني")، وتعريف الأشياء ووصفها ("تلك سيارة"). وطبقا لما قالته "تاف" فإن طفلات الطبقة العاملة لديهن تجارب قليلة في الحصول على إجابات لأسئلتهن، أو في سماع التفسيرات، أو في تقديم أسباب وتبريرات، أو تنبؤات أو إسقاطات حول تجارب الآخرين. لذا فإن نموذج استعمال اللغة الذي يُقدم لتلك الطفلات هو نموذج محدود جدا.

وبناء على تلك الآراء، صممت "تاف" برنامج تدريبي للمعلمين يُمكنهم من تقييم وتشجيع الطفلات على الاستخدام المعقد للغة. وحضر الآلاف من معلمى مدارس الحضانة ورياض الأطفال هذا البرنامج.

وفحصنا نسخنا وتسجيلاتنا الصوتية لنرى ما إن كان بها سند لآراء "تاف" من عدمه. وأمعنا النظر ودققنا في كل دور من أدوار كلام الأمهات والطفلات لنرى ما إن كان أحدهم يتضمن استخدام لغة بأحد الطرق الأكثر تعقيدا التى وصفتها "تاف":

١- عقد مقارنات، أوجه شبه وأوجه اختلاف، مثال، "أنت أضخم من اللازم بالنسبة لهذه الشاحنة"

٢- تذكر أحداث ماضية، مثال، "فى الأسبوع الماضى ذهبنا لبيت جدك، أليس كذلك؟"

٣- عمل خطط مستقبلية، مثال، "سنذهب للسباحة غدا"



٤- الربط بين حدثين على الأقل في كل مرة باستخدام كلمات مثل "بينما"، و"عندما"، و"حتى" و"ثم"، مثال، "لا يمكننا الذهاب للتسوق حتى يعود والدك للبيت"

٥- وصف الغرض من وجود أشياء، مثال، "يستخدم هذا النسيج الممزوج بالمطاط في صناعة الأقنعة"

٦- تقديم أسباب، وتفسيرات، وأهداف ونتائج القيام بأعمال، مثال، لقد ولت القطة هاربة لأنك جذبتى ذيلها (وكنا نستبعد التفسيرات التي كانت تأخذ طابع التأكيدات، أو بيانات السلطة أو التعبير عن أمنيات - مثال، لأنها/ أريد أن /أنا أقول ذلك)

٧- استخدام الجمل الشرطية المتعلقة بأحداث افتراضية، مثال، "إذا توقف المطر، يمكننا الذهاب للحديقة"

٨- عمل تعميمات وتعريفات، مثال، "الخنازير لا تطير، لكن الطيور تطير"

٩- تقديم الأسباب والاستنتاجات، مثال، "إذا أكلتى الحلوى الخاصة بك، فلن يمكنك توفيرها"

١٠- إسقاطات في الأفكار والمشاعر الذاتية أو أفكار ومشاعر الآخرين، مثال، "أتوقع أن "كيت" تشعر بالحزن الشديد الآن"

١١- حل المشاكل، أى تبصر خلاق وتحليل للموقف، مثال:

الطفلة: لا يوجد لدينا ما يكفى من عصا حلوى الكرامل. "الأم: حسنا، سنكسر كل عصاة منهم إلى اثنتين، إذن"

ينبغي ملاحظة أنه فى التحليل الذى قمنا به كنا لا نحسب درجات لاستخدام اللغة إلا إن كانت واضحة ومحددة. وبالتالي فإن الجملة الشرطية ('إذا... فإن') كانت لا تمنح درجات إلا إذا تم التعبير عن شطرى الجملة بالكامل. وبالمثل، كنا لا نعطي درجات لأى تفسير إلا إذا تم الربط بين

السبب والنتيجة بوضوح من جانب المتحدث. واتخذنا هذا القرار لأن الاستخدام الضمني أثبت أنه من الصعوبة تحديده بمكان لدرجة أننا لم نشعر بالثقة بأننا يمكننا قياسه بشكل يعتمد عليه.

وبالطبع فإن القدر الكبير من المحادثات الروتينية لا يتضمن مثل تلك الاستخدامات للغة. والمحادثة القصيرة التالية، على سبيل المثال لا تشمل أى استخدام معقد للغة:

الطفلة: أماه!

الأم: نعم.

الطفلة: دعيني أعب بالخارج؟

الأم: تريد أن تلعبى بالخارج؟ حسنا، لا ضير أن تخرجى.

الطفلة: وهو كذلك.

وما يقابل هذا، المحادثة التالية التى تتساوى فى قصرها مع المحادثة القصيرة السابقة، ولكنها أكثر تعقيدا من الناحية اللغوية فى تبادل الحديث بين "جويس" وأمها، ودارت كلتا المحادثتين فى بيتين من بيوت الطبقة العاملة:

الطفلة: أماه! انظرى لهذه وهى تهبط كالطائرة المروحية. (وتحرك "جويس" سلسلة أرجوحاتها حركة لولبية)

الأم: نعم، ولكننى طابت منك بالفعل استخدام الأرجوحة الأخيرة، تلك المصنوعة من الحبل، خوفا من أن ترتطم السلسلة بأحد وتضربه ضربة عنيفة.

لقد وجدنا أن أمهات الطبقة المتوسطة كن يستخدمن اللغة لأغراض معقدة بشكل له مغزاه أكثر من أمهات الطبقة العاملة - فى المتوسط، وبإضافة الاستخدامات المختلفة مع بعضها، خمسة وخمسون مرة فى الساعة مقارنة بثمانية وثلاثين مرة بالنسبة لأمهات الطبقة العاملة - وكانت النسبة

والتناسب بالإضافة لمعدل السرعة فى استخدامات اللغة تلك أعلى فى حديث أمهات الطبقة المتوسطة عنها عند أمهات الطبقة العاملة. وتحجب تلك المعدلات تغييرات واختلافات كبيرة، كما كان هناك القدر الكبير من التداخل والتمازج بين الطبقات الاجتماعية. ومع ذلك، حصلت خمسة من أمهات الطبقة العاملة على درجات أقل من درجات أى أم من أمهات الطبقة المتوسطة.

كان هذا الفارق بين الطبقات الاجتماعية موجودا فى جميع قوائم الاستخدامات اللغوية، عدا استثناء واحد، وهو ربط الأحداث بزمن حدوثها. وكان الفارق فى كل قائمة ضئيل نسبيا، فقد قدمت أمهات الطبقة المتوسطة تفسيرات، أو فسرت الهدف من الأشياء عشرون مرة فى الساعة فى المتوسط، بينما فعلت أمهات الطبقة العاملة ذلك خمسة عشر مرة فى الساعة.

ورغم وجود فوارق بين الطبقات الاجتماعية وفوارق فردية بين الأمهات، فإن جميع الأمهات كن يعقدن مقارنات، ويقدمن تفسيرات، يستخدمن التركيبات الشرطية "إذا...، وبالتالي"، ويربطن الأحداث بوقت حدوثها، واستخدمت جميعهن، عدا واحدة، اللغة لتذكر أحداث مضت ولمناقشة أشياء سوف تحدث فى المستقبل.

وإليك إحدى الأمهات اللاتى قل استخدامهن للغة فى هذه الأغراض لأقصى درجة وهى تطل من النافذة مع "ساندرا":

الأم: انظرى. ذاك هو ذلك الطائر.

الطفلة: أين؟

الأم: على الطريق. يأكل بعض الخبز.

الطفلة: نعم.

الأم: إلى أن تلحظه "كيتى" (قطة العائلة).

الطفلة: نعم، إنه يركض. وكيتى ستأكله.

الأم: تفعل ذلك لو استطاعت الإمساك به.

الطفلة: نعم. أنا أحب الطيور.

الأم: نعم.

تقدم الأم فى هذه المحادثة القصيرة نظرة مستقبلية وتؤهل قدرة الطفلة على التنبؤ بتقديم جملة شرطية. إن كثرة مثل تلك الملاحظات فى كل تسجيل قمنا به يجعل من الصعب علينا بـمكان تصديق حقيقة البيوت التى لا يتم فيها مناقشة النوايا، والاحتمالات، والبدائل والعواقب.

وكثيرا ما نجحت محاولات الأم للسيطرة على الطفلة فى أن تدفعها إلى استخدام اللغة لأغراض معقدة. كانت "ساماناثا" تخربش "أى ترسم بعجلة ودون عناية" فى دفتر تلوين عندما تدخلت أمها:

الأم: لوّنى فى الصور. انظرى، مثل هذا (وتشير لصورة كانت "ساماناثا" قد لونها بطريقة صحيحة. وتمضى "ساماناثا" فى شخبطها) "ساماناثا"، هذه الصور ليست موضوعة لترسمى فوقها، إنها موضوعة لتلوني فيها.

وهنا دخلت القطة الغرفة ورقدت فوق دفتر التلوين. وربتت "ساماناثا" بيدها على شعر القطة برفق.

الأم: لا ترفعيها، لأن صحتها ليست على ما يرام. هل تعرفين لماذا ترقد فوق دفترك؟

الطفلة: هذا هو ما تريده، أعتقد أنها تريد أن تفعل شيئا.

الأم: لا - لأن الدفتر حلو وبارد. الورق حلو وبارد (كان الطقس شديد الحرارة فى ذلك اليوم)

الطفلة: أريدها أن تبعد (وتحاول شد القطة بعيدا عن الدفتر)

الأم: إنك تجعلين ذيلها يهتز. لا تفعلى ذلك يا "ساماناثا".

وكان الفارق بين الطبقات الاجتماعية موجودا أيضا كلما ازداد استخدام الطفلات للغة في أغراض معقدة. وكان هذا الفارق - ومعدله في المتوسط عشرون استخداما في الساعة لطفلات الطبقة المتوسطة مقارنة بسبعة عشر استخداما لطفلات الطبقة العاملة - أصغر بكثير من الفارق الذي كان في استخدام أمهاتهن للغة في تلك الأغراض، لكنه كان موجودا في كل القوائم الكبرى لاستخدام اللغة. ومن المهم أن نلاحظ أنه كما كان الحال مع الأمهات، فإن بنات الطبقة العاملة لم تكن تتقصدن تلك المهارات اللغوية المهمة، ولكنهن في المتوسط استخدمنها أقل منهن. ففي خلال الساعتين والنصف التي كنا نقضيها في كل بيت، قدمت كل البنات تفسيرات، وعقدن مقارنات "باستثناء طفلة واحدة"، واستدعين أحداثا ماضية للذاكرة وناقشن خططاً مستقبلية، وربطت جميعهن الأحداث بأزمتهن "باستثناء اثنتين منهن".

ولابد من أن نضع في أذهاننا أيضا أنه، في حالات كل من الأمهات وبناتهن، كان تحليلنا يشير للاستخدامات الواضحة الصريحة للغة. ولا نعرف كيف كان يمكن للاستخدامات الضمنية أن تغير من أحاسيسنا لو حسبناها هي الأخرى.

### هل هناك فارق بين الطبقات الاجتماعية في الجلاء والوضوح؟

لقد لاحظنا سابقا رأى "ليوف" بأن المتحدثين من الطبقات الدنيا قد يكونوا أقل وضوحا وجلاء عند استخدامهم للغة عن متحدتي الطبقة المتوسطة. ونظرية عدم الوضوح هذه التي تميز كلام الطبقة العاملة تتضمنها أيضا نظرية "بيرنشتاين" القائلة بأن المتحدثين من الطبقة العاملة توجههم مجموعة مبادئ أو قواعد لغوية محدودة ومقيدة. أما الطبقة المتوسطة فالذي يوجههم مجموعة مبادئ معقدة ومحكمة. (تحتوي نظرية "بيرنشتاين" عن المبادئ والقواعد على عناصر أخرى كثيرة نشأت وتطورت وتم صقلها وتفتحها عبر فترة طويلة من الزمن)

والذي يحدث في الاستخدام الضمني للغة، أن معنى الجملة لا يتم

التعبير عنه بالكامل، حيث إن المتكلم يفترض أن المستمع يفهم جيدا العنصر الذى لم يقله من الجملة. وتحتوى معظم المحادثات على نسبة معينة من الكلام الضمنى هذا. على سبيل المثال، قد يقول المرء، "أنا لا أستطيع الذهاب لقضاء عطلة الصيف هذا العام، فلقد توليت طلاء الواجهة الخارجية لبيتى" وقد يقول أيضا، "أنا لا أستعمل التكييف المركزى الآن، إننا فى شهر يونيو". يكون الأمر مضجرا ومملا ولا داعى أن يفصح المرء بلسانه عن الروابط التى تركها ضمنية فى هاتين الجملتين. ومع ذلك، فهما لا يمكن أن يُدرك فحواهما إلا أناس لهم خبرة كافية بثقافتنا تجعلهم يفهمون ما لم ينطق به المتحدث فى أى منهما. وهناك نوع آخر من التواصل الضمنى، وهو الذى يحدث عندما يفهم شخص ما يرغب الآخر فى قوله وينفذه دون أن يُطلب منه ذلك باللسان البين. ولقد ذكرنا فى الباب الرابع مثال "كاثى" التى نسخت ما كتبتة أمها "كجزء مما كان واضحا أنه روتين عائلى" دون أية تعليمات علنية صريحة لها بذلك.

إن تقييم مدى وحجم الضمنية فى التواصل بالحديث مع الآخرين إجراء صعب ومستهلك للوقت، ولم نحاول القيام به. وعموما، فإن هذا التواصل الضمنى إجراء ناجح تماما، فى حالتى كل من الكبار والأطفال، لاسيما بين الناس الذين يعرفون بعضهم معرفة جيدة. ومع ذلك، وبسبب قلة تجاربهم النسبية، يواجه الأطفال أحيانا صعوبات معينة فى فهم تفسيرات لم يتفوه بها المتحدث بشكل بين.

وتبادل الحديث التالى، مثلا، كان يمكن أن يفرز القليل لتوضيح اعتقاد "كيللى" بأنه كان فى إمكان أمها صنع الشموع:

الطفلة: أين تصنعين الشموع؟ (على الكعكة من أجل عيد ميلادها الرابع) "بأسلوب خاطئ فى طرح السؤال"

الأم: أين صنعتُ الشموع؟ "بأسلوب صحيح فى طرح السؤال" الشموع كانت عندى.

الطفلة: كانت الشموع عندك؟

الأم: أربعة.

وكانت والددة "بولين" نشعر بالقلق بأن الطفلة الرضيعة قد تختنق بسبب قطعة البسكويت التي أعطتها لها "بولين"، فأطلقت تحذيرا غامضا:

الأم: لا تلعبى معها وهى تأكلها، خوفا من أن تبتلع قطعة كبيرة منها فى جوفها.

الطفلة: قطعة كبيرة؟

الأم: نعم.

الطفلة: لماذا؟

الأم: (لا جواب)

وبسبب صعوبة قياس مدى وحجم الضمنية فى سياق الحديث، لم نقم بفحص الفوارق الشاملة بين الطبقات الاجتماعية فى هذه الناحية من نواحي اللغة. ومع ذلك، أصبح لدينا بالفعل بعض الدلائل على أن أمهات الطبقة المتوسطة يفرضن على طفلتهن طلبات أكثر من أمهات الطبقة العاملة بأن يكن أكثر بيانا وصراحة. وبينما لم يكن هناك فوارق بين الطبقات الاجتماعية فى معظم النواحي التى تخص "الطلبات أو الأسئلة المعرفية" التى كانت الأمهات تطلبها من طفلتهن (انظر الباب الثامن)، إلا أنه كان هناك استثناء واحد. وكان هذا فيما يتعلق بمجموعة من طلبات صعبة للغاية استلزمت من الطفلة التفكير بعمق من منطلق قولها هى بنفسها، مثلا: "لا أعرف ماذا تعنين؟"، "كيف تعرفين ذلك؟"، و"ماذا تعنين؟"

وكانت هذه الأسئلة تُطرح أحيانا بشكل بلاغى. وعلى أى حال، كانت أمهات الطبقة المتوسطة فقط فى دراستنا يطرحن هذه الأسئلة ويتوقفن قليلا بعد طرح كل سؤال منها، أى متوقعات أن يتم الرد على ذلك السؤال. ويمكن

أن تجد أمثلة لهذه الأسئلة عندما تناقش "مينا" وأما مسألة النمرور وعندما تحاول والدة "آن" أن تفهم لماذا قالت "آن" إن الأطفال ليسوا من الناس.

وفى الحقيقة، كانت المطالب من هذا النوع تتعدى قدرات غالبية الطفلات. لم تجب أى طفلة على سؤال، "كيف تعرفين ذلك؟" سوى بقولها، "لأنى أعرف"، بينما استطاعت طفلتان فقط أن يجيبا على سؤال، "ماذا تعنين؟". وعادة ما كانتا تكرران جملتهما، السؤال: "ماذا تعنين، حليب سائل؟"، الإجابة "حليب سائل". لذا قد يستنتج المرء أن الأمهات كن حمقى أو تعوزهن الحساسية فى طرح الأسئلة. ومع ذلك، فمن الممكن أن طرح الأسئلة على الطفلات، حتى وإن لم يستطعن الرد عليها، كان ينقل لهن فكرة أن الغموض يمكن أن يؤدي إلى فشل التواصل. وترى نتائج الدراسة التى قام بها "بيتر" و"إليزابيث روبنسون" فى بريستول أن القيام بهذا النوع من الطلبات من الطفلات الصغيرات قد يكون له تأثير بعيد المدى على فهمهن عن التواصل. ووجد "أل روبنسون" أن الطفلات التى قالت لهن أمهاتهن بوضوح عندما كان عمرهن سنتين وثلاثة، "أنا لا أعرف ماذا تعنين"، كن أكثر تقدما فى إدراكهن وفهمهن للتواصل فى الحديث وهن فى سن السادسة عن الطفلات اللاتى لم تقم أمهاتهن بهذا التعليق لهن من قبل.

ومع ذلك، فمع أنه بدا أن الأمهات قد يختلفن فى القدر الذى كن يشجعن به طفلاتهن على وضوح البيان فى كلامهن، إلا أن جميع الأمهات كن صريحات مفوهات عندما كن يُردن أن يتأكدن من عدم وجود سوء فهم ما. وفى المحادثة القصيرة التالية، ذكرت إحدى أمهات الطبقة العاملة الإيحاءات المنطقية لأفعال طفلاتها بكل وضوح. كانت "سيندى" قد أكلت غالبية قطعها من الحلوى، وكانت تتساعل عما تفعله مع ما تبقى معها منها:

الطفلة: سأدخر هذه القطع وأكلها، صح؟ (من الممكن أنها كانت تعنى أنها كانت ستأكلها فيما بعد، لكن أمها لم تكن تريد أى سوء فهم)  
الأم: لا يمكنك أن تدخريها وتأكليها. أنت إما تدخريها فلا تأكليها، أو



أنك تأكليها. وبالتالي ماذا تريد أن تفعل؟ توفيرها؟ أم هل تريد أن تأكليها"

الطفلة: أوفرها وأحصل على علبه أخرى من الحلوى"

الأم: من أين ستحصلين على النقود للعبه الأخرى؟"

وربما كانت الفوارق بين الطبقات الاجتماعية فيما يتم الإفصاح عنه بالقول الصريح يساوى مدى وحجم هذا الإفصاح فى أهميته. وترى دراستنا، على سبيل المثال، أن المسائل المتعلقة بالنقود (من الذى يكسبها، وكيف كان يتم إنفاقها، وندرته وصعوبة الحصول عليها) كانت غالبا ما يتم الإفصاح عنها بالقول الصريح فى بيوت الطبقة العاملة.

ومع وجود دلائل على أن غالبية الأمهات كان يمكنهن أن يتكلمن بوضوح وصراحة إذا ما رغبن فى ذلك، لكن الوضع لم يكن كذلك مع طفلاتهن. وفى المحادثة التالية، نجد "كيللى" غير قادرة على أن تفسر أنها تريد فنجانا ومصاصة (الأنبوبة الورقية التى يُمتص بها الشراب) من نفس اللون:

١- الطفلة: لقد حصلت على المصاصة الغير صحيحة. (كان أمامها فنجانا أبيض ومصاصة صفراء)، بينما كان أمام أختها "مى" فنجانا أصفر ومصاصة بيضاء)

٢- الأم: إيه؟

٣- الطفلة: لقد حصلت على المصاصة غير الصحيحة.

٤- الأم: لماذا هذا؟

٥- الطفلة: ذلك الجانب ذلك اللون ذلك (وتشير للفنجانين).

٦- الأم: ما لون ذلك إذن (وهى تشير لفنجان "كيللى")؟

٧- الطفلة: ذلك الفنجان؟

٨- الأم: ما لونه إذن؟

٩- الطفلة: أحمر (غير صحيح - فنجانها أبيض)

١٠- الأم: أبيض.

١١- الطفلة: أبيض.

١٢- الأم: ما لون فنجان "مى" إذن؟

١٣- الطفلة: أزرق. (فنجان "مى" أصفر)

١٤- الأم: فستانك أزرق.

وهنا، تلجأ "كيللي"، بعد عدم وصولها لشيء بالكلام، للعمل المباشر، وتأخذ مصاصة "مى" البيضاء لتحدث تناسقا مع فنجانها الأبيض. وتلجأ "مى" للشكوى، وهذا أمر لا يدعو للدهشة:

١٥- الأم: أعيدى لها مصاصتها قبل أن تضربك. (وتعيد المصاصة لـ "مى")

١٦- الطفلة: لا بد من أن تكون تلك "المصاصة" لى (وتشير للمصاصة البيضاء).

١٧- الأم: استغنى عن استخدام أى مصاصة إذن.

١٨- الطفلة: أريد تلك المصاصة. (ويستمر الجدل)

تقوم الأم بمحاولة فى البداية لفهم ما كانت "كيللي" تعنيه (الدور ٤ فى الكلام) لكن "كيللي" لا تستطيع إلا تقديم تفسير غير كاف ولا واضح عما يضايقها (الدور ٥ فى الكلام). وتستشعر أمها أن مشكلة التواصل ترتبط بشكل أو بآخر بجهل الطفلة بأسماء الألوان (الدور ٦). وعند هذا الحد تتخلى عن محاولتها لفهم "كيللي"، وتبدأ فى دورة دراسية مبنية على السؤال والجواب. و"كيللي" فى الحقيقة لا تعرف ألوانها بشكل جيد، لكن توقيت الدرس الخاص

بتسمية الألوان لم يكن سليماً، حيث إنه لم يتفق مع دوافعها الخاصة في الحديث آنذاك. وتتخذ "كيللي" خطوة مباشرة بعد أن أصابتها بالإحباط نتيجة الابتعاد عن الموضوع الرئيسي (بعد الدور ١٤)، في الوقت الذي تستمر فيه لتبرير موقفها (الدور ١٦). وينبغي ملاحظة أن مشكلة "كيللي" لم تكن عدم إدراكها بمفهوم مضاهاة الألوان، لاحظ استخدامها الذي كانت تصر عليه لعبارة (لا بد من أن تكون تلك "المصاصة" لي في الدور ١٦) والصحيح أنها كانت غير قادرة على التعبير عما يدور في ذهنها بالعبارات التي يمكن أن تفهمها أمها، كأن نقول مثلاً، "ينبغي أن أحصل على المصاصة البيضاء لكي تتماشى مع فنجاني الأبيض" أو نقول، "أريد المصاصة التي في نفس لون فنجاني" وواكب هذه المشكلة تبدل شعور أمها أو عدم صبرها. لم يتحقق مطلقاً فهما متبادلاً بينهما، فاستمر الصراع في التصاعد.

ينبغي أن نوضح أن هذه المحادثة لم تكن بأي مفهوم تمثل محادثات الطبقة العاملة. وكانت طفلات أخريات من الطبقة العاملة أكثر بيانا ووضوحاً في التعبير عما يردن قوله، كما كانت أمهات أخريات من الطبقة العاملة، (أم "جويس" على سبيل المثال)، يتمتعن بحساسية تفوق حساسية أم "كيللي" بكثير. ومع ذلك، بينما تنوعت قدرة الطفلات في التعبير عن معانيهن بوضوح، كان انطباعنا هو أنه كانت بعض بنات الطبقة العاملة يواجهن مشاكل خاصة في هذه الناحية.

### هل هناك فارق بين الطبقات الاجتماعية في مضمون المحادثات؟

أشرنا في الباب الثالث إلى أن غالبية الأمهات، بصرف النظر عن طبقاتهن الاجتماعية، ناقشن مواضيع كثيرة مع طفلاتهن، معظمها في مواقف الأعمال المنزلية المستمرة. ومع ذلك، فعندما أجرينا مقابلات معهن، اختارت ثلاثة أرباع أمهات الطبقة المتوسطة، مقابل ربع أمهات الطبقة العاملة فقط، هذا الشمول في مهاجهن كمعلم رئيسي لها: "إنها تتعلم كل شيء. كيفية تنظيم الحياة" كانت تلك هي الإجابة التي تمثل إجابات الطبقة المتوسطة.

انعكست هذه الآراء فى نواحي متعددة من الكلام الذى سجلناه. وناقشت أمهات الطبقة المتوسطة مجموعة كبيرة من الموضوعات مع طفلاتهن تفوق ما ناقشت أمهات الطبقة العاملة من موضوعات مع طفلاتهن. واهتمت نسبة كبيرة جدا من محادثاتهم بمواضيع تعدت نطاق المكان والزمان "هنا والآن"؛ بمعنى أنهم كثيرا ما تحدثن مع طفلاتهن عن أشخاص لم يكونوا موجودين، وعن أحداث ماضية ومستقبلية. إلى جانب ذلك، اهتمت نسبة أكبر من أحاديثهن بنقل معلومات للطفلات، وأعطين لطفلاتهن الكثير من نوع المعلومات التى صنفناها باعتبارها "معلومات عامة" (العلوم، والتاريخ، والجغرافيا، إلخ).

وما يمكن أن يتصل بذلك، هو أن المفردات اللغوية التى استخدمتها فى الكلام مع طفلاتهن كانت أكبر من غيرها. حتى فى عينة صغيرة جدا عبارة عن ٢٠٠ كلمة لكل منهما، بدءا من الصفحة الأولى والعاشرة من كل نسخة أصلية، استخدمت أمهات الطبقة المتوسطة وطفلاتهن عددا كبيرا من مختلف الكلمات يفوق ما استخدمته أمهات وبنات الطبقة العاملة من كلمات. وربما كانت القيمة والأهمية التى كانت الأمهات تعطونها للكلمات من بين العوامل الأخرى التى تؤثر فى استخدام المفردات اللغوية. كان لدينا الانطباع أن نساء الطبقة المتوسطة كن يعطين اهتماما متعمدا أكبر بتوسيع المفردات اللغوية لطفلاتهن، وتشجيعهن على استخدام الكلمات بالشكل الصحيح، كما كان الحال عندما صححت والدته "سوزان" استخدامها لعبارة "أكبر بقليل"

وفى المقابل، بدت بعض أمهات الطبقة العاملة قانعات بالعمل بمفردات لغوية محدودة، شريطة أن يجعلن أنفسهن مفهومات من الآخرين. والمحادثة التالية، على سبيل المثال، كان يمكن ألا يفهما أحد سوى من يراقبها ويستمع إليها، رغم أن الأم والطفلة كانتا تفهما بعضهما بوضوح. تحاول الأم إقناع "تونيا" (وعمرها ثلاث سنوات وإحدى عشر شهرا) بإرتداء سترة من صوف محبوك:

الطفلة: لا أريد لبسها يا أمى.

الأم: لا تريدين هذه؟ إنها تجعل منظرك جميلا وتحافظ على دفئك.

الطفلة: أمى؟ هذه. هناك. ضعيفا هناك. ضعيفا هنا. (تريد أن يُربط لها الحزام حول خصرها، بدلا من أن يُربط حول السترة)

الأم: لا، سأربطه هناك حول السترة. ارتديها.

الطفلة: أنا لا أريدها بهذا الشكل. أحب أن أبدو هكذا.

الأم: هل تريدين الخروج هكذا؟ (أى بدون السترة)؟

الطفلة: لا أحب ذلك. أريد هذا، بهذا الشكل.

الأم: ضعى هذا حول ذلك (أى أن الحزام ينبغي أن يُلف حول السترة).

وهكذا دواليك.

فى هذه المحادثة، كان المعنى يصل للطرف الآخر كاملا باستخدام الضمائر والإيماءات، لكن كثرة اللجوء لهذا النوع من التواصل غالبا ما يبدو عليه تأثير الحد من المفردات اللغوية للطفلة. ومع كل ذلك، فينبغى التأكيد على أن الفوارق التى وجدناها فى حجم المفردات اللغوية ومحتوى المعلومات، ورغم أنها فوارق كبيرة من الناحية الإحصائية، كانت فوارق طفيفة جدا؛ فمثلا، كان ما معدله ٣٦٪ من أدوار كلام أمهات الطبقة المتوسطة يشتمل على معلومات متنوعة من نوع لنوع آخر، مقارنة بنسبة ٣٢٪ فى حالة أمهات الطبقة العاملة. وبالمثل، حدثت ٨٨ محادثة عن الماضى والمستقبل فى بيوت الطبقة المتوسطة، مقارنة بثمانية وستين محادثة من هذا النوع فى بيوت الطبقة العاملة. وكان هناك نوع واحد من المحادثات يحدث أكثر من غيره فى كلام أمهات الطبقة العاملة أكثر مما يحدث فى كلام أمهات الطبقة المتوسطة - المعلومات المرتبطة بالأسرة، والشؤون الداخلية والعائلية - مع أن هذا الاختلاف لم يكن له أهميته من الناحية الإحصائية.

## هل هناك فارق بين الطبقات الاجتماعية في أسئلة الطفلات؟

يعتقد بعض علماء النفس والمعلمون أن الأطفال الصغار المنتمين للطبقة العاملة قلما يطرحون أسئلة بدافع حب الاستطلاع. ووجدنا في دراستنا أن هذا كان صحيحا فيما لو راقب المرء الطفلات وهن في المدرسة (انظر الباب الثامن). ومع ذلك، كان الفارق بين الطبقات الاجتماعية أصغر من ذلك بكثير في البيت. لقد احتوى كلام طفلات الطبقة المتوسطة لأمهاتهن نسبة مئوية أعلى بشكل طفيف من الأسئلة من كل الأنواع: ٧٪ من مجموع أدوارهن في الكلام كان يحوى سؤالا، مقارنة بستة في المئة بالنسبة لطفلات الطبقة العاملة. وهذا فارق ضئيل، رغم كونه كبيرا من الناحية الإحصائية. ورغم ذلك، كان هناك فارق أكبر بكثير في أنواع الأسئلة التي تم طرحها. لقد طرحت بنات الطبقة المتوسطة على أمهاتهن عددا أكبر من الأسئلة المتعلقة "بحب الاستطلاع"، واحد وعشرون سؤالا من هذا النوع كل ساعة مقارنة باثني عشر سؤالا في الساعة في حالة بنات الطبقة العاملة. وفي المقابل، طرحت بنات الطبقة العاملة عددا أكبر من الأسئلة المتعلقة "بالعمل التجارى" والأسئلة "الاعتراضية"، أى المتسمة بالتحدى، شكلت الأسئلة الاعتراضية وحدها ١٣٪ من مجموع أسئلتهن، مقارنة بثمانية في المئة بالنسبة لبنات الطبقة المتوسطة.

وكان الكثير من أسئلة الاعتراض تلك يبدأ بأداة الاستفهام "لماذا"، ومع أنها لم تكن تُطرح بدافع حب الاستطلاع، إلا أنها كانت باعثة على تفسيرات لها. لذا يمكن الافتراض بتساوى الأسئلة السببية بدافع حب الاستطلاع والفضول والأسئلة السببية بدافع "الاعتراض والتحدى"، وأنها يختلفان فقط في الموقف الذى يحلان فيه. ومع ذلك فعندما نربط بين الأسئلة السببية كلها، سواء صُنفت على أنها بدافع الفضول أو بدافع الاعتراض، ظلت الحالة على ما كانت عليه، وهى أن بنات الطبقة المتوسطة طرحن أسئلة سببية (تسعة في الساعة) أكثر مما طرحته بنات الطبقة العاملة منها (خمس في الساعة).

كانت مجموعة محادثات البحث الفكرى أو الذهنى هى الأخرى أكثر شيوعا بين بنات الطبقة المتوسطة. كان هناك واحد وأربعون محادثة من هذه المجموعة التى سُجلت فى البيوت لثلاثة عشر من طفلات الطبقة المتوسطة مقارنة بستة عشر محادثة سُجلت مع أربع من بنات الطبقة العاملة. إلى جانب هذا، كانت محادثات بنات الطبقة المتوسطة عن البحث الذهنى تستغرق فى المتوسط وقتا أطول من محادثات بنات الطبقة العاملة.

كيف يمكن تفسير تلك الفوارق؟ يمكن تقديم الدوافع التى تقنع المرء بأنها مرتبطة باكتشاف أن بنات الطبقة المتوسطة أحرزن درجات فى اختبارات الذكاء أعلى مما حصلت عليه بنات الطبقة العاملة من درجات فى نفس الاختبارات. وسيتم بحث هذه النقطة والبديل الآخر هو أنها يمكن أن تكون نتائج الفوارق فى سلوك المجموعتين من الأمهات. فقد تدعم أمهات الطبقة المتوسطة عملية طرح الأسئلة بتقديم إجابات متكررة ومرضية، بينما تقشل أمهات الطبقة العاملة فى دعم هذه العملية بعدم الرد على تلك الأسئلة على الإطلاق. أو قد تقع المسئولية على العملية التعليمية المختلفة تماما، حيث "تقدم الأم فى الطبقة المتوسطة نموذجا لطرح الأسئلة" من خلال طرحها عددا ضخما من الأسئلة على طفلتها.

**هل هناك فوارق بين الطبقات الاجتماعية فى إجابات الأمهات؟**

لكى ننظر لإمكانية تقديم الأمهات من الطبقات الاجتماعية المختلفة لأنواع مختلفة من الإجابات، قمنا بتصنيف إجابات الأمهات عن الأسئلة السببية فى أربعة فئات: إجابة "كاملة"، و "كافية أو مناسبة" و "غير كافية أو غير مناسبة" و "لا إجابة". وكان القياس الصحيح للإجابة الكاملة هو احتوائها على أكثر من جملة أو عبارة. ولكى نكون أكثر دقة، كنا نعنى بالإجابات الكاملة الإجابات التى كان يتم فيها تفسير الحدث بعلاقته بمبدأ عام، أو بتقديم تفسير تفصيلى لإجراء ما، أو عند وضع قضية أو مسألة محددة فى مفهوم أو موقف أشمل. والمثال لإجابة كاملة عن السؤال: لماذا ذلك هناك؟

(تشير إلى عقرب الساعة في الساعة الشمسية) يمكن أن يكون: "إنه يخبرنا بالوقت بواسطة الشمس. ويشير ظل العقرب للساعة. وعندما تعبر الشمس السماء، يتحرك الظل" أو عن السؤال: "ماذا لا يوجد عندنا مستوقد؟" قد تكون الأم قد جاوبت بما يلي: كان حمل الفحم من القبو لغرفة الجلوس يتطلب عملا شاقا، وكانت نار الفحم تجعل الغرفة في غاية القذارة، لذا سدنا مكان المستوقد"

ومما يدعو للدهشة أن نسبة مئوية قليلة جدا من الأسئلة السببية (ما مجموعها كلها ٦٪) تلقت إجابات كاملة. ولأن الحياة قصيرة، ولكون الأمهات يشغل عقولهن أمورا كثيرة، كن يغلب عليهن أكثر تقديم إجابات "كافية أو مناسبة" (ما مجموعها كلها ٣٧٪). تلك كانت الإجابات التي تركزت على السؤال، لكنها احتوت على القليل الذي يشكل تفسيراً للإجابة، على سبيل المثال، "إنه يخبرك بالوقت"، "لقد سدنا مكان المستوقد". أما الفئة الثالثة من الإجابات، التي لم تكن بالتأكيد إجابات كافية، كانت بنفس نسبة الإجابات الكافية تقريبا (٣٢٪). وكانت تلك إجابات ضمنية أو ملتوية وغير مباشرة أو ليس لها صلة بالموضوع. ، أو إجابات تقدم معلومات مرتبطة بالسؤال لكنها لا تجب عنه، مثال لذلك، كإجابات لتلك الحالات، "لم أرى ساعة حائط منذ وقت طويل"؛ "كان عند أبيك ما يكفي". ولم تتم الإجابة عن ربع الأسئلة السببية على الإطلاق. وكانت الطرق الأخرى المحتملة للرد على الأسئلة كأن تقول الأم، على سبيل المثال، "لا أعرف" غير شائعة لأقصى درجة.

وكان هناك فوارق مهمة بين الطبقات الاجتماعية في كثرة تكرار تقديم بعض أنواع الإجابات. قدمت أمهات الطبقة المتوسطة إجابات "كافية" لنسبة ٤٤٪ من أسئلة طفلاتهن، مقارنة بـ (٢٧٪ فقط) من أمهات الطبقة العاملة. و قدمت المجموعتان من الأمهات إجابات كاملة شبه متطابقة نسبتها منخفضة جدا (٦٪)، كما قدمت كلتا المجموعتان نفس النسبة المئوية من الإجابات غير الكافية أو غير المناسبة.



على أى حال، كانت أمهات الطبقة العاملة أكثر احتمالا لتجاهل أسئلة طفلتهن عن أمهات الطبقة المتوسطة (٣٤٪ مقارنة بـ ٢٧٪).

ومن السهل تقديم أسباب لهذه الفوارق. فأحيانا يكون من الصعوبة بمكان الإجابة على أسئلة الطفلات. ولا بد من للكبار من أن يمتلكن المعلومات المتصلة بالرد على السؤال، وأن يكن لديهن الثقة الكافية لتقديم تلك المعلومات، وأن يكن لهن القدرة أيضا على نقلها بالعبارات التى يمكن أن تفهمها الطفلة. وكان من بين الأسئلة التى سجلناها من هذا النوع الأسئلة التالية، "لماذا هذا الكرسي مستدير؟"، "لماذا لا تعمل البطارية الكهربائية هذه؟"، "لماذا تكون هذه الكعكات ساخنة وبها عدة طبقات؟" كيف يجعلونها ("دمية عرائس التليفزيون") تتكلم؟، "لماذا يوجد "تجمتات" صغيرات و"تجمتات" كبيرات؟" ويبدو أنه من الممكن أن تستطيع الأمهات ذوات التعليم العالى معالجة مثل هذه الأسئلة بثقة أكبر من الأمهات الأقل تعليما بشكل جيد. وعلى أى حال، كانت هناك أقلية صغيرة فقط من الأسئلة السببية هى التى تقع تحت قائمة هذه الفئة.

وربما يكون هناك عامل أكثر أهمية وهو الفارق بين الطبقات الاجتماعية فى الميول والاتجاهات نحو أسئلة الطفلات. عندما أجرينا مقابلات مع الأمهات بعد بضعة أسابيع من التسجيل فى بيوتهن، كن من بين الأسئلة التى طرحناها عليهن، "إن الطفلات يطرحن أسئلة كثيرة بالتأكيد وهم فى هذه السن، ما هو إحساسك فى هذا الخصوص؟" وكان يغلب على أمهات الطبقة المتوسطة أكثر من أمهات الطبقة العاملة بكثير أن يجبن بأنهن يستمتعن بالرد على أسئلة الطفلات، وأن يشرن بأن الرد على تلك الأسئلة كان يساعد على نمو طفلتهن. وكانت التعليقات التى تمثلهن جميعا هى أن الأسئلة شيقة ومهمة وأنه كان من المهم النجاح فى كيفية الرد عليها، أو أنها كانت تظهر أن كل طفلة كانت تفكر. وقال أربعة من أمهات الطبقة العاملة، ولم تقل بذلك أى أم من الطبقة المتوسطة، أنهن يمتقنن بالتأكيد الرد على الأسئلة. لقد كان إحساسهن أنه لم يبدُ على الطفلات مطلقا أنهن سيصنلن

لنهاية في طرح الأسئلة، وأن هذا كان عبئا ثقيلًا عليهن، وأنه اختبار صعب لقدرتهم على الصبر، وأن الطفلان لا يطرحن أسئلتهم في أوقات مناسبة لذلك. وبالطبع، وكما هو الحال في كل الفوارق بين الطبقات، كان هناك قدر هائل من التداخل أو التطابق الجزئي في الاتجاهات.

في المتوسط، إذن، كانت أمهات الطبقة المتوسطة يجبن عن الأسئلة السببية أكثر من أمهات الطبقة العاملة وشكل كاف ومناسب أكبر. وتبدو هذه النتيجة تفسيرًا كافيًا لطرح طفلاتهن لهذه الأسئلة لكثير منها. وعلى أي حال، فلو كانت الحالة هكذا، لتوقع المرء أن يكون النوعان من القياس مرتبطين وبينهما علاقة متبادلة، بمعنى أن الطفلات اللاتي سألن معظم الأسئلة يكن لهن أمهات يجبن عليهن في معظم الأوقات، أو يقدمن لهن أوفى الإجابات. وفي الحقيقة، لم يحدث أي ربط أو جمع بين هذين النوعين من القياس. وبالتالي، فإنه يبدو من المحتمل أنه في حالات فردية كان سلوك الطفلات يتأثر بعوامل أخرى غير الطريقة التي كانت أمهاتهن يجبن بها على أسئلتهن.

وبدا أن أحد هذه العوامل كان نزعة الأمهات لأن يطرحن هن الأسئلة بأنفسهن. وكانت تلك الأمهات اللاتي طرحن قدرًا كبيرًا من الأسئلة يغلب أن يكون لهن طفلات يفعن نفس الشيء. وبداء، إذن، وكان الطفلات كن يتخذن أمهاتهن كمثل أعلى في هذا المجال. أما في المدرسة، كما سوف نرى، فلن يكون الحال كذلك.

#### هل هناك فوارق بين الطبقات الاجتماعية في لعب الأمهات مع الطفلات؟

كثيرًا ما يُذكر أن أمهات الطبقة العاملة يندر أن يلعبن مع أطفالهن. ولكننا وجدنا في دراستنا أن جميع الأمهات، باستثناء اثنتين من أمهات الطبقة العاملة، وثلاثة من أمهات الطبقة المتوسطة، كن يلعبن مع طفلاتهن في بعض الأوقات خلال فترة بعد الظهر، وأحيانًا لوقت قصير جدًا. (انظر الباب الثالث).

وكانت جميع الأمهات يتكلمن مع طفلاتهن عن اللعب. ولم يكن هناك

فارق بين الطبقات الاجتماعية في الوقت الكلى الذى قضته الأمهات ومن يلعبن مع طفلاتهم، لكن الفوارق كانت شاسعة بين أمهات كل على حدة. وأمضت بعض الأمهات من كلتا الطبقتين الاجتماعيتين جزءا كبيرا من فترة الظهيرة وما بعدها فى اللعب، بينما يكاد البعض الآخر ألا يشترك فى اللعب على الإطلاق.

وكانت هناك دلائل على بعض الفوارق بين الطبقات الاجتماعية فى نوع اللعب الذى شاركت فيه الأمهات. وعندما سألناهن عن آرائهن فى اللعب، ذكرت غالبية أمهات الطبقة المتوسطة قيمة اللعب "لعب الأدوار" الخيالى. فى الحقيقة، قمنا بمراقبة ستة من أمهات الطبقة المتوسطة، ولكن أم واحدة من بين أمهات الطبقة العاملة، اللاتى أخذن أدوارا فى اللعب الخيالى، وقدمت كل تلك الأمهات قدرا كبيرا من المدخلات التعليمية فى قلب تلك الألعاب الخيالية. ولم يكن ذلك يعنى بالضرورة أن طفلات الطبقة العاملة لعبن ألعابا خيالية أقل من طفلات الطبقة المتوسطة، ولكنه يعنى فقط أن أمهاتهن أخذن أدوارا فى اللعب بقدر أقل مما شاركت به أمهات الطبقة المتوسطة بناتهن. ووجدنا أنهن كن يتكلمن مع أمهاتهن عن لعب الأدوار الخيالية بنفس القدر الذى كانت الذى كلمت به طفلات الطبقة المتوسطة أمهاتهن. و"ديفى" هى الأخرى، فى دراستها فى "ستوك" لم تجد فوارق بين الطبقات الاجتماعية فى كمية لعب الطفلات لأدوار خيالية فى البيت. ومن جهة أخرى، شاهدنا مسابقات وتمارين بدنية مثيرة بين الأمهات والطفلات بقدر أكبر فى بيوت الطبقة العاملة عنه فى بيوت الطبقة المتوسطة. ولعبت ثمانية من أمهات الطبقة العاملة، ولكن اثنان فقط من أمهات الطبقة المتوسطة، مسابقات فى المطاردات والدغدغة.

واعتقدت غالبية أمهات الطبقة العاملة أن الطفلات يمكن أن يتعلمن من اللعب. لكنهن كن يملن لرؤية أنواع معينة من اللعب فقط، لاسيما أحجيات الصور المقطوعة، والرسم، وأى مسابقات تتضمن أرقاما وحروفا أبجدية كوسائل تعليمية، بينما كانت أمهات الطبقة المتوسطة، وهن واضعات نصب

أعينهن مضاعفة المعلومات العامة ومهارات التفكير لطفلاتهن، اعتبرن لعب الأدوار الخيالية وسيلة مفيدة أخرى للتعلم.

وقضت جميع الطفلات أكثر من نصف أوقاتهم في البيوت في اللعب، لكن طفلات الطبقة العاملة قضين نسبة أكبر من طفلات الطبقة المتوسطة في اللعب خلال فترة ما بعد الظهر. وبدا أن السبب إلى حد كبير في ذلك كان أنهن، على عكس طفلات الطبقة المتوسطة، كن نادرا ما يجلسن لتناول وجبة الظهر مع أمهاتهن. وبدلا من ذلك، كن يملن أن تقدم لهن وجبة خفيفة ليأكلوها أثناء اللعب. وكانت الوجبة الرئيسية لهذه العائلات في المساء، عندما يتواجد الأب وأعضاء آخرون من الأسرة. وكما رأينا في الباب الخامس، كثيرا ما كانت الوجبات الخصوصية التي تجمع بين الأم والطفلة مناسبة لمناقشة موضوع ما بعمق وبإسهاب. وكان ذلك يرجع لقلة مسببات الإلهاء وبالتالي كانت الأمهات تركز بالكامل على طفلاتهن. أما عن الطفلات اللاتي كن يركضن بعيدا بالسندوتشات في أيديهن ليلعبن فقد فزن في وقت اللعب. وقد يكن قد فزن أيضا بنوع من الإحساس بالالتحام الأسرى، وتعلمن من المحادثات العائلية، وذلك إذا شاركن الوجبة العائلية العامة في المساء. وفي المقابل، نجد أنهن قد ضاعت عليهن فرصة التعليم التي كانت متاحة في جلستهن الخاصة مع أمهاتهن لدى تناولهن لوجبة الظهر.

#### هل هناك فوارق بين الطبقات الاجتماعية في استخدام السيطرة؟

هناك اعتقاد سائد أن أمهات الطبقة العاملة يؤدبن طفلاتهن باستمرار ويفرضن النظام عليهن، وأن منهجهن في تربيتهن منهج فاشستي جدا أي مؤيد لمبدأ إخضاع الفرد وحقوقه تماما لسلطة الأم "افعلى ما أقوله وإلا..." وبينما لم تكن دراستنا مركزة على التأديب والانضباط، إلا أننا قمنا بالفعل بتحليل بعض نواحي التفاعل بين الأم وطفلتها حول هذه المسألة.

تتضمن الحياة مع طفلة صغيرة، شاء المرء أم أبى، عنصرا من عناصر السيطرة، وذلك بسبب قلة خبرة الطفلة. ومع ذلك، وجدنا قدرا

ضخما من كمية الملاحظات المتعلقة بالسيطرة والتحكم تستخدمها الأمهات. وكنا نعنى بذلك التعليمات الموجهة للطفلة بعمل شيء أو بالامتناع عن عمله، وكانت الأم تأمل أن تطاع تعليماتها، ولم تكن نعنى تقديم الأم لاقتراحات لطفلاتهن بذلك. وفى نهاية طرف ما، وجدنا اثنين من الأمهات قامتا بخمسة عشر ملاحظة فقط خاصة بالسيطرة على طفلاتهن خلال فترة ما بعد الظهر فى البيوت، بينما فى الطرف الآخر قامت اثنتان من الأمهات بتقديم ١٣٧ و١٥٣ ملاحظة من هذا النوع على التوالى. وكان المدى عظيما على وجه الخصوص بين أمهات الطبقة العاملة، ولكن فى المتوسط، لم يكن هناك فوارق بين الطبقات الاجتماعية فى تكرار أو نسبة ملاحظات السيطرة. ومع ذلك، كانت هناك بعض الدلائل على أن السيطرة كانت أحد المعالم البارزة للحياة فى بيوت الطبقة العاملة، حيث إن أمهات الطبقة العاملة كان يغلب عليهن أكثر البدء فى محادثات بها ملاحظات خاصة بالسيطرة عما بدا من أمهات الطبقة المتوسطة.

وكان هناك فوارق قليلة جدا بين الطبقات الاجتماعية عما كانت السيطرة تدور حولها. ففى كلتا الطبقتين الاجتماعيتين، كان معظم الكلام الخاص بالسيطرة يختص بسلوك وطباع الطفلات، متضمنا تحاشى إحداث تلفيات أو فقدان للأغراض الموجودة، وتحاشى الضرر الذى يقع على الناس، وعادة ما يقع هذا الضرر على الطفلة نفسها.

ونحن لم نفرق بين السيطرة الإيجابية، أى أن تقول للطفلة أن تفعل شيئا، والسيطرة السلبية، أى أن تقول للطفلة أن تتوقف عن فعل شيء. ومع ذلك، كنا نهتم بالنزاعات. وكانت تلك عبارة عن مناسبات كانت إما أن تقاوم الطفلة فيها سيطرة الأم، أو تقاوم الأم طلبات الطفلة. وكما قدمنا فى الباب الرابع، كان المدى عظيما فى نطاق المنازعات داخل الطبقات الاجتماعية، مع وجود مجموعة صغيرة من عائلات الطبقة العاملة ميالة للنزاع لأقصى درجة. وكان ذلك ينعكس على النسبة المئوية الأكبر بكثير من أسئلة

الاعتراض والتحدى السببية التي كانت طفلات الطبقة العاملة يطرحنها على أمهاتهن.

وفي أكثر من نصف المنازعات بقليل (٥٧٪)، كانت أمهات الطبقة العاملة يبررن موقفهن بتفسير ما بدر منهن. وحدث ذلك كثيرا (في ٦٨٪ من المنازعات) في بيوت الطبقة المتوسطة. وصدرت تهديدات وقدمت رشاوى في ١٠٪ من المنازعات في بيوت الطبقة العاملة، وفي ٧٪ من المنازعات في بيوت الطبقة المتوسطة. وحدثت تبريرات صادرة من السلطة (لأنى أقول ذلك) في ٣٪ فقط من منازعات الطبقة العاملة، و ١٪ من منازعات الطبقة المتوسطة.

لم نجد أى دلائل إذن لفوارق في الطبقات الاجتماعية الشاملة في حجم أو كمية السيطرة، أو في المسائل التي كانت السيطرة تُمارس حين حدوثها. كما وجدنا أيضا القليل لتبرير نمطية وشيوع وجود الأم الفاشية في الطبقة العاملة، ما حدث في كل البيوت كان يشبه تقريبا عملية مفاوضات بين الأم والطفلة. وكان يغلب على أمهات الطبقة المتوسطة أكثر من أمهات الطبقة العاملة بكثير أن يشرحن دواعى قيامهن بالسيطرة والتحكم، لكن الفوارق بين الطبقات كانت بسيطة نسبيا. وكان أكبر فارق مذهب بين الطبقات الاجتماعية في عدد المرات التي كان يتم فيها نزاع حول سيطرة الأم. ومع أن المنازعات كانت نادرة في بعض بيوت الطبقة العاملة، إلا أنها كانت من المعالم البارزة جدا للحياة في بيوت أخرى من هذه الطبقة.

#### أسئلة الذكاء وكلام الطفلة في البيت

بعد إتمام دراستنا، تم عقد اختبار لجميع الطفلات باختبار "ستانفورد بينيت" بواسطة عالم نفس تحليلي لم يكن يعلم شيئا عن دراستنا هذه. وكان متوسط الدرجات التي حصلت عليها طفلات الطبقة المتوسطة ١٢٢ درجة في أسئلة الذكاء هذه؛ بينما كان متوسط درجات طفلات الطبقة العاملة ١٠٦ درجة. هذا الفارق الكبير سمة من سمات دراسات أخرى في أسئلة الذكاء

والطبقات الاجتماعية. ويحتوى اختبار "ستانفورد بينيت" بالنسبة لهذا العمر أساسا على فقرات لغوية، على سبيل المثال: تسمية أشياء موجودة فى صور، وعلى طرح أسئلة من أمثال "لماذا نملك بيوتا؟" "مِم يُصنع الكرسي؟" ومع أنه يُعتبر عموما اختبارا فى الذكاء العام، إلا أن الحصول على درجات عالية يعتمد على حجم المفردات اللغوية والمعلومات العامة عند الطفلة، إضافة لدرجة فهمها وإدراكها لمهارات لغوية أساسية أكثر مثل إدراك المفهوم من كلمة "مختلف". وقد تتأثر درجات أسئلة الذكاء للطفلات أيضا بعوامل أخرى مثل مدى ما يفهم به نوايا من يجرى لهن الاختبار، وإحساسهن بالطمأنينة وبعدهن عن الارتباك ودافعيتهم فى موقف الاختبار.

ولم يكن فى دراستنا روابط ذهنية مهمة من الناحية الإحصائية بين درجات الطفلات فى أسئلة الذكاء وحجم المفردات اللغوية لكل منهن أو تواتر وتكرار أو نسبة الاستخدامات المعقدة للغة فى حديثهن، أو فى أى نوع معين من الاستخدام المعقد. ومع ذلك، كانت هناك بعض الروابط الذهنية، ولكنها كانت تظهر فقط فى نطاق مجموعة الطبقة العاملة بين عمليتي طرح الأسئلة ودرجات أسئلة الذكاء. وطرحت طفلات الطبقة العاملة اللاتي حصلن على درجات أعلى فى أسئلة الذكاء نسبة مئوية من الأسئلة أكبر من نسبة طرح بنات الطبقة العاملة نفسها ذوات الدرجات الأقل من كل أنواع الأسئلة، بما فيها الأسئلة السببية وأسئلة الفضول وحب الاستطلاع. ولم يكن هناك مثل تلك العلاقة فى نطاق مجموعة الطبقة المتوسطة. ولم يكن هناك أيضا رابطة ذهنية من هذا النوع فى نطاق مجموعة الطبقة المتوسطة بين درجات أسئلة الذكاء وتواتر "محادثات البحث الذهنى". حدث ذلك فى محادثات أربعة فقط من طفلات الطبقة العاملة. لقد تنوعت أسئلة الذكاء بالنسبة لهن من أسئلة متوسطة لأسئلة فوق المتوسطة، وكانت ١٠٣، و ١٠٤، و ١٢٦، و ١٣٥.

وهكذا فإن مؤشراتنا عن العلاقة بين درجات أسئلة الذكاء التى تُطرح على الطفلات وبين طبيعة حديثهن التلقائى فى المنازل متضاربة ومن الصعب تفسيرها. من الممكن تواجدها رابطة ذهنية فعلا، ولكن مقاييسنا للغة

التلقائية لم تكن هي المقاييس المناسبة بحيث تكشف عنها. ولأن دراستنا لم تكن مهتمة في المقام الأول بتقييم مهارات الطفلات اللغوية، لم نقم بتقييم شامل لكلامهن التلقائي. إضافة إلى ذلك، لا نعرف درجة الثقة في مقاييسنا للكلام التلقائي حتى يمكن الاعتماد عليها في البيانات الإحصائية. وكان انطباعنا بالتأكيد هو أن الحديث مع البنات اللاتي حصلن على أعلى الدرجات في اختبارات أسئلة الذكاء، من أمثال "بيث" و "سوزان" و "آن" كان أكثر رُقياً عن الحديث مع طفلات أخريات، رغم أنه لم يدعم انطباعنا هذا أي مقياس من مقاييسنا للكلام التلقائي. ومن الممكن أيضاً كما اقترحنا أعلاه أن الفارق الكبير بين الطبقات الاجتماعية في أسئلة الذكاء لا يعكس، أو يعكس جزئياً فقط، فارقا في مهارات اللغة الشفهية. كان ذلك هو الاستنتاج الذي توصل إليه "ويلز" حيث وجد تناقضا وتعارضاً مماثلاً بين درجات الاختبار واللغة التلقائية.

#### الخلاصة

بدأنا هذا الباب بالإشارة إلى أنه يمكن وجود فوارق بين الطبقات الاجتماعية في جميع نواحي تربية الأطفال تقريبا. لذا لم يكن مدهشا أن نجدها في عدة جوانب من محادثات الأمهات مع طفلاتهن، إضافة لآرائهن عن التعليم في البيت، واللعب هناك.

ولم تظهر جميع مقاييسنا على الإطلاق فوارق بين الطبقات الاجتماعية. لم يكن هناك فوارق بين الطبقات الاجتماعية في مقدار الحديث المتبادل بين الأم وطفلتها، ولا في طول المحادثات، وتواتر وطبيعة أسئلة الأمهات وملاحظاتهم الخاصة بالسيطرة، أو في مقدار ما لعبته الأمهات مع طفلاتهن. ومع ذلك كانت أمهات الطبقة المتوسطة ينزعن لاستغلال اللغة في أغراض معقدة بشكل متواتر أكثر من أمهات الطبقة العاملة، كما استخدمن نطاقا أشمل من المفردات اللغوية في الحديث مع طفلاتهن. وكثيرا ما كن يقدمن لطفلاتهن معلومات ذات مدى واسع، وكثيرا ما لعبن أدوارا في تمثيلاتهن الخيالية بشكل يفوق أمهات الطبقة العاملة مع طفلاتهن. كما أنهن



تعاملن مع الأسئلة السببية لطفلاتهن بجدية أكثر مما تعاملت معها أمهات الطبقة العاملة، وكن يتجاهلنها بشكل أقل من أمهات الطبقة العاملة وكن كثيرا ما يقدمن لها إجابات كافية شافية. وعلى الجانب الآخر، كانت أمهات الطبقة العاملة ينزعن أكثر من أمهات الطبقة المتوسطة لتقديم معلومات أكثر لطفلاتهن عن العائلة، ومعلومات منزلية وداخلية أكثر (رغم أن هذه الفوارق لم تكن لها أهمية من الناحية الإحصائية)، واشتركن أكثر في مسابقات ألعاب بدنية و مسابقات ترفيهية معين. وكانت المنازعات بين الأم وابنتها كثيرة جدا في أقلية من بيوت الطبقة العاملة، وكانت تفسيرات القيام بالسيطرة تقدم بتواتر أقل عما كانت تقدمه أمهات الطبقة المتوسطة من تفسيرات.

وكان هناك فوارق مماثلة، وإن كانت أقل، بين الطبقات الاجتماعية في حديث الطفلات. وككل، كانت بنات الطبقة العاملة يطرحن عددا اقل من الأسئلة السببية، ولكن كن يطرحن أسئلة اعتراضية أكثر من بنات الطبقة المتوسطة وكن أقل استخداما للغة في الأغراض المعقدة، وكن يستخدمن مفردات لغوية مماثلة، وكان للقليل منهن محادثات عن البحث الذهني أو الفكرى. وكن يقضين وقتا أكبر في فترة ما بعد الظهر وهن يلعبن عما كانت تفعله طفلات الطبقة المتوسطة.

ومن المهم ألا نبالغ في هذه الفوارق. فقد كان هناك تباين واسع من السلوك في نطاق جماعة كل طبقة اجتماعية، وبعض أمهات وطفلات الطبقة العاملة يستخدمن اللغة بنفس طرق أمهات الطبقة المتوسطة، والعكس بالعكس. إضافة لهذا، فإن الفوارق كانت طفيفة للغاية. واستخدمت جميع الأمهات اللغة لأغراض معقدة بدرجة أو بأخرى، وكن في بعض الأوقات واضحات وصريحات للغاية وقدمن تفسيرات كاملة لأقوالهن. وطرحت جميع الطفلات بعض الأسئلة السببية، وقدمن تفسيرات، وعقدن مقارنة، وما إلى ذلك في إحدى المناسبات على الأقل.

ويؤكد كل من "بيرنشتاين" و "لابوف" أن طفلات الطبقة العاملة ذوات

كفاءة في مجال التفكير الفهمي والمنطقي تماثل كفاءة طفلات الطبقة المتوسطة. وتؤيد نتائجنا التي توصلنا إليها وجهة النظر هذه. إن ما لاحظناه كان اختلافا في تواتر فئات معينة من الكلام. وكانت الفوارق من الضالة بحيث لا يمكن أن نؤكد أن طفلات الطبقة العاملة كن يعانين من "الحرمان اللغوي". وتتمسك النتائج التي توصلنا إليها أكثر بنظرية التباين في أسلوب اللغة الذي يرتبط بدوره بتباين في القيم والميول الأساسية. وبدا أن أمهات الطبقة العاملة تولين تركيزا واهتماما أقل عما توليه أمهات الطبقة المتوسطة في تقديم طفلاتهن الصغار لمجال واسع من المعارف والمعلومات العامة، وفي مضاعفة مفرداتهن اللغوية، وتقديم إجابات كافية شافية كلما طرحن عليهن أسئلة. وفي المقابل، بدا أنهن يركزن أكثر لمساعدة بناتهن على اكتساب المهارات المنزلية والأمومة. واضح أن هذه الفوارق لها مدلولها فيما يتعلق بالعمل التعليمي والوظيفي للمجموعتين من النساء.

وكان الاعتقاد بالعجز اللغوي في محيط الطبقة العاملة قويا لدرجة أن بعض المدرسات لم تصدق نتائج دراستنا، وأكدن أن الطفلات في مدارسهن يصلن إليها ويأتحن بها وهن لا يستطيعن الكلام تقريبا. واعترضن، ولهن ما يبرر آرائهن تماما، على أن عينتنا الصغيرة التي تشكلت بالكامل من البنات اللاتي كن يحضرن لمدارس الحضانة أو الفصول الدراسية قد لا تمثل أطفال وطفلات الطبقة العاملة على وجه العموم. واعترض البعض الآخر على أن عينة البنات التي أجرينا عليها الدراسة لم تكن مأخوذة من الطبقات الاجتماعية الدنيا أو الفقيرة حيث إن ثلثي عيناتنا من الطبقة العاملة كان لهن آباء من العمال اليدويين المهرة. ومع ذلك، فإن دراستنا لم تختلف في هذه الناحية بشكل واضح عن معظم الدراسات البريطانية المبنية على المدارس لطفلات الطبقة العاملة. إن العائلات التي يعمل الآباء فيها بمهن نصف مهارة أو غير مهارة لا تشكل الأغلبية مطلقا في أي مدرسة، حتى في المناطق المحرومة. في الحقيقة، كانت المجموعتان من الطبقات الاجتماعية

التي أجرينا عليها دراستنا متناقضتين على نحو استثنائي حيث إن اختيـار  
الطفـلات كان يتم من منطلق أن تكون لأمهاتهن إما إنجازات تعليمية عالية  
بشكل غير عادي أو ضئيلة بشكل غير عادي أيضا.

ولم تجد دراسة "ويلز" أيضا عن الكلام التلقائي في البيوت لـ ١٢٨  
ولدا وبناتا من كل المجموعات الاجتماعية في بريستول أى دلائل على عيب  
أو عجز لغوى. وقد تم تسجيل عينات مختصرة لمحادثاتهم فى البيوت  
بميكروفونات لاسلكية على فترات زمنية ما بين خمسة عشر شهرا وخمس  
سنوات. وكما هو الحال معنا، وجد "ويلز" أن الفوارق بين الطبقات  
الاجتماعية فى درجات اختبار الأطفال كانت أكبر بكثير عن الفوارق فى  
لغتهم التلقائية. وكانت النواحي اللغوية التي اختبرها ليست نفس النواحي التي  
اختبرناها فى دراستنا، لكن كان هناك قدر كبير من التوافق والتداخل بينهم.  
وكانت الفوارق بين الطبقات الاجتماعية التي وجدها أصغر وأقل من الفوارق  
التي وجدناها نحن. ورغم وجود فوارق فردية كبيرة بين الأطفال، تأثر  
"ويلز" أكثر بـ "التشابه الكبير للغاية بين الأطفال فى مقدار "اللغة" التي تعلمها  
الأطفال عند بلوغهم سن دخول المدارس "واستنتج أنه" بالاستثناء المحتمل  
لطفلين على الأكثر من بين ١٢٨ طفلا، كان جميع الأطفال قد أحرزوا تفوقا  
فى العلاقات بين المعانى الأساسية التي تتطوى الجمل عليها، وعلى تركيبات  
القواعد وبناء الجملة التي يتحقق من خلالها تكوين الجملة، وأن الجميع  
يستخدمون اللغة لمجموعة متنوعة كبيرة من الوظائف". ولم يجد "ويلز" أى  
فارق فى أى ناحية من هذه النواحي بين الأولاد والبنات.

إن معظم علماء اللغة فى الحقيقة مقتنعون بأن اكتساب اللغة أحد أشق  
وأقوى العمليات ذات الأثر فى مرحلة الطفولة، رغم أنهم يختلفون فى الرأى  
حول ما إذا كان السبب فى هذه المشقة سببا بيولوجيا أو اجتماعيا. وهذا  
لا يعنى بالطبع أن جميع الأطفال يكتسبون اللغة بنفس المعدل وبنفس  
السرعة، أو أنهم فى النهاية يحققون تفوقا مماثلا فيها. لكنه يعنى بالفعل أن

جميع الأطفال الأصحاء بيولوجيا يتفوقون في مهارات التفكير الشفهية الأساسية. لذا نشك في أن الأطفال الذين يُقال عنهم إنهم لا يمكنهم الكلام إلا بصعوبة شديدة عند دخولهم المدارس هم دائما تقريبا أطفال يمكنهم الكلام بشكل جيد تماما في البيت، لكنهم يصبحون في حالة من عدم الطمأنينة الشديدة تجعلهم غير قادرين في البداية على إظهار المدى الكامل لمهاراتهم اللغوية الشفهية عند دخولهم المدارس.

ويظل السؤال عما إذا كانت الفوارق بين الطبقات الاجتماعية في أسلوب اللغة من النوع الذي تقدمه في دراستنا يمكن أن تؤثر في إنجازات الأطفال اللاحقة في المدارس أم لا، وإلى أي مدى يمكن حدوث ذلك.

هذه مسألة لا نستطيع دراستنا الإجابة عنها.



(٧)

## عصر يوم مع دونا وأمها

قدمنا ما توصلنا إليه من نتائج حتى الآن بنظام تدريجي، مع تقديم موضوع واحد في كل مرة. وفكرنا مع ذلك أنه قد يكون من الأمور المساعدة أن نعطي فكرة حول كيفية تجمع النواحي المختلفة للتعليم التي ناقشناها في البيت في حالة أم بعينها مع طفلتها.

وكان اختيار العائلة كيفما أتفق بالضرورة. وحيث إن جميع الطفلات وأمهاتهن كن شخصيات متميزة، لم تكن أي منهن لتعتبر "تموجية" في اختيارنا لها بأى حال. واخترنا "دونا" لأنها مثال يبلغ الحد الأقصى من عدة أوجه، وبذلك تثبت الانطباعات ذات القالب الواحد الذي لا يتغير عن تنشئة وتربية الطبقة العاملة لدى كثير من الناس. وكما سوف نرى، كانت "دونا" طفلة كثيرة المطالب، وكان معظم وقتها ينقضى في مشاحنات ومنازعات. إضافة لهذا، لم تشغل أمها نفسها بالاشتراك معها في ذلك النوع من لعب الأدوار التعليمي الذي يقدره معلمو مدارس الحضانة: في الحقيقة، لم يكن هناك سوى قدر ضئيل من اللعب خلال فترة ما بعد الظهر في بيتها. ومع ذلك، فإن الصورة الشاملة لم تثبت أى وجهة نظر ثابتة ذات قالب واحد عن عدم كفاية وملاءمة لغة الطبقة العاملة. وبدلاً من ذلك، فإن تحليلاتنا عن فترة عصر ذلك اليوم توضح أنه، برغم المشاحنات والمنازعات المستمرة، قدّم بيت "دونا" بيئة غنية للتعلم.

كان عمر "دونا" ثلاث سنوات وعشرة شهور حين كنا نقوم بالتسجيلات، وعلى مستوى قريب من المتوسط في أسئلة الذكاء (١٠٤). وكان والدها نجاراً. وفي الصباح، بينما كانت "دونا" في أحد فصول الحضانة، كانت أمها تعمل كمنظفة في حانة، وتأخذ طفلتها الرضعية "كيرى" معها للعمل. وكانوا يعيشون في أحد منازل المجلس الصغيرة، وكان أمامه

شرفة مرصوفة وله فناء خلفى. وعندما أجرينا مقابلة مع أم "دونا" بعد التسجيل ببضعة أسابيع، قالت لنا إنها مصابة بالأنيميا. وترى أنها تتعرض للإجهاد والتوتر وهى ترعى طفلتين صغيرتين، وتؤدى عملها كمنظفة فى الحانة، وتحافظ على نظافة وترتيب بيتها، لاسيما أنها كانت تعتز ببيتها وتفخر به للغاية. وللحقيقة، كان بيتها فى غاية النظافة. وأوضحت أن "دونا" كانت تحطم أعصابها. وكانت "دونا" تسعى للحصول على الاهتمام، كما كانت متقلبة المزاج، وكان صبر أمها ينفد بسبب أسئلتها التى لا تنتهى. وكانت ترى أنه من الصعب ترويض "دونا". وكانت "دونا" تفعل ما كان يُطلب منها فى المدرسة، لكنها كانت لا تولى أهمية لما تقوله لها أمها فى البيت. ومع هذا، وصفتها أمها بأنها طفلة فائتة ومحبية إلى النفس، وكانت تحب شخصيتها المستقلة. وقالت أم "دونا" إنها قامت بمجهود أكثر من المعتاد خلال عملية التسجيل حتى لا تفقد أعصابها، رغم أنها فعلت ذلك فى عدة مناسبات. وكانت تعتقد أن "دونا" هى الأخرى لم تتجهم وتفقد أعصابها كثيرا كالعادة، وربما كانت تشعر بالقهر قليلا. قد يبدو هذا التقييم الذاتى لعلاقتها غير مشجع، ولكن وكما سنرى، كانت هناك دلائل واضحة فى التسجيلات بالاهتمام الحقيقى الذى أولته أم "دونا" لابنتها، والذى أدى لكثير من النقاعات ذات القيمة التعليمية.

وبالقطع كانت "دونا" بنت كثيرة المطالب، وهيمنت هذه الناحية من شخصيتها على جزء كبير من الساعة الأولى فى البيت. كانت قد تناولت طعام الغداء فى المدرسة. وعند بداية عملية التسجيل، كانت أمها قد وضعت لتوها الطفلة الرضيعة على السرير لتتال حظها من النوم بعد تناولها لوجبة الغداء. ولأنها كانت قد أمضت صباح ذلك اليوم فى أداء عملها كعاملة تنظيف، أرادت حينئذ أن تواصل تأدية واجباتها المنزلية. وكان أفضل شيء يناسبها آنذاك أن تلعب "دونا" وحدها بهدوء، لكن ذلك ما كان ليحدث. لقد أمضت "دونا" وقتا كبيرا من الساعة الأولى وهى تمطر أمها بسلسلة متتابعة من الطلبات كان معظمها يُقابل بالرفض وإظهار الضيق لها.

بدأت "دونا" بأن جعلت أمها ترتب الدمى التي عندها في مجموعات. ومع ذلك، لعبت بها لمدة ثلاث دقائق فقط قبل أن تشرع في المطالبة بمجموعة متعاقبة من الأشياء. أرادت خلع الفستان الخاص بالتسجيل، ولم يكن هناك ما يدعو للدهشة لرفض هذا الطلب. وعرضت عليها أمها قطعة حلوى مثلجة، وقبلت هي هذا العرض وأخذتها منها، لكنها أرادت أخذ قطعة بسكويت أيضا. ورفضت أم "دونا" ذلك في البداية، لكنها استسلمت في النهاية بعد إلحاح ابنتها في الطلب. وبعد ذلك أرادت "دونا" أن تلعب بزجاجة الرضاعة الخاصة بالطفلة الرضيعة، وعندما رُفض طلبها، طلبت قطعة بسكويت أخرى. كانت أمها قد بدأت تشعر بالضيق حينئذ، وهددتها أنها سترسلها لتنام إذا استمرت على هذا المنوال. وكان من الواضح أن هذا التهديد كان قد أصبح جزءا من أسلوبهما في علاقاتهما معا، لأن أمها كثيرا ما اختصرت العبارة بقولها "استمرى في ذلك يا دون" وهي ملاحظة لا معنى لها تماما دون وجود مفهوم مسبق لها. ومع ذلك، استمرت "دونا" في سلسلة مطالبها: طالبت بقطعة حلوى مثلجة أخرى، وأرادت حذاء خفيفا جديدا، وأرادت أن تخلع كنزتها الثائية، وسألت أمها عدة مرات ما إذا كانت على استعداد لأن تلعب معها أم لا. وتم رفض كل هذه الطلبات تقريبا، وعادة كان رد فعل "دونا" هو النواح والانتحاب. وحدثت أشياء أخرى زادت من الضيق الذي كانت تشعر به أمها: كانت تحدث شخيرا مزعجا من أنفها، ورفضت أن تتمخط لتوقف الشخير؛ وطلب منها أن تكف عن الصياح بسبب الطفلة الرضيعة؛ واكتشفت حدوث قطع في شبشبها، واكتشفت أمها أنها دبرت لتطبخ ملابسها بالشحم.

وخلال تلك الفترة، كادت "دونا" ألا تلعب على الإطلاق. وحاولت أكثر من مرة دون أن تنجح في إقناع أمها باللعب معها. واقترحت أمها المشغولة بالأعمال المنزلية عليها لعبة خيالية مع دمية دب تملكها ("أذهبى وأعطى للدب شيئا من قطع الحلوى المثلجة"). وعندما لم يحدث شيء من هذا، وتصاعدت طلبت "دونا" قالت لها أمها كثيرا بغضب أن "تذهب وتلعب". وفي



النهاية، قررت "دونا" أن تسلى نفسها بالقفز على درجات السلم، مما سبب توجيه توبيخ آخر لها: "من فضلك، هل يمكنك العودة للدور العلوى؟ إنك تتلفين أعصابى. اذهبي"

أما وكان الوضع بهذا الشكل، فإن الساعة الأولى تبدو كئيبة للغاية. ومع ذلك، كانت أشياء كثيرة تحدث تدل على أن الصورة الكلية لم تكن بمثل تلك الكآبة التي يوحى بها عرض ما قدمناه خلالها.

أولاً، كان واضحاً أنه رغم المشاحنات والنزاع الذى استغرق الكثير من الوقت خلال تلك الساعة، شاركت "دونا" أمها علاقة حميمة ودافئة. وكان هذا الدفء يتجلى فى محادثتهما. وحدثت المحادثة التالية بينما كانت "دونا" جالسة على المرحاض، وكانت أمها فى غرفة الحمام هى الأخرى تنتظر أن تنتهى ابنتها من التبرز. وكانت "دونا" تتكلم بصوت عال، وطلبت منها أمها التوقف عن الصياح وإلا فستوقظ "كيرى" من نومها:

الطفلة: الأولاد الأشقياء يصرخون، أليس كذلك، ويوقظون أطفالهم الرضع من النوم.

الأم: نعم، يفعلون ذلك، أليس كذلك؟

الطفلة: وحتى الأولاد الأشقياء يوقظون طفلتنا الرضيعة من النوم، أليس كذلك؟

الأم: نعم... الأولاد الأشقياء الذين يلعبون فى الخارج.

الطفلة: نعم، ويجب ألا يفعلوا ذلك، يجب أن يناموا فى الفراش مثلما أفعل أنا و"كيرى".

الأم: نعم.

الطفلة: أنا و "كيرى" لا نصرخ عندما تأخذينا للفراش، أليس كذلك؟

الأم: لا.

الطفلة: وهم يصرخون وهم فوق الفراش مثل كل الأطفال الأشقياء،  
أليس كذلك

الأم: يفعلون ذلك، أليس كذلك؟... أنت بنت طيبة، أليس كذلك؟

الطفلة: وكذلك "كبرى"... حسنا، إنها تصرخ فى الليل. عادة ما  
تصرخ.

الأم: لماذا؟

الطفلة: وأنا لا أستطيع أن أنام وهى تصرخ، أليس كذلك؟

الأم: لا، لا تستطيعى.

الطفلة: حتى لو كانت تصيح.

الأم: من يصيح؟

الطفلة: كبرى.

الأم: آه. هذا يحدث فقط إذا لم تكن تشعر أنها على خير ما يرام.

الطفلة: نعم، وهى تصرخ إذا لم تكن تشعر أنها على خير ما يرام.

الأم: ومع ذلك، فقد كانت بنتا طيبة ليلة أمس، ألم تكن كذلك.

الطفلة: وكذلك كنت أنا.

الأم: أنت دائما بنت طيبة عندما تتامين... وأحيانا عندما يصيبك ألم

فى المعدة، فأنت تفعلين ذلك؟

الطفلة: نعم، ليس فى الأمر شىء إذا صحت أنا أو أصبت بألم فى

المعدة، أليس كذلك؟

الأم: ليس إذا أصابك بحق ألم فى المعدة، لا.

كان هناك بوضوح دفاء وحنان بين "دونا" وأمها و"كبرى"، وكان

يتضح جليا في الاهتمام اللاتى كانتا تظهرانه لبعضهما البعض فى هذه المحادثة. وكان يظهر نفسه ليس فقط فى الملاحظات الصغيرة من أمثال، "أنت بنت طيبة"، ولكن أيضا فى الطريقة التى كانت أم "دونا" مستعدة بها بكل صبر لأن تتابع حبل أفكار "دونا"، عندما واصلت الحديث بدءا من الأطفال الأشقياء الذين يوقظون الأطفال الرضع من النوم، إلى حيث توقظها "كبرى"، إلى ما إذا كان هناك ما يزعج إذا بكى هى، دونا، عندما كانت تستيقظ من النوم.

وكانت هناك عدة فرص أخرى خلال الساعة الأولى تلك أظهرت فيها أم "دونا" نفس الاهتمام. على سبيل المثال، عبرت عن اهتمامها بحياة "دونا" فى المدرسة، وسألته عما تناولته فى طعام الغداء هناك. وأجابت "دونا" أنها أكلت سمكاً ورقاقات بطاطس وبازلأء، ثم أضافت ملاحظة مدهشة للغاية حاولت أمها أخيرا إيضاحها:

الطفلة: أنا أضع برونق "ضرب من الحلازين البحرية" على الشاى الذى أشربه.

الأم: برونق؟ لا يمكن أن تكونى قد تناولت البرونق فى فمك.

الطفلة: ليس للغداء.

الأم: فى أى وجبة تناولته إذا؟

الطفلة: أتناوله كطبق "حلو" أخير بعد الوجبة.

الأم: برونق كطبق "حلو" أخير بعد الوجبة؟ هل أنت متأكدة أنه كان برونق؟

الطفلة: سوف أسأل مدرستى غدا.

الأم: حسنا، إذا كنت تقولين إنك تناولت البرونق يا حبيبتي، ماذا كان شكله؟ وماذا كان لونه؟

واستمر طرح الأسئلة لبعض الوقت، وانتهى ذلك بأن قررت أم "دونا" أخيرا أنها لا بد من أن ابنتها كانت تقصد انفراولة؛ لأن البرونق، كما قالت، "أشياء سمكية مطاطية كالكاونش لا يحب أحد أكلها".

ولقد ظهر هذا الاهتمام بفهم ما كانت ابنتها الصغيرة تحاول أن تقوله في عدد من المحادثات. وكانت "دونا" مثلها مثل كثير من الأطفال الذين هم في سنها، مشوشة إلى حد ما بخصوص مفاهيم الوقت. ولقد عبرت في المحادثة التالية عن حيرة وارتباك بدا أنهما كانا نتيجة لاعتقاد عندها بأن "بعد الظهر" كان يشير إلى نقطة محددة من عمر الزمن، وليس فترة زمنية مiale للطول:

الطفلة: هل نحن الآن بعد الظهر يا أمي؟ نحن الآن بعد الظهر؟

الأم: نعم، نحن الآن بعد ظهر اليوم.

الطفلة: هل ذهبت عمتي لإحضار "مارى" (ابنة عمتها) بالسيارة الآن؟

الأم: لا، ليس بعد، ما زال الوقت مبكرا جدا لذلك.

الطفلة: أليس هذا بعد الظهر؟

الأم: نحن الآن بعد ظهر اليوم، لكن ما زال الوقت مبكرا جدا لتوصيل

"مارى" بالسيارة الآن. لماذا؟

الطفلة: لأنها ما زالت في المدرسة في ساعة بعد الظهر هذه من كل

يوم؟

الأم: نعم، حتى الساعة الثالثة، الساعة الآن حوالى الواحدة والنصف

فقط.

قدمت والدة "دونا" لابنتها تفسيرات كثيرة خلال فترة بعد الظهر، وغالبا ما كانت تلك التفسيرات من خلال موقف من مواقف السيطرة. وهى لم تكن عادة ترفض طلبات ابنتها رفضا قاطعا، ولكنها كانت تقدم فى الغالب سببا أو

تفسيراً ما عن السبب الذي كانت تفعل ما تفعله من أجله. حقيقة أن هذه التفسيرات كانت في الغالب في حدها الأدنى أو تفسيرات ضمنية، كما حدث عندما قالت إن "دونا" لا يمكنها اللعب بالزجاجة "لأنها من زجاج" (ومن المفترض أنها يمكن أن تتكسر، مع أن هذا لم يُعلن لها صراحة على لسان أمها). لكن تفسيراتها الأخرى كانت مفصلة ومُعلنة، وقدمت لـ "دونا" ولنا صورة واضحة عما يكبح عواطفها وعن حقائق حياتها. ضع في الاعتبار، مثلاً، كيف تجاوبت لرجاء آخر لدونا بأن تذهب وتلعب معها:

الأم: أنا فقط سوف أؤدي هذا العمل أولاً، يا حبيبتي. أمامي غسيل ملابس لا بد من من القيام به.

الطفلة: نعم فهمت.

الأم: وعلى أيضاً كي ملابس.

الطفلة: نعم.

الأم: نعم، وهذا كله يستغرق وقتاً، يا حبيبتي.

الطفلة: وبعد ذلك ستكونين قد انتهيت من كل شيء؟

الأم: نعم، سأكون قد انتهيت من كل شيء.

الطفلة: أنا لا أريد منك أن تقومي بالكس أو الغسيل، أو... (تتوح)

الأم: آسفة، لكن على أن أفعل ذلك.

الطفلة: أو كي الملابس.

الأم: أنت تعرفين أن أمك ليس لديها وقتاً كبيراً في أيام الجمع. (وكان

الجمعة هو اليوم التالي، لذا كان على الأم أن تؤدي عملاً أكثر

ذلك اليوم)

الطفلة: أو... لماذا كان عليك أن تستحمي؟ (ربما كانت دونا تقصد

غسل الملابس)

الأم: حسنا أنا لم أفعل أى شىء أمس... لقد خرجنا بالأمس، ألم نذهب  
لبيت "ثانى" بالأمس؟

إن الأمر المهم هنا ليس مجرد اهتمام والدة "دونا" بأن تقدم لها فهما  
وإدراكا لما كان عليها أن تفعله، ولكن المهم أيضا هو افتراضاتها حول ما  
يمكن أن تعرفه وتفهمه. "أنت تعرفين أن أمك ليس لديها وقتا كثيرا في أيام  
الجمعة" كانت عبارة مبهمة للغاية، خاصة أن ذلك اليوم كان يوم خميس.  
افتترضت الأم هنا أن ابنتها سوف لا تعلم فقط أن اليوم كان يوم الخميس،  
لكنها افتترضت أيضا أن "دونا" ستقوم باستنتاج أنه لكونها لا يتوفر لديها وقت  
كاف في اليوم التالي، فعليها أن تعمل أكثر ذلك اليوم. وذلك بدوره أسفر عن  
إدراك "دونا" بأنه كان هناك قدر محدد من العمل لا بد من أن يتم إنجازه ذلك  
اليوم. ولم يكن واضحا لنا بالطبع كم عدد الاستنتاجات التي طرأت على ذهن  
"دونا" من بين ما ذكرنا من استنتاجات محتملة، أو حتى ما إذا كانت قادرة  
على استنتاج أى شىء.

وبينما يحتمل عدم وضوح ما إذا كانت "دونا" قد فهمت عن حياة أمها  
العملية من واقع المحادثة السابقة، لكن المحادثة التالية توحى بأنها تتحلى  
بشئ من الإدراك على الأقل بحقائق الحياة العملية لوالدها. كانت "دونا" قد  
تمكنت أخيرا من إقناع والدتها بأن تذهب وتجلس معها على درج السلم  
بالخارج؛ حتى برغم أن أمها كانت لا تزال تشعر بضغط حول ما يمكنها  
أن تفعله:

١- الأم: لا يمكننى أن أجلس هنا مدة طويلة. (وتبدأ فى مساعدة "دونا"  
فى ارتداء خفها)

٢- لماذا؟

٣- الأم: لأن والدك سيعود حالا.

٤- الطفلة: لم يحن بعد وقت الغداء.

٥- الأم: لقد انتهى وقت الغداء، وهو لا يأتي هنا في موعد الغداء، أليس كذلك؟ ليس الآن. إنه يعمل في مكان بعيد للغاية.

٦- الطفلة: لماذا لا يأتي هنا للغداء؟

٧- الأم: لأن مجيئه إلى هنا وعودته لاستكمال عمله اليومى يستغرق وقتا طويلا أكثر من اللازم.

٨- الطفلة: وهو غير مسموح له بذلك؟

٩- الأم: لا.

١٠- الطفلة: وإلا يحصل على، وإلا لا يحصل على نقود كثيرة؟

١١- الأم: لا، لن يحصل على نقود كثيرة، ونتيجة لذلك لا تحصلين أنت على خُفِّكَ الجديد.

١٢- الطفلة، لا، ولا الحذاء الجديد؟

١٣- لن تحصلى على أى منهما هذا الأسبوع، يا حبيبتي.

هذه الحلقة من طرح الأسئلة المتواصلة لم تصل لمستوى "محادثة عن البحث الذهني أو الفكرى". وبدا أن "دونا" كانت تتأكد وتثبت في ذهنها ما كانت تعرفه بالفعل من قبل أكثر من كونها تسعى لفهم شيء كان يحيرها. ويوحى الدور ٨ فى الكلام بأنها كانت تترك بأن والدها سواء كان يستطيع أخذ فترة راحة طويلة للغداء أم لا تستطيع، فإن ذلك كان أمرا لم يحسمه هو شخصيا بعد. والأكثر من هذا، أنه لو قام بالفعل بعمل شيء لم يسمحوا له به، فإنهم لن يدفعوا له أجره عن العمل (الدور ١٠ فى الكلام). ولم تَضَيِّعْ أم "دونا" أى وقت في الربط بين عدم استلام زوجها لأجره وبين طلبات "دونا" بالحصول على خف وحذاء جديدين. وهكذا دارت المحادثة دورة كاملة تقريبا: من طلبات "دونا" بأن تجلس أمها معها على درج السلم إلى طلباتها بشراء خف وحذاء جديدين. وخلال تلك الدورة تم إيضاح الأحوال المالية

للعائلة كوحدة في المجتمع، والقيود والضغوط التي تفرضها تلك الأحوال على الأم والأب... على "دونا" نفسها.

وحددت المحادثة في الحقيقة علامة البدء لمرحلة جديدة من أنشطة ما بعد ظهر ذلك اليوم. فإنه، ورغم القدر الكبير من العمل الذي كان ينتظر أم "دونا"، إلا أنها ظلت على درج السلم معها لبعض الوقت، وانقضى معظمه في تسلية كل منهما للأخرى بالقصص والأغاني. (وفي المقابلة التالية، أخبرتنا والدة "دونا" أن أكثر ما كان يمتعها مع "دونا" هو الغناء.) وبدأت بأن أخبرت "دونا" عن الكلب الموجود في الحانة التي كانت تعمل بها؛ ووعدت "دونا" أن تأخذها لتراه في يوم ما:

الطفلة: هل يعضك؟

الأم: لا، إنه يحب أن يلعب. لقد قذف بالسلطانية التي يأكل منها تجاهي هذا الصباح.

الطفلة: لماذا؟

الأم: التقطها بأسنانه وقذف بها تجاهي.

الطفلة: لماذا؟

الأم: لأنه كان يريد شيئاً من الشاي، وكانت تلك طريقته ليخبرني أنه يريد شيئاً من الشاي.

الطفلة: هل يقول "اثنان شاي"؟

الأم: لا، الكلاب لا تستطيع الكلام، يا حبيبتي.

الطفلة: ماذا يقولون؟

الأم: إنها تتبح.

الطفلة: كيف؟

الأم: تنطلق في الهوهوة (وتتظاهر أنها تتبح)

الطفلة: "هوهو"؟



الأم: ثم التقط سلطانيته ورفعها لأعلى بأسنانه وذهب "هوهو هوهو!"  
ثم أسقطها على أرضية المكان، أمامي تماما هناك. وقلت له، "هل  
تريد بعض الشاي؟" فاستمر في التباح. ولهذا أخذت السلطانية  
وأعطيته بعض الشاي.

الطفلة: لم تفعل ذلك! (وتضحك)

الأم: فعلت ذلك!، ومع ذلك فهو لا يحب السكر في الشاي الذى  
يشربه... الحليب والشاي فقط.

الطفلة: كيف تشرب الكلاب الشاي، إنن؟

الأم: يُقدّم له فى سلطانية، ويلعقه هو بلسانه. مثل قطة خالتك "دوريس"  
عندما تلحق الحليب.

الطفلة: أوه، مثل القطة.

الأم: مثل القطة.

كانت تلك قصة جيدة. بدا للوهلة الأولى أنها بعيدة الاحتمال، لكن أم  
"دونا" جعلتها تبدو معقولة ومقبولة جدا: لقد قدّمت ملحوظة قوية عن حقيقة  
علمية معروفة عندما قالت أن الكلاب لا تستطيع الكلام. وقد لا يهم ما إذا  
كانت القصة حقيقية أم لم تكن كذلك؛ الذى يهم هو أن تلك القصة أمتعت  
"دونا" وأسرتها، ودفعتها لأن تسأل أسئلة أخرى عن الطرق التى تأكل بها  
القطط والكلاب من السلطانية.

واستمرت حالة خفة الدم المزاجية تلك وتطورت فى المحادثات القليلة  
التالية. ابتعدت "دونا" عن درجات السلم وبدأت تقفز من عليها إلى الإفريز.  
وطلبت منها أمها ألا تفعل ذلك، لأنها قد تصاب بجروح، لكن "دونا" استمرت  
فى القفز. واستمرت الأم تطلب منها أن تتوقف عن فعل ذلك، لكن هذه المرة  
بطريقة يسودها خفة الدم أكثر بكثير عما كانت تستخدمها فى البداية عندما  
كانت داخل البيت:

الأم: أنت تسعين فقط للسقوط وإيذاء نفسك... وستقولين لأبيك إننى ذهبت وضربتك بشدة بالعصا، أليس كذلك؟

الطفلة: سأقول له ذلك فيما بعد، عندما يعود للبيت الليلة.

الأم: إذا قلت له، فسوف أضربك علة ساخنة بالعصا!! (وتدغدغ الطفلة فتضحك)

الطفلة: سأقول له!!

الأم: ماذا ستقولين له؟

الطفلة: إن أُمى كانت تضربنى بشدة ويقسوة بالعصا.

الأم: أوه هو.. هو.. هو... يا فشارة!

الطفلة: اضربيني... وبعد ذلك سأقول له.

الأم: أضربك وبعد ذلك ستقولين له، لا (وتضحك)

الطفلة: اضربيني وبعد ذلك لن أقول له، إنن.

الأم: أضربك ولن تقولى له؟ إنك تريدين أن أضربك بشدة، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم.

الأم: ماذا؟ بهذا الشكل؟

وادعت أم "دونا" أنها تضربها بشدة واستمتعت كل منهما ببعض الدغدغة وتمثيل مشاجرات عنيفة على الدرج الأول من السلم. وانتهيا بجلوس "دونا" على ركبة أمها:

الأم: احكى لى قصة.

الطفلة: (تبدأ بالغناء) "هامبتي دامبتي..."

الأم: لا، هذه أغنية، احكى لى قصة. احكى لى تلك القصة عن الدببة الثلاثة، أحب تلك القصة.

الطفلة: فى يوم من الأيام خرج ثلاثة دببة.

الأم: نعم؟

الطفلة: فى الغابة.

الأم: نعم؟

الطفلة: وجاءت طفلة صغيرة.

الأم: ماذا كان اسمها؟

الطفلة: "بوليك".

الأم: نبات الأقفال الذهبية "نبات أوروبى (وتضحك)"! بوليك!

الطفلة: نبات الأقفال الذهبية، وأكلت طعام إفطار الطفلة الرضيعة، لكنه كان به كمية سكر أكثر من اللازم.

الأم: نعم.

الطفلة: وأكلت طعام إفطار أمى، وكان ساخنا أكثر من اللازم. وأكلت طعام إفطار أبى، وكان طعمه هو المطلوب تماما.

الأم: نعم؟ استمرى...

الطفلة: التهمت كل ذلك الطعام، وكسرت الكرسى، وكانت فى...

الأم: (مقاطعة إياها) كسرت كرسى من؟

الطفلة: كرسى أبى.

الأم: كرسى الطفلة الرضيعة، لقد اختلط الأمر عليك.

الطفلة: كرسى الطفلة الرضيعة.

الأم: نعم، استمرى إذن.

الطفلة: ودخلت فى سرير الطفلة الرضيعة، وقالت، "من ذا الذى ينام فى سريرى؟ ومن ذا الذى ينام مع ابنتى؟"

الأم: نعم، حسنا، وماذا عن الدببة الثلاثة، هل عادت بعد؟  
الطفلة: والتهمت كل الثريد.

الأم: من التهم كل الثريد؟

الطفلة: "سارة" وأنا! (كانت "سارة" إحدى صديقات دونا)

الأم: نبات الأبقال الذهبية.

الطفلة: سارة فعلت ذلك!

الأم: أنت لا، إنك تدعين، هيا، أخبرينى بالحقيقة بالشكل الصحيح.

الطفلة: لا أستطيع أن أتذكر ذلك.

وطلبت منها أمها بعد ذلك أن تحكى قصة "رايدنج هود الأحمر الصغير"، لكن "دونا" رفضت، وروتها أمها لها بدلا منها. وكانت الرواية التى حكته ذات طابع سلوكى فريد إلى حد ما، حيث حل الثعلب محل الذئب. وأكل الثعلب كلا من الجدة ورايدنج هود الأحمر الصغير، لكن بتضح الأمور كلها فى النهاية عندما يشق قاطع الأخشاب الثعلب ويفتحه فيخرج منه الشخصيتان اللتان تم التهامهما. وطلبت أم "دونا" من ابنتها أن تحكى لها بعض القصص التى تعلمتها فى المدرسة، لكن "دونا" ادعت أنها نسيتهما جميعا. وبدلا من ذلك قامت بأداء بعض الأغانى التى سمعتها فى مدرسة الحضانة. وكانت أمها تألف الكثير من تلك الأغانى، واشتركا فى غنائها سويا. وبعد أن استنزفا حصيلتيهما من الأغانى، قالت أمها:

الأم: تعودت على تعلم الأرقام عندما كنت فى المدرسة.

الطفلة: وأنا كذلك!

الأم: صحيح؟

الطفلة: نعم!

الأم: هل تعرفين أى أرقام إبن؟

الطفلة: واحد (وتبدأ تعد على أصابعها).

الأم: نعم.

الطفلة: اثنان، ثلاثة، أربعة... واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... واحد،

اثنان، ثلاثة، أربعة...

الأم: نعم، ما الذى يلى أربعة؟

الطفلة: خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة.

الأم: أوه، ذكية، ألسنت كذلك؟ ما الذى يأتى بعد الرقم عشرة؟

الطفلة: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة،

عشرة، إحدى عشر، خمسة!

الأم: عشرة، إحدى عشر، اثنا عشر.

الطفلة: عشرة، إحدى عشر، اثنا عشر، أربعة عشر، ستة عشر،

تسعة، ثمانية عشر، ستة عشر، أربعة، تسعة عشر، سبعة عشر،

خمسة عشر، واحد وعشرون، اثنان وعشرون، ثلاثة وعشرون،

ثمانية وعشرون.

الأم: أوه، هذا ليس سيئا.

وسألته أمها بعد ذلك ما إذا كانت تعرف أى حروف أبجدية:

الأم: تعرفين، مثلا ألف، باء، تاء، أم تعرفين: أ، ب، ت. أى طريقة

منهما تتعلمينها فى المدرسة؟ هل تتعلمين ألف، باء، تاء، أم

تتعلمين: أ، ب، ت؟

الطفلة: أتعلم ألف، باء، تاء، ميم .

الأم: ألف، باء، تاء، ثاء، وليس ألف، باء، تاء، ميم.

الطفلة: ألف، باء، تاء، ميم .

الأم: ما الحرف الذى يبدأ به اسمك؟ هه؟ ما هو هذا الحرف؟

الطفلة: الدال.

الأم: الدال.

الطفلة: الفاء، اللام.

الأم: لا، الدال، الدال.

الطفلة: الدال، الفاء.

الأم: النون.

الطفلة: النون.

الأم: النون.

الطفلة: النون.

الأم: ألف.

الطفلة: ألف.

الأم: دونا ويتسوك! (كان لقب دونا هو: واتسون. أما هذا الاسم - مثل اسم كيرى كما سنذكره بعد قليل - فواضح أنه كان كنية العائلة)

الطفلة: آه، أنا لست دونا ويتسوك!

الأم: نعم أنت كذلك! وكيرى اسمها "كيريجولد باتر"!

كانت هذه المضايقة إشارة بانتهاء الدرس. كان واضحا محاولة أم "دونا" مساعدة ابنتها فيما كانت تعتبره تعليماً أساسياً وجوهرياً: بالتحديد.

معرفة الحروف الأبجدية والأرقام. وفي المقابلة التالية أخبرتنا أنها تتقد مدرسة الحضانة التي تذهب "دونا" إليها من حيث إنها تقدم للطفلات اللعب فقط، وأنها كانت تعلم "دونا" في البيت الحروف الأبجدية، وهجاء حروف اسمها وكتابته. وكان سبيلها في ذلك يضرب بجنوره بإحكام في طرق التدريس الشفهية التقليدية، التي يُحتمل أن تكون قد طبقت عليها هي نفسها حينما كانت طفلة. أما في أيامنا هذه، فإن معظم المدرسين يقطنون جبينهم تجاه طرق التدريس تلك. بل أنهم عادة لا يرحبون على وجه الخصوص بالأطفال الذين يلتحقون بالمدارس وهم قادرين على تسميع الحروف الأبجدية؛ ويغلب أن ينتقدوا آباءهم لكونهم قد علموا أطفالهم ما لا يصح أن يقوموا بتعليمهم إياه. ولا يتسع المجال هنا لمناقشة من منهم على حق؛ والنقطة المهمة هي وجود فجوة كبيرة بين الطرق التي تعتقد المدرسة أنها ملائمة، والطرق التي يغلب أن تتبناها الأمهات من أمثال أم "دونا" عندما تحاول مساعدة طفلتها. وكانت هناك علامات على إدراك والدة "دونا" بهذا الاحتمال عندما سألت ما إذا كانت "دونا" قد تعلمت ألف، باء، تاء أو أ، ب، ت (الطريقة الأحدث في علم الأصوات والألفاظ). في الحقيقة، لم تتعلم "دونا" في مدرسة الحضانة - كما سنرى في الباب التاسع - لأن تجاربها التعليمية فيها كانت من نوع مختلف للغاية.

وانتهت تلك الفترة الطويلة على درجات السلم بوضع والدة "دونا" يديها على أعلى ظهر وكتفي ابنتها أسفل درجات السلم واتجهت بها للمطبخ. وأطلقت نكات على ثقل وزن "دونا"، قائلة إن عليها أن تجعلها تتبع نظاما خاصا للأكل. ("وجبة واحدة يوميا... فنان واحد من عصير البرتقال يوميا... ممنوع البسكويت أو قطع الحلوى"). ولدى وصولهما للمطبخ، ادعت الأم أنها تضع "دونا" في الغسالة الكهربائية، ثم في صندوق القمامة، وهددت أخيرا بوضعها في القفص مع الأرنب. وعلى أي حال سرعان ما انتهت فترة المزاح تلك بإعلان الأم أن عليها القيام بعملية الغسيل، فعدنا بشكل حتمي جميعا نحن والأم بالتساوي لطلبات "دونا". اقترحت عليها أمها أن تصنع

"رجل من البطاطس"، لكن الطفلة لم تبد اهتماما كبيرا في البداية. وطلبت القيام بتلوين بعض الصور بدلا من ذلك؛ وعندما رفضت أمها ذلك الطلب، أرادت أن تقوم ببعض الغسيل؛ وعندما رُفض هذا الطلب أيضا، أرادت أن تقوم بشيء من الكنس بالمكنسة الكهربائية، وعند رفض هذا الطلب هو الآخر، وافقت أخيرا على صنع "رجل البطاطس" هذا. ومع ذلك، طالبت بإحدى ثمرات البطاطس الأكبر حجما مما عرضتها أمها عليها. وانقلب حالها رسا على عقب عند رفض طلبها هذا، وغضبت أمها بشدة. وأخيرا وافقت "دونا" على ثمرة البطاطس الصغيرة. ونجحت فكرة رجل البطاطس نسبيا حيث تمكنت والدة "دونا" من الربط بين الواجبات المنزلية التي كان عليها القيام بها وبين اشتراكها الملموس في صنع رجل البطاطس: باقتراحها بأن تصنع ابنتها أجزاء مختلفة من جسم الرجل يمكن أن تستخدمها في بناء ذلك الرجل، وبمساعدها في صنع الأجزاء الصغيرة الصعبة منه، وهكذا.

وعند اقتراب انتهاء فترة التسجيل، جلست "دونا" وأمها لتناول فنجان من الشاي مع قطعة من البسكويت ("دونا" تسأل: ممكن أتناول قطعة من البسكويت؟ فترد الأم: بما أنك ترين أني أتناول قطعة منه، أعتقد أنه من الأفضل أن تغلي مثلي!). ثم تناقشنا في ما يمكن أن تفعله بعد ذلك. كانت والدة "دونا" ستقوم بصنع فطيرة، والمفترض أن تترك قطعة من عجينتها لابنتها لتصنع منها شيئا. واقترحت عليها أمها أن تصنع كعكاً صغيراً:

الأم: هل تذكرين قطع الكعك التي صنعتها عندما جاءت جدتك إلى هنا؟

الطفلة: نعم.

الأم: القطع التي كان بها قطع صغيرة من الزبيب الذي لا بزر له؟

الطفلة: نعم

الأم: يمكنك عمل بعض منها لوالدك الليلة. اصنعهم أنت، وسأضعهم أنا في الفرن وأقوم بطهيهم.



الطفلة: لا أستطيع عملهم.

الأم: تذكرى أن عليك فرد العجين وترقيقه.

الطفلة: نعم.

الأم: انثرى بعض الزبيب أعلاه.

الطفلة: نعم.

الأم: ثم قومى ببطى قطع العجين، ولفى كل قطعة على هيئة كرة.

الطفلة: نعم.

الأم: وستقوم أمك بمسح الصينية بالسمن.

الطفلة: نعم.

الأم: وضعيهم أنت فى الصينية، مثلما فعلت من قبل. كان طعمهم جميلاً.

الطفلة: أوه، أعرف الكعك الصغير المستدير!

الأم: مثل الذى كنت تصنعيه عندما جاء جدك للزيارة فى تلك الليلة.

وبعد ذلك ناقشتا عدد الكعكات التى تصنعانها، وتؤكد والدة "دونا" مرة أخرى على الدور الحاسم الذى يقوم به الأب كعائل للأسرة:

الطفلة: سأكل الكعك كله.

الأم: أوه، إنك تتحولين إلى بنت أنانية، هل أنت كذلك؟

الطفلة: ويمكن لوالدى أن يأخذ واحدة؟

الأم: كل هذا؟ والدك الكبير المسكين الذى يعمل طول النهار، ويحصل على بعض النقود نتيجة لعمله، ويشترى لك الشبشب، وتووين إعطائه كعكة واحدة فقط؟

الطفلة: اثنتان.

الأم: اثنتان؟ هل هذا هو كل ما سيحصل عليه؟

الطفلة: ثلاثة.

وقررتا أن تأخذ "كيري" كعكتين، وأن تأخذ "دونا" ووالدتها اثنتين لكل منهما أيضا، وأن والدها (بافتراض أنه أهم عضو في أعضاء العائلة) يأخذ ثلاثة. وبعد ذلك حاولتا أن تحسبا كم سيكون مجموع عدد الكعكات. وكانت تلك عملية طويلة و متشابكة، حيث أرادت والدة "دونا" من ابنتها أن تساعدنا في حساب هذا العدد، وأثناء القيام بالعمليات الحسابية، ارتبكتا في حساب كميات الكعك المطلوب توزيعه:

الأم: حسنا، إذا كنت أنت ستأخذين كعكتين، ويأخذ أباك اثنتين، كم عدد تلك الكعكات؟ وترفع إصبعين، وتليهما برفع اثنتين آخرين)

الطفلة: ثلاثة.

الأم: لا.

الطفلة: أربعة.

الأم: هذا صحيح. وإذا أخذت أمك اثنتين أخريين، ما المجموع؟ أربعة، واثنتان... (وترفع إصبعين آخرين)

الطفلة: أربعة و(الصوت غير واضح)

الأم: إذا كانت تلك أربعة (وترفع أربعة أصابع) فهذا يجعلهم (وترفع أصبعا آخر)؟

الطفلة: خمسة.

الأم: وهذا يجعلهم (و وترفع أصبعا آخر)؟

الطفلة: أربعة.

الأم: لا، يصبح الناتج خمسة (وتشير للخمسة أصابع المرفوعين أمامها  
بالفعل)

الطفلة: خمسة.

الأم: خمسة وواحد آخر يساوي...؟

الطفلة: ستة.

الأم: هذا صحيح. الآن إذا كنت أنت ستأخذين اثنتين، وتأخذ أمك  
اثنتين، ويأخذ أبوك اثنتين، فهذا يساوي ست كعكات، وإذا كانت  
"كبرى" ستأخذ اثنتين،... تلك ستة (وترفع ستة أصابع مرة  
أخرى) وواحدة أخرى تجعلهن...؟

الطفلة: خمسة.

الأم: لا.

الطفلة: ستة.

الأم: نعم، وما الذي يأتي بعد ستة؟

الطفلة: ثمانية.

الأم: لا.

الطفلة: تسعة.

الأم: لا.

الطفلة: عشرة.

الأم: لا.

الطفلة: ثمانية.

الأم: لا، بعد الرقم ستة، ماذا بعد ستة؟

الطفلة: تسعة.

الأم: لا، سبعة.

الطفلة: لا، ليس سبعة!

الأم: تسعة لا تأتي بعد ستة، بالتأكيد سبعة.

الطفلة: تقول مدرستي "واحد، اثنان، ثم ستة".

الأم: حسنا، عليك أنت تحسبي لأنك لن تعرفي عدد الكعكات الصغيرة التي عليك أن تصنعها...

واستمرنا في حساب عدد الكعكات على أساس أن كل واحد من أفراد الأسرة سينال اثنتين، توصلنا أخيرا للمجموع بأنه ثمانية. ومع ذلك أضافت والدة "دونا" تعقيدا جديدا عندما قالت إنهما لو صنعنا عشر كعكات، فيمكن أن تأخذ "دونا" اثنتين معها للمدرسة في اليوم التالي. وقررت "دونا" أنها تريد أن تأخذ خمس كعكات للمدرسة (رافعة خمسة أصابع وهي تقول ذلك) وتصنع خمسة لهذا اليوم (وترفع الخمسة أصابع الأخرى). وشرحت لها أمها أن معنى ذلك أنهم سيحصلون جميعا على عدد أقل من الكعكات في ذلك اليوم سينال كل واحد كعكة واحدة في الحقيقة، وتبقى واحدة زيادة:

الأم: من سيأخذ الكعكة الزائدة؟

الطفلة: أنت.

الأم: أوه، أنا سأخذ اثنتين، وأنت تأخذين واحدة، وبابا يأخذ واحدة، و"كيرى" تأخذ واحدة؟

الطفلة: نعم.

الأم: أوه، وهو كذلك... أنا سعيدة أننا انتهينا من هذه الحسبة.

كان من الواضح أن "دونا" لم تتابع أمها خلال العملية الحسابية بأكملها؛

وفى الحقيقة، لو أن طفلة فى سنها أتقنت جميع عمليات الجمع التى تضمنها الحديث لصار ذلك أمرا يدعو للدهشة. ومع ذلك، فقد أدركت الطفلة شيئا مما كانت تفعله الأم، وبدا عليها أنها كانت تفهم الطريقة التى كانت تقدم بها أمها المسألة لها. وسواء حدث ذلك عن طريق البداهة أو التخطيط، فإن والدة "دونا" استخدمت فى الحقيقة عددا من الإستراتيجيات الجيدة لتجزئة المسألة، مما جعلها أسهل وأكثر تحديدا. لقد استخدمت أصابعها لتمثل بها الكعكات؛ والأصابع التى كانت تُرفع لأعلى كانت هى التى يتم حسابها، ثم تضيف إليها كعكات جديدة. إضافة لذلك، جزأت جمع كعكتين ليصبح عمليتى جمع منفصلتين بإضافة كعكة واحدة فى كل مرة. وفى نفس الوقت، قامت بربط المسألة بمعرفة "دونا" بتسلسل الأعداد (الذى عرضناه من قبل)، وذلك بسؤالها عن العدد الذى يأتى بعد الرقم ستة، وما إلى ذلك.

وفى نهاية فترة بقائنا فى المنزل، كانت "دونا" وأمها تتناقشان الذهاب لمنزل جدتها فى عطلة نهاية الأسبوع والعمل فى الحديقة هناك. وأخبرت والدة "دونا" ابنتها أن تأخذ معها مقصها الصغير وتساعد فى قطع الحشائش: الطفلة: لا يمكن لمقصى أن يقطع شيئا من الحشائش.

الأم: كيف تعرفين ذلك؟ إنك لم تجربيه؟

الطفلة: تجربته بالأمس.

الأم: لا لم تفعلنى ذلك.

الطفلة: ذهبت، ولم يقطع شيئا.

الأم: حسنا، فى الحقيقة ليس من المفروض أن يقطع الحشائش، أليس كذلك؟

الطفلة: وعلبة السجائر؟

الأم: عفوا؟

الطفلة: علبة السجائر؟

الأم: علبة السجائر نعم. يقطع علبة السجائر لأن...

الطفلة (مقاطعة) مقصى لا يقطع علبة السجائر.

الأم: ماذا؟

الطفلة: لا يقطع علبة السجائر.

كشفت "دونا" عن عدم ملاءمة اقتراح أمها الأول غير المقبول منطقيا بأنها يمكن أن تساعد في قطع الحشائش بمقصها الصغير، وأظهرت لها أخيرا أنه لا يقطع حتى علبة السجائر. وعند هذا الحد، لم يكن لأمها خيار سوى تغيير موضوع الحديث، وفعلت ذلك بطلبها منها أن تنزل من فوق المنضدة.

تكلمت "دونا" مع أمها كلاما كثيرا، مثلها مثل غالبية البنات في دراستنا - دار بينهما تسع وستون محادثة خلال فترة ما بعد الظهر - وسألت عددا هائلا من الأسئلة - سبعة وسبعون سؤالاً من بينهم ثمانية وعشرون سؤالاً سببياً. واشتركت مع أمها بالتساوي تقريبا في البدء بالحديث وإطالة مدة بقائه. وكما اتضح نتيجة غزارة ما رويناه عنهما، أنهما ينتميان للأقلية من أسر الطبقة العاملة الميالة للمنازعات الشديدة التي يهتم فيها الكثير من الحديث المتبادل بين الأم وابنتها بالتهذيب وضبط النفس. لقد بدأ ثلثا المحادثات التي بادرت بها والدة "دونا" بملاحظة حول السيطرة والتحكم. وبدأت حوالى نصف المحادثات التي بادرت بها "دونا" بطلب ما. واشتمل ثلث محادثتهما على المنازعات، وكان أكثر من نصف أسئلة "دونا" السببية عبارة عن أسئلة "اعتراضات أو تحديات".

ومع ذلك، وكما رأينا، فإن ذلك لم يعن أن اللغة كانت لا تُستخدم في أغراض بسيطة، أو أنه لم يتم تقديم قدر طيب من المعلومات والتفسيرات لـ"دونا". وقد بررت والدة "دونا" موقفها في ٦٠٪ من المنازعات التي حدثت

بينهما. وقامت كل منهما بعقد مقارنات وتعميمات، واسترجعتا أحداثا، وناقشنا أموراً سوف تحدث في المستقبل، وقدمتا تفسيرات، واستخدمتا التراكيب اللغوية الخاصة بالجمل الشرطية ونتائجها.

ومع ذلك، وربما لأن سياق معظم محادثتهما كان حول التهذيب وضبط النفس، فإن قدر المعلومات التي قدمت للطفلة "دونا" كان محدوداً نسبياً، وتركز حول سلوكيات أعضاء الأسرة، والقيود المفروضة على أمها. وكانت الكثير من التفسيرات التي قدمتها الأم مختصرة وضمنية إلى حد ما، ولكنه عندما كانت تعتبر أن ذلك التفسير مهماً، كانت تتحول لتصبح في منتهى الوضوح والبيّنة من أمرها. وبدا أنها كانت ترى مسؤولياتها التعليمية الخاصة في اتجاه تشجيع المهارات المدرسية الرسمية أكثر مما تراها في التوسع في المعلومات العامة والمفردات اللغوية التي تقدمها لابنتها.

وكانت والدة "دونا" من بين الأقلية من أمهات الطبقة العاملة اللاتي لم تتقبل الرأي القائل بأن اللعب له أهميته. وكانت تعتبره أكثر كطريقة لشغل وقت "دونا". وربما لهذا السبب قضت الأم القليل جداً من الوقت وهي تلعب معها، وتنظم لها وتقترح عليها أنشطة لعب محددة لتؤديها بمفردها. وعندما كانت تلعب لوقت قصير مع "دونا"، فما كان ذلك إلا لتبدأ في دغدغتها، وتمثل معها مسابقات في القتال، وكانتا تستمتعان سوياً بها أيما استمتاع.

نرجو أن يكون هذا العرض لعصر يوم من حياة "دونا" في منزلها جرس إنذار لأولئك الذين يعتقدون أن هناك قدراً تعليمياً ضئيلاً في بيوت مثل بيت "دونا". صحيح أن والدة "دونا" لم تكن تلعب معها، بل وكانت تتشاحن معها باستمرار، لكن أسلوبهما في التفاعل كان يقدم مواقف تعليمية حقيقية وواقعية للغاية.

(٨)

## كيف صار حال الطفلات فى مدارس الحضانة؟

نناقش فى هذا الباب كيف صار حال الطفلات اللاتى رأيناهن فى البيت وهن فى مدارس الحضانة. ونصف الفوارق بين الطرق التعليمية والمناهج الدراسية والتأديب والانضباط فى مدرسة الحضانة عما هى فى البيوت، والطرق التى اختلف فيها كلام الطفلات مع المعلمات عن كلامهن مع أمهاتهن.

### عالمان مختلفان

تدخل الطفلة عند انتقالها من البيت إلى المدرسة عالما مختلفا غاية الاختلاف. ويكون هذا الأمر واضحا جليا لو كان التعليم فى حجرة دراسة رسمية، ولكنه يظل أمرا حقيقيا بالنسبة للطفلة التى تحضر فى مدرسة حضانة غير رسمية. وربما كان أكبر الفوارق وأكثرها حسما بالنسبة للطفلة هو أنها تنتقل من موقع اجتماعى صغير جدا، تكون فيه شخصية مركزية، وتقضى الكثير من وقتها فيه وهى على اتصال بأمرها، إلى مجتمع أكبر منه بكثير تكون فيه واحدة من بين عشرين إلى خمسة وعشرين طفلة. ورغم أن المدرسة تكون عطوفة وعلى استعداد لتقديم المساعدة، إلا أنها لا تحابى واحدة من التلميذات بشكل خاص على حساب الأخريات؛ وزيادة على ذلك، فهى تعرف القدر الضئيل عن ماضيها، وعن حياتها خارج نطاق المدرسة، أو عن المستقبل المتوقع لها.

وهكذا، فبينما تنصب حياة الطفلة فى البيت على علاقة وطيدة للغاية مع شخص كبير أو أكثر، فإن الكبار هنا يصبحون عديمى الأهمية نسبيا فى حياتها. وتنتطبق صحة هذا الكلام على وجه الخصوص على مدارس الحضانة البريطانية التى تكرر معظم أوقات اليوم المدرسى للعب الحر، بصرف النظر عن جماعة القصة واحتمال حضور حصة موسيقى، ويمكن



للطفلة الانتقال بحرية ما بين حجرة الدراسة وملعب المدرسة. لذا فإن جلّ خبرات الطفلات تكون بعيدة عن المُدرسة، بل هي مع طفلات أخريات، فلا تشكل الكبيرات إذن تلك الخبرات، كما يحدث في البيت. وقد تتم في الواقع تفاعلات الطفلة مع العاملات في المدرسة من قبيل الصدفة، وعادة ما تكن بطبيئات الإيقاع عاطفياً. وما يصبح ذو أهمية بالنسبة للطفلة في المدرسة هو علاقتها بالطفلات الأخريات، وخبراتها في اللعب. وكانت المدرسة في دراستنا تملك قدراً أكبر بكثير من أدوات اللعب عما يمكن أن يوجد في البيوت، وكان من الواضح استمتاع الطفلات بالفرص التي يحصلن عليها في الرسم بالألوان، واللعب بالرمل والماء، وبالركض والتسلق في ملعب المدرسة. وكانت السعادة تبدو على جميع الطفلات في المدرسة.

#### أهداف ومناهج مُدرّسات الحضّانة

ومع ذلك، فإن مدرّسات الحضّانة يهدفن للقيام بما هو أكثر من تزويد الطفلات بأوقات سعيدة في المدرسة. وقد يبدو عليهن من وجهة نظر سطحية أنهن لا يفعلن شيئاً سوى الإشراف على الطفلات وهن يلعبن. والحقيقة أنهن يفكرن ملياً في وسائل الربط بين تنظيم وترتيب بيئة وأماكن اللعب، وتفاعلاتهن مع الطفلات بأهدافهن التعليمية. ولقد أظهرت المقابلات مع مدرّسات الحضّانة البريطانيّات أنهن عادة ما يضعن نصب أعينهن تعزيز النمو الاجتماعي للطفلات كهدف أسمى يسعون لتحقيقه، بمعنى مساعدة الطفلات ليصبحن عضوات في جماعة وليحققن الاستقلال عن أمهاتهن. وتضع المدرسة الأهداف الفكرية الذهنية في المقام الثاني، وتُعبّر المدرّسات عنها بطريقة نموذجية باصطلاحات عامة للغاية " تنمية كافة الملكات الكامنة للطفلة " أو "تنمية المهارات الأساسية وقدرة الطفلة على الفهم والإدراك". وتحدد مُدرّسات الحضّانة عادة نمو الطفلة اللغوي، من خلال المحادثات في المقام الأول، على أنها الهدف الثالث لهن. وهناك الكثير من المدرّسات اللاتي يذكرن إعداد الطفلات للمدارس الابتدائية عن طريق وسائل معينة

منها تشجيعهن على الاستماع لما يقوله العاملون فى المدرسة واتباع التعليمات على أنه هدف آخر.

ورغم وضوح معلمات مدارس الحضانة فيما يخص أهدافهن التعليمية فإنهن كثيرا ما يشعرن بالارتباك إذا ما سُئِلن عن منهجهن الدراسى. ويرجع ذلك لأنهن ليس لديهن منهجا دراسيا مفهومه مجموعة محددة من المعارف والمهارات يقمن بتعليمها للطفلات خلال فترة زمنية محددة. وهن فى الحقيقة لا يرين أنفسهن كمعلمات بقدر ما يرون أن دورهن هو تزويد الطفلات ببيئة تعليمية ثرية. لذا فإنهن، إذا ما تعمقن فى التفكير أكثر، سيقولن عادة أن اختيار أدوات اللعب هو ما يشكل منهجهن. وبذلك فإنهن يعنين، على سبيل المثال، أن تقديم أوعية ذات أحجام وأشكال مختلفة لألعاب الماء يساعد الطفلة على تكوين وتطوير مفاهيم عن حجم الأشياء؛ وأن تزويدهن بقوالب بناء ذات أحجام وأوزان مختلفة تساعد الطفلة التى تقوم ببناء أبراج على فهم وإدراك العلاقات العرضية غير النظامية وتكوين مفاهيم خاصة بالتوازن. إضافة لذلك، تضيف المدرسات عادة أنهن بحديثهن مع الطفلة عما تقوم به من ألعاب، فإنهن يساعدنهن بذلك على تعلم مفاهيم وصف الأشياء وخواصها، كمسميات حجم وشكل ولون تلك الأشياء. وقليلات جدا هن المدرسات، ولا يوجد منهن أحد بالتأكيد فى دراستنا هذه، اللاتى تُعلمن القراءة والكتابة. ومع ذلك تجدهن يجادلن ويؤكدن أنهن يضعن حجر الأساس لتلك المهارات من خلال تقديم أنشطة تنمى التعرف على الشكل والنموذج، وخلق التناسق بين اليد والعين، وذلك بتطوير اللغة التى تتحدث بها الطفلات، وبمساعدهتها على فهم العلاقة بين القصص والنص المطبوع.

وهكذا تختلف الأهداف التعليمية الصريحة للمدرسات عن أهداف الأمهات. كانت المدرسات تعتبرن أنهن يشجعن على التنمية والتطوير؛ وكن يعنين بذلك أنهن يقدمن بيئة مدروسة ومخططا لها بعناية تتعلم فيها الطفلات من خلال اللعب الذى تبادر كل طفلة بممارسته من تلقاء نفسها. أما الأمهات

على الجانب الآخر، فكن يرون دورهن التعليمي الخاص أكثر في "تعليم الطفلات"؛ وكن يعنين بذلك نقل المهارات كالقراءة والكتابة، وأمن الطريق، وتزويد الطفلات بمعلومات عن آفاق واسعة من المعرفة. وكان الموقف بهذا الشكل يدعو للسخرية بشكل أو بآخر، حيث إن الأمهات، وليس المدرسات، كن ينظرن إلى أنفسهن على أنهن "المعلمات" للطفلات.

وتاماً كما وجدنا بعض التوافق والتشابه بين منهج الأمهات الصريح ونوع المعلومات التي قدمنها لبناتهن الصغار، وجدنا أن معظم أنواع المعلومات المتكررة التي كانت المعلمات تقدمها في المدرسة كانت تدور حول لعب الطفلة. كان عالم الحضانة يتكون في الأساس من اللعب. وكانت العاملات في المدرسة يصنن أسئلتهن للتلميذات عما كن يفعلنه، وكن يقدمن اقتراحات ويناقشن ويعرضن طرق استخدام أدوات اللعب. وكن يُعلمن الطفلات أيضاً مفاهيم خواص وصفات الأشياء (حجم الأشياء، وعددها، وشكلها، ولونها، إلخ) في سياق اللعب الذي كن يؤدينه. وكانت العاملات تلعبن مع مجموعة صغيرة من الطفلات من وقت لآخر، وذلك بتنظيمهن ولعب الأدوار الرئيسية في الأدوار الخيالية عن المستشفيات مثلاً، أو لعب الرقع كلعبة الحظ في استخدام الصور. وكانت تلك المناسبات، على أي حال، نادرة بالنسبة لكل طفلة على حدة: كانت الأمهات تلعبن مع طفلاتهن أوقاتاً أكثر بكثير من هيئات العاملين في المدارس، رغم أن النسبة الأكبر من حديث الكبار مع الطفلات في المدارس كانت تدور حول اللعب.

ومن جهة أخرى، قدمت الأمهات لبناتهن قدراً أكبر من المعلومات عن العلاقات الأسرية، والأطفال الرضع والشئون العائلية والمنزلية. كما قدمت الأمهات للبنات الصغار أيضاً معلومات عامة تفوق ما قدمته المدارس لهن (من بينها معومات عن العلوم، والتاريخ والجغرافيا)، وناقشن معهن في العموم مجالات أوسع نطاقاً من الموضوعات عما فعلته مدارس الحضانة.

وهناك اختلاف ملحوظ آخر بين المدرسة والبيت وهو أن معظم الكلام في المدرسة كان يدور حول "هنا" أى فى هذا المكان "والآن" أى فى الوقت الحاضر، وذلك لأن اللعب كان محور هذا الكلام. أما فى البيت، فكثيرا ما حدثت مناقشات حول أحداث خارج نطاق الوضع الحالى، بما فى ذلك ماضى الطفلة ومستقبلها، وكان ذلك ينطبق أكثر على بيوت الطبقة المتوسطة. لقد كان المنهج الدراسى فى المدرسة فى حقيقة الأمر أضيق فى أفقه بكثير عن منهج البيت، حيث إن المدرسة كانت تناقش قدرا أصغر بكثير من الأمور عما كان يحدث فى البيت. وهكذا، فإنه بانتقال البنات من المدرسة إلى البيت يوميا، كن يواجهن منهجا مختلفا، يهتم أحدهم أكثر بأنشطة اللعب ويقل اهتمامه بالعلاقات الأسرية، والشئون المنزلية، والعالم الاجتماعى.

### التهديب والانضباط فى مدرسة الحضانة

تتم عملية التهديب والانضباط فى مدرسة الحضانة بطريقة لطيفة للغاية، وعادة ما تتقبلها البنات بصدر رحب حتى إنها تكاد تكون مخفية وبعيدة عن الأنظار مقارنة بالمشاحنات الكثيرة الواضحة للعيان التى تحدث فى البيوت. لذا فوجئنا عندما وجدنا نسبة مقاربة جدا من الملاحظات الخاصة بالسيطرة على البنات فى حديث الأمهات والمدرسات. (كان قدر السيطرة فى البيت يفوق قدره فى المدرسة بكثير، حيث إن الأمهات تكلمن مع بناتهن أكثر بكثير عما كان يحدث فى المدرسة). ومع ذلك كانت السيطرة تنصب على مسائل مختلفة فى المكانين.

توجهت جهود الأمهات فى الأساس لمنع حدوث تلفيات أو ضياع لمحتويات البيت، ولتعليم البنات الأخلاق الحميدة، ولحماية الطفلة من الخطر. أما المدرسة فكان لها أولويات أخرى. كانت البيئة مقامة ومعدة لاستخدام الطفلات ولسلامتهن، وكانوا يتحملون حدوث فوضى وعدم ترتيب للأشياء، بل وضياع أشياء، بل وكانوا يشجعون الطفلات على ذلك، ولكن بطريقة منظمة ويتم السيطرة عليها. ولم يكن تعليم كلمات من أمثال "من فضلك" أو

"شكرا" له أولوية عند المدرسات، وكانت معظم هيمنتهم وسيطرتهم منصبية على جعل الطفلات تتبعن الروتين المدرسي، كأن تسعى كل بنت للحصول على الحليب المخصص لها، أو تذهب بنفسها للملعب، أو تجلس للاستماع للقصة، أو تغسل يديها، وأن ترتدى المريلة أو تخلعها طبقا للتعليمات. وكن يتوقعن من التلميذات أيضا ركن أدوات اللعب بعيدا بعد الانتهاء من اللعب، وهذا إجراء لم تحاوله الأمهات إلا فيما ندر.

والسبب في أن السيطرة والتحكم بدنا مخفيتين عن الأعين نسيا في المدرسة هو أن الطفلات قلما اعترضن عليهما. لقد أظهرنا في الباب السادس أن بعض البنات الصغار أمضين جزءا كبيرا من أوقاتهن في البيت يتنازعن ويتشاحن مع أمهاتهن. أما في المدرسة، فلم يحدث أن تنازعت ثلاث عشرة طفلة مع العاملين في المدرسة إطلاقا. كانت نسبة ١٥٪ في المتوسط من محادثات الكبار مع الطفلة في البيت تشملها منازعات وخلافات بينما كانت النسبة في المدرسة ٣٪ فقط.

والشيء الغريب اللافت للنظر، أنه طبقا لما هو معروف بأن معظم مدرسات الحضانة تعطين أولوية لدعم النمو الاجتماعي للطفلات والتشجيع على زيادته، ومع ذلك لم تهتم التفاعلات بين العاملات في المدرسة وبين الطفلات بهذه المسألة إلا في حالات قليلة نسبيا. ولما كان يحدث شكل من أشكال السيطرة والتحكم كأن يُطلب من البنات أن تأخذ كل واحدة دورها في أداء شيء ما، وأن تشارك الأخريات في أمور معينة، وأن تتسم بالرحمة والعطف على الآخرين، وأن تبتعد عن الشجار مع الغير، إلخ. ( ما نسبته ١,٣ مرة في الساعة)، وهذا معدل أقل في حدوثه بكثير عن معدل التعليمات باتباع الروتين اليومي وبترتيب الأشياء ووضعها في مكانها الصحيح (٦,٥ مرات في الساعة). أما عن الموضوعات الخاصة بتزويد البنات بالمعلومات على سبيل المثال، شرح كيف تشعر طفلات أخريات في مواقف معينة، أو تقديم اقتراحات لتفاعلات إيجابية ("يمكنك فعل ذلك عندما ينتهي "جون" من عمله؛" أو "لو رفعتي الكتاب بهذا الشكل، فإن الآخرين سيرونه بوضوح") فقد

كانت تحدث بمعدل أقل من معدل حدوث مناقشات حول اللعب، وحول "المفاهيم الخاصة بالخواص والصفات المميزة للأشياء". وفي الحقيقة، شكل الكلام من هذا النوع حوالى نفس نسبة كلام المدرسات ونسبة كلام الأمهات: وبعبارة مطلقة لا ريب فيها، فإن ذلك كان يحدث فى البيت بمعدل يفوق كثيرا ما كان يحدث فى المدرسة. وربما كان تفسير ذلك أنه بينما كانت المدرسات تزين المدرسة على أنها تقدم المكان المناسب لنمو البنات الاجتماعى، فقد اعتقدن أن أفضل شيء هو السماح لحدوث هذا النمو دون تدخل الكبار كلما أمكن ذلك.

وهكذا كان على البنات الصغار أن يتعلمن قانونا جديدا للسلوك فى المدرسة. لقد كانت بعض المسائل التى يصرون عليها فى المدرسة أقل فى أهميتها بكثير عنها فى البيت - على سبيل المثال، ترتيب المكان، أو الجلوس فى الزمان والمكان اللذين توجّهن إليه. وكان السلوك غير المقبول فى البيت على سبيل المثال سكب الماء أو ألوان الرسم على أرضية الحجره مُجاز ومسموح به فى المدرسة. وحيث إنه لم تكن هناك سوى أمثلة قليلة للغاية لعدم الانصياع للأوامر من جانب الطفلات، فلا بد من أنهن قد وجدن هذا الانتقال من حال إلى حال هينا ويسيرا نسبيا. وأحيانا تعتقد العاملات فى الحضانه أنهن يفضلن ويشجعن الأنماط الرقيقة اللينة من التحكم والسيطرة عن سواها - "هل تحبين أن تأتي إلى هنا؟" - وأنهن يقدمن صعابا ومشاكل من نوع خاص لطفلات الطبقة العاملة المتعادات على الطرق المباشرة فى التعامل معهن. وفى الحقيقة، لقد وجدنا أن العاملات فى مدارس الحضانه كن عموما يستخدمن طرقا مباشرة فى التعامل، لاسيما عند تعاملهن مع أكثر من طفلة مثلا: "ادخلن فى هذا المكان، من فضلكن!" وعلى أى حال، فقلما بدا أن الطفلات يستنن فهمهن، رغم احتمال حدوث مشاكل عندما بدأن حياتهن المدرسية وعندما بدأنا تسجيلاتنا، كانت الطفلات فى عينتنا قد أمضين جميعا بالفعل فترة زمنية معينة فى مدارس الحضانه.

## حجم التفاعل بين العاملين في المدرسة والطفلات

والفارق الثاني بين البيت والمدرسة الذي تعرضنا له بالفعل من قبل كان القدر القليل نسبيا من الكلام بين الكبار في المدرسة والطفلات. في المتوسط، شاركت البنات الصغار في عشر محادثات في الساعة مع العاملات في المدرسة، مقارنة بسبعة وعشرين محادثة مع أمهاتهن في البيوت. ويشمل هذا الحساب كل المحادثات مع مجموعات البنات والتي كانت طفلاتنا في الدراسة جزء منه، فيما عدا المناسبات النادرة التي كانت المدرسة تخاطب فيها الفصل بأكمله. وكانت نسبة الكلام من شخص لآخر أقل بكثير من معدلها في البيوت.

وكانت كثير من المحادثات المدرسية مختصرة وقصيرة للغاية. وعموما، كانت ثلثا المحادثات الكلية هناك تتكون من ستة أدوار من الكلام أو أقل من ذلك؛ بينما كان متوسط طول المحادثات في البيوت ستة عشر دورا من الكلام، وهو ما يساوى بالضبط ضعف متوسط طول المحادثات بين العاملين في المدرسة والطفلات. وككل، إذن، كان عدد مرات الكلام بين الكبار والطفلات فيما يتعلق بأدوار الكلام في البيت أربعة أضعاف نظيره في المدرسة.

ولم يكن ما وجدناه غير متوقع. إن معدل كلام الكبار مع الطفلات أقل في المدرسة بكثير عنه في البيت، وتقضى الطفلات معظم الوقت في المدرسة وهن يلعبن مع طفلات أخريات، أو كل طفلة على حدة. وعلى أي حال، فإن معنى ذلك أن العاملات في المدارس لا تتاح لهن سوى فرص ضئيلة لمعرفة البنات كأفراد، كل بنت على حدة. كما أن ذلك يثير مشاكل لأولئك الذين يرون إرسال البنات للمدارس على أنه وسيلة لتعرضهن لعدد أكبر من لغة الكلام من جانب الكبار. وبالطبع، فإذا كان كلام المدرسات "تعليمي" بشكل أكبر من كلام الأمهات، فقد لا يهم ألا يوجد منه سوى القليل. وسنحاول فيما بعد في هذا الباب تقييم ما إذا كانت تلك هي القضية أم لا.

وفى نفس الوقت، ينبغي أن نلاحظ أن رجحان كفة المحادثات القصيرة جدا فى المدرسة تثير فى الحال أسئلة حول فائدتها من الناحية التعليمية. ولا يعنى هذا أن هناك أى ميزة أو فضيلة فى المحادثات الطويلة التى قد تكون مكررة فى كثير من أجزائها أو قد تكون منقطعة وغير ذات منهج أو هدف بينما يغلب أن تحوى المحادثة القصيرة على كل ما هو مطلوب. وإليكم مثالين لمحادثات قصيرة لكن كلا منهما توفى بالغرض منها تماما:

الطفلة: هل يمكنك أن ترفعنى لأنزل من هنا؟

إحدى العاملات: هيا إذن، واحد، اثنان، ثلاثة.

إحدى العاملات: ممكن لو سمحت تلقين بهذه بعيدا، إنك طفلة طيبة.

الطفلة: لماذا، هل سنقوم بعملية ترتيب للمكان؟

إحدى العاملات: نعم، سنقوم بذلك يا حبيبتي.

ومع ذلك، فإن أى استكشاف للمعنى، أو مناقشة لموضوع من وجهات نظر مختلفة، أو أى محاولة للربط بين مجالات مختلفة من الخبرة، يستغرق وقتا حتى يتطور، كما شاهدنا فى الباب الخامس.

وواضح أنه ليس من السهل على المدرسة عقد محادثات طويلة. لأن البنات فى فصلها ينشغلن فى أنشطة كثيرة مختلفة، نجدها تتجه لأن تمضى وقتها متنقلة من طفلة لطفلة أخرى أو من جماعة صغيرة منهن لجماعة أخرى. وحتى لو قررت المدرسة فعلا أن تمضى وقتا أطول فى المحادثة مع طفلة واحدة فإن نواياها قد تتعثر بسبب طلبات طفلات أخريات للمساعدة أو للاهتمام بهن. ولقد أكدت دراسة أخيرة فى أربعين مدرسة حضانة صحة نتائج بحثنا حين وجدت أن متوسط مدة محادثات العاملين فى المدارس مع أطفال الحضانة كان اثنين وثلاثين ثانية.

#### المحافظة على استمرارية المحادثة

عندما استمعنا للمحادثات التى سجلناها فى المدارس، كان من الواضح



أنها لم تكن فقط أقصر من محادثات البيوت، لكنها أيضا كان يسودها كلام الكبار بشكل أكبر بكثير من المحادثات التي كانت في البيوت. وكانت المدرسات هن اللاتي ينزعن إلى استمرارية المحادثة، وهن اللاتي يؤديين معظم الكلام فيها.

لقد درسنا موضوع من يسود المحادثة ويتحكم فيها من عدة نواح مختلفة. نظرنا أولا لكل دور من أدوار الكلام في المحادثة وقمنا بتصنيفه طبقا لما إذا كان هذا الدور يدعم المحادثة ويشجع على استمراريتها أو لا. وتشمل أمثلة دعم المحادثة والتشجيع على استمراريتها التعليق على إسمهم الطرف الآخر فيها؛ أو تقديم تعليق تلقائي، لكنه مرتبط بموضوع الحديث؛ وطرح سؤال ما. وفي المقابل فإن مجرد الإجابة على سؤال أو الإقرار بصحة ملاحظة ما، لا يقدمان دعما للمحادثة واستمراريتها. في البيوت، أسهمت الطفلات، في المتوسط، بنصف التعليقات الداعمة للمحادثة تقريبا (47٪). ومع ذلك، أسهمت نفس البنات بنسبة 19٪ في دعم المحادثات في المدرسة. وكان الشكل المميز للمحادثات المدرسية عبارة عن دورة سؤال وجواب، وكان دور البنات فيها يقتصر فقط على إجابة الأسئلة الموجهة لهن.

وسيطرت هيئة التدريس في المدرسة على المحادثات أيضا بقدر الكلام الذي يتقوهن به فقط. وكان متوسط ما يقلنه عندما يحل الدور عليهن في الكلام أربعة عشر كلمة في كل دور مقارنة بخمس كلمات في الدور بالنسبة للطفلة. أما في البيت، فكانت كمية كلام الأم والطفلة متوازنة أكثر بكثير عما كان يحدث في المدرسة، أسهمت الأمهات في المتوسط بثماني كلمات في الدور لكل منهن، بينما أسهمت البنات بست كلمات.

ومن بين الطرق الممكنة الأخرى للسيطرة على المحادثة هو ميل إحدى المشاركتين للمبادرة بالحديث فيها. ولم تسد هيئة العاملين في المدارس المحادثات بهذه الطريقة، وكانت الطفلات هن اللاتي يبدأن الحديث في أكثر من نصف المحادثات بقليل، سواء في البيت أو في المدرسة. وفي كلا الموقعين، لم يكن السبب الغالب الذي يجعل البنات يبدأن المحادثة، كما قد

يبدو للوالدين، هو طرح سؤال ما أو القيام بطلب ما، ولكن نقل معلومات، كثيرا ما كانت من مجموعة: "انظر لما أفعله الآن". وبدأ ما يقرب من نصف تواصل الطفلات مع الكبار بقولهن، "عندى شيئا أود أن أقوله لك".

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضا في أن البنات الصغار كان يمكنهن البدء بالحديث بعبارة: "عندى شيئا أود أن أقوله لك" للمدرسات ولأمهاتهن على السواء، لكن المحادثات في المدرسة كانت أقصر، كما كانت المدرسات تسودها وتسيطر على مجرياتها. ويرجع تفسير ذلك في جزء منه لاتجاه هيئة العاملين في المدرسة للتجاوب مع مبادرة الطفلة بالتواصل بسلسلة من الأسئلة. وإليك مثالين على ذلك:

الطفلة: (وهي تشد طائرة ورقية): إنها تطير.

المدرسة: هل انصلح حالها؟

الطفلة: نعم.

المدرسة: هل طارت مع الريح خلفك؟

الطفلة: نعم. (وتجلس)

الطفلة: (وهي تلعب بقطعة من الصلصال) صنعت مقعدا للسيدة.

المدرسة: أوه! إنها فكرة جيدة. هل تريدين منى إعادة ما تم صنعه من أشياء من طين الصلصال هنا؟ (مشيرة إلى مجسمات أخرى مصنوعة من طين الصلصال) هل ستصنعين كرسيًا آخر؟ هل تريدين وضع هذه السيدة على الكرسي؟

الطفلة: نعم.

المدرسة: أم هل تريدين وضع كرسي آخر؟

الطفلة: أريد وضع تلك السيدة عليه.

المُدْرسة: هل تريدين أخذ فنجان الحليب الكبير أيضا؟ هل تريدين أخذ ذلك أيضا؟ (فنجان الحليب الكبير)

الطفلة: لا.

تجاوبت المدرستان لتواصل الطفلة في هاتين المحادثتين بطريقة إيجابية، لكن الأسئلة والاقتراحات التي طرحتها (لاسيما في المثال الثانى) أخذت مبادرة المحادثة من الطفلة، وقامت بدور فعال فى اختصار مدة المحادثة وإنهائها.

وبدا أن قصر مدة المحادثات المدرسية فى بعض المناسبات كان يرجع إلى الإجابات الآلية من جانب المدرسات على أسرار وخصوصيات الطفلة. وقد أظهرت دراسة سابقة قامت بها إحدانا "بربارا تيزارد" أن الإجابة من نوع، "هل فعلت ذلك حقا؟" أو "كم أن هذا شيء جميل"، يغلب أن تجعل التواصل مع البنات الصغيرات مدته قصيرة. وكثيرا ما كانت المحادثات تنتهى أيضا عندما يُساء فهم ملاحظات الطفلة، ولم تظن المُدرسة لسوء الفهم هذا.

#### الوسائل التعليمية للمدرسات: طرح الأسئلة

وكان استخدام المُدرسة للأسئلة كأداة تعليمية من بين الفوارق الملفتة للنظر بين محادثات البيوت والمحادثات المدرسية. وكان هذا الفارق هو الذى نتج عنه ذلك الشكل المميز للمحادثات المدرسية الذى لاحظناه من قبل. وجزت العادة أن تنتقل المُدرسة من طفلة إلى طفلة أخرى وتساءلها عن اللعب الذى توديه. وربما كان هذا المنهج فى طرح الأسئلة هو المنهج البارز على وجه الخصوص فى مدارس الحضانة التى قمنا بدراستها بسبب التأثير الهائل والسائد فى ذلك الوقت لعالمة النفس التربوية البريطانية: "جوان تاف" لقد شددت "تاف" على أنه من بين الأدوار المهمة لمدرسى ومدرسات الحضانة ورياض الأطفال دعم وتشجيع قدرة الأطفال على استخدام اللغة عن طريق

نوع خاص من الحوار. وكان نوع الحوار الذى تتصح "تاف" به هو طرح الأسئلة التى تتطلب للإجابة عليها استخدام مهارات محددة فى التفكير. ولقد أطلق "ماريون بلانك" على الأسئلة من هذا النوع اصطلاح "مطالب فكرية معرفية".

ولا تشمل جميع الأسئلة بالضرورة مطلبًا فكريا معرفيا. لنفرض، مثلا، إن أخرج شخص كبير أنبوبة بها قطع حلوى صغيرة وسأل، "ما لون الحلوى التى تحبين تناولها؟" إن الطالب الفكرى المعرفى من الطفلة هنا يكاد لا يُذكر. صحيح أن عليها أن تذكر اسم لون ما، ولكنه ليس هناك سببا يجعلها غير قادرة على ذكر اسم أى لون تختاره، ولا تخبرنا إجابتها، "اللون الأخضر" مثلا أى شىء عن فهمها لكلمة "أخضر". وفى المقابل، لنفرض أن الطفلة اختارت حلوى خضراء ثم سألتها المدرسة، "ما لون هذه الحلوى؟" تكون الطفلة هنا قد سُئلت عن مهارة معرفية فكرية محددة وهي: قدرتها على تحديد وتسمية اللون "الأخضر". وبالطبع، فإن الإجابة الصحيحة فى حد ذاتها لا تثبت أنها تفهم كلمة "أخضر" فهما كاملا، بنفس القدر الذى لا تثبت به الإجابة الخاطئة أنها لا تفهم معنى تلك الكلمة. ويكون من المطلوب هنا إجراء بحث وتحراً إضافي لتحديد مجال معرفتها بالشىء. وعلى أى حال، فإن النقطة التى نود أن نشير إليها هو أن السؤال الثانى يشكل طلبا معرفيا محددا للطفلة، أما السؤال الأول فلا يؤدي هذا الغرض.

وتختلف الأسئلة أو الطلبات المعرفية بشكل كبير من حيث صعوبتها. وتتبعنا تصنيف "ماريون بلانك" لها طبقا لمستوى الأفكار التجريدية الموجودة فيها. ووجدنا أن أدنى مستوى فى القياس يتضمن أسئلة يمكن أن تُطرح على طفل فى المرحلة الأولى من مراحل النطق بكلمات مفهومة، بينما يتضمن أعلى مستوى أسئلة قد يصعب حلها على من هم فى سن الخامسة. وعلى الطفلة أن تستخدم كلمات تعكس فكرها فقط، ومن أمثلة ذلك، ما اسم هذا الشىء؟ ماذا كان اسم ذلك الشىء؟ أما فى المستوى التجريدى التالى

فعلينا أن نستخدم اللغة لتتخطى بها المعلومات الخاصة بالإدراك الحسى بحيث نستطيع أن نتنبأ، ونشرح، وتعدّد مقارنات، وتجري تعميمات، وتدخل كوسيلة بين طرفين: "ماذا يحدث بعد ذلك، فى رأيك؟" "لماذا غادر الحجر؟" "كيف سيعود إلى منزله؟". ولكى نستطيع الطفلة الإجابة عن أسئلة من هذا النوع، فإنها لا تستطيع أن تعتمد على ذاكرتها ومدركاتها الحسية فقط، ولا بد لها من أن تفكر بعمق فيما ينطبع فى ذهنها نتيجة خبراتها السابقة كما تفكر فى العلاقات بين الأشياء والأحداث المرتبطة بها، إضافة إلى التعبير بالكلمات عن فكرها وفهمها للأمور بذكاء. بمعنى آخر، فإن أمثال هذه المطالب أو الأسئلة تتطلب عادة ما أسميناه من قبل "الاستخدام المعقد للغة" إذا كان لها أن يجاب عنها بشكل مرض.

وبالطبع قد تشمل الأسئلة العادية تماما طلبا معرفيا، كما يحدث عندما يسأل أحد طفلة، "ماذا كنت تفعلين فى الحديقة؟" أو "لماذا صعدت للدور العلوى؟". وكانت الصفة المميزة الخاصة لاستخدام المدرسة للمطالب أو الأسئلة المعرفية الحسية هى أن ما يقرب من نصفها كانت طلبات "اختبارية" تسألها المدرسة ليس بدافع حب الاستطلاع، ولكن لغرض مزدوج يجمع بين تشجيع مهارات التفكير اللغوية الشفهية للطفلة وتقييم تلك المهارات. وكانت تلك الأسئلة فى العادة تطرح بشكل مركز ومتتابع، وتنظم حول هدف تعليمى معين.

إن استخدام الأسئلة التى تحفز وتحت على التفكير طريقة لها احترامها وتبجيلها منذ أيام سقراط، وهى جزء مهم من مخزون الحقائق والمعلومات التى يتحلى بها المدرس ويستخدمها. وبالتأكيد فإن هذه الطريقة تتطلب مهارة لاستخدامها. إن الأسئلة التى يتم طرحها بالمستوى الصحيح يمكن أن تحافظ على يقظة الأطفال واهتمامهم، وتسمح للمدرس فى نفس الوقت بتقييم معلوماتهم. وسنعرض فى هذا الباب فيما بعد مثلا لمحادثة ناجحة من هذا النوع تدور حول أحد الكتب. ومع ذلك، فكانت هناك مناسبات أخرى كثيرة لم تفرز فيها تقنيات وأساليب هذه الطريقة نتائج طيبة.

وسوف نناقش الآن محادثتين توضحان نوع المصاعب المُعرَّضة للحدوث عند استخدام هذه الطريقة مع البنات الصغيرات. فى أول محادثة كانت "جويس" تفرد قطعة من الصلصال عندما جلست مدرستها بجوارها:

- ١- المدرسة: ماذا ستصبح هذه القطعة من الصلصال يا "جويس"؟
- ٢- الطفلة: (لا تجيب)
- ٣- المدرسة: كيف تصنعينها؟
- ٤- الطفلة: أفردها.
- ٥- المدرسة: إنك تفردينها، أليس كذلك؟ أليس ذلك شيئاً جميلاً؟ أوه، ما الذى يحدث لها عندما تفردينها؟
- ٦- الطفلة: يكبر حجمها.
- ٧- المدرسة: يكبر حجمها. هل تصبح أسماك مما كانت؟
- ٨- الطفلة: نعم.
- ٩- المدرسة: هل هى كذلك، أم هل تصبح أطول مما كانت؟
- ١٠- الطفلة: أطول.
- ١١- المدرسة: أطول. هل يداى أكبر من يديك؟
- ١٢- الطفلة: يداى صغيرتان.
- ١٣- المدرسة: يداك صغيرتان، نعم.
- ١٤- الطفلة: إنها تكبر (تعنى الصلصال). وتصبح أطول. وأطول. انظرى.
- ١٥- المدرسة: "تتمم" نعم. ماذا حدث لها يا "جويس"؟
- ١٦- الطفلة: كبرت.
- ١٧- المدرسة: كبرت فعلاً. صدقيني.

هذه المحادثة غير معتادة على الإطلاق، وتحتوى على معالم متعددة يتكرر بروزها على نحو غير متوقع فى محادثات المدرسة مع الطفلة فى مدارس الحضانة. وهى لهذا السبب تستحق منا التحليل بشيء من العمق.

لنضع فى الاعتبار — بادئ ذى بدء — السياق الذى تمت فيه المحادثة. لماذا تتكلم المدرسة مع الطفلة فى الأساس؟ واضح أن الحديث ليس لأن لدى "جويس" أى شىء تريد قوله للمدرسة فى تلك اللحظة بالذات. والحقيقة أن المحادثة تحدث لأن المدرسة ترى فرصة لتقديم أفكار تعليمية معينة (فى حالتنا هذه ترتبط هذه الأفكار بحجم وشكل الأشياء) من خلال لعب الطفلة بالصلصال.

والطريقة التى تستخدمها مدرسة "جويس" لتنفيذ هذا الهدف التعليمى هى طرح سلسلة من المطالب المعرفية الغرض منها "اختبار" الطفلة. وبصرف النظر عن السؤال الأول، "ماذا ستصبح هذه القطعة من الصلصال؟"، فجميعها أسئلة تعرف المدرسة إجابتها من قبل بالفعل. ولا تتجاوب "جويس" بحماس مع هذه الطريقة. وتخفق فى الإجابة عن السؤال الأول، وعندما تتجاوب مع الأسئلة، فإن ردودها تكون فى أضيق نطاق. وبصرف النظر عن لحظة قصيرة فى دور الكلام رقم ١٢، عندما تريد "جويس" من مدرستها أن ترى ما يحدث لطين الصلصال، نجد أن المحادثة من جانب واحد إلى حد كبير.

وكما رأينا، إن نوع طرح الأسئلة المستخدم هنا له ما يبرره بناء على سببين أساسيين. أولهما أن هناك من يرى أن المدرسة تستفيد من تعلم ما تستطيع الطفلة أداءه، وما تعرفه وما لا تعرفه. وطبقا لوجهة النظر هذه، فإن عملية طرح الأسئلة تلك ما هى إلا نوع من أنواع التقويم فى المقام الأول. والتبرير الآخر هو أنه يتم تحفيز الطفلة عن طريق طرح مثل هذه الأسئلة لتفكر فى نواح معينة فى هذا الموقف الذى لم يحدث لها مثله من قبل. ومن خلال إجاباتها على أسئلة المدرسة، ستبدأ فى تكوين مهاراتها اللغوية

المعرفية الخاصة بها. وبناء على وجهة النظر هذه إذن، فإنه يمكن لمثل هذه الأسئلة أن تشكل وسيلة للتعلم.

ومن الصعب تبرير أى ادعاء من هذين الادعائين بناء على هذه المحادثة على وجه التحديد. لنأخذ بادئ ذي بدء الفكرة القائلة بأن المدرسة تحصل على تقييم دقيق عن قدرات "جويس". المشكلة هنا أن معظم إجابات "جويس" من الغموض بمكان بحيث إنه من المستحيل القول ما إذا كان فهمها وإدراكها لها قاصرا أم لا. فى الدور الرابع من الكلام، على سبيل المثال، تقول إن حجم الصلصال أخذ فى الكبر كنتيجة لاستمرارها فى فرده. وقد يعنى هذا أن "جويس" تعتقد فعلا أن هناك صلصال أكثر نتيجة لفردها له، حيث إن "باياجت" يؤكد أن الأطفال الذين يفشلون فى أداء مهمم محادثته يعتقدون بالفعل فيما يقولونه. ومن جهة أخرى، قد تكون قد استخدمت كلمة "أكبر" ببساطة بشكل فضفاض وغير دقيق لتصف الطول المتزايد لقطعة الصلصال. وتلتقط مدرسة "جويس" هذا الغموض (الدور ٥ فى الكلام) وتسألها ما إذا كان الصلصال يصبح أسمك مما كان، ولكن، مرة أخرى، من الصعب تفسير رد "جويس" عليها. هل تعتقد حقا أن قطعة الصلصال يزداد عرضها كلما استمرت فى فردها، أم هل تفترض ببساطة أن المدرسة تستخدم الاصطلاح "أسمك" وهى تقصد به طول قطعة الصلصال. فى الدور التاسع من الكلام تقدم المدرسة ملحوظة غريبة إلى حد ما فى المحادثة بسؤالها "جويس"، "هل يداى أكبر من يديك؟" من المفترض أنها تحاول بذلك التأكد من فهم "جويس" لكلمة "أكبر"، غير أن رد الطفلة عليها لا يقدم معلومة مفيدة. صحيح أنها تقول إن يديها "صغيرتان"، لكن ليس من الواضح أنها فهمت فعلا أن يدي مدرستها "أكبر" حجما.

إن تفسير ردود الأطفال على الأسئلة الموجهة إليهم كوسيلة لتقييم نموهم المعرفى أو اللغوى مشكلة ناضل علماء النفس التطويريون عدة سنوات من أجل إيجاد حل لها. لقد كرسوا كثيرا من مهاراتهم وإبداعهم فى تصميم خطط ومهام الغرض منها إنشاء ما يفهمه الأطفال من كلمات من



أمثال "أكبر" أو "أكثر"، ومع ذلك فلا تزال نتائج كل ذلك غير حاسمة حتى الآن. ونحن لا نذكر هذا بالطبع كي نشبط همة أى مدرسة تريد أن تؤسس ما يمكن أن تتبغ فيه تلاميذها، ولكننا نريد فقط أن نبرز ضخامة هذه المهمة. ومن الصعب أن نرى فى هذه الحالة التى أمامنا على وجه الخصوص كيف يمكن لأى شخص أن يكون أكثر وعيا وإدراكا للأمر بعد دراسة ردود "جويس" على مُدرستها.

وموضع الجدل الآخر حول طرح الأسئلة على البنات الصغار بهذه الطريقة هو أنه يساعدهن على تعزيز النمو المعرفى واللغوى الخاص بهن. هل هناك أى دليل على أن نمو "جويس" المعرفى واللغوى قد تحسن هنا؟ مرة أخرى، من الصعب أن نتأكد من ذلك، من ناحية لأننا ينقصنا معايير كيفية الحكم على ما قد تكون "جويس" قد تعلمته، ومن ناحية أخرى لأننا لا نعرف ما الذى كانت مدرسة "جويس" تحاول أن تعلمها إياه. قد تكون المدرسة تحاول أن تبرز لها أن الصلصال يزداد طوله ويقل سمكه بالفرد. لو كان الأمر كذلك، فإن الشيء غير الواضح إذن هو: لماذا لم تقل لها ذلك مباشرة؟ وأكثر من هذا أنها ليس لديها سببا كى تعتقد أن "جويس" لم تكن تعرف ذلك فى أول الأمر. ولكن ربما كانت المدرسة تحاول أن تفهمها أن استخدام كلمة "أكبر" غير صحيح هنا، وأن تشجعها على استخدام كلمة "أطول" بدلا منها. لو كان الأمر كذلك، لبدا أنها قد نجحت نجاحا جزئيا، لأن الطفلة تقول فى الدور ١٢ من الكلام بشكل تلقائى أن قطعة الصلصال قد أصبحت "طويلة". ومع ذلك، فقد كان هذا الإتقان فى استخدام الكلمة قصير العمر، لأنه فى الدور ١٤ من الكلام تعود الطفلة إلى حيث بدأت: إن قطعة الصلصال كبر حجمها".

وتبعاً للظواهر، قد يبدو أن كلا من المدرسة والطفلة لم تتعلما الكثير من هذه المحادثة. ومع ذلك، فهناك أكثر من نوع من أنواع التعليم. والذى يمكن أن تكون "جويس" قد تعلمته جيدا هو الخبرة فى نوع المحادثات التى تتوقع أن تشارك فيها مع أى مدرسة. و قد يكون ما حدث درسا مفيدا لها

كثوع من الإعداد لما سوف تقابله فيما بعد فى المدرسة. أما بالنسبة للمدرسة، فقد تكون هذه المحادثة ببساطة قد أثبتت ما قالته لنا هى وزميلاتها قبل أن تتم عمليات التسجيل، بالتحديد أن "جويس" كانت تلميذة "ضعيفة" فى لغتها وحصيلتها اللغوية. إن ارتباك "جويس" وخطها للكلمات المرتبطة بحجم الأشياء إضافة إلى حالة عدم التواصل العامة الخاصة بها وردها على الأسئلة والكلام الموجه لها بأقل عدد ممكن من الكلمات يغلب أن يديم الصورة التى كانت المدرسة قد كونتها عنها من قبل.

فى الحقيقة فإن محادثات "جويس" مع أمها فى البيت تظهر أنها تحظى بقدر من التآلف مع اللغة والتعود عليها يفوق بكثير ما يتوقعه المرء عند استماعه لمحادثاتها فى المدرسة.

قد تكون سلسلة المطالب والأسئلة كوسيلة تعليمية فنية، إذن، ليست ناجحة من حيث إنه لم يبدُ أن المدرسة أو الطفلة قد استمتعا بهذه المحادثة أو استفادتا منها.

ومن بين الأشكال المختلفة لخصص الأسئلة والطلبات المعرفية الحسية التى طالما لاحظناها فى المدرسة ما كان يحدث عندما كانت المدرسة تحاول استخلاص الإجابة "الصحيحة" من الطفلة. وتوضح المحادثة التالية هذه الطريقة. اقتربت "جون" (الطفلة التى رأيناها تلعب "الهويست بالضربة القاضية" مع أمها فى الباب الثالث) من مدرستها ومعها ورقة:

١- الطفلة: هل يمكنك قطع هذه نصفين؟ تقطعها نصفين؟

٢- المدرسة: ما الذى تودين أن أقطعها بها؟

٣- الطفلة: مقص.

٤- المدرسة: بالمقص؟ (الطفلة تومئ برأسها بالموافقة) حسنا، اذهبى

وأحضريه، هل ستفعلين ذلك؟

٥- الطفلة: أين هو؟

٦- المدرسة: ألقى نظرة حولك فى هذا المكان (الطفلة تذهب للخزانة، وتحضر مقصا منها) أين تريد منى أن أقص الورقة؟

٧- الطفلة: هناك.

٨- المدرسة: أرينى مرة أخرى، لأنى لا أعرف بالضبط أين يجب أن ينتهى القص. (الطفلة تدل المدرسة على المكان الذى تريد أن تقص فيه الورقة) من أسفل ذلك المكان؟ الطفلة تومئ بالموافقة والمدرسة تقص الورقة إلى نصفين) كم عدد القطع الورقية التى معك الآن؟

الطفلة: (لا جواب)

المدرسة: كم عدد ما معك؟

الطفلة: (لا جواب)

المدرسة: كم عدد القطع الورقية التى معك؟

٩- الطفلة: اثنتان.

١٠- اثنتان. ماذا أكون قد فعلت لو كنت قد قطعتها لأسفل عند منتصفها؟

١١- الطفلة: قطعتان.

١٢- المدرسة: لقد قطعتها... هيه (تريد من الطفلة أن تقول "تصفين")

الطفلة: (لا إجابة)

المدرسة: ماذا فعلت؟

الطفلة: (لا إجابة)

المدرسة: هل تعرفين؟ (الطفلة تهز رأسها بالنفى)

طفلة أخرى: اثنتان.

المدرسة: نعم، لقد قسمتها إلى قسمين. لكن... إنى أتساءل، هل يمكنك التفكير؟

١٣- الطفلة: من المنتصف.

١٤- المدرسة: لقد قطعتها من المنتصف. لقد قطعتها إلى نصفين! وها هو الوضع أمامك، الآن معك ورقتان.

إن أهداف المدرسة واضحة كل الوضوح. إنها لا تريد فقط أن تلبى طلب "جون"، لكنها تحاول أيضا أن تحول الموقف إلى موقف ذي قيمة تعليمية وذلك بتقديم فكرة رياضية بسيطة: بالتحديد، أنك لو قطعت ورقة إلى قطعتين متساويتين، تكون قد قسمتها إلى "نصفين". وكثيرا ما تشجع مدرسات الحضانة على تقديم مفردات لغوية رياضية بهذه الطريقة: حقا، لو استمع كثير من حكماء التعليم لهذه المحادثة لباركوا لمدرسة "جون" على ملاحظتها للإمكانية التعليمية لهذا الموقف. ومع ذلك فإن المشكلة تكمن فى الطريقة التى تحاول بها تقديم هذا الفكرة.

فى الدور رقم ٨ من المحادثة، تسأل "جون" أولا عن عدد الأوراق المكتوبة، ثم تحاول أن تستخلص منها كلمة "نصف". ويبدو على "جون" الارتباك من هذا. وفى الدور ١١ من المحادثة، تقدم ما قد تشعر أنه إجابة تامة ومناسبة، حتى وإن كانت مكثفة ومختصرة إلى حد ما، لطلب المدرسة: لو كانت قد قصتها من منتصفها فقد نتج عن ذلك "قطعتان من الورق". ومع ذلك، فيبدو أن تلك لم تكن الإجابة التى تريدها المدرسة، إذ إنها تستمر فى طرح الأسئلة. وبعد ذلك ترفض المدرسة إجابتين إضافيتين، إحداهما اقترحتها الطفلة الأخرى "انثتان" والأخرى من "جون" نفسها (قى المنتصف). وأخيرا، تزيح المدرسة الستار عن الإجابة الصحيحة فى الدور ١٤ من المحادثة "لقد قطعتها نصفين".

إن استخدام المطالب أو الأسئلة المعرفية هذه لاستخلاص إجابة

"صحيحة" بعينها من الطفلة هو بالطبع طريقة شائعة من طرق التدريس. وفي الحقيقة، ربما يوجد من يجادل ويؤكد أن "جون" تكتسب هنا إعدادا مفيدا للحياة المدرسية، وأن قدرتها على استنباط الإجابة الموجودة في ذهن المدرسة ستقدم لها خدمات جليلة فيما بعد. ومع ذلك فهناك انتقادان مهمان لهذه الطريقة. الأول أن المدرسة قد تركز تركيزا شديدا على الإجابة التي تود سماعها للدرجة التي تجعلها ترفض أى إجابة مناسبة وصحيحة تماما سواها. وكنتيجة لهذا، (وكما حدث في الحالة التي بين أيدينا) قد تفقد الطفلة الثقة وتبدأ تشك في القدر الضئيل من المعلومات التي تعرفها فعلا. والنقد الثاني هو أن الطفلة قد تعرف الإجابة في الواقع، ولكنها ترتبك بشدة وتعوقها عملية طرح الأسئلة لدرجة أنها تصبح غير قادرة على التعبير عنها عندما يُطلب منها ذلك. ولو عدنا لأول دور في الكلام نفسه، لرأينا أن أول طلب مهذب افتتحت به "جون" المحادثة كان أن "تقطع الورقة إلى نصفين"؛ بمعنى آخر، بدأت "جون" المحادثة باستخدامها، وبشكل تلقائي "نفس المفهوم الذي لم تستطع قوله عندما طرحت عليها المدرسة أسئلتها.

### تجاوب الطفلات مع المدرسات

كما رأينا، كثيرا ما أخفقت الطفلات في التجاوب مع أسئلة المدرسات المعرفية. لقد وصل عدد الأسئلة المعرفية التي طرحت في المدرسة ولم يتم الإجابات عليها إلى أكثر من ثلثها. ولم يبدو أن مرجع ذلك كان صعوبة السؤال لم يتغير معدل عدم التجاوب مع الأسئلة مع كل مستويات الصعوبة ومع كل من طفلات الطبقة العاملة والطبقة المتوسطة على السواء. وبدا أن الأمر الصحيح هو أن الطفلة كثيرا ما كانت إما غير مهتمة أو ليست متأكدة مما كانت المدرسة تقصد أن تجاوب به على سؤالها. كان للطفلات عدد من الإستراتيجيات للتعامل مع الأسئلة الصعبة. كانت إجاباتهن بقول: "لا أعرف الإجابة" نادرة للغاية (في خمسة بالمائة من المناسبات فقط). وكن يغلب عليهن أكثر أن يرددن ما قلنه من قبل فقط، أو التهرب من السؤال بطرق

أخرى. على سبيل المثال، أكدت طفلة منهن كإجابة على السؤال، "لماذا يكون هذا الشيء لزجا؟" بقولها، "لأنه كذلك". وفي مناسبات أخرى قدمت البنات معلومات مرتبطة بالسؤال ارتباطا ذهنيا، لكنها غير متصلة بموضوعه:

المدرسة: ما شكل النمر؟

أن: إنهم بعضونك.

المدرسة: هل وُلدت في إنجلترا أم في أمريكا

جين: وُلدت في بطن أمي.

لقد تلمصت الطفلات من إجابة ربع جميع الأسئلة المعرفية التي طُرحت عليهن بهذه الطريقة. وبالتالي فقد قدمت البنات الصغيرات في المجموع الكلي إجابات مُركزة لأقل من نصف أسئلة المدرسات.

وبالطبع، فإن إخفاق الطفلة في الرد على السؤال المعرفي الحسي لا يعنى بالضرورة أن المدرسة كانت مخطئة حين طرحته عليها. إن هذا الإخفاق يمكن أن يُكون تحديا تعليميا، وذلك من خلال التعرض للمجال الذي تحتاج الطفلة فيه للمساعدة. ويمكن أن تكون هذه المساعدة مباشرة في بعض الحالات، على سبيل المثال، كان يمكن أن تجد المدرسة التي اقتبسنا حديثها مع الطفلة "آن" أن تجد صورة لأحد النمر وتحضرها معها لتفتح مجال المناقشة معها. وفي حالات أخرى كانت الثغرة واسعة بين الطالب أو السؤال وقدرة الطفلة على الإجابة. من المحتمل أن تكون "جين"، التي اقتبسنا حديثها أعلاه، ليس لديها فكرة عن أن العالم مُكون من عدة أقطار، أو أنها تعيش الآن في إنجلترا لكن أمها كانت أمريكية (انظر الصفحة الأخيرة في الباب العاشر). والمطلوب في مثل هذه الحالات هو الوقت والصبر للتأكد من أن الطالب المعرفي أدى بالفعل لرُقى وتحسن في إدراك الطفلة وفهمها للأمور. لكنه كان من النادر جدا أن تظل مدرسة مدة طويلة مع طفلة واحدة حتى يحدث ذلك.

ولقد تم توضيح مصاعب ومشاكل أخرى تتعلق بهذه الطريقة. قد تصبح الطفلة مرتبكة ومتحيرة وتفقد الثقة إذا ما رفض الكبار لها سلسلة متتابعة من الإجابات، وهم يجرون لها امتحانا عسيرا بحثا عن الإجابة "الصحيحة". إلى جانب ذلك، إن الطفلة قد لا ترد على السؤال فقط، ربما لشعورها بالضيق بسبب التدخل في الأنشطة التي تقوم بها بما يبدو لها أنها أسئلة لا لزوم لها ولا علاقة لها بما تقوم به من نشاط، أو قد تقدم إجابات غامضة أو متضاربة كنتيجة لهذا التدخل. عند ذلك تواجه المدرسة اختيار التخلي عن الطفلة وتركها لحالة الارتباك التي ألمت بها، أو قضاء ما قد يتضح أنه وقت طويل في محاولة لتوضيح الأمر لها.

من أجل هذه الأسباب تجدنا نشك في القيمة التعليمية لحلقات الأسئلة والأجوبة المتتابعة التي تطرح على الطفلات، وغير سعادة بالفكرة التي تقدم للآباء في بعض الحلقات الدراسية بأنه ينبغي تشجيع هؤلاء الآباء على تبنى هذه النظرية. وبالطبع فإن طرح الأسئلة على البنات الصغيرات، بل وحتى اختبار معلوماتهن، أمر طبيعي وعادي يقوم به المدرسون والمدرسات، ونحن لا نقول بأن هذا شيئا غير مرغوب فيه بالمرّة. إن المطالب والأسئلة التي نخبر بها الطفلات على هيئة ألعاب ومسابقات للتسلية (من أمثال: "أين أنفك؟") لها جاذبية عالمية. لكن إذا كانت الأسئلة ستطرح لأسباب تعليمية، فالأرجح أنها تبلغ قمة النجاح لو توفر لها شرطان أساسيان. أولهما أن الطفلة لا بد من أن تكون مهتمة بالرد على الأسئلة وراغبة في ذلك. وقد يكون ذلك لأنها تقدم لها من خلال لعبة أو مسابقة للتسلية مثلا، كما في المحادثة المقتبسة، لأنها تدور حول قصة أو حول نشاط آخر تريد الطفلة أن تناقشه. والشرط الثاني أن المدرسة التي تستخدم هذه الأسئلة لا بد من أن تتحلى بالمهارة وأن يكون لديها الوقت الذي يسمح لها بمتابعة أى أشياء غير كافية أو وافية يتعرض لها إدراك الطفلة وفهماها للأمر.

ونحن لسنا الباحثين الوحيديين الذين يشكون في قيمة طرح الأسئلة

على الطفلات الصغيرات بهذه الطريقة. لقد ظهرت نتائج أبحاث مماثلة قام بها "ديفيد وود" وزملائه من "مشروع بحث أكسفورد لفترة ما قبل الالتحاق بالمدارس الحكومية". وقامت دراسة "ود" على تسجيلات قام بها أربعة وعشرون من أصحاب المهنة الذين يمارسون العمل في فترة ما قبل المدارس (معظمهم من عمال جماعة التمثيل) وهم يتحدثون مع الأطفال الصغار. ووجد "ود" أيضا، مثلما وجدنا نحن، أن ممارسو المهنة هؤلاء الذين طرحوا معظم الأسئلة تلقوا أقل عدد من الأسئلة يطرحها الأطفال عليهم، بينما كان يغلب أن يتلقى أولئك الذين قللوا من عدد الأسئلة، وقدموا للأطفال الكثير من أفكارهم وملاحظاتهم، أفكارا أخرى وأسئلة كثيرة من الأطفال.

### المطالب والأسئلة المعرفية في البيت

نحن لا نريد أن نعطي الانطباع بأن المدرسين هم الوحيدون الذين يطرحون مطالب وأسئلة معرفية. لقد شكلت تلك الأسئلة نسبة من كلام المدرسات تفوق بكثير نسبة ما قدمت الأمهات من أسئلة معرفية. ولكن، ولأن الحديث بين الأمهات والطفلات في البيت كان يفوق نظيره في المدرسة بكثير، فإن المجموع الكلي للأسئلة والمطالب المعرفية من كلتا الطبقتين الاجتماعيتين كان أكبر في الحقيقة من نظيره في المدارس.

ولم ننظر فقط للأسئلة والمطالب المعرفية التي طرحها الكبار، لكننا نظرنا أيضا لمستوى صعوبتها. يجوز أن تكون الأمهات قد قدمن طلبات وأسئلة بسيطة للغاية، بينما "أجهدت" أسئلة المدرسات الطفلات بشدة من الناحية الذهنية. لم تكن تلك هي القضية. لقد طرحت الأمهات جميع أنواع المطالب والأسئلة بكثرة في البيوت باستثناء الأسئلة التي تطلب أسماء لونها وحجم وشكل الأشياء. ومع ذلك، فكان هناك فارق بين البيت والمدرسة فيما كانت تدور حوله الأسئلة والمطالب المعرفية. كان يغلب على الأمهات التركيز على وجه الخصوص على أن يطلبن من بناتهن تذكر أحداث ماضية كما يسألنهن عن الدوافع والأغراض: "لماذا تذهبين للدور العلوي؟" "لماذا



تريدون ذلك؟" بمعنى أن مطالب وأسئلة الأمهات المعرفية كانت تتجه لأن يكون لها صلة بالناس، وماضيهم ومستقبلهم ودوافعهم، بينما كانت أسئلة المدرسات المعرفية تتجه إلى توجيه الطفلات نحو خواص ومميزات أدوات اللعب في المدرسة.

وفوق ذلك، كان يغلب على الأمهات أكثر أن يطرحن أسئلة بلا أغراض تعليمية صريحة. كان الفضول وحب الاستطلاع دافعهن الأول على طرح تلك الأسئلة - "ماذا سنفعلون في الحضانة هذا الصباح؟" - أو كان الدافع حاجتهن للحصول على معلومات محددة "أين وضعتي جوربك؟" وفي أوقات أخرى كان الهدف دفع الطفلات إلى تبرير أفعالهن - "لماذا خرجت من البيت؟" - أو على تفسير دوافعهن - "لماذا ضربت سوزان؟"، وفي أمثلة أخرى - وهناك إيضاحات كثيرة لها في الباب الخامس - كانت الأم تحاول توضيح ما تعنيه الطفلة من كلامها. ومع ذلك، ورغم أنه لم يتم طرح تلك الأسئلة بقصد تعليمي، إلا أنها كانت تقدم للبنات مطالب معرفية. إضافة لهذا، كان للطفلات بالفعل بعض خبرات في أسئلة "الاختبارات" في البيت: طرحتها كل الأمهات عدا واحدة منهن في فترة ما بعد الظهر. وكثيراً ما كانت الأمهات تطرحن أسئلة الاختبار تلك لأن خطأ ما من أخطاء ابنتها كان يؤدي بالأم لاختبار معرفتها وتصحيحها: "ما هو رقم بيتنا؟"، "ما لون ذلك الشيء؟"، "ما هو اليوم من أيام الأسبوع؟". وكانت تظهر أسئلة أخرى في سياق الألعاب والمسابقات.

ومع ذلك، كان حدوث شيء غير عادي للغاية في البيت هو التتابع المركز لأسئلة اختبارية من النوع الذي قدمناه بينما كان يحدث في المدرسة. وعندما كان يحدث فعلاً..، كان يغلب عليه عدم النجاح، تماماً مثل معظم تلك المناسبات التي كانت تحدث في المدرسة.

#### استخدام المدرسات للغة في الأغراض المعقدة

كثيراً ما يؤيد علماء النفس الحضور في مدرسة الحضانة كوسيلة

للمساعدة على نمو اللغة لدى طפلات الطبقة العاملة. وما يدور فى خلدن هو الفائدة التى تعود على الطفلات نتيجة لتعرضهن للأسئلة التى تحفزهن وتبهن (المطالب المعرفية) التى تعودت المدرسات على طرحها باستمرار، ولتعرضهن أيضا للنموذج الذى يقدمه استخدام المدرسات للغة فى التعبير عن الأغراض المعقدة - عقد مقارنات، وإبداء أسباب وما إلى ذلك - عندما يتحدثن مع الطفلات.

ولقد سبق أن عرضنا أن نسبة المطالب والأسئلة المعرفية فى كلام المدرسات كانت تفوق نظيرتها فى كلام الأمهات، ولكن لأن الأمهات كن يتكلمن مع بناتهن أكثر بكثير عما كانت المدرسات يتكلمن معهن، كان حاصل المجموع الكلى لعدد الأسئلة المعرفية فى البيت أكثر منه فى المدرسة. وكان هذا الكلام ينطبق أيضا على استخدام المدرسات للغة للتعبير عن أغراض معقدة. كان كلام المدرسات يعج بكثافة بهذه الاستخدامات بشكل يفوق استخدام الأمهات لها، ولكن الطفلات من كلتا الطبقتين الاجتماعيتين كن يسمعن هذا الاستخدام المعقد فى المجموع الكلى من أمهاتهن أكثر من سماعهن له من المدرسات. وكان هذا ينطبق على جميع أنواع الاستخدام المعقد للغة موحدة ومجمعة، وعلى كل فئة منها على حدة، على سبيل المثال استخدام الجمل الشرطية والتعميمات. إضافة لذلك، تماما كما عطى كلام الأمهات مجالا أرحب من الموضوعات عما فعل كلام المدرسات، فإنه كان يحتوى أيضا على مجموعة أكثر تنوعا من الاستخدامات اللغوية عما كان يحتويه كلام المدرسات.

وكانت هناك فئة من فئات استخدام اللغة تحدث فى البيوت أكثر من حدوثها فى المدارس ليس فقط فى حاصل المجموع الكلى لحدوثها، ولكن أيضا فى درجة تناسبها وتناسقها مع سياق الحديث. وكان هذا فى استخدام اللغة لتذكر أحداث ماضية، وللتخطيط لأحداث مستقبلية. وكان هذا الفرق بين البيت والمدرسة مرتببا بوجه من وجوه الحياة فى مدارس الحضانة عرضنا

له من قبل، وهو ميلها للاهتمام الذى تنفرد به تقريبا بالمكان والوقت الحالى "هنا والآن".

### كيف تتحدث الطفلات مع هيئة التدريس

لقد عرضنا من قبل أن البنات الصغيرات كان يغلب عليهن ألا يطلن الحديث مع هيئة التدريس والعاملين فى المدرسة، وأنه كان يغلب عليهن الإجابة على أسئلة أمهاتهن أكثر من ميلهن لإجابة أسئلة المدرسات. وسوف نقوم الآن بدراسة بعض الصفات المميزة الأخرى لكلام الطفلات مع هيئة التدريس فى المدارس.

### إخفاق الطفلات فى طرح أسئلة فى المدارس

ربما كان أكبر فارق يلفت الأنظار بين الطريقة التى تتكلم بها الطفلات مع أمهاتهن ومع المدرسات هو إخفاقهن فى طرح أسئلة فى المدارس. وغالبا ما تُعتبر مدارس الحضانة أماكن يمكن أن يجد فضول الطفلات وحبهن للاستطلاع فيها الحافز والباعث على الإشباع، بطريقة لا يمكن أن تقدمها لهن الأمهات اللاتى تضغط عليهن مشاكل الحياة بضراوة. ونحن يمكن أن نتفق مع أولئك الذين يرون أن هذه ميزة لها أهميتها بالنسبة لجميع الأطفال، ولاسيما لطفلات الطبقة العاملة، اللاتى وجدنا أنه يغلب على أمهاتهن الرد على أسئلتهن باستعداد وطيب نفس أقل وبشكل غير تام مقارنة بأمهات الطبقة المتوسطة.

ومع ذلك، لم تكن المدرسات فى وضع يسمح لهن بإشباع فضول الطفلات وحبهن للاستطلاع لأن الطفلات قلما طرحن عليهن أى أسئلة على الإطلاق. لقد طرحت البنات على أمهاتهن ما معدله ستة وعشرين سؤالاً فى الساعة، لكنهن طرحن سؤالين فقط على المدرسات فى الساعة. وسأل نصف عدد البنات تقريبا (أربعة عشر) خمسة أسئلة أو أقل خلال الفترة الصباحية فى يومين فى المدرسة، كما لم تسأل ثلاث طفلات أخريات أى سؤال على الإطلاق فى المدرسة.

وكانت نسبة ضئيلة للغاية من بين الأسئلة التي طُرحت في المدرسة  
أسئلة "فضول وحب استطلاع" وأسئلة سببية، وكانت النسبة التي تفوق نسبة  
ما كان يحدث في البيوت بكثير منها أسئلة "شغل وعمل" من نوع "أين  
الصمغ؟". وكانت "الاعتراضات" نادرة جدا في المدارس، وغابت تماما  
حوارات البحث الذهني الفكري.

لماذا طرحت الطفلات هذا العدد القليل من الأسئلة في المدرسة؟  
والأرجح أن جزءا من تفسير ذلك يرجع إلى اعتماد المدرسات على القذف  
المختصر السريع بالأسئلة كطريقة فنية من طرق التدريس. وكما رأينا من  
قبل، كان ينتج عن ذلك اختلال التوازن في المحادثة، بحيث تسود المدرسة  
المحادثة وتحظى بنصيب الأسد فيها من خلال سلسلة متعاقبة من الأسئلة  
لطفلة ما، ثم الانتقال لطفلة أخرى بعد وقت قصير للغاية. ولا بد من أن  
المدرسات، ودون قصد، نقلن للطفلات رسالة فحواها أن دور البنات هو الرد  
على الأسئلة، وليس طرحها.

وقد يكون هناك سبب آخر لقلّة الأسئلة، وهو حقيقة أن اتجاه المحادثات  
في المدرسة كان ينصب حول أنشطة اللعب المختلفة، وأنها قلما اهتمت  
بأحداث خارج نطاق المدرسة. لكننا وجدنا أنه في البيوت تكاد الأسئلة السببية  
ومحادثات البحث الذهني والفكري ألا تولى اللعب أي اهتمام على الإطلاق.  
لقد وجدنا أن نوع الموضوعات التي كانت تثير فضول البنات الصغيرات،  
بالإضافة للمحادثات التي ناقشناها في الباب الرابع، كان يشمل قضايا معينة  
من أمثال طرق وأسباب قتل الحيوانات في عيادة الطبيب البيطري، وسبب  
عدم لبس الملكة التاج بشكل دائم، ومتى ولماذا تغرق السفن، وسبب اختلاف  
أشكال مقاعد الكراسي. وكانت المحادثات حول مثل هذا الموضوعات نادرة  
للعناية في المدارس.

#### سطحية وفتور التواصل مع المدرسات

لقد عرضنا حتى الآن أنه نادرا ما طرحت الطفلات أسئلة في

المدرسة، وكن ميالات لتقديم ردود مختصرة على أسئلة وكلام المدرسات، وأسهمن بقدر ضئيل في المساعدة على استمرارية الحديث معهن. كانت تلك نتائج كميّة، لكننا سنواصل الآن مناقشة بعض سمات محادثات المدرسات مع البنات والتي كونها بناء على انطباعاتنا فقط. لقد كانت تلك المحادثات يغلب عليها التميز بالسطحية وفتور معين قد يكون القارئ قد لاحظته من قبل بالفعل. وربما نشأت هذه السطحية وذلك الفتور نتيجة للعلاقات غير الوثيقة بين الطفلات والمدرسات. ولقد أشرنا في بداية هذا الباب إلى أن تجارب وخبرات الطفلات في مدارس الحضانة كانت في الأساس مع طفلات أخريات. وكانت اتصالاتهن وتعاملاتهن مع هيئة التدريس قليلة نسبياً، ولم يكن أي طرف منهن يعرف الطرف الآخر معرفة جيدة. وكننتيجة لذلك، لم يبد أن البنات تشعرن بنفس الدوافع على التواصل ونقل التجارب والمشاعر المهمة للمدرسات بالحضانة مقارنة بما كان يحدث مع أمهاتهن. ولم يختلف الأمر بالنسبة لهيئة التدريس، إذ إنه بدأ أنهن أقل تضامناً مع البنات واهتماماً بما كان عليهن أن يقلنهن لمن مقارنة باهتمام أمهاتهن بذلك.

ويمكن توضيح انطباع السطحية والفتور بعقد مقارنة بين المحادثات التي دارت بين "كارول" (وهي إحدى بنات الطبقة العاملة) وبين مدرستها من جهة، وبينها وبين أمها من جهة أخرى عن حدث تم في المدرسة. في خلال الفترة الصباحية، هبت ريح وأطاحت بالدلاء (الجرادل) التي كانت في الحفرة الرملية الموجودة خارج المدرسة بعيداً. وأثار "كارول" هذا الحدث. وعندما دخلت المدرسة لم تصفه لمدرستها، لكنها أفضت لها بنيتها أن تقص ما حدث على أمها:

الطفلة: سوف أخبر أمي أن الدلاء تدرجت بعيداً عن أماكنها.

المدرسة: آسفة. لم أسمع ما قلته. أعيدى من فضلك!

الطفلة: سوف أخبر أمي أن الدلاء تدرجت بعيداً عن أماكنها عندما لم نكن ننظر تجاهها.

المدرسة: هل ستفعلين ذلك حقا؟

الطفلة: نعم.

المدرسة: هذا شيء جميل.

الطفلة: و.. دخل الرمل ك... ك... ك... كله فى عيني.

المدرسة: فى عينيك؟ هل تقرحت عيناك؟ هل ما زالتا متقرحتين حتى

الآن؟ كم أنك بنت عجوز مسكينة! هل تعتقدين أنه لو كان معك

قطعة من التفاح، لجعلنا عيناك أحسن حالا؟

الطفلة: لقد دخل الرمل فى عيني.

المدرسة: حسنا، دعينا نغسلها جيدا (المدرسة والطفلة تدخلان غرفة

الحمام)

فى الحقيقة، لم تخبر "كارول" أمها شيئا عما حدث حتى أثارت أمها

الموضوع بنفسها:

١- الأم: إن الرياح شديدة اليوم، أليس كذلك؟ هل كانت الريح تُطِير

الرمال على مدرسة الحضانة؟

٢- الطفلة: نعم.

٣- الأم: إن كل الرمال جافة الآن، وعندما توجد رياح...

٤- الطفلة: ودخلت الريح فى عيني مباشرة، وأريد أن أقول لك شيئا

يا أمى. وإنه لشيء مضحك، لقد

تدحرجت الدلاء بعيدا و... و، لم تكن ننظر تجاهها ... وقلنا... ولم

نستطع الإمساك بالدلاء.

٥- الأم: ألم تستطيعوا فعلا؟

٦- الطفلة: لا.

٧- الأم: وما الذى كان يجعل الدلاء تبتعد سريعا؟ لأنها ليس لها أرجل،  
أليس كذلك؟

٨- الطفلة: لا.

٩- الأم: إذن ما الذى كان يجعلها تجرى بعيدا؟

١٠- الطفلة: تتدحرج.

١١- الأم: هل كانت تتدحرج؟

١٢- الطفلة: نعم. نعم. لقد كانت تتدحرج... انظرى، كانت واقفة، ولم  
نكن ننظر إليها، لأننا كنا نبنى قصورا من الرمال.

١٣- الأم: نعم... هيه.

١٤- الطفلة: ثم تشالبت ووقعت على الأرض، الدلاء، ثم أخذت  
تدحرج، تدحرج، تدحرج، تتدحرج.

ذلك لأن الريح كانت تهب بقوة.

١٥- الأم: يا إلهى. الرياح شديدة جدا، أليس كذلك؟

١٦- الطفلة: نعم.

من المؤكد أن نغمة الإلحاح والإثارة فى تواصل "كارول" مع أمها  
مفقودة فى المدرسة. وفى الحقيقة فإنه فى المدرسة تدخل الطفلة فى علاقة  
مستقلة، باحثة عن العون من مدرستها، وكانت تلك على وجه الخصوص،  
كما نعرض فى الباب التالى، صفة مميزة لبنات الطبقة العاملة فى المدرسة.  
وسوف يلاحظ القارئ أنه فى الأدوار ٧ و ٩ من الكلام تطرح والدة "كارول"  
وتكرر سؤالها معرفيا "اختباريا" من نوع "ما تقوم به المدرسات". ومع ذلك،  
فعندما كانت "كارول" تفشل فى الرد على السؤال، لم تكن الأم تصر على  
تصحيحها، بل كانت تسمح لها بالتحدث عما هو أمر مهم بشكل واضح  
بالنسبة لها.

## مشاكل الطفلات فى التواصل مع هيئة التدريس

كان لكل الطفلات فى دراستنا بعض المشاكل الخاصة بالتواصل، حتى فى البيت، ويرجع ذلك لأسباب ناقشناها فى الباب الخامس. وقد ازدادت هذه المشاكل فى المدرسة، إذ إنه كان عليهن أن يعلن الغريبات عنهن يفهمهن. وتلك مهمة حتمية لا يمكن تجنبها، كما أنها لها أهميتها، ولو استطاع أحد مساعدتهن على القيام بذلك على الوجه الأكمل، فلسوف تتحسن مهارتهن فى التواصل. ومع ذلك، تزداد هذه المهمة صعوبة لو كان على البنات التواصل مع عدد كبير من الكبار الغرباء الذين يعرفون القليل النادر عن أنشطتهن. وكان ذلك هو الموقف فى مدارس "الخطة المفتوحة" حيث كان اللعب متاحا للطفلات فى أى حرتين أو ثلاث، ويحدث احتكاك واتصال بينهن وبين ما يصل إلى عشرة من أعضاء هيئة التدريس. ومن الأمور الحتمية، أن غالبية أعضاء هيئة التدريس لم يعرفن ما كانت الطفلات يقمن بعمله بأى شىء من التفصيل، وأسأل فهم ما قالته البنات فى بعض الأحيان.

حدث مثال لهذا النوع من المشاكل مع "جويس" التى كانت تذهب لإحدى مدارس "الخطة المفتوحة". وشرحت إحدى المدرسات لجماعة من البنات كيف ينظم الخرز على النسيج الملون الممزوج بالمطاط كى يصنعن قلادات. ووجدت "جويس" هذا العمل صعباً للغاية، ومن بين الأسباب لذلك أن النسيج كان باليا. ورغم الأوامر والوصايا المتعددة بأن تدبر نظم الخرز وتتفذه بطريقتها الخاصة، فإنها كانت تطلب الكثير من العون لنظم كل خرزة. وكان على المدرسة أن تساعد طفلات أخريات، لذا اختصرت التمرين وربطت النسيج لتصنع لها سوارا بنفسها. ولا بد من أن "جويس" شعرت بخيبة أمل، إذ إنها طلبت من مساعدة المدرسة فى الحضانه أن تصنع لها قلادة. ولأن المدرسة كانت قد انتقلت للتعامل مع واجبات أخرى، فإنها طلبت العون من مساعدتها. ولأن مساعدة المدرسة لم تكن تعلم بالصراع الطويل الذى تعرضت له "جويس"، فقد حاولت أن تجعلها تنظم الخرز بنفسها، وتركزت



المكان واتجهت للمُدْرسة. وبعد أن حاولت "جويس" عدة مرات نظم الخرز بنفسها دون أى نجاح، استسلمت للأمر الواقع وأبعدت الخرز عنها. وعند هذا الحد دخلت مُدرسة أخرى وسألت:

المدرسة: هل هذا هو ما صنعته؟ (لا إجابة من الطفلة) ما هذا؟

الطفلة: سوار.

المدرسة: سوار؟ أين ترتديه؟

الطفلة: على ذراعك.

المدرسة: على ذراعك. أليس جميلاً؟ ألسنت بنتا ذكية؟

وذهبت "جويس" بعد ذلك لملاعب المدرسة وقابلت مساعدة مدرسة أخرى:

الطفلة: أنظري ماذا معي، سوار.

المساعدة: هل صنعته بنفسك؟

الطفلة: نعم. لكنى لم أزينه.

المساعدة: لم تزينيه. أنت بنت ذكية.

الطفلة: أنا لم أزينه.

وشرعت "جويس" بعد ذلك فى الحصول على الحليب المخصص لها،

وقابلت مدرسة أخرى:

المدرسة: ماذا كنت تفعلين؟

الطفلة: لقد كنت أصنع، أصنع سواراً. لكنى لم أصنع قلادتي.

المدرسة: يا عزيزتى. ربما بعدما تنتهى من شرب الحليب، تذهبين

وتصنعين قلادة.

الطفلة: (بتردد) نعم.

المدرسة: هل تعتقدين أنك يمكنك صنعها؟ هل هذا سوارك؟ انظري إلى كل تلك الألوان. ما الألوان التي عندكم في الغرفة؟

الطفلة: الأصفر... والأخضر.

المدرسة: نعم، وأي لون آخر؟

الطفلة: أخبريني عن اللون الذي يتناغم مع هذا. (كانت أظافر أصابعها مطلية باللون القرنفلى)

المدرسة: تلك الخرزة تتناغم في لونها مع لون أظافرك، أليس كذلك؟

الطفلة: (بتردد) نعم.

وشربت "جويس" الحليب، ولعبت في ملعب المدرسة، ثم ذهبت للداخل. واقتربت من عضوتين أخريين من هيئة التدريس، وفي كل مرة تعرض سوارها وتعلق بأنها "لم تصنعه" أو "أنا لم أصنع قلادة". وكانت المدرسة في كل مرة ترد عليها بسؤالها عن أسماء الألوان، أو أن تقترح عليها أن تصنع قلادة في حينها. كانت "جويس" غير قادرة أن تفسر على نحو كاف ما كان بالنسبة لها الجانب الغالب لتلك التجربة، وهو شعورها بخيبة الأمل والإحباط لأنها لم تستطع نظم الخرز بالخيط دون مساعدة من أحد، وأنها حصلت على سوار فقط، وليس على قلادة. وحيث إنه لم تحضر أي مدرسة هذا النشاط، لم تدرك أي واحدة منهن حقيقة مشاعرها، ولم تتمكن من مساعدتها على التعبير عنها بالألفاظ. ولا بد من القول أيضا أنهم إخفقن في متابعة المبادرات التي قدمتها لهن بالفعل.

وكانت مشاكل التواصل بالنسبة للطفلات أعظم بكثير عندما كان الكلام يدور مع هيئة التدريس حول حياتهن المنزلية. وسوف تتم مناقشة هذه النقطة في الباب العاشر باستفاضة.

## القصص فى المدرسة : توضيح لإحدى طرق التدريس

سوف ننهى هذا الباب بمناقشة بعض أحداث حصص قراءة القصص فى المدرسة. إن تلك الأحداث توضح لنا عددا من النقاط التى طرحناها، لاسيما اتجاه المدرسات لاستخدام كل فرصة لطرح أسئلة مثيرة ومنبهة على الطفلات؛ وإخفاق البنات المتكرر فى التجاوب مع هذه الأسئلة، ونزوعهن للارتباك نتيجة طرحها؛ وإخفاقهن فى طرح أسئلة على هيئة التدريس.

وكانت المدرسة فى كل مدرسة من مدارس الحضانة تقريبا تقرأ قصة على تلميذات الفصل بالكامل خلال الفترة الصباحية. ونحن لم نقم بتسجيل تلك الحصص، لكننا قمنا بتحليل المناسبات التى كانت تقرأ فيها إحدى المدرسات قصة لواحدة من "طفلاتنا"، إما وهى بمفردها أو معها جماعة صغيرة من البنات.

سبق أن عرضنا فى الباب الثالث ما لاحظناه من قراءة القصص بشكل فوضوى إلى حد ما فى البيوت. أما قراءة القصص فى المدارس فكان لها نكهة مختلفة تماما. حتى لو حدث أن سرحت البنات بأفكارهن بعيدا عن القصة والاهتمام بالاستماع إليها فى المدرسة، لكنهن ظلن مع المدرسة على طول الخط. ولم تنته أحداث الحلقات تلك مطلقا - كما كان يحدث أحيانا فى البيوت - بجدال بين المدرسة والطفلة، أو برفض استكمال القراءة لأن إحداها أحست بالضيق والملل، ولم يحدث أن تكرر قطع القراءة باستمرار بسبب طلب الطفلة بتغيير الكتاب. ومع ذلك، فرغم أن حصص قراءة القصص كانت أكثر تنظيما فى المدرسة عما كان الوضع فى البيت، لكن إضافات ومساهمات الطفلات فيهن كانت أقل بكثير من المساهمات الإيجابية فى تلك المناسبات فى البيت. طرحت الأمهات فى عدد مرات القراءة التسع فى البيت واحد وستين سؤالاً، وطرحت الطفلات ثمانية وسبعين سؤالاً. أما فى حصص القصص الثمانية التى سجلناها فى المدرسة، وجهت المدرسات ثلاثة وستين سؤالاً للطفلات اللاتى كنا نقوم بمراقبتهن، بينما طرحت تلك

الطفلات ثلاثة أسئلة فقط. ولأن المدرسة سيطرت على الإجراءات بهذه الطريقة، تحولت القصة في الحقيقة إلى حصة درس عادية. وكان هذا الدرس يبدو ناجحاً أحياناً، كما سنرى في المثال التالي. جاءت المدرسة للطفلة "كيللي" التي كانت تفحص بعناية نسخة مُعدّلة من قصة خيالية عن الثعلب والغراب الأسود من تأليف "إيسوب" (كاتب يوناني قبل الميلاد ألف عدداً من القصص على لسان الحيوانات).

المدرسة: من هذا (وتشير لثعلب موجود في الصورة)

الطفلة: ثعلب.

المدرسة: ماذا يفعل؟

الطفلة: إنه في الحفرة، وهي حفرة كبيرة.

المدرسة: ماذا يفعل؟

الطفلة: انظري، يحاول الإمساك بالبط.

المدرسة: ما الذي يحاول فعله مع البط؟

الطفلة: يحاول أن يقضم ذيلها.

المدرسة: نعم، أليس كذلك؟ هل دبّر لحدث ذلك؟

الطفلة: لا. لقد حاول أن، حاول أن ينزع أنفها.

المدرسة: يحاول الحصول على أنفها، منقارها، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم، إنه يحاول أن يحصل على... يحاول، يحاول الثعلب

الحصول على ذيلها. يحاول الحصول على الفأر.

المدرسة: هل سينجح في الوصول إلى هناك؟

الطفلة: لا يمكنه الوصول إلى هناك.

المدرسة: لم لا؟

الطفلة: لأنه ضخم أكثر من اللازم.

المدرسة: من هو الضخم أكثر من اللازم؟

الطفلة: بالنسبة لهذا.

المدرسة: من هو الضخم أكثر من اللازم؟

الطفلة: (لا جواب)

المدرسة: هل الثعلب ضخم أكثر من اللازم؟

الطفلة: نعم.

المدرسة: (تتمتم) نعم... أعتقد أنه كذلك. إنه سمين أكثر من اللازم

بحيث لا يمكنه المرور من هذا الممر الضيق، أليس كذلك؟

الطفلة: إنه يحاول الحصول على ذلك.

المدرسة: ما هو ذلك؟

الطفلة: أنا لا، إن معه جبن.

المدرسة: أوه نعم، إن الغراب معه جبن.

الطفلة: نعم، معه قطعة من الجبن.

المدرسة: ماذا يفعل الغراب بالجبن؟

الطفلة: يأكلها، ويسقطها. (وتقول يسقطها بخطأ فى القواعد)

المدرسة: هو يسقطها (نقولها بالطريقة الصحيحة نحوياً)، أليس كذلك؟

الطفلة: نعم، ويلتقطها (بشكل خاطئ مرة أخرى) الثعلب. ويأكلها، إنها

عشاؤه. أنظري!

المدرسة: نعم.

الطفلة: هذه نهاية القصة. (المدرسة تبتعد عنها، وتستمر الطفلة فى

النظر فى الكتاب)

كانت تلك إحدى أطول المحادثات التي سجلناها في المدرسة، وكانت مثالا لطرح أسئلة الكبار ببراعة حافظت على اهتمام الطفلة واستمتاعها بها. وظهر هذا الاهتمام بالمحادثة من خلال المساهمات التلقائية التي أضفتها الطفلة عليها، واستعدادها ورغبتها في الرد على أسئلة المدرسة. ومع ذلك، فكثيرا ما بدا أن أسئلة المدرسات تقطع الصلة بتداخلها بين الطفلات والقصة بشكل غير مناسب. وكانت تلك هي الحالة خصوصا عندما كانت المدرسة تصمم على استخلاص إجابة محددة بعينها من البنات.

وفي المثال التالي، كانت المدرسة قد قرأت على عدة بنات من بينهم "إيريك" قصة عنوانها "روث ومارتن يذهبان للحديقة". وكانت تقطع قراءتها كثيرا بطرح عدد كبير من الأسئلة. وتنتهي القصة بسقوط شخصياتها الرئيسية في بركة ماء. ولم يكن هناك أى كلمات في الصفحة الأخيرة، وكان بها فقط صورة لأحذية "روث" و"مارتن" وهما تُجفان أمام نار مدفأة. وتريد المدرسة أن تتأكد من فهم البنات للمعنى الذي تتضمنه هذه الصورة.

١- المدرسة: أين الكلمات في هذه الصفحة؟ هل هناك أى كلمات؟

٢- طفلتنا: لا.

٣- الطفلات الأخريات: لا.

٤- المدرسة: لا توجد أى كلمات، إنها مجرد صورة. ما الذى تدل عليه هذه الصورة؟ ما الذى تقوله الصورة لكم؟ (لا جواب) حسنا، أين الأحذية؟

٥- طفلة أخرى: (وهى تشير) هذا حذاء "مارتن" وذلك حذاء "روث".

٦- المدرسة: هذا صحيح. ما سبب وجود هذه الأحذية هناك، كما تعتقدين؟ أين هي؟ أين الأحذية؟ (لا جواب)

عند هذا الحد بدت الحيرة على وجوه البنات، إذ إن الرد الذى قدمته الطفلة في الدور رقم ٥ من الكلام ("هناك") وقبلته المدرسة في الدور رقم ٦

"هذا صحيح" غير مرضى عنه كما هو ظاهر لهن قبل كل شيء. وأصبح ليس أمامهن طريقة لمعرفة أن الإجابة المطلوبة هي: "بجوار المدفأة".

٧- المدرسة: أين الأحذية؟

٨- طفلة أخرى: (وهي تشير) هناك.

٩- المدرسة: نعم، ولكن أين هي؟

١٠- طفلتا: (وهي تشير) هناك.

١١- المدرسة: أين هي؟ هل هي في الحديقة؟ (لا جواب) هل هي في الحديقة؟ (طفلة تستمر في الإشارة)

١٢- طفلات أخريات: نعم. إنها هناك.

١٣- المدرسة: هل تلك هي الحديقة؟ (وهي تشير للمدفأة)

١٤- الطفلات: لا.

١٥- المدرسة: أين هي إذن؟ قولوا لي أين هي.

١٦- طفلات أخريات: هناك. بالداخل.

١٧- المدرسة: ولكن في أي مكان بالداخل؟

١٨- الطفلات: بالداخل.

١٩- المدرسة: هل هي بجانب الأريكة؟

٢٠- طفلة أخرى: لا.

٢١- المدرسة: أين هي إذن؟

٢٢- طفلة أخرى: في المطبخ.

٢٣- المدرسة: أين الأحذية إذا؟

٢٤- طفلة أخرى: بجوار المدفأة.

لقد استغرق الأمر ١٨ دوراً من الكلام لاستخلاص تلك العبارة، لأن البنات كما يبدو كن بطيئات في تخمين ما كانت المدرسة تريد منهن قوله. ومن المؤكد تقريباً أنهن لم يعتقدن في الحقيقة أن الحذاءين كانا في الحديقة (الدور ١٢)، ولكنهن بلغ منهن الارتباك في هذا الوقت أشده حتى إنهن اعتقدن أن هذا ما كانت المدرسة تريد منهن قوله. ومع ذلك، فإن المدرسة كانت لم تحقق هدفها بعد:

٢٥- المدرسة: هذا صحيح. ما سبب وجود الأحذية بجانب المدفأة؟

٢٦- طفلة أخرى: لأنها مبلولة.

٢٧- المدرسة: ولكن إذا كانت مبلولة، لماذا تضعونها أمام المدفأة؟

٢٨- طفلتنا: لأنها كانت مبلولة عن آخرها.

٢٩- المدرسة: ماذا ستفعل النار؟

٣٠- طفلة أخرى: تجعلها تجف.

٣١- طفلتنا: تجعلها تجف.

٣٢- المدرسة: إنها تجعلها تجف، أليس كذلك؟

٣٣- طفلتنا: نعم.

٣٤- المدرسة: الأفضل أن أذهب وأفض النزاع بين هؤلاء البنات. (وهي تقصد طفلات يتشاجرن في جزء آخر من الحجرة).

كان هدف المدرسة هو استخلاص تفسير واضح وصريح عن سبب وجود الحذاءين بجوار النار. وذلك هدف تعليمي شرعي تماماً، ولكن الظاهر أن البنات وقعن في حيرة وغلب عليهن الارتباك على طول الخط بسبب أسئلة المدرسة. ويبدو أنه من المحتمل أن يكن قد فهمن الصورة، وأنهن كان من الممكن أن يقدمن التفسير المطلوب الصريح لذلك، لكنهن ارتبكن حول ما



كان مطلوبًا منهن. وفي النهاية صدرت الإجابة الصحيحة، ولكن موضع الشك يكمن فيما تم إنجازه من خلال هذه العملية برمتها.

بينما كانت الطفلات يعلقن بحرية على الكتاب الذى كانت أمهاتهن تقرأه عليهن، فعليهن أن يتعلمن الامتناع عن هذه النزعة فى المدرسة. والسبب الجزئى لذلك هو أنه ينبغي وضع احتياجات الطفلات الأخرى فى الاعتبار، ولكن الاعتبار الرئيسى كان فى الغالب هو أن التعليقات التلقائية يغلب عليها الوقوف حائلًا بين المُدرسة وبين تحقيق هدفها التعليمى. وفى المثال التالى، نجد المدرسة تقرأ فى كتاب عنوانه "قطع الحلوى الكبيرة والقطع الصغيرة" لجماعة صغيرة من الطفلات، وتتوقف لتطرح سؤالاً على الطفلة "لين":

المدرسة: ما أنواع الحلوى التى تحبينها؟

إما أن "لين" لا تفهم ما تعنيه المدرسة بعبارة "أنواع الحلوى"، أو أنها لا تستطيع تذكر أسمائها. وتوحى إجابتيها فى الدورين من الكلام رقمى ٣ و٥ على وجه الخصوص أنها تتهرب من الأسئلة التى لا يمكنها إجابتها بتقديم ردود لا صلة لها بالموضوع.

١- الطفلة: الكثير من الحلويات.

٢- المدرسة: الكثير منها؟ هل تحبين نوعاً معيناً منها على وجه الخصوص؟

٣- الطفلة: عندى بعض منها بالداخل.

٤- المدرسة: صحيح؟ ما نوعها؟

٥- الطفلة: عندى علبه.

٦- المدرسة: علبه منها؟ ما هى، البونبون؟ هل هى بونبون؟

٧- الطفلة: إنها فى كيس.

٨- المدرسة: فى كىس؟ البونبون تكون فى صندوق، ألىس كذلك؟

وتواصل المدرسة القراءة فى الكتاب، وبعد برهة قصيرة تحاول مرة أخرى استخلاص الإجابة الصحيحة على سؤالها، والإجابة فى هذه الحال هى كلمة "حلوى"

المدرسة: (وهى تقرأ) "أحب...". ما الكلمة التى معناها جمىع أنواع الشوكولاتة والبونبون وغيرها؟ ما التى نذهب لنشترىها؟ إننا نقول "أنا ذاهب لأشترى بعض ال...".

وسواء استطاعت "لین" أن تقول مفهوم "الطبقة الكامل" أو لا، وهى كلمة "حلوى"، كإجابة على هذا السؤال، فمن المستحيل أن نخبر بذلك.. ومرة أخرى تجيب "لین" إجابة لىس لها صلة بموضوع السؤال، ولكن بشىء من البغضاء تجاه الموضوع برمته هذه المرة، ربما لأن المدرسة كانت قد رفضت ملاحظاتها الأولى فى الدور رقم ٨ من الكلام:

الطفلة: لقد كان عندى بعض البونبون. (بسخط)

المدرسة: هل يمكنك التفكير فى الكلمة؟

الطفلة: لكن كان عندى بالفعل بعض البونبون.

المدرسة: ما نوع المحل الذى تذهبىن إلیه لشترى منه البونبون؟

إحدى الطفلات: محل الأطفال.

طفلة أخرى: لا، محل الحلوى.

المدرسة: محل الحلوى. (وتواصل القراءة) "أنا أحب الحلوى...".

ومما هو جدير بالملاحظة أن "لین"، التى تبدو أنها غير مكتملة النضج للغاية فى هذه المحادثات، هى نفس الطفلة التى، فى صفحة ٤٧، كانت تطرح أسئلة على أمها حول عمليات النمو والتطوير. ونحن لا نرى بالضرورة أن

نلمح بأنها كانت قادرة على تقديم إجابات. أفضل مما قدمت ردا على أسئلة المدرسة، فمن المستحيل أن نعرف ذلك. ومع ذلك، فنحن نرى بالفعل أن لدى "لين" الكثير الذى يفوق ما تتصوره المدرسة عنها؛ وخصوصا حبها الشديد للفضول ذهنى. وكان ذلك هو الجانب فى الطفلات الذى لا يوجد له سوى دلائل قليلة فى المدرسة، والذى لا يُحتمل الكشف عنه فى موقف تسيطر المدرسة عليه وتتحكم فى مجرياته.

وكانت "النكهة" المختلفة لقراءة القصص فى البيت وفى المدرسة ترجع جزئيا لأن المدرسة كانت تعمل تحت ضغط وضعين غير موافقين من تعامل مع مشكلات عدة بنات، إلى حصولهن على معرفة أقل عمقا وتفصيلا عن الطفلات عما تتمتع أمهاتهن به من معرفة تجاههن. ومن بين أسباب اختلاف تلك النكهة فى المدرسة أيضا أن المدرسات كن ميالات لاستخدام القصص فى متابعة ومواصلة تنفيذ أهدافهن التعليمية. وكان هذا ينطبق، إلى حد ما على الأمهات، لاسيما أمهات الطبقة المتوسطة، غير أنه فى حالاتهن، كان الكثير من المدخلات التعليمية تحت سيطرة الطفلات، حيث إنها كانت تقدم للطفلات ردا على أسئلتهن. وفى حالة المدرسات، كن يتابعن أهدافهن التعليمية بشكل مستقل تماما عن الطفلات، وكثيرا ما كانت تلك المتابعة ليس لها أى صلة باهتماماتهن. وخلال تنفيذهن لأهدافهن التعليمية، لابد من أن البنات فقدن بالتأكيد الاستمتاع بالقصة والإثارة الناتجة عن الاستماع إليها.

### الخلاصة

بدأنا هذا الباب بإبراز أنه بالانتقال من البيت إلى مدرسة الحضانة، فإن الطفلة تنتقل من مكان تركز حياتها فيه على أمها لمكان آخر تلعب فيه هيئة التدريس دورا أصغر بكثير من دور الأم. ومع ذلك، فحتى لو كان اتصال وعلاقة المدرسات بالطفلات أقل من اتصال وعلاقة أمهاتهن بهن، فإن تفاعلات هيئة التدريس مع الطفلات كانت تتأثر بأهداف تعليمية محددة.

وكانت أهداف المدرسات وتفاعلاتهن مع الطفلات تتركز حول اللعب عكس ما كان الحال عليه فى البيت. وكننتيجة لذلك، كان "المنهاج" فى مدرسة

الحضانة يختلف كثيرا عنه في البيت، وأقل منه حجما ومجالا. وكان التهذيب وضبط النفس في مدرسة الحضانة أيضا يرتكزان على أمور تختلف كثيرا عن الأمور التي يتم التركيز عليها في البيت. اهتمت المدرسات على وجه الخصوص بتشكيل الطفلات وإعدادهن ليصبحن " تلميذات "، بينما ركزت الأمهات أكثر على محاولة تربية طفلات مؤدبات وذات طابع حسنة يمكن أن يثق المرء من خلالها أنهن لن يُخربوا بيوتهن. وكانت البنات أقل احتمالا للجدال والاعتراض على سيطرة المدرسات عن احتمال اعتراضهن على سيطرة الأمهات.

وكانت المحادثات بين المدرسات والطفلات أقل عددا وأقصر زمنا في المدرسة عنها في البيت. وكان بناء المحادثات بين المدرسات والبنات يختلف اختلافا كبيرا هو الآخر عن بنائها في البيت. في المدرسة، ساهمت المدرسات في المحادثات أكثر بكثير عما أسهمت الطفلات فيها، بينما كانت إسهامات الأم مع ابنتها أقرب للتكافؤ عن محادثات المدرسة. لقد أخذت محادثات المدرسات مع الطفلات بشكل مميز شكل سلسلة متعاقبة من الأسئلة المنظمة حول الأهداف التعليمية لتقييم لغة الطفلات وتفكيرهن ودعمهما وتشجيعهما.

وكنا متشككين فيما إذا كانت تلك الأهداف قد تحققت من عدمه، لأن البنات كثيرا ما أخفقن في التجاوب مع المدرسات، وكانت إجاباتهن لهن غامضة، أو ظهر عليها الارتباك. والأكثر من هذا أنه بدا أن هذه الطريقة في التدريس تخنق أسئلة الطفلات، وحديثهن التلقائي مع الكبار. لقد طرحت الطفلات عددا قليلا جدا من الأسئلة أ لاسيما الأسئلة السببية، في المدرسة. كما لم تحدث في المدرسة "محادثات عن البحث الذهني" التي تطرح البنات أسئلة من خلالها، وتفكر في إجابات الكبار عليها وتناقشها. وكانت البنات تواجه أحيانا نوعا من المشاكل في التواصل بشأن أنشطة اللعب الخاصة بهن، لاسيما في المدارس التي تعمل بها هيئة تدريس كبيرة العدد، وكانت

المحادثات تغلب عليها اللهجة الوجدانية "السطحية". وأوضح تحليل بعض الأحداث القصصية في المدرسة نقاط القوة ونقاط الضعف في طريقة المدرسات التعليمية.

وسوف نعرض في الباب التالي كيف كانت بنات الطبقة العاملة على وجه الخصوص في أوضاع غير مواتية في المدارس.

## بنات الطبقة العاملة، بمن في ذلك دونا، في المدرسة

لماذا ينزع أطفال العمال اليدويين، في كل بلد في العالم، لتحقيق إنجازات تعليمية أدنى من أطفال الموظفين نوى المظهر الأنيق والرواتب الثابتة؟ لقد أشرنا في الباب السادس إلى أن التفسير الحالي المقبول من سائر علماء النفس وجميع المدرسين تقريبا هو أن الإنجاز الأدنى مرجعه الحرمان اللغوي الفعلي في البيت. وهناك أقلية ممن لهم وجهة نظر تؤكد، ويقوة، من خلال العالم اللغوي "لابوف"، فيما يتصل بأطفال جماعات الأقليات السود في أمريكا، أنهم، على العكس من ذلك، يشبون في بيئة لغوية ثرية، وأنه يبدو عليهم فقط أنهم ليسوا ذوى كفاءة لغوية في الأجواء الاجتماعية الغربية سواء في المدارس أو في العيادات والمستوصفات. لا بد من أن يرجع السبب لإنجازاتهم التعليمية المتدنية لعوامل داخل نطاق المدرسة أو المجتمع الأرحب من حولهم، وليس لقصور شخصى فى تكوينهم.

وقد عرضنا فى الباب السادس أنه بالنسبة لطفلات الطبقة العاملة فى العينة التى وقع الاختيار عليها فى دراستنا هذه، كانت فكرة "الحرمان اللغوي" الشائعة عنهن فى الحقيقة مجرد خرافة ليس إلا. لقد تكلمت أمهاتهن معهن بنفس قدر الكلام الذى تكلمت به أمهات الطبقة المتوسطة مع بناتهن. وطلبن منهن أن يتبأن بما سيحدث فى المستقبل، وأن يفسرن حدوث أشياء، ويعقدن مقارنات بين أشياء. وقامت جميع أمهات الطبقة العاملة أنفسهن بعقد مقارنات، وقدمن تفسيرات، واستخدمن الجمل المعقدة الشرطية خلال حديثهن مع بناتهن، وناقشن مجموعة كبيرة ومنوعة من الموضوعات مع بناتهن، لاسيما تلك الموضوعات التى كانت تمس الشؤون العائلية والمنزلية.

وفى نفس الوقت، كانت هناك بعض الفوارق بين الطبقات الاجتماعية فى أسلوب تفاعلات الأمهات مع بناتهن. لقد كانت نسبة معينة من عائلات

الطبقة العاملة مِيَّالة للنزاع والمشاحنات. وكانت أمهات الطبقة العاملة مِيَّالة لأن يكن أقل اهتماما بالرد على أسئلة بناتهن وتوسيع مجال معلوماتهن العامة من أمهات الطبقة المتوسطة. وبدا عليهن عموما أنهن أقل اهتماما بأن تستخدم بناتهن اللغة بوضوح وبشكل بيّن وصريح، واستخدمن في حديثهن مع طفلاتهن مفردات لغوية أقل حجما مما استخدمته أمهات الطبقة المتوسطة في محادثاتهن مع بناتهن. وطرحت بناتهن، من جانبهن، عددا أقل من الأسئلة السببية عما طرحته بنات الطبقة المتوسطة من نفس الأسئلة، واستخدمن عددا أقل من المفردات اللغوية، وقلت نسبة تكرار استخدامهن للغة في أغراض معقدة مقارنة بطفلات الطبقة المتوسطة.

ولا توجد لدينا طريقة لمعرفة ما إذا كانت الفوارق من هذا النوع - لو كانت تمثل الفوارق في مجموعات بشرية أكبر - يمكن أن يرجع إليها السبب في تدنى إنجازات بنات الطبقة العاملة في المدارس. إن هذا يتطلب تحليلا للطبيعة الصحيحة الدقيقة لمتطلبات حجرة الدراسة في المدارس الابتدائية، والمشاكل التي تتعرض لها الطفلات عند تعاملهن مع تلك المتطلبات. ومع ذلك، فإن لدينا دلائل سننولى مناقشتها في هذا الباب تؤيد ما يصر "لابوف" على التأكيد عليه بتأثر بنات الطبقة العاملة تأثرا عكسيا ومناوئا بالمحيط المدرسى. وجاءت تلك الدلائل نتيجة مقارنة الطريقة التي تصرف بها طفلات مجوعتا الطبقتين الاجتماعيتين في البيت وفي المدرسة. وكما رأينا في الباب السابق، فإن جميع الطفلات، بصرف النظر عن الطبقات الاجتماعية التي ينتمين إليها، كن يتصرفن بشكل مختلف في معاملتهن مع الكبار في البيئات المدرسية. ومع ذلك فكانت هناك دلائل على أن طفلات الطبقة العاملة تأثرن تأثرا بالغا بتلك البيئات بشكل يفوق تأثر بنات الطبقات الأخرى بكثير، باستخدام الاصطلاحات الإحصائية، كانت هناك تفاعلات بين الطبقة الاجتماعية والمحيط المدرسى.

### المحافظة على استمرار المحادثة: طفلات الطبقة العاملة

كانت المدرسات هن اللاتي ينزعن إلى المحافظة على استمرار

المحادثات في المدرسة، وكن هن اللاتي يتولّين معظم الكلام فيها، بينما كانت المحادثات في البيت تتسم بالتوازن بين كلام الأمهات والطفلات. وكان ذلك التأثير يظهر بشدة على طفلات الطبقة العاملة على وجه الخصوص. لقد أسهم بنسبة ١٥٪ فقط في إبداء الملاحظات التي تطيل من زمن المحادثات مع المدرسات، مقارنة بنسبة ٢٣٪ أسهمت بها طفلات الطبقة المتوسطة. أما في البيوت، فقد أسهمت طفلات كلتا الطبقتين الاجتماعيتين بنصف عدد الملاحظات والتعليقات التي تطيل من زمن المحادثة.

إضافة لذلك، بينما كان طول ملاحظات وتعليقات الأمهات وبناتهن في البيوت متكافئا ومتساويا تقريبا، كانت الطفلات في المدارس تتكلمن باختصار شديد، والمدرسات تتكلمن كلاما سهيا. وكان هذا التعارض بين نسبة كلام الكبار وكلام البنات في البيت وفي المدرسة يتسع بشدة في حالة طفلات الطبقة العاملة.

#### استخدام اللغة للأغراض المعقدة

ربما بسبب نزوع طفلات الطبقة العاملة للقيام بالحد الأدنى من المساهمة في المحادثات مع المدرسات، نجد أنهن استخدمن اللغة لأغراض معقدة مرات أقل مما استخدمنها في الحديث مع أمهاتهن. ولم يكن هناك مثل هذا الفارق بالنسبة لبنات الطبقة المتوسطة. لقد استخدمن نفس النسبة من المقارنات والتفسيرات، وما إلى ذلك في كلامهن مع أمهاتهن ومع مدرساتهن على السواء. ولكن لم يحدث في صباح يومين في المدرسة، أن قامت أربع بنات من بين بنات الطبقة العاملة الخمسة عشر بأى استخدام للأغراض اللغوية المعقدة في الحديث مع المدرسات، أو ربما حدث استخدام واحد من هذا النوع من طفلة واحدة منهن، ومع ذلك، ففي نصف ذلك الوقت في البيوت، قامت نفس الطفلات باستخدام الأغراض المعقدة في الحديث إحدى وثلاثين مرة، وثمانية وعشرين مرة، وخمسين مرة، وسبع مرات على التوالي. وهناك محادثة قياسية حدثت بين "سندی" ومدرستها جرت كما يلي:



المدرسة: ذلك شيء جميل (ناظرة إلى رسم للطفلة). ما هذا (مشيرة لشكل فيها)؟

الطفلة: كلب.

المدرسة: كلب؟

الطفلة: لكن ليس له أرجل.

المدرسة: مجرد أنه لم يكن يريد أى أرجل، أليس كذلك؟ وما هذا الجزء الصغير الموجود هناك؟

الطفلة: لا أعرف.

المدرسة: هل ستكتبين اسمك عليه؟ (الطفلة لا تجيب، والمدرسة تكتب اسم الطفلة على الرسم)

أما فى البيت، فقد أظهرت "سندى" إتقاننا لاستخداماتنا اللغوية المعقدة المتعارف عليها. واستخدمت العديد منها فى المحادثة التالية التى حدثت بينما كانت تصنع بركة من الماء فى باطن الأرض فى حديقة المنزل:

الطفلة: هل يتسرب الماء منها؟

الأم: يبدو أن الأمر كذلك.

الطفلة: لماذا تفعل ذلك؟ (لا جواب) هل هى... هل يتسرب منها الماء الآن؟

الأم: نعم، إن الأرض تمتص الماء كله.

الطفلة: أوه، حسنا، أفضل لنا أن نضع بعض الأحجار داخل هذا المكان. أفضل لنا أن نحصل على قطعة صغيرة من الطين القدر ونضعها فى أرضية الحفرة حتى لا ينزل الماء فى باطن الأرض. هذه القطعة لن تؤدى الغرض المطلوب، هذه القطعة

أكبر، سأضع قطعة الطين هنا. هذا سينقذ الموقف. الآن لن يضيع الماء، أليس كذلك؟

### سبب لجوء الطفلات للحديث مع المدرسات

لم تكن القضية أن حافظت بنات الطبقة العاملة على المسافة التي تفصلنهن عن المدرسات. لقد كان احتمال لجوئهن إلى الحديث مع المدرسات قائما مثلما كان الحال مع طفلات الطبقة المتوسطة، ولم يكن هناك فارق في نوع المحادثات التي عقدها معهن. كما لم يكن هناك أيضا أي فارق في طول تلك المحادثات، وليس هناك أي شك في ذلك، إذ إن المدرسات كن يحافظن على استمرار كل المحادثات تقريبا. لكن القضية هو أنه كان هناك فارق بين الطبقات الاجتماعية في أسباب لجوء بنات كل طبقة للحديث مع هيئة التدريس.

كانت بنات الطبقة العاملة أقل احتمالا بكثير للجوء للمدرسات وطرح أسئلة عليهن عما كان الوضع مع بنات الطبقة المتوسطة. وكما رأينا في الباب السابق، أظهرت كل البنات عزوفا واضحا عن طرح أسئلة على مدرسات الحضانة. وبينما كن يمطرن أمهاتهن بالأسئلة، كانت نسبة أسئلتهن في حديثهن مع هيئة التدريس أقل بكثير من نسبة أسئلتهن مع أمهاتهن. وكان هذا ينطبق أكثر ما ينطبق على الأسئلة "السببية" وأسئلة "الفضول وحب الاستطلاع". وتأثرت طفلات الطبقة العاملة على وجه الخصوص في هذه الناحية؛ فبينما كانت نصف أسئلتهن في البيت أسئلة "فضول وحب استطلاع"، كانت تلك هي الحالة مع ربع أسئلتهن في المدرسة؛ وكانت ٧٠٪ من أسئلتهن في المدرسة أسئلة "عمل" روتينية. ولم تطرح عشر بنات من بين الخمسة عشر طفلة من الطبقة العاملة سؤالا "سببيا" واحدا على مدى صباح يومين في المدرسية، رغم أنهم جميعا طرحن عدة أسئلة سببية خلال فترة واحدة من فترات بعد الظهر في البيت.

وكان هناك أيضا اتجاه من قبل بنات الطبقة العاملة أن يقللن من

منازعاتهن مع هيئة التدريس عما كانت تنزع إليه طفلات الطبقة المتوسطة. وكانت جميع الطفلات أقل ميلًا للنزاع مع هيئة التدريس في مدارس الحضانة عن درجة ميلهن لذلك مع أمهاتهن. في المتوسط، كانت كل محادثة من بين ١٨٪ من محادثات بنات الطبقة العاملة مع أمهاتهن تشمل نزاعًا معينًا، لكن كان ذلك يحدث في ٢٪ فقط من محادثتهن مع مدرساتهن. وفي حال طفلات الطبقة المتوسطة، كانت كل محادثة من بين ١٢٪ من محادثتهن مع أمهاتهن تشمل نزاعًا معينًا، لكن كان ذلك يحدث في ٤٪ من محادثتهن مع هيئة التدريس. ورغم ضآلة هذا الفارق، وكونه لا أهمية له من الناحية الإحصائية، فهو يتناغم مع فوارق الطبقات الاجتماعية الأخرى التي وجدناها في مدارس الحضانة. وكانت منازعات المدارس عادة تختص بمحاولات المدرسات أن يجعلن الطفلات تتبعن العادات واللوائح المدرسية، كأن يدخلن من ملعب المدرسة، مثلًا، لحضور حصة قراءة القصة، أو للاغتسال.

#### إشارات للحياة المنزلية في المدرسة

كان هناك فارق في الحياة الاجتماعية في موضوع الحديث. كانت بنات الطبقة المتوسطة أكثر احتمالًا للمبادرة بالكلام عن حياتهن المنزلية مع المدرسات عما كانت عليه طفلات الطبقة العاملة. حدثت أمثال تلك المحادثات في النسخ المطبوعة والمسموعة لبنات الطبقة المتوسطة ضعف عدد مرات ما حدث تقريبًا مع بنات الطبقة العاملة. أما في البيت فلم يكن هناك فارق، في عدد المرات التي ناقشت فيها بنات الطبقة المتوسطة وبنات الطبقة العاملة ما كان يحدث في المدرسة مع أمهاتهن.

وكما سنرى في الباب التالي، فإن المناقشات التي حدثت فعلا حول البيت في المدرسة لم تؤت أكلها بشكل بارز، وكان هذا الكلام ينطبق أكثر ما ينطبق في حالة بنات الطبقة العاملة. وكان الانطباع الذي يسيطر علينا هو أن المدرسات كن على علم بظروف وأحوال بيوت طفلات الطبقة المتوسطة، وبالتالي كن قادرات على التحدث معهن بشكل أفضل عن حياتهن المنزلية.

وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن أمهات الطبقة المتوسطة كن يتكلمن بحرية أكثر مع المدرسات، أو لأن طفات الطبقة المتوسطة كن يتواصلن مع المدرسات بنجاح أكثر من طفات الطبقة العاملة.

**لماذا تأثرت بنات الطبقة العاملة بالمدرسة بهذا الشكل؟**

مقارنة بنات الطبقة المتوسطة، أظهرت بنات الطبقة العاملة فارقا أعظم بين سلوكياتهن مع أمهاتهن ومع مدرساتهن فى نواح كاملة من المجالات. وشملت تلك المجالات طول الملاحظات التى كن يبدینها للكبار، ومدى ما كن يدعمن به المحادثات لإطالتهها، وأسئلة الفضول وحب الاستطلاع التى كن يطرحنها، واستخدامهن اللغة فى أغراض معقدة، وحديثهن عن أسلوب الحياة "الأخرى" سواء فى البيت أو فى المدرسة، وطلب المعونة من الكبار.

وكان التأثير النهائى لتلك المحادثات هو جعل بنات الطبقة العاملة يبدو عليهن بوضوح عدم القدرة على حسم الأمور، والشعور بالقهر وعدم النضوج وهن فى المدرسة. وبالتالي فإن بنات الطبقة المتوسطة، اللاتى تأثر سلوكهن بدرجة أقل بكثير من تأثر سلوك بنات الطبقة العاملة، فقد بدا عليهن بشكل ملحوظ أنهم أكثر حسما وحزما، وأكثر شعورا بالطمأنينة، وأكثر إحساسا بالثقة.

وقد أظهر هذا المظهر للثقة فى النفس معدنه فى عدة طرق صغيرة غير التى قدمناها من قبل ولكنها تكشف عن جوهرها. على سبيل المثال، كانت بنات الطبقة المتوسطة على استعداد تام لتصحيح معلومات المدرسات بطريقة خالية من الشك ومليئة بالثقة. وهكذا فعندما نظرت مدرسة "فاليري" للمجسم الذى كانت تصنعه وعلقت على ذلك قائلة: "إن هذا مرأب (مكان لإيواء السيارات) جيد"، ردت عليها "فاليري" قائلة: "إنها سفينة، فى الحقيقة". ونقلنا محادثة للطفلة "بيث" سألتها فيها المدرسة عن المكان الذى ستكون فيه عندما تترك مدرسة الحضانة، جاء ردها اللاذع: "أكون؟ فى مدرسة أخرى

بالطبع"، وعندما ضربت "ليزلى" طفلا آخر، دافعت عن نفسها بهدوء قائلة: "حسنا، لقد فعل شيئا خاطئا"، وعلقت "جين" لمدرستها على طفل تسبب لتوه فى رشها بالماء بدراجته الثلاثية قائلة: "ليته لم يكن فى هذه المدرسة"، "ألا تحبينه؟" وكان الجواب: "لا، لا أحبه كثيرا". ولم يكن لبنات الطبقة العاملة، سوى عدد قليل جدا منهن، تلك الثقة فى تقديم آرائهن بهذه الطريقة، أو فى معارضة المدرسة ونقض قولها.

إن تأثير مدرسة الحضانة على سلوك وتصرفات طفلات الطبقة العاملة يلفت النظر على وجه الخصوص عندما يضع المرء فى الاعتبار أن المدارس اللاتى كن يحضرنها لم تكن مدارس رسمية أو مرعبة بأى حال من الأحوال. لقد كانت كل مدارس الحضانة فى دراستنا هذه أماكن تبعث على السعادة والاسترخاء، وكان الأطفال فيها أحرارا فى اختيار أنشطتهم وأصدقائهم المفضلين. وكانت البنات منتظمات فى المدرسة لمدة سنة تقريبا، ولا يمكن أن نعزو أى تأثير للمشاكل لعدم الشعور بالاستقرار فيها. يمكننا فقط اقتراح بعض العوامل التى يمكن أن تكون السبب فى تلك المشاكل.

أولا، لا بد من أن المدرسة كانت تبدو غريبة وغير مألوفة بالنسبة لبنات الطبقة العاملة أكثر منها لبنات الطبقة المتوسطة. كانت مخططاتها ورسومها البيانية والصور المعلقة على جدرانها، وقطع الأثاث فيها تتوافق مع أذواق الطبقة المتوسطة. وكانت الكتب وأدوات اللعب المستخدمة فى مدارس الحضانة تلك يمكن أن تجدها فى بيوت الطبقة المتوسطة. وبينما كانت بعض أنواع أدوات اللعب توجد فى كل البيوت تقريبا - مثل دمية الأطفال، وعربات الأطفال الخاصة بالدمى، والدراجات الثلاثية، وأحجيات الصور المقطوعة وأقلام الرصاص، وعجينة اللعب - فإن كثيرا من أمهات الطبقة المتوسطة كن يبتعن لعب أطفال أكثر "تطورا" من نفس البيانات المصورة "الكاتالوجات" المتخصصة كتلك التى تستخدمها المدرسات. ومثلهن مثل المدرسات أيضا، كانت أمهات الطبقة المتوسطة ينزعن لشراء كتب الأطفال من مكتبات متخصصة لبيع كتب الأطفال، وكثيرا ما أبدى تلاميذ

وتلميذات الطبقة المتوسطة ملاحظات في المدرسة بأن لديهم نفس الكتب أو نفس لعب الأطفال في البيت. وفي المقابل، كانت أمهات الطبقة العاملة ينزعن لشراء مجموعة مختارة مختلفة من الكتب ولعب الأطفال من دكاكين لعب الأطفال والأسواق المركزية المحلية.

وهناك عامل آخر يجوز أنه قد أثر في ثقة بنات الطبقة العاملة فى أنفسهن وهو التناقض فى أسلوب الكلام بين هيئة التدريس فى مدارس الحضانه وأمهاتهن. كان لكثير من أمهات الطبقة العاملة نبرات صوت ولهجات قوية، كما كن يستخدمن بعضا من تركيبات القواعد غير القياسية. وفى المقابل، كانت معظم المدرسات من خلفيات الطبقة المتوسطة، لذا كان أسلوبهن فى الكلام وطرق تعاملهن مع الأطفال أقرب بكثير لطبيعة أمهات الطبقة المتوسطة .

وربما تأثرت الطفلات أيضا بأراء أمهاتهن وتوجهاتهن نحو مدرساتهن. عندما عقدنا مقابلات مع الأمهات عقب قيامنا بالتسجيلات بأسابيع قليلة، وجدنا أن أمهات الطبقة العاملة أقل إحساس بالثقة بكثير من أمهات الطبقة المتوسطة فى دورهن التعليمى تجاه المدرسة. وعندما طرحنا عليهن الأسئلة التالية، " فى رأيك، من ذا الذى يغرى الطفلات على الكلام بحرية أكثر: مدرسة الحضانه أم الأمهات؟ " و "كما تعتقدن، من الذى يقول للطفلات أشياء أكثر؟"، أجابت عشرة من أمهات الطبقة العاملة، واثنتان فقط من أمهات الطبقة المتوسطة قائلات: "المدرسة". وبالمثل، عندما سألنا "هل تعتقدن أن الطفلات يتعلمن اللغة أكثر فى مدرسة الحضانه أم فى البيت؟"، أجابت اثنتا عشرة أم من الطبقة المتوسطة واثنتين فقط من أمهات الطبقة العاملة قائلات: "البيت"

يشكل تفسير تلك الإجابات ما يوقع الكآبة فى النفس. إنها توحى بأن أمهات الطبقة المتوسطة كانت لديهن صورة واقعية ودقيقة بالإسهامات النسبية التى تقوم بها المدرسات والأمهات فى النمو اللغوى للطفلات. ومن

جهة أخرى، شاركت أمهات الطبقة العاملة المدرسات فى اعتقادهن بأنهن، أى الأمهات، كن يقدمن لبناتهن حوافز لغوية غير كافية وغير ملائمة. وبنفس الطريقة، كانت لديهن فكرة مبالغ فيها للرعاية عما كانت. المدرسات يقدمنه للطفلات فى المدرسة.

وكانت هناك دلائل أيضا على أن أمهات الطبقة العاملة كان يغلب عليهن تنبيه بناتهن بالطرق التى ينبغى عليهن معاملة مدرساتهن بها. وقالت عشرة من أمهات الطبقة العاملة، وأربعة فقط من أمهات الطبقة المتوسطة أنهن حذرن بناتهن ونبهنهن بألا يسئن السلوك فى المدرسة. وعندما سألتنا والدة "دونا" مثلا، "هل قلت لها أى شىء عما ينبغى أن يكون سلوكها عليه، وهل قلت لها شيئا عن المدرسات؟"، أجابت قائلة: "قلت لها أن تفعل ما تؤمر به، وألا تكون وقحة بأى حال فى تعاملها مع مدرستها. قلت لها إنها لو صادفتها مشكلة مع أطفال أو طفلات أخريات فلا تضربهم أبدا، ولكن تذهب لعرض شكواها على المُدرّسة." ورغم ذلك أضافت قائلة إنها غيرت فى الآونة الأخيرة الوصية الأخيرة حيث إنها استقر رأيها على أن المدرسة ليس لديها الوقت الكافى للفصل فى الشجار بين البنات. وكانت أمهات الطبقة المتوسطة يغلب عليهن أكثر تقديم إجابات من أمثال، "لم أقل لها أى شىء خاص، فيما عدا أن كل شىء هناك سيكون للمرح والتسلية"، أو "فيما عدا أنها يجب أن تقول للمدرسة فى حالة حاجتها للذهاب إلى دورة المياه"

ومن الممكن أيضا أن تكون فوارق الطبقات الاجتماعية فى أنشطة الطفلات التى اخترنها بأنفسهن فى اللعب قد تسببت فى حدوث علاقات مختلفة مع هيئة التدريس بمدارس الحضانة. لقد كانت بنات الطبقة العاملة يمضين غالبية أوقات اللعب الحر وهن يلعبن بالرمل والماء، أو فى أنشطة بدنية بالخارج، لاسيما الركض حول المكان، والتسلق واللعب على المنزلق "أى المكان المنحدر". ومن جهة أخرى، كانت بنات الطبقة المتوسطة يغلب عليهن أكثر قضاء الوقت فى الرسم بالألوان، وصناعة أشياء يدوية، والاستماع للقصص، ولعب ألعاب الطاولة كالشطرنج والدومينو وغيرها

كألعاب تنس الطاولة. (وقد وجدت إحدانا "بربارا تيزارد" صورة مماثلة جدا في دراسة أكبر من دراستنا هذه بكثير حول اللعب في مدارس الحضانة).

ومع أن كل أنشطة مدارس الحضانة تركز نفسها من الناحية النظرية، للمحادثات "التعليمية" مع هيئة التدريس، إلا أنه يُحتمل حدوث ذلك بشكل أكبر في الحقيقة وعلى أرض الواقع، وكما عرضت "سيلفا" علينا من قبل، في أثناء تنفيذ أنواع الأنشطة التي تفضلها طفات الطبقة المتوسطة. ومن جهة أخرى، فإن اللعب بالرمل والماء، والمطاردات التي تتم حول الملعب، فيغلب عليها التسبب في مشاحنات ونزاعات بين الطفات، ثم يلي ذلك التماسات لأعضاء هيئة التدريس بالتدخل للفصل في تلك المشاحنات.

ويستحيل القول ما إذا كان أحد تلك العوامل أو كلها مجتمعة قد لعبت دورا في دعم ثقة طفات الطبقة المتوسطة في المدارس، والتسبب في حالات الإحباط التي تصيب طفات الطبقة العاملة. ويبدو من المحتمل أن عدة عوامل تفاعلت لحدوث ذلك. وأي كان السبب، فمن المدهش وجود نظرة مختلفة نحو المدرسات بشكل واضح في تلك الطفات الصغيرات في مطلع حياتهن المدرسية.

### سلوك المدرسات نحو بنات الطبقة العاملة

إن قلة ثقة تلك البنات في أنفسهن وعدم نضوجهن الواضح قابله اختلاف في معاملة المدرسات لهن. وبدا الأمر وكأنهن كن يضبطن ويُعدّلن أسلوبهن في الكلام لمستوى أدنى عند التحدث مع بنات الطبقة العاملة. وبالتالي فقد كن يقللن من الاستخدام المتكرر للغة في أغراض معقدة عندما كن يخاطبن بنات الطبقة العاملة مقارنة باستخدامهن للغة في هذه الأغراض في أثناء مخاطبة بنات الطبقة المتوسطة. وكان يغلب عليهن أكثر المبادرة بالحديث مع بنات الطبقة العاملة بطرح أسئلة عليهن خفت فيها حدة الطلبات المعرفية لمستوى متدنٍ منها. وكانت المدرسات يقدمن لهن قدرا محدودا من المعلومات، وكن نادرا ما يطلبن منهن تقديم وصف لشيء ما، وكن يغلب



عليهن طرح أسئلة ذهنية سهلة حول وضع أسماء الأشياء على مسمياتها، وذكر أسماء ما يتصل بها، (على سبيل المثال، "ما اسم هذا الشيء؟"، و"ما لونه؟")

وكان سؤال البنات عن أسماء الألوان في الحقيقة محاولة واضحة متكررة من جانب المدرسات لفتح حوار مع بنات الطبقة العاملة. وكانت الحالة المؤكدة هي عدم معرفة عدد من بنات الطبقة العاملة لكثير من أسماء الألوان. ويمكن تبرير هذا التصرف لو سلمنا بأن المدرسات كن يعتبرن أن "تسمية الألوان" هدفا تعليميا مهماً. ومع ذلك، تظهر شكوك على السطح عند النظر لهذا الأمر بطريقة أكثر شمولاً. فبتركيز المدرسات على هذا المطلب البسيط من الناحية الذهنية، أخفقن في تقديم فرص لمحادثات أكثر تطوراً وتقدماً للطفلات. وفي نفس الوقت، فلا بد من أن المحادثات ذات المستوى المتدنى التي كانت تلى السؤال عن لون الأشياء قد عززت اعتقادهن بأن تلك الطفلات لا تقدر إلا على الحوارات البسيطة.

وقد يرجع السبب لبعض هذه الفوارق لميل بنات الطبقة المتوسطة الشديد لاختيار أنشطة تثير استخدام لغة معقدة نسبياً من جانب المدرسات. كان يغلب عليهن، على سبيل المثال، لعب ألعاب المضاهاة بين شيئين، وتصنيف الأشياء مع المدرسات، وأن يطلبن منهن رواية قصص عليهن. ولكن حتى في المحادثات العفوية، كانت المدرسات تتجهن لاستخدام لغة أكثر تعقيداً في الحديث معهن. كانت "لويزي" على سبيل المثال تقوم بعمل يدوي بالقرب من المدرسة عندما لاحظت أن طفلاً آخر يتحدث معها:

الطفلة: ماذا؟ ماذا كان يريد؟

المدرسة: كان يريد أن يأخذ بعض الحليب معه إلى البيت اليوم.

الطفلة: حسناً، يجب ألا يفعل ذلك.

المدرسة: إلا بعدما يمضى وقتاً طويلاً في المدرسة.

الطفلة: نعم.

المدرسة: أنت لا تأخذين الحليب لبيتك إذن، أليس كذلك؟ عندما تأتين للمدرسة في بادئ الأمر، ولا تشربين زجاجة اللبن بالكامل، يمكنك أخذها للبيت.

الطفلة: لقد شربها "دان" عن آخرها، اللبن كله.

المدرسة: حسنا، لم يبق له شيء يأخذه للبيت، أليس كذلك؟  
الطفلة: لا.

المدرسة: لكن لو كان "جيمي" لم يشرب إلا مقداراً ضئيلاً من زجاجته، يمكنه أخذ الباقي لبيته.

الطفلة: كنت طفلة في يوم من الأيام. (وأخذت تناقش هذا الموضوع)

وفجرت "جويس"، وهى من بنات الطبقة العاملة، محادثة على مستوى ذهنى متدنٍ مقارنة بمحادثة "لويزى" مع نفس المدرسة، ربما لمعرفة أن "جويس" غير متأكدة من معانى أسماء الألوان.

الطفلة: أين "جوان" (صديقتها)؟

المدرسة: إنها موجودة فى... أوه لا، إنها ليست... لقد اعتقدت أنها كانت ترسم بالألوان.

الطفلة: أنا قمت بالرسم مرة بالألوان، منذ وقت طويل.

المدرسة: أنت و "جوان"؟

الطفلة: نعم. (فى الحقيقة، لم تكن البنتان ترسمان سوياً من قبل)

المدرسة: ما اللون الذى رسمت به؟

الطفلة: كان عندى اللون الأحمر والأزرق، الأزرق الغامق.

المدرسة: أزرق، أليس كذلك؟ (وتتظر إلى طلاء فيروزي "أزرق  
مخضر" على ذراع "جويس")

الطفلة: نعم، أزرق.

المدرسة: (وهي تمزح) لا أعتقد أنك قمتِ بتلوين صورة. لقد قمتِ  
بتلوين نفسك.

الطفلة: لقد لونت صورة فعلا. إن هذا يبدو وكأنه لون أخضر. (وتتظر  
إلى ذراعها الذي كان عليه طلاء أحمر وفيروزي)  
المدرسة: أخضر؟ لا، هذا لون أحمر، انظري، ها هو.

الطفلة: نعم. إنه يبدو وكأنه دم يخرج من ذراعي، أليس كذلك؟ (وتشير  
لطلاء أحمر على الذراع)

المدرسة: نعم، إنك تتزفين دما، أليس كذلك؟ هل هذا اللون يشبه الدم؟  
(وتشير لطلاء فيروزي على ذراع الطفلة)  
الطفلة: نعم.

المدرسة: نعم؟ هل هذا هو اللون الصحيح للدم؟ ما هو ذلك اللون؟  
("جويس" لا تجيب)

سيلاحظ القارئ أن "جويس"، وليس مدرستها، هي التي رفعت من  
مستوى المحادثة بتقديمها للتشبيه (إحدى الصور البلاغية) الذي ذكرته.

إن الميل لضبط وتكييف مستوى حديث المرء ليصبح على المستوى  
الذي يتخيله لشريكه في الحديث معه ميل عالمي تقريبا لكل من الكبار  
والأطفال عندما يكون الحديث مع أطفال صغار، وربما يساعد ذلك على  
النمو اللغوي للطفل. ومع ذلك، ففي الموقف الذي ننقله هنا، يمكن أن يكون  
التأثير هو مجرد تثبيت استخدام الطفلة للغة وكلمات فجأة. وهكذا، فإنه،  
وبعبدا عن تقديم المدرسة بيئة لغوية تعوض طفلات الطبقة العاملة عما يفقدنه

فى بيوتهن؁ فإن كلا من نوعية وكمية الكلام الذى يتم مخاطبتهن به فى البيت كان يتفوق على نظيره فى المدرسة.

وهكذا فإن دلائلنا هنا تؤيد الرأى الذى سعى "لابوف" جاهدا لتأكيدده بأن أطفال الطبقة العاملة يعطون انطبعا مضللا وغير صحيح عن قدراتهم لمدرسى الحضانة. وربما كان ذلك أحد عوامل تدنى إنجاز الأطفال فى المدارس. فلو كان المدرسون يتجاوبون؁ كما وجدنا فى دراستنا هذه؁ مع قدراتهم الظاهرية فقط؁ وليس مع قدراتهم الحقيقية؁ فإنهم سينزعون للتقليل من قيمة ما يمكن أن ينجزه هؤلاء الأطفال؁ ولتكليفهم بواجبات ومهام ذات مستوى منخفض بشكل غير ملائم ولا يتناسب مع قدراتهم الفعلية. ويمكن لعوائق التقدم من هذا النوع والتي تحدث فى مقتبل العمر أن تصبح تراكمية تصاعدية تتفاقم آثارها بمرور السنين. ويمكن بالطبع إضافة عوامل أخرى؁ مثل عزوف الأطفال والطفلات عن الجلوس لفترات طويلة؁ وأساليب اللغة المختلفة التى تُستخدم فى البيت وفى المدرسة.

### "دونا" فى المدرسة

عرضنا فى الباب الثامن كيف أمضت "دونا"؁ إحدى طفلات الطبقة العاملة؁ عصر أحد الأيام فى البيت. ولم يتم اختيار "دونا" كنموذج لبنات الطبقة العاملة؁ كان الفارق والمدى بين عائلات الطبقة العاملة واسعا للغاية بحق بحيث لا تصلح أسرة بعينها أن يتم اختيارها على أنها أسرة تمثل كل عائلات تلك الطبقة. ومع ذلك؁ أظهرت نشأة "دونا" وتربيتها بعضا من خصائص ومميزات الطبقة العاملة ذات الطابع المتكرر الذى قلما يتغير فى تلك الطبقة. وفى الحقيقة كانت هى وأمها تمثل؁ فى نواح عدة؁ نهاية طرف لسلسلة متصلة من تلك الطبقة الاجتماعية. وكما سنعرض الآن؁ كانت تجارب "دونا" فى بعض النواحي فى المدرسة أيضا نموذجًا لما كان يحدث لطفلات وأطفال الطبقة العاملة؁ رغم أنها كانت حازمة عن غالبيتهم فى علاقاتها بهيئة التدريس.

إن روايتنا للوقت الذي كانت تمضيه "دونا" في المدرسة وتفسيرنا لما كان يحدث لها هناك يسقط من الحساب ما ينبغي أن يكون أهم جانب من جوانب حياتها هناك - وهو اللعب بمفردها وبطريقتها الخاصة - و تفاعلاتها مع الطفلات والأطفال الآخرين. ولقد لعبت محادثاتها مع أعضاء هيئة التدريس، وذلك هو الجانب الذي نركز عليه، دورا بسيط نسبيا فيما كان يحدث لها في الصباح في المدرسة. لقد كانت تقضى معظم وقت اللعب الحر المتاح لها بالخارج، فتجدها تطارد طفلات أخريات، أو فوق موضع الانزلاق، أو فوق دراجة ثلاثية، أو في حفرة الرمل. وفي البيت، وربما يذكر القارئ، كانت تمضى معظم وقتها بالداخل، وهي تتحرك حول أمها وتبادلها أطراف الحديث، فيما عدا الوقت الذي جلستا فيه على درج السلم سويا.

وكان هذا الفارق ينعكس فقط على كمية الكلام المتبادل بينهما. لقد تبادلت "دونا" وأمها فيما بينهما ١٤٧١ دورا من أدوار الكلام خلال فترة واحدة بعد الظهر. أما في صباح يومين في المدرسة، فبلغت محادثات "دونا" مع المدرسات ٢٠١ دورا فقط. ونتج عن محادثتين أجرتهما "دونا" مع أمها في البيت (المحادثتان التي ناقشنا فيها قصائد الحضانة المقفاة، وعملية عد الكعكات) كلامًا يفوق في عدده كل المحادثات التي تمت مع المدرسات مجتمعة.

وتشمل الرواية التالية لصباح أحد أيام "دونا" في المدرسة كل محادثاتها مع هيئة التدريس تقريبا. وقد اخترنا ص باح اليوم الثاني لأن المحادثات فيه كانت أطول عمرا وأقل من الناحية الروتينية من محادثات صباح اليوم الأول؛ وصلت "دونا" للمدرسة صباح ذلك اليوم وهي ممسكة بدميتها بإحكام؛ وكانت قد أحضرت معها الدب اللعبة في اليوم السابق. وقد استخدمت مجموعة من الطفلات تلك الحيلة لسد الثغرة بين البيت والمدرسة، وعادة ما كان ذلك يؤدي لقضائهن بعض الدقائق التي يشوبها القلق عندما توضع لعبتهن في مكان خاطئ. وعندما وصلت "دونا" للمدرسة، وجدت أن

المدرسات قد أعددن نشاطاً غير عادي تقوم به الطفلات. وتم إقناعها بأن تضع دميتهما على الأرض وتمارس النشاط الذي أعددنه للطفلات. كانت المدرسات قد وضعت سلطانيات من ألوان الطلاء على طاولة الطلاء، وعرضن على الطفلات طريقة نفخ فقاعات في الطلاء باستخدام مصاصة. وعندما يكن قد نفخن مجموعة كبيرة من الفقاعات أعلى السلطانية، يصبح عليهن وضع ورقة أعلى الفقاعات، فينقل نقش وشكل الفقاعات ويطبغ على الورقة. وواجهت "دونا" صعوبة في تكوين عدد كاف من الفقاعات، ووجهتها معاونة الحضانة التي كانت تشرف على هذا النشاط على طريقة أداء تلك المهمة:

معاونة الحضانة: عليك أن تجعلى الفقاعات تصل لأعلى نقطة فى السلطانية، يا دونا، قربيها منك أكثر. حسنا، عليك أن تستمرى فى النفخ فى المصاصة حتى تصل الفقاعات لأعلى نقطة تماما. إنها لا ترتفع بالشكل الصحيح... افعلها مرة أخرى. (ونفخت دونا فى المصاصة ونتج عن ذلك فقاعات أكثر). عليك بالنفخ حتى تصل الفقاعات لقمة الطبق ثم نصنع شكلا بتلك الفقاعات (تشير المساعدة لفقاعات طفلة أخرى تم تكوينها بنجاح أكثر مما صنعتها دونا). انظرى، حتى أعلى نقطة فى القمة... انظرى مثل هذا، دونا... الفقاعات تصل لقمة السلطانية. (دونا تصل ببعض الفقاعات لقمة السلطانية، وتضع ورقة فوقها. وعرضت ورقتها على المدرسات، ولم يكن الرسم المطبوع عليها جيدا)

الطفلة: ها هى.

معاونة الحضانة : (ضاحكة عندما رأت ورقة الطفلة) إنك لم تتفخى فيها بالقوة الكافية. أنت لم تصلى بالفقاعات لأعلى بالدرجة الكافية، أليس كذلك؟

وذهبت معاونة الحضانة بعيدا ثم عادت بطلاء جاف إضافى لتضعه

فى السلاطين وبيعض الفرش لخلط الطلاء بها. وخلطت "دونا" الطلاء الذى وُضع لها حتى قررت معاونة الحضانة أنه أصبح مخلوطا بشكل جيد يفى بالغرض.

معاونة الحضانة: هذا هو المطلوب تماما. لن تحتاجى لتلك الفرش ثانية. لقد تم خلط الطلاء كله. (ونفخت دونا فصنعت بعض الفقاعات الإضافية وبدأت تضع الورقة فوقها)

الطفلة: انظرى! انظرى!

معاونة الحضانة: لا أعتقد أن الفقاعات مرتفعة بالقدر الكافى، يا دونا. أضيفى القليل منه. القليل يا دونا. ونفخت دونا فصنعت بعض الفقاعات الإضافية و حاولت عرضها على هيئة التدريس)

الطفلة: انظرى! انظرى! أوه لقد هبطت الفقاعات مرة أخرى! (شعرت دونا بالضيق من نفسها. ونفخت فقاعات أكثر وحاولت شد انتباه المدرسة المساعدة) انظرى! انظرى! (ولم يكن للمساعدة أى رد فعل إذ إنها كانت مشغولة مع الطفلات الأخريات. وأخيرا عادت إلى "دونا")

معاونة الحضانة: هل تريدن صنعها مرة أخرى؟ (دونا تومئ بالموافقة) أنت لم تصنعى واحدة بعد، أليس كذلك؟ إن هذه المرة لم ينتج عنها أى شىء بعد، أليس كذلك؟ إنك لم ترفعى الفقاعات لتصل إلى قمة السلطانية بعد.

الطفلة: لقد رفعتها فعلا حتى هذا المكان (والتفتت لصديقتها "كيفين" الجالسة بجوارها) ألم أفعل ذلك يا كيفين؟ (وبدأت تنفخ من جديد، وأدت المهمة بنجاح هذه المرة)

معاونة الحضانة: (للطفلة الأخرى) أوه، انظرى، لقد فعلتها دونا! (ووجهت كلامها لدونا) تعالى إذا، يا "دونا"، ضعى ورقتك

بسرعة قبل أن تختفى الفقاعات (وضعت دونا الورقة ورفعتهما  
لعرضها على معاونة الحضانة)

الطفلة: انظري!

معاونة الحضانة: أحسن، أليس كذلك؟ حاولي مرة أخرى، تستطيعين  
عملها مرة أخرى إذن، أليس كذلك؟ (دونا ترفع الفقاعات بالنفخ  
لأعلى مرة أخرى)

الطفلة: انظري! (المدرسة المساعدة تعطي دونا ورقتها الأولى مرة  
أخرى)

معاونة الحضانة: ضعي هذه الورقة مرة أخرى لأنها غير... واضحة.  
لا تضغطي عليها في منتصفها، هيا.

الطفلة: (ترفع الورقة) ممكن أعملها مرة أخرى؟

معاونة الحضانة: لا، سنطلب من واحدة أخرى عملها الآن. (ووجهت  
كلامها لدونا و كيفين) إذن اذهبا أنتما الاثنان واغسلا أيديكما، لقد  
أمضيتما هنا وقتا طويلا.

وغسلت "دونا" يديها، ذهبت لوعاء الرمل الجاف في الركن الآخر من  
الحجرة.

لقد ساعدت معاونة الحضانة "دونا" على اكتساب مهارة محددة، وهي  
عمل رسومات من فقاعات الطلاء. واستمتعت "دونا" بهذا النشاط، ويشك  
المرء قليلا أنها ما كانت لتنتج رسما جذابا على ورقتها دون تعليمات معاونة  
الحضانة. وكانت أنشطة مدرسة الحضانة من هذا النوع تبدو وكأن الهدف  
منها هو إظهار كيفية استخدام مادة ما في طرق جديدة وخلقة. ومن الصعب  
أن نعرف ما إذا كانت ملكة الإبداع عند "دونا" قد زادت بهذه التجربة: من  
المؤكد أنهم كانوا سيعاقبونها في البيت لو حاولت تكرار هذا النشاط.

أمضت "دونا" بعد ذلك حوالي عشرين دقيقة وهي تلعب بالرمل الجاف  
وتبادل بنات أخريات أطراف الحديث. وخلال ذلك الوقت، كانت المحادثة



الوحيدة التي أجرتها مع أي مدرسة من هيئة التدريس عندما تشاجرت مع "كيفين" بسبب أحد المجاريف. وجاءت مدرسة الحضانة وأشارت لها إلى مجراف آخر يمكنها استخدامه:

المُدرسة: هناك مجراف آخر، تمام

الطفلة: (وهي تتوح) لا أريد ذلك المجراف.

المُدرسة: عليك بالمشاركة. أعتقد أن "كيفين" كانت تستخدمه في بادئ الأمر من قبلك يا "دونا".

الطفلة: (وهي تتوح) أنا التي...

المُدرسة: هل أنت متأكدة من ذلك؟

الطفلة: (وهي تتوح) نعم.

المُدرسة: سأعيده لك بعد دقيقة، حسنا؟ (واتجهت إلى كيفين) عندما تنتهى. (ثم وجهت الكلام لهما معا) يمكنكما الذهاب وشرب الحليب الخاص بكما، على أي حال.

وقبلت "دونا" بذلك، واستمرت في اللعب بالرمل. وبعد قليل ذهبت لطاولة الحليب، التي كانت تشرف عليها طالبة التربية العملية، والتقطت زجاجة كاملة من الحليب:

الطفلة: أنا معى نصف زجاجة.

طالبة التربية العملية: هذا ليس نصف زجاجة، إنها (تقصد أنصاف الزجاجات) فى القفص، تمام يا "دونا"؟

(لكن "دونا" بدأت تشرب من الزجاجة الكاملة) انتظري دقيقة يا "دونا"، انتظري دقيقة. ممكن تنتظري دقيقة؟ أعيدنها إلى القفص يا "دونا". (وأخيرا أعادت "دونا" زجاجة الحليب الكاملة إلى القفص والتقطت نصف زجاجة. وشربتها عن آخرها، وعرضتها على طالبة التربية العملية)

الطفلة: انظري!

طالبة التربية العملية: هذا أفضل يا "دونا". اذهبي وضعي زجاجتك بعيدا هناك.

ووضعت "دونا" زجاجتها بعيدا، ثم تذكرت الدمية التي أحضرتها معها للمدرسة في الصباح. وسألت طالبة التربية العملية:

الطفلة: أين دميتي؟ دميتي؟

طالبة التربية العملية: لا أعرف أين هي.

ولحسن الحظ، كانت مدرستها تمر بجوارها في تلك اللحظة وسمعت سؤال "دونا":

المدرسة: وضعتها لك على طاولتي، فهمتي، لأنها كانت على وشك أن تمتلئ بألوان الطلاء.

الطفلة: نعم.

وأخذت المدرسة بيد "دونا"، وذهبتا سويا لتأخذ "دونا" دميتها. والنقطت "دونا" دميتها وذهبت للخارج لتلعب في حفرة الرمل. وأمضت أكثر من ثلاثين دقيقة هناك، وقضت معظم وقتها هذا وهي تلعب وتجذب أطراف الحديث مع طفلات أخريات. ومع ذلك، كانت طالبة مربية تحت التمرين في مدرسة الحضانة تشرف على حفرة الرمل تلك، وحدثت عدة محادثات قصيرة هناك. وحدث أن قالت "دونا" بنعومة لنفسها، "صندل، صندل، صندل" ثم قال لتلك الطالبة المربية بصوت أعلى:

الطفلة: لا يمكنك صنع صندل من الرمل.

الطالبة: لا، إن الرمل ناعم أكثر من اللازم، أليس كذلك؟

وفيما بعد، علقت "دونا" لصديقتها، التي كانت تلعب بجوارها:

الطفلة: إننا معنا نفس المجراف.

الطالبة: نعم، لهما نفس اللون، أليس كذلك؟ وكل شيء!

وبعد ذلك بقليل، مثلت بعض البنات الأخريات أنهن تُطمعن التلميذة التي تقوم بدور المربية بكعكات مصنوعة من الرمل. ومع ذلك، لم تُشرك نفسها في هذه اللعبة. وبعد ذلك، حاولت طفلة أخرى "جيمي" أن تأخذ دلو "دونا". وصاحت "دونا" قائلة "لا، لا، لا" بشكل متكرر، وكانت كما يبدو تحاول بذلك الحصول على مساعدة الطالبة المربية تحت التمرين. وقامت تلك الطالبة المربية بتوبيخ المعتدية، لكن "جيمي" حاولت بعد ذلك أخذ مجراف "دونا". وصاحت "دونا" ثانية وهي تقول "لا! أنا أول من حصلت على هذا المجراف، لكن الطالبة المربية تجاهلتها في هذا المرة، واستخدمت "دونا" مجرافاً آخر في النهاية. وعقب ذلك، ساعدت الطالبة المربية "جيمي" على إفراغ دلو الرمل الذي كان معها. وهنا انفجرت نزعة "دونا" العدوانية وحطمتها بمجرافها. وأخذت الطالبة المربية الموضوع بكل لطف:

الطالبة المربية: لقد كسرت كعكاتنا؟ يا خسارة. كيف سنأكلها الآن؟

وهزت "دونا" كتفيها ولم ترد. وعادت للشجار مع "جيمي"، وتجاهلت دعوة من الطالبة لأخذ "قطعة كيك". ومع ذلك، انخرطت فيما بعد في لعبة خيالية مع تلك الطالبة. وادعت إحدى الطفلات الأخريات أنها كانت تصنع "قطيرة تفاح" من الرمل، وقالت "دونا" إنها كانت تصنع مثلها أيضاً:

الطفلة: كذلك أنا.

الطالبة: أنت تصنعين فطيرة تفاح أيضاً. أووه، سيكون على أخذ شيء منها إذا، لأنى أحب فطيرة التفاح (دفعت دونا بدلها بالكامل تجاه التلميذة)

الطفلة: إليك شيء منها.

الطالبة: ما هذا؟ (لا جواب) هل تلك فطيرة تفاح وخردل. أووه، إن هذا طعم جميل (وتدعى أنها تأكل) هل تناولت قطعة منها؟ (وتقدم الدلو لـ "دونا": وادعت "دونا" أنها أكلت شيئاً من الفطيرة)

الطفلة: سأصنع فطيرة أخرى الآن.

الطالبة: تصنعين واحدة ثانية؟ ماذا ستصنعين هذه المرة؟

الطفلة: فطيرة تفاح بالخردل أخرى.

الطالبة: فطيرة تفاح بالخردل أخرى؟

الطفلة: نعم.

وذهبت الطالبة بالداخل، واستمرت "دونا" تلعب فى حفرة الرمل. وعندما عادت الطالبة لكنس الرمل، أخبرتها "دونا" أنها كانت قد ملأت دلوها. ورأت الطالبة المربية دمية "دونا" جالسة على حفرة الرمل، وعرضت عليها وضعها بالداخل.

وعندما عادت، عرضت عليها الطفلات الأخريات الموجودات فى حفرة الرمل "كعكات" أخريات. وشاركت "دونا" فى اللعبة:

الطفلة: تفضلى بعضاً من الكعك!

الطالبة المربية: وما نوع الكعكة هذه؟

الطفلة: نوعها... أبيض.

الطالبة المربية: كعكة بيضاء. هذا شيء جميل.

وعند هذا الحد انسحبت "دونا" من اللعبة الخيالية، وعادت لملء الأوعية بالرمل. وأخيراً، وبعد فترة طويلة فى حفرة الرمل، لعبت "دونا" على مكان الانزلاق، ثم ذهبت للطالبة وأمسكت بيدها. واقترحت عليها الطالبة أداء عدة أشياء، لكن "دونا" هزت رأسها فقط معلنة بذلك رفض كل العروض. وحين الوقت بسرعة للدخول لتناول وجبة خفيفة والاستماع لقصة. وطلبت طالبة التربية العملية من "دونا" غسل يديها، لكنها رفضت.

الطفلة: لا أريد ذلك.

الطالبة: لماذا ذلك إذن؟

الطفلة: لقد غسلت يداي في البيت.

ومع ذلك ذهبت "دونا" لغرفة الاغتسال مع الطالبة المربية تحت التمرين وطفلات أخريات. وحاولت الطالبة المربية أيضا أن تجعلها تغسل يديها:

الطالبة: يا "دونا" تعالي واغسلي يديك.

الطفلة: غسلتهما في البيت.

الطالبة: هيا، تعالي!

الطفلة: غسلتهما في البيت.

الطالبة: اغسليهما هنا أيضا. "دونا" استخدمى الحمام.

الطفلة: لست بحاجة لذلك.

الطالبة: حاولي.

ودخلت "دونا" الحمام، وغسلت يديها ثم ذهبت لتناول الوجبة الخفيفة وسماع القصة. وبعد ذلك تجولت قليلا في المكان، ثم ذهبت لحفرة الرمل مرة أخرى. وأمضت بعض الوقت في حفرة الرمل، وعادت بعد ذلك للداخل لتتظر مع الطفلات الأخريات حتى يحين الوقت لحصة الموسيقى، وهي التي تنتهي بها الفترة الصباحية.

وبدا على "دونا" أنها استمتعت بصباحها في المدرسة. وربما تكون قد استفادت من الركض حول المكان، والاختلاط بطفلات أخريات، ومن فترات الاسترخاء الطويلة التي قضتها كما تريد بطريقتها الخاصة وحدها ومع طفلات أخريات في حفرة الرمل. وكانت أيضا تتعلم التعليمات المدرسية، وأخذ دورها كعضو في جماعة كبيرة في حصص القصة والموسيقى. وربما استفادت هي وأمها بقضاء فترة قل فيها التوتر العاطفي وهما بعيدتان عن بعضهما.

ومن الصعب أن نرى ما إذا كانت تلك المدرسة تقدم الكثير لـ "دونا" من الناحية الذهنية. لقد كان القصد من النشاط التعليمي المحدد الذي حدث، وهو إظهار طرق عمل رسوم أو نقش من فقااعات الطلاب، هو تعزيز ملكة الإبداع بعرض الطرق المتنوعة التي يمكن أن تُستخدم مع أدوات عادية مألوفة. إن أوجه النشاط من ذلك النوع (على سبيل المثال: طلاء القدم، وطلاء الأصابع) ليست أمورًا غير شائعة في مدارس الحضانة، وتستمع بها الطفلات. ومع ذلك، يجب أن تخدم حقيقة كونها تسير في اتجاه مضاد لقيم البيوت وأولوياتها في توسيع الهوية بين المدرسة والبيت بالنسبة للأباء والأطفال على السواء، وقد تكون هذه الأنشطة غير مثمرة من وجهة النظر هذه. لم يتم توسيع الآفاق الذهنية الضيقة من عالم "دونا" في المدرسة. لم يحدث شيء في صباح أي يوم من اليومين اللذين قمنا بالتسجيل فيهما يمكن أن يُوسّع معلوماتها العامة، أو مفرداتها اللغوية، أو فهمها لعالمها الخاص. صحيح أن هيئة التدريس شجعت "دونا" في الاشتراك في اللعب الخيالي أو التمثيل، لكن اشتراكها كان قليلا للغاية وتقوم فيه بتقليد الآخرين فقط، مما جعل خيالها شبه ثابت ويكاد يكون بلا أي توسع.

لقد تم كبت سلوك "دونا" مع المدرسات. لم يكن ذلك في أنها كانت تتجنب المدرسات وتبتعد عنهن؛ - فقد كانت هي البائدة بالكلام في ٤٠% من محادثاتها معهن، وكانت هي المبادرة في نصف تلك المحادثات بإخبارها إحدى المدرسات عما كانت تقوم بعمله. ومع ذلك كانت إسهاماتها الأخرى في المحادثات محدودة للغاية: لقد امتدت نسبة ٨٤٪ من المحادثات لمدة ستة أدوار من الكلام فقط، أو أقل من ذلك أحيانا. وسيكون القارئ قد لاحظ أن الملاحظات التي أبدتها كانت قصيرة للغاية. لقد أسهمت "دونا" بما نسبته ٢٣٪ من الملاحظات التي تطيل من عمر المحادثات عندما كانت تتكلم مع أي من أعضاء هيئة التدريس، وذلك مقارنة بنسبة ٤٩٪ من تلك الملاحظات في الكلام مع أمها. ولم تسأل "دونا" أي سؤال سببي، واستخدمت اللغة في أغراض معقدة تسع مرات فقط في صباح يومين في المدرسة. لكنها طرحت

سبعة وعشرين سؤالاً سببياً في البيت في فترة ما بعد الظهر، واستخدمت اللغة اثنتين وتسعين مرة في أغراض معقدة.

ومع ذلك، فكان من الواضح أن "دونا" سعت لإيجاد صلة ما مع هيئة التدريس، لاسيما مع الطالبة المربية تحت التمرين. وانضمت عدة مرات لطفلات أخريات، على قصر المدة التي كانت تقضيها معهن، في تقديم طعام خيالي للطالبة المربية، وعندما أحست بالتعب، وقفت صامتة بجوارها، ممسكة بيدها. ومع ذلك، فقد ظهر في المدرسة شيء من "دونا" المحبة للنزاع كما عرفت أمها. لقد كانت نزاعة لمقاومة النظام المدرسي متناقضة مع ملاحظات هيئة التدريس أكثر من معظم بنات الطبقة العاملة، وكانت طفلة غير قياسية وشاذة في هذه الناحية.

لو نظر القارئ مرة أخرى لحكاية "دونا" عصر يوم ما مع أمها (الباب السابع)، فلسوف يجد تناقضا مثيرا. إن العمق والشدة تسود المحادثات التي تمت في البيت، وهو الشيء الغائب تماما تقريبا عن محادثات المدرسة. إن محاولات "دونا" المضنية لإدراك عالمها وفهمه، واهتمام أمها الزائد بأنها ينبغي أن تفهم، أمور لا يوجد ما يوازيها في المدرسة. وبدأت نوايا أمها التعليمية، سواء بالنسبة لقول "دونا" قصتها الخيالية بشكلها الصحيح، أو لتعلمها الحروف والأرقام، أو لفهمها السبب الذي يجعل أمها غير قادرة على اللعب معها، وأبيها غير قادر على تناول الغداء معهم، أكثر جدية والتزاما بالتنفيذ من أي نوايا أو مقاصد لهيئة التدريس.

### الخلاصة

عرضنا في هذا الباب كيف صار حال طفلات الطبقة العاملة على وجه العموم، و "دونا" على وجه الخصوص في المدرسة. وصدقنا على رأى "لابوف" الثابت أن تلك البنات كن يتأثرن تأثرا عكسيا ومناوئا بعلاقاتهن مع الكبار من خلال المحيط المدرسي؛ بمعنى أنهن بدأ عليهن في نواح كثيرة ومتعددة أكثر إحساسا بالخضوع والقهر، وعدم الاكتمال والنضج عما كانت حالتهم في البيت.

ولأن المدرسات ضيطن مطالبهن وأسئلتهن طبقا لاعتقادهن الخاطئ؛  
بعدم اكتمال نضج الطفلات وقصورهن، لم يحدث بأى شكل أن قمن  
"بتعويض" أو بعلاج أى قصور فى بيوتهن. على العكس من ذلك، فقد كانت  
نوعية وكمية اللغة التى كانت الأمهات تخاطبهن بها أرفع وأعلى مرتبة عما  
كان يحدث فى المدرسة، ولم تقدم هيئة التدريس عموما إضافات لمعلومات  
الطفلات العامة والمفردات اللغوية الخاصة بهن، والتى كان يمكن أن تكون  
تتمة للتعليم فى البيوت.

وتقترح نتائج بحثنا احتمال اشتراك عوامل أخرى فى أصل الفوارق  
التي تحدث فى بلوغ الأهداف التعليمية لتلك المجموعتين من البنات. ونحن  
لا يمكن أن نقول من خلال هذه الدراسة أى عامل من بين هذه العوامل، إن  
وُجد، هو المسئول عما يحدث من فوارق. أما ما نعرفه يقينا هو أنه كان يبدو  
على طفلات الطبقة العاملة أنهم فى وضع غير موات وظروف مُعَوَّقة وهن  
فى مدارس الحضانة.





## الثغرة بين البيت ومدرسة الحضانة

لو أن الآباء فهموا فقط ما الذي نحاول عمله في المدرسة، لكان من الممكن وجود "حضانة" للأطفال طول اليوم في البيت". إن تلك الملاحظة التي أدلى بها مدرس مهتم بشئون الأطفال بمدارس رياض الأطفال، تعبر عن وجهة نظر منتشرة على نطاق واسع. وهي تلمح أيضا إلى أن المهنيين المحترفين يعرفون أكثر من الآباء كيف يُعلمون أطفالهم. كما تشير أيضا إلى أن الآباء ينبغي أن يصيغوا أنفسهم بحيث يصبحوا كالمدرسين. ولقد حاولنا أن نظهر في هذا الكتاب خطأ وجهات النظر تلك. إن البيت ليس بديلا أقل في قيمته وأهميته عن المدرسة بأية حال. على العكس من ذلك، فهو يقدم بيئة تعليمية قوية للأطفال الصغار، لكنها بيئة تختلف اختلافا كبيرا عن بيئة المدرسة. وسوف نناقش في هذا الباب الثغرة التي توجد بين هذين العالمين، والصعوبة الحقيقية للغاية في سد تلك الثغرة.

لقد خلقت مدارس الحضانة والفضول في دراستنا بيئة من اللعب محورها الطفل كان للطفلات فيها مقابلات قليلة مع الكبار. وعندما كانت البنات يقابلن هيئة العاملين في المدرسة بالفعل، كن يجدن أن توقعات وآمال المدرسات وغيرهن في المدرسة في تلك البنات تختلف كثيرا عن آمال وتوقعات أمهاتهن فيهن. كانت المدرسة تشجع البنات على مزاوله بعض الأنشطة تستدعي العقوبة لو زاولتها أي بنت في البيت، على سبيل المثال: اللعب بالماء، أو عمل بصمات أو آثار للقدم أو نفخ فقاعات في ألوان الطلاب. ومن جهة أخرى، كان على البنات أن يتعلمن أن هناك من الأنشطة المسموح بها في البيت التي لن يكون مسموحًا بمزاولتها في المدرسة. على سبيل المثال: القرارات التي كانت البنات تتخذها في البيت من تلقاء أنفسهن، أو يتفاوضن بشأنها مع أمهاتهن - الوقت الذي تغسل الواحدة منهن يديها فيه، أو

تدخل في مكان معين، أو تستمع فيه إلى قصة - كانت كل تلك قرارات تتخذها هيئة العاملين في المدرسة كجزء من الروتين المدرسي الذي يجب أن تتعلم الطفلات اتباعه.

وكانت المدرسات يخاطبن البنات بطريقة تختلف كثيرا عن الطريقة التي كانت أمهاتهن يخاطبنهن بها. وعادة ما كانت مقابلاتهن مع المدرسات قصيرة للغاية. وكانت المدرسات تتوقع منهن الإجابة على عدد هائل من الأسئلة عما كن يفعلنه في المدرسة. وكان حديثهن مع الطفلات منصبا في الأساس على اللعب، وليس على المجال الواسع من الموضوعات التي كانت تبرز خلال سير الحياة اليومية في البيت. وعلى عكس الكثير من الأمهات، كانت المدرسات يحتفظن بهدوئهن الشديد، حتى لو تناقضت الطفلات مع آرائهن أو جادلنهن في السلطة المُوَلَّدة لهن. وكما سنراه معروضا في هذا الباب، كثيرا ما وجدت الطفلات صعوبة في جعل المدرسات يفهم ما يقننه لهن.

وكانت الطفلات تستجيبين للفارق بين هذين الوضعين بأن يتصرفن هن الأخريات بطريقة مختلفة؛ فكن ينزغن إلى الرد على أسئلة المدرسات باختصار، أو لا يجبن عليها مطلقا. ونادرا ما كن يطرحن أسئلة خاصة بهن على المدرسات، ونادرا أيضا ما يقدمن ذلك النوع من الملاحظات التلقائية التي تحافظ على استمرارية المحادثة. وكانت تلك الميزات تُلاحظ بوضوح أكثر في حالات طفلات الطبقة العاملة.

لقد خرجت كل هذه النتائج بعد مقارنة شاملة بين الطفلات في البيت وفي المدرسة. لكن اختلف مدى تأثير سلوك الطفلات في المدرسة من طفلة إلى أخرى. لم يكن هناك ارتباطات أو علاقات متبادلة مهمة بين سلوك الطفلات في البيت وسلوكهن في المدرسة، فمثلا: لم تكن البنات اللاتي تكلمن كثيرا مع أمهاتهن يتكلمن أكثر من غيرهن من الطفلات بالضرورة مع مدرساتهن؛ فبعضهن كن يفعلن ذلك، والبعض الآخر لم يفعلن ذلك.

## القيام بمحاولات لسد الثغرة: محاولات الطفلات فى المدرسة

لقد قامت كل الأطراف المعنية - المدرسات والآباء والطفلات - بمحاولات لسد الثغرة بين البيت والمدرسة. وكما سنرى، فإن هذا العمل البطولى كان أشق على المدرسات منه على الأمهات.

ولقد قامت معظم الطفلات بمحاولات إيجابية لربط حياتهن المنزلية بالمدرسة. ومن بين الطرق التى لجأت إليها إحداهن لتحقيق ذلك كانت إحضار لعبة أطفال مفضلة، أو دمية أو دُب لعبة معها للمدرسة. وكانت معظم المدارس فى دراستنا هذه متسامحة جدا فى هذه الناحية. ومن بين الطرق الأخرى التى حاولتها الطفلات كانت حديثهن مع المدرسات عن حياتهن فى البيت. وكثيرا ما حدث ذلك بينما كانت المُدرسة تقرأ قصة عليهن.

وفى نهاية الفترة الصباحية، كانت غالبية المدرسات تقرأ للصف بأكمله. وكان القصد من تلك الحصص من عدة جهات أن تكون بشيرة ومقدمة لنوع التجربة التى ستمر بها الطفلات عندما ينتقلن للمدارس الابتدائية. وكانت بعض الطفلات تنصت للقصص بشكل مركز، وتململت أخريات وبدا عليهن الإحساس بالضيق والضجر. و كانت قراء القصص بالنسبة لكثيرات منهن هى الوقت الذى يجلسن فيه فارديات ظهورهن للخلف لإعادة شحن بطارياتهن. وكنت تراهن وهن يرضعن أصابعهن، و قتل شعورهن، والتشبث بلعب الدبية فى أيديهن. وكانت طفلات أخريات تجعلن أنفسهن تشعرن بقدر أوفر من الراحة بالتعليق على الأشياء التى تربط بين حوادث القصة وتجاربهن المنزلية. على سبيل المثال، قد تكون القصة حول قطة مدللة، فتصيح طفلة أو طفلتين قائلتين، "عندنا قطة فى البيت" أو "إن قطنتا مخططة مثل هذه القطة"، وما إلى ذلك. وكانت مشكلة المدرسة أنها لو تجاوبت مع أمثال تلك التعليقات بشكل يُشجع الطفلات على المواصلة، فإنهن سيمطرنها بوابل من هذه الإسهامات حول نفس الموضوعات أو موضوعات

متصلة بها؛ "نحن عندنا كلب، يا أستاذة"، أو "لقد مات بيغاننا الأسترالى الأسبوع الماضى"، وما إلى ذلك. ولكى تستمر المدرسة على الإطلاق فى حصة القصة، تطلب منهن التوقف تماما عن تقديم أى إسهامات أو تعليقات. وبهذا الشكل توشك فرصة إيجاد روابط بين تجارب الطلبة الخاصة والقصة التى تستمع إليها على الضياع بشكل حتمى.

وقد يبدو أن تقدم حصص قصص أكثر خصوصية، وذلك عندما كانت المدرسة تقرأ على طفلتين أو ثلاث فقط، إمكانية أفضل للربط بين خبرات البيت والخبرات المدرسية. ومع ذلك، فكانت العادة أن تحكم المدرسات على تلك التعليقات بأنها خروج عن النظام فى تلك المناسبات، لأن المدرسة تكون فى حالة تتبع لإنجاز الأهداف التعليمية من وراء قراءة القصة. فقد تكون عندها النية، مثلا، أن تجعل الطفلات يتبأن بما سيحدث بعد ذلك فى القصة، أو يفسرن معنى كلمة ما وردت فيها. وحتى لو طلبت المدرسة من الطفلات أن يربطن بين القصة وحياتهن المنزلية (هل قطنكم تنام على الأريكة؟)، فإنها تدرك فى الحال أنها لا بد من أن تغلق بوابات فيضان الإجابات إذا كان لها أن تتابع أهدافها الرئيسية.

وكانت بعض الطفلات تفتحن المدرسات فى أوقات أخرى بأسرار تخص حياتهن المنزلية. وخلال مراقبتنا لهن، بدأت اثنتا عشرة طفلة من الطبقة المتوسطة وسبعة طفلات من الطبقة العاملة محادثة واحدة على الأقل بهذه الطريقة. وكانت الإباحة بأسرار من هذا النوع تقتضى وجود مهارات تواصل متقدمة ومتطورة إلى حد كبير، حيث إن المدرسات لم تكن تعرفن شيئا تقريبا عن ظروف وتجارب الطفلات المنزلية. فكان ذلك الإجراء يتطلب فى المقام الأول أن تكون الطفلات مقدرات ما تحتاجه المدرسات البوح به لهن حتى يفهمتهن. ولقد عرضنا فى الباب الخامس أن بعض الطفلات كانت قد قطعت بالفعل شوطا معينا لاكتساب تلك المهارة، لكنه كان هناك مدى معقولا من الاحترام فيما بينهن. كما كانت تلك المهارة تتطلب أيضا أن تعرف الطفلات كيف تعطى المدرسات المعلومات المناسبة فى إطار

واضح ويسهل على المدرسات فهمه واستيعابه. وكان يمكن مساعدتهن على ذلك لو أن المدرسات سألن الأسئلة الصحيحة في مثل تلك المواقف، لكن ذلك لم يكن يحدث بشكل دائم.

وقد فشلت المحادثة التالية في إقامة حالة التواصل، لأن "لين" لم تشرح أن "بولي" كانت كلب جدها الذي كان قد أمضى لتوه الليلة معها، ولم تسأل معاونة الحضانة من كان "بولي" هذا، أو أين كان يقع بيت "لين":

الطفلة: لقد عاد "بولي". طلع "بولي" علينا بالأمس، لكنه عاد لبيته.  
"بولي".

معاونة المدرسة: "بولي"؟

الطفلة: نعم، "بولي" حبيبي.

معاونة المدرسة: أوه!

الطفلة: تناولنا بعض البسكويت سويًا هناك. وعندما أخذناه لبيته، قدم لنا بعض الحلوى.

معاونة المدرسة: أوه، كان ذلك شيئًا لطيفًا منه.

الطفلة: علبة منها.

معاونة المدرسة: علبة منها؟ من أي نوع؟ (الطفلة لم تجب عليها، وتتكلم المدرسة مع طفلات أخريات)

حتى الطفلات اللاتي كانت تلفظن كلماتهن بوضوح، اصطدمن بعقبات ومشاكل وهن يتحدثن لمدرسات حاولن مساعدتهن على إيضاح معاني ما كن يقصدن قوله، كما كان الحال مع "كاثي":

الطفلة: إن جدتي عندها هامبر - دامبر. (لوح بلاستيك له يدان يُستخدم في جمع نفايات الحديقة)

المدرسة: ما هو الهامبر - دامبر؟

الطفلة: إنك تضعين كل النفايات فوقه.

المدرسة: هامبر - دامبر؟

الطفلة: نعم.

المدرسة: لكل النفايات من الحديقة؟

الطفلة: نعم

المدرسة: أوه... ماذا يحدث له عندما يمتلأ بالنفايات؟

الطفلة: حسنا انظري... إنهم يأخذون... أخذت "تارا" الكثير جدا...  
حتى إنها سقطت جميعها... حتى إن بعضا منها سقط على  
الأرض.

المدرسة: هل حدث ذلك؟

الطفلة: نعم

المدرسة: خسارة، ستضطرون لشراء واحد آخر؟

الطفلة: لكنه فعل... لم يكن الأمر مهما لأنه لم ينتهى. ما زالت جدتى  
لديها هذا الهامبر - دامبر.

المدرسة: من حسن حظها.

ينبغي مقارنة مثل هذه المحادثات بتلك التي كانت بين نفس الطفلة  
"كاشي" وأمها والتي انسابت بلا أى جهد لأنها كانت مبنية على مجموعة  
مشتركة من التجارب والخبرات.

وهناك مشكلة أخرى للطفلات وهن فى هذا العمر فى التحدث  
والتواصل مع شخص لم يشاركهن تجاربهن وخبراتهم السابقة؛ وتلك هى  
عدم دقة وكفاية جزء من الإطار الفكرى الأساسى لكل منهن، وتلك قضية  
تمت مناقشتها فى الباب الخامس. مثلا نجد الطفلات صعوبة شديدة فى

وصف موقع مكان ما، بسبب معرفتهن المفتتة لعلاقات المساحات الفضائية بين الأماكن. وتمكنت "إيريك" تقريبا من النجاح في هذه المهمة. ولم يساعدها أحد عندما أخطأت المدرسات سماع ما قالت. كانت معاونة المدرسة تحيك شيئا في ركن الكتاب عندما اقتربت "إيريك" منها:

الطفلة: إن أبى يأخذنى لحديقة الحيوانات.

المعاونة: أى حديقة حيوانات هذه؟ حديقة حيوانات لندن؟

الطفلة: لا، حديقة الحيوانات الموجودة وسط الشارع.

المعاونة: وسط الشارع؟ أين هى؟ هل هى بالقرب منكم؟

الطفلة: نعم، إنها تعيش على بعد طريق طويل خارج المدينة.

المعاونة: بعيد عن هنا؟

الطفلة: نعم. إنها أقرب من هذا المكان الذى نحن فيه أكثر من قريبا من بيتنا.

المعاونة: إنها أقرب من بيتكم، أليس كذلك؟

الطفلة: أقرب من بيتكم. أقرب للمدرسة أكثر من قريبا من بيتنا.

المعاونة: ماذا رأيتِ فى حديقة الحيوانات؟ (واستمرت المحادثة)

وكان التواصل ينهار فى بعض الأحيان بسبب فهم الطفلة غير الدقيق أو الخاطئ للمفاهيم التى تستخدمها. حدث ذلك مع أكبر طفلة متقدمة ذهنيا وأفصح طفلة بيانا فى ذراستنا، وهى "بيت" التى نقلنا حديثها عن الأسطح المنحدرة للبنىات فى الباب الخامس. وظهر فى المحادثة التالية أن "بيت" لم يكن لديها فكرة خاطئة فقط عما كان سيحدث فى المدرسة مستقبلا (لم يكن قد تم التخطيط لأى حدث بعد)، بل إنها كانت أيضا تقدم معنى خاطئا لكلمة "متحف"، كما كان فهمها محدودا للغاية عن طبيعة الكنيسة.



كانت "بيث" تتحدث مع معاونة الحضانة التي كانت تصلح إحدى الآلات عندما سألتها فجأة:

الطفلة: حسنا، متى سيكون المتحف قد رحل؟

المعاونة: أى متحف يا حبيبتى؟

الطفلة: المتحف الذى سيقام فى هذه المدرسة.

المعاونة: المتحف الذى سيقام فى هذه المدرسة؟ أنا لا أعرف. أين مكان المتحف فى المدرسة، إذن؟

نقد صبر "بيث" مع المعاونة لفهمها الخاطئ للزمن الذى استخدمته، وأعدت صياغة جملتها:

الطفلة: أعنى المتحف الذى سيأتى، لكنه سيأتى فى وقت متأخر فيما بعد.

المعاونة: هل سيكون عندنا متحف هنا فيما بعد؟

الطفلة: نعم.

وعند هذه النقطة قررت المعاونة مراجعة فهم "بيث" لكلمة "متحف"

المعاونة: حسنا، ما نوع الأشياء التى تحصلين عليها من "المتحف" إذن؟

الطفلة: تتزوجين. هذا كل ما تحصلين عليه من المتحف، أنت تتزوجين فقط.

المعاونة: حسنا، وماذا تفعلين فى الكنائس إذن؟

الطفلة: ننشد ترانيل.

المعاونة: ألا تتزوجين فى الكنيسة؟

الطفلة: لا.

المعاونة: هل ذهبت إلى أي متحف من قبل يا "بيث"؟

الطفلة: نعم.

المعاونة: حسنا، في المتحف لديهم جميع أنواع الأشياء القديمة، كالطاولات والكراسى والملايس. لكن في الكنيسة... هناك أشياء كثيرة تحدث في الكنيسة.

الطفلة: ماذا؟

المعاونة: يتم تعميدك لتصبحى مسيحية في الكنيسة.

الطفلة: وتتشددين تراثيل؟

المعاونة: تتشددين تراثيل، نعم، وتذهبين إلى الكنيسة في أيام الأحاد.

واختصت بقية المحادثة بما يحدث في الكنائس. أما سر ما كانت تعنيه "بيث" من المتحف ولماذا اعتقدت أن هناك متحفا سيقام في المدرسة، فلم يجد له حلا مطلقا.

إن مشاكل التواصل التي قدمناها ليست مقصورة على الأطفال وخدمهم، فالمحادثات بين الكبار يمكن أن تفشل من أجل كل الأسباب التي ناقشناها. لكن المشاكل والمصاعب تشتد حدتها وصعوبتها مع الأطفال الصغار رغم كل شيء، وذلك بسبب قلة خبراتهم في الحياة و جهلهم بالأمور، والضيق النسبي البالغ في أفاقهم الفكرية.

وبالمثل فإن مشاكل التواصل ليست مقصورة على المدارس فحسب - وسوف نقدم مشاكل مماثلة مما تحدث في البيوت - وبالتأكيد لا يمكن إلقاء اللوم على هيئة التدريس وحدها. لكنها تبرز وتزداد حدتها في المدرسة أكثر من وقوعها في البيت بسبب انعدام التجارب والخبرات المشتركة بين هيئة التدريس والأطفال، مما يجعل عملية التواصل أكثر صعوبة. وتقدم المشكلة التي لا مفر منها الناجمة عن ذلك فرصة تعليمية مهمة لهيئة التدريس؛

ويمكن إقناع تلك الهيئة بأن تكون مساعدة الأطفال على تحسين مهارات التواصل الخاصة بهم إحدى المهم الرئيسية الموكلة إليهم.

### المحاولة التي تقوم بها هيئة التدريس لسد تلك الثغرة

حاولت بعض المدرسات فى الحضانه سد الثغرة بين البيت والمدرسة من ناحيتهن، وذلك بطرح أسئلة على الطفلات حول حياتهن فى البيوت. وكان هذا المجهود ذو النوايا الحسنة مُعرّضاً للدخول فى مشاكل. ولقد ناقشنا بالفعل المشكلة التى تنشأ من عدم فهمهن للطفلة. وكانت المشكلة الأخطر هى أنه لم يكن للمدرسات وسيلة لتقييم إجابات الطالبات. وغالبا ما كن غير متأكدات ما إذا كن يُصدّقن البنات أم لا. كان ذلك هو الحال فى المحادثة التالية، والتى حدثت بينما كانت المدرسة تساعد "لويز" فى بعض العمل الحرفي:

المُدْرسة: ما نوع السيارة التى عندكم يا "لويز"؟

الطفلة: سيارة فضية. وسيارة حمراء.

المُدْرسة: ليسا سيارتين؟ (وهى غير مُصدّقة)

الطفلة: نعم. لأن أبى يقود السيارة التى يعمل بها فى ال... (الصوت يتلاشى)

المُدْرسة: أبوك يحتاج سيارة ليقودها لعمله؟

الطفلة: نعم!

المُدْرسة: ومن يستخدم السيارة الأخرى؟

الطفلة: أنا! لأذهب للمدرسة.

المُدْرسة: أنت تقودينها للمدرسة؟

الطفلة: لا، لا. بابا يقود السيارة الحمراء، ونحن نقود السيارة الفضية.

واستمرت المدرسة في محاولة تحرى الحقيقة، لكن كان من الواضح أنها تركتها وهي غير متأكدة مما روته "لويز" لها.

وفي المحادثة التالية، كانت المدرسة في هذه المرة أقل ميلا لتصديق رد "مينا" عليها، ولكنها كانت أيضا غير متأكدة من الطريقة التي تتعامل بها معها. كانت المدرسة تناقش أحوال الطفلات الرضع مع مجموعة صغيرة من الطفلات:

المدرسة: ماذا تفعل طفلتكم الرضيعة يا "مينا"؟

الطفلة: إنها تستطيع أن تمشى. (الطفلة عمرها ستة شهور فقط)

المدرسة: "مينا"! (بصوت مدلوله "إنك تمزحين")

الطفلة: تستطيع. تستطيع الآن. ليس الأمس، فحتى الأمس لم تكن تستطيع المشى.

المدرسة: لم تكن تستطيع بالأمس.

الطفلة: لا، لكنها تستطيع الآن.

المدرسة: إنك تثيرين أعصابى وتضايقينى.

الطفلة: لا.

بدا أن "مينا" كانت تستمع باختراع روايات طويلة عن حياتها المنزلية، ولكن بدا على طفلات أخريات أنهن يُدفعن دفعا لاختراعات أكثر بدافع رغبتهن في إرضاء المدرسات. وكانت "كارول" على سبيل المثال قد انتقلت مع أسرتها لبيت آخر. وفي ردها على أسئلة معاونة المدرسة حول غرفة نومها الجديدة، انتهت بادعاء وجود قطع أثاث لم تكن في غرفتها في حقيقة الأمر:

المعاونة: ما الذى يوجد في غرفتك؟

الطفلة: (تفكر قليلا)... لعب أطفال.

المعاونة: لعب أطفال؟ ماذا يوجد من أشياء أخرى؟ على ماذا تنامين؟  
الطفلة: سرير.

المعاونة: سرير. هل عندك مزينة (تسريحة)؟  
الطفلة: لا.

المعاونة: لا؟ أين تضعين كل ملابسك إذن؟  
الطفلة: في... في مزينة (تقولها بتردد)

المعاونة: شيء جميل. هل بها مرآة؟

الطفلة: لا. (في الحقيقة لم يكن عندها مزينة)

#### التواصل حول المدرسة في البيت

لأن الأمهات كن معتادات على أعمال المدرسة الروتينية، كانت المحادثات حول المدرسة في البيت يغلب عليها تقديم مشاكل أقل مما كانت تقدمه المحادثات حول البيت في المدرسة. كان ذلك هو الحال بالتأكيد مع الطفلات الأكثر فصاحة في الكلام. كانت "روزى" وأمها تتناولان الغداء عندما سألتها أمها عما فعلته في المدرسة. وبدأت "روزى" في سرد أحداث الصباح في المدرسة:

الطفلة: ... ثم رقصت، ثم استمعت لقصتي، ثم قمنا نحن...

الأم: هل رقصت على أنغام الموسيقى؟ هل جعلت الأستاذة "سمندر" آلة التسجيل على الشرائط الخاصة بها في موضع التشغيل؟

الطفلة: ليست آلة التسجيل، وإنما لاعبة الأسطوانات الخاصة بها.

الأم: أوه.

الطفلة: و... بعد ذلك... ثم أخذت حذائي، ثم أنا... جئت أنت لتأخذيني معك.

الأم: ماذا كانت القصة اليوم؟ هل سبق لك الاستماع إليها؟  
الطفلة: لقد سمعتها في المدرسة. لا أعتقد أنك تعرفينها، النمر. كان هناك نمر.

الأم: "النمر الذى جاء ليشرب الشاي"؟

الطفلة:، نمر آخر. لكنى لا أذكر على أى نحو سارت بقية القصة.

الأم: ما الذى حدث للنمر؟

الطفلة: (تتلعثم)... النمر... (تتلعثم مرة أخرى) لا أذكر ما فعله النمر.

الأم: نسيته، هل نسيته فعلا؟

الطفلة: نعم. أنا دائما أنسى. (وتضحك)

الأم: أنت لا تتصنى بالطريقة السليمة. (تقول ذلك بشيء من الاحتقار)

الطفلة: أنا أنصت بالفعل، لكن ذلك نتيجة ما يحدثه الناس من ضوضاء في المدرسة.

الأم: أوه. من الذى يحدث ضوضاء في المدرسة؟ هل هم نفس الأشخاص دائما؟ (واستمرت المحادثة)

وقد تمت مساعدة الطفلات أيضا في الربط بين الخبرات المنزلية وخبرات المدرسة من خلال قدرة أمهاتهن على إحداث توافق لمعاني ملاحظاتهم بحساسية شديدة. كانت "مارى" تأكل شوكولاتة محشوة بالفول السوداني في البيت وتحدث عنها، عندما بدأ كلامها يتحول أكثر إلى القصة التى كانت قد سمعتها في المدرسة. وتصف قصة "النمر الذى جاء ليشرب الشاي" الزيارة غير المتوقعة التى قام بها نمر لطفلة صغيرة وأمها. والنتهم النمر كل الطعام الذى كان موجودا بالبيت، وشرب كل المياه التى كانت فى الصنابير. ولم تذكر "مارى" صراحة أنها كانت تشير بكلامها لقصة ما، لكن أمها استطاعت فى الحال تقريبا أن تفسر ملاحظاتها:

- ١- الطفلة: أنا فى الحقيقة أحبها فعلا، وقد التهمتہا كلها.
- ٢- الأم: تفعلينها. إنك تلتهمين معظم الأشياء.
- ٣- الطفلة: لا. أنا ألتهم كل الطعام. أنا ألتهم طعامك كله.
- ٤- الأم: أنت بنت طيبة.
- ٥- الطفلة: (تتنقل فى حديثها للقصة) نعم. إذا لم تترك أى طعام فى البيت... مثل النمر الذى جاء ليشرى الشاى...
- ٦- الأم: أى نمر هذا الذى جاء ليشرى الشاى؟
- ٧- الطفلة: تعرفين، حصلنا عليه فى المدرسة.
- ٨- الأم: أوه، أنا لم أقرأ تلك القصة. ما الذى حدث للنمر الذى جاء ليشرى الشاى؟
- ٩- الطفلة: حسنا، التهم الطعام كله... و... عندما، عندما الأيام الغابرة... لكن، فى الأيام الغابرة، النمر، أنت تعرفينه، حسنا، لو أن النمر... الذين يأتون لشرى الشاى، ليس فى الأيام الغابرة، حسنا، أين كان ذلك الذى جاء لكى... بيتنا الذى أكل كل...
- تظهر إجابة "مارى" غير المترابطة ترابطا منطقيا أنها وجدت أنه من الصعب عليها أن تجيب على سؤال أمها "ما الذى حدث؟" فى الدور رقم ٨ من الكلام. لكن عندما قدمت أمها سلسلة من بدائل أخرى متتابعة لدفعها على مواصلة الكلام، استطاعت أن تعيد رواية القصة:
- الأم: من ذهب معه لشرى الشاى؟
- الطفلة: سيفيا وأمها (بنفاذ صبر).
- الأم: وأكل كل الأشياء؟ ذلك...
- الطفلة: (مقاطعة أمها) والتهم كل الطعام.

الأم: وشاي سيلفيا أيضا؟

الطفلة: نعم.

الأم: وشاي أمها؟

الطفلة: وشاي والدها وكل الأشياء... وكل شيء في خزانتها، وشرب كل الماء من صنوبر الحمام... ومن البالوعة.

الأم: لا أعتقد أن أحدا منهم سيطلب منه المجيء لشرب الشاي مرة ثانية.

الطفلة: لا.

الأم: أم تراه تحول إلى نمر طيب في النهاية؟ هل تعلمين كيف يتصرف؟

الطفلة: لا، لم يأت للشاي أي مرة أخرى بعد ذلك.

وهناك طريقة أخرى ساعدت الأمهات بها بناتهن على الكلام فيما يخص حياتهن في المدرسة وهي قيامهن بإسقاط أو تصور خيالي من جانبهن. لقد نقلنا نص محادثة في الباب الثامن بين "كارول" وأمها، والتي سهّلت الأم استمراريتها بتصوير تأثير الرياح على حفرة الرمل الموجودة في المدرسة. وكانت والدة "جويس" هي الأخرى مهتمة للغاية بحيث عرضت تصوراتها في المواقف بهذه الطريقة. فبينما كانتا عائدتين من المدرسة إلى البيت، قالت لها "جويس" أنه لم يكن هناك أي حليب في المدرسة في ذلك اليوم. وعندما وصلتا للبيت، عادت "جويس" للحديث حول ذلك الحدث الغير العادي. وبدا على أمها أنها كانت مهتمة بهذا الموضوع مثل بنتها تماما، وشرعت في تصور مدلولاته:

الطفلة: لا حليب على الإطلاق.

الأم: إن هذا لشيء طريف، إنه كذلك حقا؟



الطفلة: نعم.

الأم: لا أفهم لماذا لم يأت الحليب. وبالتالي ماذا فعلت كل واحدة منكن؟ هل اكتفيتن بالجلوس حول المائدة الصغيرة وشربتن ماء بدلا من الحليب؟

الطفلة: لا.

الأم: ماذا، إذن؟

الطفلة: لم أكن عطشانة.

الأم: هل قالوا لك، "إنك ستتأولين مشروبا من الماء، يا جويس؟"

الطفلة: لا. (تقذف بحذائها من قدمها بعيدا عنها، وتشعر بالتوبيخ، ويتغير الموضوع)

بالطبع لم تكن الأمهات ينجحن دائما في إقامة تواصل وأحاديث حول ما يدور في المدرسة. في الباب السابع عرضنا محاولة والدّة "دونا" الطويلة، وغير الناجحة إلى حد كبير، لفهم ما إذا كانوا قد قدموا لابنتها "دونا" في المدرسة برونق، تلك الحلزونات البحرية المطاطية، لتأكلها. ولم تكن المحادثات القصيرة، وغير الحاسمة إلى حد ما، غير شائعة، مثل المحادثة التالية مع "تونيا":

الطفلة: غير مسموح لـ "جان" أن تلعب معي.

الأم: غير مسموح لـ "جان" أن تلعب معك؟ (وهي مندهشة)

الطفلة: لا "جان" لا تلعب معي.

الأم: لا تريد أن تلعب معك؟

الأم: غير مسموح لـ "جان" أن تلعب معي.

الطفلة: لا. ليس عندي أى واحدة ألعب معها.

الأم: ألم تجدى أحدا؟

الطفلة: لا أمى، شاهدينى (وتلعب بعملة معدنية)

ربما لأنهن كن فى حالة من الاسترخاء والاطمئنان وهن فى بيوتهن، ولم يكن يشعرن بحاجة خاصة لربط صلة بين حياتهن فى البيت وحياتهن فى المدرسة، كانت الطفلات ينوهن بإشارات عن البيت عندما يكن فى المدرسة أكثر من تنويههن بإشارات عن المدرسة عندما يكن فى البيت. علاوة على ذلك، فنحن لم نرى علامة فى البيت تشير إلى الأطفال يقمن بنشاط أو يتابعن شيئا أثار اهتمامهن وهن فى المدرسة، وهناك مناسبة واحدة سألت فيها طفلة وهى فى البيت سؤالا حول ملاحظة قدمت لها وهى فى المدرسة. كانت والدة "جين" أمريكية، وسألتها المدرسة بينما كانت تعرض كتابا عن الهنود الحمر عليها قائلة:

المدرسة: هل وُلدت فى أمريكا؟ (لا جواب) أم هل وُلدت فى إنجلترا؟  
هل تعرفين؟

الطفلة: لقد وُلدت... لقد وُلدت فى بطن أمى.

المدرسة: لقد وُلدت من بطن أمك، نعم. لم أكن متأكدة ما إذا كنت من هذه البلاد أم لا.

بدا أنه من غير المحتمل أن يكون لـ "جين" أى مفهوم واضح عن البلاد المختلفة، أو بعلاقتها بهم، ولكن من الواضح أنها كانت مدركة بهذه المساحة من الجهل، وأن ذلك الجهل تسبب فى حيرتها وارتباكها أمام مدرستها. (أبدينا رأينا فى الباب الخامس أن هذا الإدراك بالارتباك والحيرة صفة مميزة لمن هم فى الرابعة من عمرهم.) وبعد الظهر، أشارت "جين" الموضوع مع أمها بينما كانت تمشى بخطى خافتة فى بركة ماء فى حديقة البيت:

الأم: أين وُلدت؟ إذا قال أحدهم لك، "أين وُلدت؟" فهذا يعنى، أين كنت

عندما خرجت من بطن أمك؟" حسناً، لقد وُلدت فى انجلترا.  
ولكن، هل تعرفين ما جنسيتك؟

الطفلة: عذرا، لم أسمع سؤالك.

الأم: هل تعرفين ما جنسيتك؟

الطفلة: لا؟ (بلهجة من يهتم بمعرفة الإجابة)

الأم: أنت بريطانية، وأنت أمريكية. أنتم جميعا بريطانيون، وأنتم جميعا أمريكيون.

وعند هذا الحد نادى الأخ الأصغر لـ "جين" على أمه، وبالتالي فمن المستحيل أن نعرف ما إذا كان إدراك "جين" قد توسع، أو ما إذا كان ارتباكها قد ازداد لعدم اكتمال المحادثة.

**الخلاصة: ما الذى تنطوى عليه الثغرة بين البيت والمدرسة؟**

ترى دراستنا أن كلا من المدرسة والبيت يفرضان على الطفلات مطالباً مختلفة للغاية عن بعضهما، وأن الطفلات تتصرفن أيضاً بشكل مختلف فى كل بيئة منهما. وقد يجادل البعض ويؤكد أن الطفلات تحصل على فائدة كبيرة نتيجة لانتقالهن بين هذين العالمين المختلفين، وأن المدرسة والبيت، فى كل الأحوال، لابد من أن يفرض كل منهما على الطفلات مطالباً مختلفة بالضرورة. وسوف نناقش هذه النقاط فى الباب الحادى عشر.

ولقد كان اهتمامنا الرئيسى فى هذا الباب منصباً على عرض الحالات التى تقوم بها المدرسات والأمهات والطفلات للربط بين البيت والمدرسة من خلال المحادثات. ولقد أظهرنا أن نقص معرفة الأمهات ومعلوماتهن عن المدرسة، ونقص المعلومات الأكبر من جانب المدرسات فيما يخص بيوت الطفلات، جعل هذه العملية صعبة، لاسيما أن مهارات الطفلات فى التواصل كانت محدودة. ولقد حاولت بعض المدارس علاج هذه المشكلة بتشجيع المدرسات على زيارة الطفلات فى بيوتهن، وبتشجيع الأمهات على قضاء

بعض الوقت في المدرسة، وبإعطاء الآباء معلومات مفصلة عن أوجه النشاط اليومية للطفلات في المدرسة. ولم تكن هذه الإجراءات واسعة الانتشار في مدارس الحضانة والفصول التي تعاملنا معها في دراستنا هذه.

في استخلاصه من جمع ان زيد فلا يحق له ان ينادى له بالاباء وللمتخالفين في نفس هذا وفي استخراجه من جمع  
 في استخراجه المتخالفين من افعالهم من غير ان يكونوا في نفس هذا وفي استخراجه المتخالفين في نفس هذا  
 في استخراجه المتخالفين في نفس هذا في استخراجه المتخالفين في نفس هذا في استخراجه المتخالفين في نفس هذا

## تعلم الأطفال الصغار

إن دراستنا للبنات ذوات الأربع سنوات في البيت وفي المدرسة تُثير عدداً من الأسئلة الأساسية حول الطرق التي يفكر بها الأطفال الصغار ويتعلمون، والدور الذي يمكن أن يلعبه الكبار في مساعدتهم. وتُعتبر تلك الأسئلة مهمة بالنسبة لأي تفكير في نوع الرعاية والتربية والتعليم التي ينبغي أن تُقدم للأطفال خارج نطاق البيت. كما أن هذه الأسئلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية نوع التعليم الذي ينبغي أن يقدمه الأبوان، إن وُجد.

وسوف نقوم في هذا الباب بتلخيص اكتشافاتنا الرئيسية، ونناقش مضامينها.

### البيت كبيئة تعليمية

كان من الواضح من خلال مراقباتنا أن البيت يُقدّم بيئة تعليمية غاية في القوة. ولا بد من أن تكون إمكانات البيت التعليمية في الواقع أكثر شمولاً إلى حد بعيد عما تمكنا من عرضه، إذ إننا لم نشهد بأي حال جميع تجارب وخبرات الأطفال المهمة. فنحن لم نراقب الطفلات مع آبائهن أو أجدادهن، ومع إخوتهن وأخواتهن، ومع أصدقائهن، أو في نزاهاتهن ورحلاتهن في المناطق المجاورة. ومع ذلك، وحتى من خلال العينة المحدودة التي راقبناها، كان من الواضح أنهن يتعلمن الكثير في بيوتهن.

ولقد وجدنا أن هذا التعلم كان يغطي مجالاً واسعاً من الموضوعات، لكنه كان يهتم بالعالم الاجتماعي على وجه الخصوص. ولقد كان اللعب، وألعاب التسالي، والقصص، وحتى الدروس "الرسمية" تُقدم بينات تعليمية نقلت للطفلات من خلالها قدراً كبيراً من المعلومات العامة، إضافة للمهارات الأولى في القراءة والكتابة وعد الأرقام. لكن كانت أكثر البيئات التعليمية

تكراراً هي بيئة الحياة اليومية. لقد كانت البنات، وهي حول أمهاتهن يتكلمن، ويجادلن، ويطحرن أسئلة لا نهاية لها يتلقين قدراً كبيراً من المعلومات يتناسب مع نموهن في محيط ثقافتنا.

لماذا يُقدّم البيت مثل تلك البيئات التعليمية المتنوعة والفعالة؟ يبدو لنا أن هناك خمسة عوامل بالتحديد لهم مغزى وأهمية خاصة في هذا المجال.

العامل الأول هو المدى الواسع من الأنشطة التي تحدث داخل نطاق البيت، أو التي يكون البيت قاعدتها وأساسها. ففي داخل البيت يتم التخطيط لإعداد الوجبات الغذائية، ويتم طهيها، وتنظيف الموائد بعد تناولها؛ ويتم غسل الملابس وكيها؛ ويتم رعاية الأطفال الرضع، ويتم رعاية الحيوانات المدللة والحدائق والإشراف عليها؛ ويتم التخطيط للتسوق وشراء ما يلزم للبيوت، ويتم مناقشة الأمور المالية والأجور أو الرواتب؛ ويتم فيه زيارة الأقارب والجيران؛ وكتابة الرسائل؛ ودفع بعض الفواتير، وإجراء المكالمات التليفونية. إضافة لهذا، فالبيت هو مركز كثير من الروابط مع العالم الخارجي الأكثر اتساعاً. فالآباء يخرجون منه للعمل ويعودون إليه؛ وكذلك يخرج الأطفال الأكبر سناً للمدرسة ويعودون؛ وينطلق منه الذهاب للمحلات والمصارف والعيادات والمكتبات العامة والأسواق ومراكز ومحلات إصلاح السيارات والمقاهي والحدائق العامة وحمامات السباحة؛ ومنه يخرج الناس لزيارة الأصدقاء والأقارب؛ ومشاهدة أنشطة الناس في الشوارع ومناقشتها؛ وتتطلق منه الرحلات بالسيارات، والحافلات، والقوافل، والقاطرات.

تُقدم كل تلك الأشياء للطفلة فرصاً لتعلم مجالات واسعة من المعلومات، لاسيما عن العالم الاجتماعي الذي تعيش فيه؛ كما تقدم لها نماذج للكبار، لاسيما النساء منهن، وهن منخرطات في أنواع متعددة من الأنشطة.

ثانياً، يتقاسم الأب والأم والطفلة حياة مشتركة، تُضرب بجنورها في الماضي، وتمتد بأفاقها للمستقبل. ويساعد هذا المجال الواسع من التجارب والخبرات المشتركة الأم على فهم ما تقوله طفلتها، أو حتى ما تتوى أن

تقوله. كما يُيسر هذا المجال من المهمة الرئيسية للنمو الفكري؛ وهي مساعدة  
الطفلة على إدراك المراد من خبراتها وتجاربها الحالية، وذلك بربطها  
بخبراتها وتجاربها السابقة، إضافة لإطار معلوماتها في الوقت الحاضر.

والجانب الثالث المهم لبيئة البيت هو العدد الصغير من الأطفال الذين  
يتقاسمون وقت الكبار ورعايتهم. تحتوى ١١٪ فقط من العائلات البريطانية  
على أكثر من طفلين يقل عمرهما عن ستة عشر سنة. وبهذا الشكل تكون  
والدة الطفلة مهمة جدا بالنسبة لها، وهي جاهزة وموجودة دائما للرد على  
أسئلتها، وتزويدها بالمعلومات ومشاركتها في محادثاتها. علاوة على ذلك،  
فكلما قل عدد أفراد الأسرة، كلما كثر عدد فرص المحادثات الثنائية المطولة.  
وكما شاهدنا، فإن أمثال تلك المحادثات تُعتبر بوضوح وسيلة جبارة يمكن من  
خلالها تعزيز فهم الطفلة وإدراكها بطريقة تتناسب جدا مع مستواها الفكري  
ومع اهتماماتها.

إن حقيقة كون معظم الأمهات ليس لهن سوى طفلاً أو طفلة واحدة أو  
اثنتين ترعاها وتُعنى بهما تجعل من السهل عليهن أيضا أن يُعلّمن أطفالهم  
وظفلاتهن مهارات أكثر تطورا. وعندما يُقدّم للأطفال الصغار عناية كافية  
وغير مُجزأة أو مُوزعة، فإنه يمكن تعليمهم مهارات يصعب على المُعلّم  
تدريسها لمجموعة من الأطفال من نفس العمر.

وهناك ميزة أخرى رابعة للبيئة التعليمية في البيت، وهي أنه غالبا ما  
يكون التعليم جزءا لا يتجزأ من مضمون سياقات ومواقف ذات معان عظيمة  
للطفلة. إن إعداد قائمة بالمشتريات اللازمة للبيت، ومساعدة الأم في رعاية  
الطفل الرضيع، وكتابة رسالة للجد، والاستقرار على عدد الكعكات المطلوبة  
مع الشاي، ولعب بعض لعبات الشدة، جميعها أنشطة تجعل من السهل على  
الطفلة تعلمها بسبب أهميتها بالنسبة لها. هذا المبدأ مفهوم جيدا في التعليم  
الابتدائي، لكنه من السهولة بمكان وضعه موضع التنفيذ في البيت أكثر من



سهولة تطبيقه في المدرسة. ولأنه يغلب على أنشطة المدرسة الانفصال التام عن بقية ما في الحياة من أنشطة، نجد المعلمين مضطرين لتدبير خطط تعليمية مصطنعة إلى حد كبير. على سبيل المثال، قد تقدم المدرسة نشاط وضع الخرز في خيط باستخدام الإبرة لتشجيع البنات على خلق تناسق بين اليد والعين. أما في البيت، فقد تكون الأم قد علمت طفلتها كيف تثني وتلف سلك المكنسة الكهربائية بزراعتها بطريقة لولبية " على شكل الرقم ثمانية باللغة الإنجليزية ". وكانت نيتها ببساطة تعليم الطفلة الطريقة الصحيحة لإنهاء عملية التنظيف بالمكنسة؛ ومع ذلك، فقد قامت في نفس الوقت بالصدفة بمساعدتها على تطوير مهارات الحركة في إطار موقف تجد الطفلة فيه حافزاً قوياً على التعلم، وذلك لرغبتها في التصرف كالكبار.

أما الميزة المهمة الخامسة والأخيرة للبيئة التعليمية في البيت فهي العلاقة الوطيدة والحميمة بين الأم وابنتها. وربما يعوق ذلك العملية التعليمية في بعض الأحيان، وقد رأينا كيف كانت أسئلة وطلبات البنات تقطع استمرارية القصص واللعبات. ومع ذلك، فقد كانت تلك العلاقة تجعل الطفلة لصيقة بأُمها، وقادرة بالتالي على التعلم منها، وتسمح للطفلة بالتعبير بحرية عن أسئلتها وعن الأشياء التي تحيرها أو التي تثير قلقها. إن اهتمام الأم بابنتها وقلقها على مستقبلها يعني أن لها بالتأكيد في الغالب آمالاً وطموحات تعليمية محددة يُنتظر منها أن تسعى لتحقيقها بكل طاقة متاحة لها. ويختلف "منهاج" البيت من أم إلى أم أخرى، ولكن لكل أم في الغالب آمالها العريضة في تحقيق مجال أو آخر، سواء كان هذا المجال متصل بالمعلومات العامة، أو التفكير المنطقي، أو القراءة، أو العناية بالطفل، أو المهارات الاجتماعية. وكانت تلك، بالنسبة لغالبية الأمهات. في دراستنا هذه، مسألة اهتمام شخصي عظيم بأن تكتسب طفلتهن المهارات والمعارف والقيم التي يؤمن بأهميتها. إن ذلك الاهتمام من جانب الأمهات هو الذي يحول المزايا الكامنة للبيت إلى مزايا فعلية واقعية.

لذا فإن إمكانية البيت للتعليم ليست من الخصائص الضرورية لكل المواقف العائلية. فيمكن أن تقل تلك الإمكانية لو كانت الأسرة كبيرة جداً، أو لو كانت معزولة عن المجتمع من حولها. ويمكن أن تقل أيضاً إذا لم تسد العلاقة الحميمة بين الأم وطفلتها، أو لو كانت الأم مشغولة للغاية بمشاكلها الخاصة للدرجة التي يقل بسببها اهتمامها بابنتها. وعلى قدم المساواة، يبدو أنه من الأرجح أن تقل الإمكانية التعليمية للبيت لو كانت الطفلة ترعاها امرأة تعمل برعاية الأطفال في بيوتهن خلال فترة تغيب الأم في عملها خارج البيت، أو مربية ليس لها اهتماماً قوياً بشأن تعليم الطفلة.

### بيت الطبقة العاملة كبيئة تعليمية

إن خصائص البيئة المنزلية التي ناقشناها موجودة في بيوت الطبقة العاملة وبيوت الطبقة المتوسطة. وكانت أمهات الطبقة العاملة مهتمات بتعليم طفلاتهن بنفس قدر اهتمام أمهات الطبقة المتوسطة بذلك. ومع ذلك، كان هناك بعض الدلائل على وجود فارق في القيم، والاتجاهات، والأولويات التعليمية في البيوت ذات الطبقة الاجتماعية المختلفة. وبدا أن أمهات الطبقة العاملة تركزن بشكل أقل على تقديم مجال واسع من المعارف العامة والمعلومات والمفردات اللغوية لبناتهن، وعلى تشجيعهن بأن يكن واضحات، وصريحات في أحاديثهن، وفي الإجابة على أسئلتهن. ومن جهة أخرى، ركز البعض الآخر أكثر على مساعدة بناتهن على اكتساب المهارات المنزلية ومهارات الأمومة، وفهم دور النقود والعمل في مختلف أوجه النشاط العائلي. وكن ينزعن إلى تأييد ومساندة المناهج "التقليدية" في تعليم القراءة والكتابة وعد الأرقام. ورغم أنهن أمضين وقتاً في اللعب مع البنات مساوياً للوقت الذي أمضته أمهات الطبقة المتوسطة في ذلك، إلا أنهن كن أقل احتمالاً لاستخدام اللعب كأداة للتعليم.

وبدت تلك الفوارق بالنسبة لنا أنها تعادل فارقاً في أسلوب اللغة والمنهج التعليمي، وليس "عيباً أو نقصاً" لغوياً في بيوت الطبقة العاملة. لقد كانت جميع استعمالات اللغة الأساسية تتبّع في كل البيوت؛ وكان الفارق بين

الطبقات الاجتماعية في كثرة استخدام هذه الاستعمالات. إضافة لذلك، فإن الفوارق التي عرضناها تشير إلى معدلات جماعية. وكان هناك مدى واسع لاستخدام اللغة داخل نطاق كل جماعة من جماعات الطبقة الاجتماعية.

### الطفلة باعتبارها مخلوقة مُفكرة

لقد أوصلنا تحليلنا للمحادثات التي تمت في البيوت لزيادة قدر احترامنا للأنشطة الذهنية والفكرية لمن هن في الرابعة من عمرهن. ورغم أن البيت يقدم بيئة تعليمية فعالة للغاية، إلا أن الطفلات لسن مدركات أو مُتلقّيات سلبيات لتلك البيئة. على النقيض من ذلك، فإن جهودهن الذهنية الخاصة جزءاً جوهرياً من عملية التعلم. إن هذه العملية لم تكن يسيرة حتى مع أكثر الأمهات انتباهاً وبقظة. لقد مرت كثير من الأسئلة في البيوت بلا جواب، وترك الكثير منها مفهوماً ضمناً فقط، وكثيراً ما لم تكتشف الأمهات حالات من سوء الفهم، ونادراً ما قُدمت للطفلات تفسيرات وإيضاحات تامة، كما كانت كثير من التفسيرات مضللة. وقد تعاملت الطفلات مع مهمة إدراك العالم الذي فهمنه بشكل غير تام أو مكتمل وكن مُسلحات فقط بفضولهن، ومنطقهن وعقولهن، ومثابرتهن وإصرارهن على الوصول لمرادهن. وبسبب قلة خبراتهن وتجاربهن، تمكن على الحكم ببطان القليل من الاستنتاجات والاستدلالات أو التفسيرات باعتبارها غير مقنعة أو مرضية: ولم يكن أمامهن سوى معاملة كل شيء على أنه جائز أو ممكن إلى أن يظهر لهن عكس ذلك.

ونحن نعتقد أن الفضول الفكري والذهني المستمر أحد المعالم الخاصة البارزة لمن هن في سن الرابعة. ويرجع ذلك لكون بنية إطار إدراكهن الذهني للمفاهيم بنية لينة و مرنة و غير مكتملة، وأيضاً بسبب إدراكهن النامي والمتزايد الكثير من حالات الخلط وسوء الفهم التي تحدث في أثناء الحديث. وتتقص الطفلات القدرة على التعبير عن مشاكلهن في مرحلة مبكرة من نموهن. ولكنه في مرحلة متأخرة من هذا النمو، يصبح إطار إدراكهن

للمفاهيم قادرا على أن يكون على مستوى خبراتهم وتجاربهم بشكل أفضل مما كان. ولكنه فى سننى العمر ما بين الثلاث والخمس سنوات، توجد حالة من عدم التوازن الفكرى أو الذهنى.

وقد قادتنا هذه الملاحظات إلى الشك فى بعض نظريات "باياجيت". وبهذا، فى الوقت الذى نقبل تماما بفكرته عن الطفلة باعتبارها متعلمة نشطة وإيجابية، فإننا نعتقد أنه استخف بدور الاستكشاف الفعلى - وهو الحيرة والتفكير - لدى الطفلات ذوات الأربعة أعوام. ونعتقد أيضا أنه أبخس تقدير أهمية اهتمام الطفلة بالعالم الاجتماعى للكبار، والدور الذى يمكن أن يلعبه الكبار فى مساعدة الطفلة على الفهم والإدراك من خلال الحوار. وترى دراستنا أن نوع الحوار الذى يساعد الطفلة ليس ذلك النوع الذى تفضله كثير من المدرسات فى الوقت الحاضر والذى تطرح فيه المدرسة سلسلة من الأسئلة. والأجدر من ذلك أن يكون نوع ذلك الحوار هو النوع الذى تنصت فيه المدرسة لأسئلة الطفلة وتعليقاتها، وتساعدنا على إيضاح أفكارها، وتغذيها بالمعلومات التى تطلبها وتحتاج إليها.

علاوة على ذلك، فى الوقت الذى ننطق فيه مع "باياجيت" على أن تفكير الطفلة الصغيرة يختلف عن تفكير الكبار، فإننا لا نقبل القول بأنهم غير قادرين على التفكير المنطقى أو غير المنصب عليهم فحسب. إن نمط العالم الذى يتعاملن معه يبدو لنا نمطا محدودا وغير واضح المعالم لضالة خبراتهن ومعلوماتهن، وإطار إدراكهن الذهنى غير المكتمل، وليس لغياب المنطق عنهن.

### مدرسة الحضانة باعتبارها بيئة تعليمية

حيث إنه قد فاتنا معرفة كثير من المعانى والدلالات التى حدثت للطفلة فى البيت، لذلك تمكنا أيضا من قصر التركيز على خبرات التعلم للطفلة مع مدرسات الحضانة، وليس مع طفلات أخريات أو مع أدوات اللعب. وحتى مع هذا التركيز المحدود، كان من الواضح رغم ذلك أن بيئة التعلم لمدرسة

الحضانة تختلف اختلافا كبيرا عن بيئة البيت. فى المقام الأول، نجد أنه على هيئة التدريس بالحضانة أن تجعل الطفلات تتألفن اجتماعيا مع عالم المدرسة. وعلى الطفلة أن تعرف قانونا جديدا للسلوك، وعليها أن تتعلم الروتين المتبع فى المدرسة. علاوة على ذلك، يجب عليها أن تتعلم كيف تجعل الغرباء يفهمونها، وأن تفهم هى نوايا ومقاصد هيئة التدريس ومتطلبات التواصل معهن.

ومع ذلك، فإن أكبر فارق إثارة للدهشة بين البيت ومدرسة الحضانة هو الطريقة التى تركز بها المدرسة على اللعب. تتعلم الطفلات للمهارات الاجتماعية من خلال لعبهن مع بعضهن. وتكتسب الطفلات إدراكا بالعالم المادى الذى يعتبره الكثير البشير الضرورى للمعلومات العلمية والرياضية عن طريق التجارب التى يجربونها على الرمل، والماء، وقوالب البناء، وألوان الطلاء، وما إلى ذلك. وتعتبر الحضانة بهذا بيئة نموذجية لأى شخص يؤمن بأسلوب "باياجيت" المثالى فى التعلم.

إن بيئة اللعب التى تكون الطفلة محورها لها مزاياها الواضحة التى تعود على الطفلات، هذا بالإضافة إلى فرص التعلم التى تقدمها تلك البيئة. يتم تخطيط المجتمع على وجه العموم بحيث يلبي حاجات الكبار من أفرادهم، ولا يخطط لما يحتاجه الأطفال للاستكشاف، والركض حول الأماكن التى يعيشون فيها، وإحداث ضوضاء كما يشاعون، واللعب بأدوات "غير مرتبة" وما إلى ذلك. ومع ذلك، فإن الضرر الذى لا مفر منه من تقديم بيئة مهياة تماما للعب فقط هو استبعاد إمكانية تعلم الأطفال من خلال مراقبة عالم الكبار والمشاركة فيه. ويصبح دور هيئة التدريس هو الإشراف على الأطفال والتحدث معهم، بدلا من اشتراك الأطفال بأنفسهم فى أنشطة الكبار التى قد تصلح أن تقدم لهم نماذج مهمة ومفيدة تمثل بالنسبة لهم تحديا ينبغى الوصول إليه.

وفى نفس الوقت، فإن الموضوع البارز الآخر فى عمل الحضانة الحالية، وهو أهمية دعم اللغة وتقويتها من خلال طرح الأسئلة على الأطفال،

يعنى أن التفاعل بين المدرس والطفل أو الطفلة يتجه لأن يتحكم فيه هذا الهدف ولا شيء سواه. ويختلف الحوار الناتج عن ذلك اختلافا كبيرا عن محادثات البيت، وكثيرا ما يبدو غير فعال. ويرجع ذلك لأن الأطفال كثيرا ما يخفقون فى الرد على الأسئلة الموجهة إليهم، أو تتركهم طريقة طرح المدرسين لتلك الأسئلة، فيفشلوا فى المساهمة فى المحادثة. إن العقل المُحير لمن هم فى سن الرابعة لا يجد له مخرجا فى وضع يصبح الدور الرئيسى للطفل فيه الرد على الأسئلة وليس طرحها.

علاوة على ذلك، فنظرا لأن محادثة المدرس مع الطفل تركز على اللعب، فإنها يغلب عليها أن تهتم بـ "هنا والآن" أى بالمكان والزمان الحاليين فقط، بشكل يفوق بكثير محادثات البيوت. ويبدو هذا الموقف متناقضا إلى حد ما، حيث إن أحد مهام التعليم فى المدارس هو توسيع الآفاق الذهنية والفكرية للطفل. ومع ذلك، كانت الأم فى البيت هى التى تربط بين حاضر الطفلة وماضيها ومستقبلها، والعالم خارج نطاق تجاربها وخبراتها. ولأن المدرسات تعرفن القليل عن حياة الطفلة خارج نطاق المدرسة، وتكاد ألا تعرفن شيئا عن ماضيها ومستقبلها، فلا يمكنهن دمج خبراتها وإدخالها فى المحادثات بالطريقة التى يمكن لأحد الأبوين القيام بها.

وهناك قيود أخرى على المدرسات تجعل من الصعب عليهن أن يصلن لنفس درجة فاعلية الآباء فى مجال التعليم. إن العدد الكبير نسبيا من الأطفال مقارنة بعدد المدرسات والمدرسين يقلل من فرص المناقشات الثنائية بين المدرس أو المدرسة والطفل أو الطفلة. كما تقلل العلاقة الوجدانية العاطفية ذات الإيقاع البطيء بين هيئة التدريس والأطفال والطفلات من احتمال سعى الأطفال لأن ينشدوا عون هيئة التدريس، أو أن يكون لتلك الهيئة اهتمام تعليمى شخصى بهم.

وحيث إن دراستنا هذه تمت فى مدارس وفصول حضانية، فنحن لسنا فى وضع يجعلنا نقارن بينها وبين جماعات اللعب. ومع ذلك، فمن الواضح

أن جماعات اللعب تلك تشارك مدارس الحضانة في عدد من الصفات المميزة التي عرضناها من قبل. ويتفق البحث الذي قام به "وودز" مع الرأي القائل بأن هناك تشابهاً كبيراً بين المحادثات التي تتم بين الكبار والأطفال في جماعات اللعب وتلك التي تتم في مدارس الحضانة.

ونحن نقر ونعترف بأن التحليل الذي قمنا به للدور التعليمي لمدارس الحضانة يسير في اتجاه مضاد للمعتقدات الحالية واسعة الانتشار. إن الكثير من رجال السياسة والأساتذة المتخصصين يؤمنون بأن مدارس الحضانة تنبئه النمو الفكري والذهني والتطوير اللغوي للأطفال وتحت عليه، وتقدم للأطفال المحرومين وذوي الظروف الاجتماعية الصعبة بداية رئيسية جديدة في المدرسة. وهناك دلائل قليلة للغاية في الأبحاث البريطانية على تلك الدعاوى. ومن المؤكد أن دراستنا هذه ترى أنه من الأرجح أن تتم تلبية احتياجات الطفلات الفكرية واللغوية في البيت أكثر من المدرسة بكثير. في الحقيقة، إن نسبة ما حققته هيئة التدريس مع الطفلات في مدارس وفصول الحضانة لم يكن يتوقع لها أحد أن تنافس إسهام البيت في هذا المجال. وطبقاً لأرقام تلك النسبة، فلا بد من أن يكون دور المدرسات إدارياً في المقام الأول بشكل حتمى. المطلوب عناية فردية خاصة بالنسبة للطفلات ذوات الاحتياجات الخاصة — على سبيل المثال، البنات اللاتي لا يتحدثن اللغة الإنجليزية كلغة أولى، أو من يتعرض منهن للإهمال الشديد — بدلاً من، أو علاوة على، التعليم في مدارس الحضانة.

#### طفلات الطبقة العاملة في المدرسة

تأثرت بنات الطبقة العاملة في دراستنا بوضوح بوضع مدرسة الحضانة. كانت تلك الطفلات يغلب عليهن الخضوع الزائد والسلبية والتبعية في علاقتهن بالمدرسات. وكان رد فعل المدرسات مع تلك الحالة من عدم النضج — كما فهمنها — في بنات الطبقة العاملة هو جعل حديثهن معهن على مستوى متدنٍ مقارنةً بحديثهن مع بنات الطبقة المتوسطة. وكانت هيئة

التدريس بعيدة كل البعد عن تعويضهن عن أى نواقص فى بيوتهن، بل إنها فى الحقيقة كانت تقلل من توقعاتها وآمالها ومستوياتها فيما يتعلق بطفلات الطبقة العاملة. وكانت المُحصلة النهائية لهذا الوضع هو جعل طفلة الطبقة العاملة تبدو بالفعل فى ظروف تعليمية غير مواتية فى مدارس الحضانة.

ولقد قدمنا عددا من العوامل التى قد تكون مسؤولة عن هذا الوضع، سواء فى حالت فردية أو فى حالات التفاعل المعقد. ومن الصعب اقتراح كيفية علاج هذه المشكلة دون وجود تفهم أفضل لأسبابها. ومع ذلك، فلو اهتمت المدرسات بأن نتعمق أكثر فى معرفة الاهتمامات والمهارات التى تظهرها تلك البنات فى البيت، فقد يتمكن من رؤية المواضيع التى يمكن للمدرسة فيها أن تستكمل وتدعم نقاط القوة الموجودة فى البيت بشكل أفضل.

#### تقييم الطفلات فى مواقف وبيئات مختلفة

إن الفارق الذى ناقشناه لتونا فى سلوك وتصرفات طفلات الطبقة العاملة ما بين البيت والمدرسة ما هو إلا مثلا لمسألة وقضية أكبر من ذلك، وهى تأثير البيئة والموقف على سلوك الطفلات وتصرفاتهن. ومع أن علماء النفس الأكاديميين يفهمون تلك المسألة فهما جيدا، لكنهم لا ينتبهون عواقبها وتأثيراتها العملية. ويستمر المدرسون والمدرسات فى إقامة أحكام على الأطفال على أساس سلوكهم فى حجرة الدراسة فقط، ويقيم الأطباء وعلماء النفس فى إقامة تلك الأحكام على أساس الاختبارات والمقابلات التى يجرونها فى عياداتهم، وقد يدعمون ذلك بمراقبتهم لما يحدث فى المدارس.

على سبيل المثال، تقدم "جوان توف" (وهى إحدى علماء النفس التربويين التى كان لها تأثير قوى فى مجال تدريب المدرسين البريطانيين فى أثناء الخدمة) المحادثة التالية بين مدرس وطفل عمره خمس سنوات اسمه "بول" كان يلعب بلعبة عبارة عن مزرعة فى الريف، لكى تظهر الصعوبة التى يواجهها كثير من الأطفال عندما يشاركون فى محادثة:



المُدرّس: أخبرني ما الذي يحدث، هيا.

الطفل: هذه مزرعة.

المُدرّس: أوه، هذه مزرعة هنا، أليس كذلك؟ إنى أتساءل، من يعيش في المزرعة؟

الطفل: أشخاص كثيرون (ويشير عليهم بإصبعه).

المُدرّس: أوه، من هؤلاء الأشخاص؟

الطفل: الناس.

المُدرّس: ما نوع الناس الذين يعيشون في مزرعة؟ (الطفل يهز كتفيه بمعنى أنه لا يعرف)

ماذا نسمي الرجل الذي يعيش في مزرعة؟ هل تعرف؟

الطفل: مزارع.

لا يضع "توف" في الاعتبار مطلقاً أن مساهمة "بوب" المحدودة في هذه المحادثة قد تعكس قلقه الاجتماعي أو موقف الدفاع عن النفس، ولا تعكس قدرته المحدودة على براعته في اللغة، أو توحى بأن المدرس قد يتعلم من الاستماع لمحادثته في مكان خارج المدرسة، أو بنقل هذا الموقف الاجتماعي في وضع خارج نطاق المدرسة، أو بنقل هذا الموقف الاجتماعي بين المدرس والطفل.

وهناك الكثير من الأمثلة المشابهة في كتابات علماء نفس تحليليين وتعليميين. وترى دراستنا أن الحكم على قدرات الأطفال اللغوية ينبغي أن يكون تجريبياً ومؤقتاً إلى أن توجد بيئة يمكنهم التحدث فيها بحرية وبطريقة تلقائية. ونحن نشك أن يُمارس نفس النوع من الحذر عند الحكم على نواح أخرى من سلوك الأطفال، كاللعب على سبيل المثال.

## كيف تكون اكتشافاتنا والنتائج التي توصلنا إليها صحيحة وفعالة؟

لقد ناقشنا في عدة مواضع من كتابنا هذا قضية صحة وفعالية وشمولية اكتشافاتنا والنتائج التي توصلنا إليها ومدى قابليتها للتففيذ. ولا مفر من بقاء شكوك حول تلقائية تصرفات الناس والحكم عليها بأنها "طبيعية" في ظل وجود ميكروفونات ومراقب. لقد أخبرتنا أكثر من نصف الأمهات بقليل أنهن كنَّ يشعرن بالقلق والآنزعاج إلى حد ما خلال مدة التسجيل. والأمر المنطقي هو أن نتصور أن كلا من الأمهات وهيئات التدريس كانوا يعطون للطفلة التي يتم مراقبتها اهتماما وعناية أكثر مما يمكن أن يحدث في الظروف العادية. ومع ذلك، فلقد كان من الواضح من خلال النسخ المكتوبة والتسجيلات التي قمنا بها أن الأنشطة التي راقبناها في المدارس والبيوت لم تكن بعيدة عن العادي والمألوف من الأمور. فكان من الواضح أن الألعاب التي لعبتها الطفلات كانت مألوفة بالنسبة لهن، كما استمر الروتين المنزلي العادي في إعداد الوجبات الغذائية، والعناية بالأطفال الرضع، والواجبات المنزلية المختلفة على نفس منوال ما كان يحدث قبل التسجيل. فلم يحدث أن تصرفت الأمهات كالملائكة والقديسات، فقد البعض منهن أعصابهن، ووجهن الشتام والسباب للطفلات وصفعنهن براحة أيديهن. لقد تحكمت طلبات وتصرفات الطفلات في الحقيقة في كثير مما كان يحدث في البيوت. وكان رأينا الخاص هو أن كلا من هيئات التدريس والأمهات ربما حاولن أن يرفعن مستوياتهن ليقدمن "الصورة الحسنة" للمدرسات والأمهات. ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر على نسبة "السلوك الحسن" الذي أظهرناه خلال تنفيذنا لمهمتنا، لكن لم يوح شيء في تسجيلاتنا أنهن تصرفن بأساليب غير عادية أو غير معبرة عن صفاتهن المميزة.

وينشأ مصدر آخر من مصادر الشك من صغر الحجم الشديد لعينتنا. هل يجوز أنها كانت لا تمثل ما كنا نقوم بدراسته تمثيلا كاملا بشكل أو بآخر؟ والسبب الرئيسي الذي يجعلنا نثق في اكتشافاتنا وفي النتائج التي

توصلنا إليها هو أنها تتفق مع الدراسات الأخرى القائمة على المراقبة التي تمت مؤخرا. إن النتائج الخاصة بالمحادثات بين المدرسة والطفلة في مدارس الحضانة تشبه تلك النتائج التي وُجدت في دراسة أخرى سابقة أكبر من دراستنا هذه قامت بها إحدانا (بربارا تيزارد)، ومع نتائج "وودز" في جماعات اللعب. كما تتفق نتائجنا واكتشافاتنا المتعلقة بالطفلات في البيوت مع الدراسات الأكبر منها بكثير التي قام بها كل من "ويلز" و "ديفي". وقد اختلفت هذه الدراسات عن دراستنا في أنها لم يتم تسجيل محادثات في حالة منها، وتم تسجيل اثنتين وتسعين عينة من المحادثات فقط في الحالة الأخرى. لكن كلتا الدراستين شملت أولادا وبنات، ووجدت كلتاهما، مثلها مثل دراستنا، قرائن قليلة لكثير من الآراء الشائعة عن الحياة المنزلية.

### إشارات وتلميحات للآباء

سوف تشغل نتائج دراستنا بال بعض الآباء. لو أن بيئة المنزل مُفضلة لهذه الدرجة لعملية التعلم، هل ينبغي أن يبعثوا بأطفالهم ليحضروا في مدارس الحضانة أو جماعات اللعب على الإطلاق؟ وهل الأطفال وهم في دور الحضانة الصباحية أو مع من يعنون بالأطفال خلال فترة عمل أمهاتهم يفقدون بُعدا مهماً من أبعاد الخبرة؟ وقد يشعر آباء آخرون بالقلق من منطلق أنهم يقفون عائقاً في طريق نمو أطفالهم بنفاد صبرهم الزائد عن الحد من جراء طرحهم لكثير من الأسئلة، أو لعدم قضائهم وقتاً كافياً في التحدث إليهم.

ينبغي أن نوضح أن الأطفال يحتاجون لمجموعة متنوعة من احتياجاتهم التعليمية، ولا يمكن تلبية بعض هذه الاحتياجات داخل نطاق البيت. إنهم يحتاجون أن يتعلموا كيف يتعاملون مع أطفال آخرين ويسايرونهم، وكيف يصبح كل واحد منهم عضواً في جماعة، وكيف ينفصلون عن عائلاتهم، وكيف يكونون علاقات ويتواصلون مع الكبار الغرباء الذين لا يعرفونهم ولا يمتون لهم بصلة قرابة. إنهم في حاجة لإتاحة فرص لهم بالركض في أماكن رحبة من حولهم، ويتمتعون بمختلف أدوات اللعب التي تقدمها لهم

فصول الحضانة وجماعات اللعب. إن البيئة الوجدانية القوية للبيت ترعى بعض أنواع التعلم وتشجع عليها، ولكنها قد تكون مؤذية بالنسبة لأنواع أخرى. ويمكن أن يكون جو الحضانة أو جماعة اللعب الأكثر انفصالا واستقلالاً ذا تأثير مُهدِّئ على الطفل، إضافة إلى أنه يعطى الأم فترة راحة لها قيمتها؛ ويساعد تعلم الطفل اتباع روتين مدرسة الحضانة على إعداده لمتطلبات المدرسة الابتدائية.

علاوة على ذلك، لا يوجد لدينا سببا يجعلنا نفترض أن عملية التعليم من خلال الحوار الثنائي بين شخص وآخر الذي عرضناه في هذا الكتاب يحتاج إلى أن يحدث طوال اليوم وكل يوم. قد يكون حوارا واحدا مركزا تركيزا حقيقيا على الطفل كل يوم، أو سوآلا واحدا للطفل يتم الإجابة عليه بطريقة جادة، له نفس قيمة ساعات من الاهتمام الأقل تركيزا على الطفل. وعلى أى حال، فنحن لا نعتقد أن الآباء يجب أن يجيبوا دائما على أسئلة أطفالهم، وأن ينخرطوا بشكل دائم فى محادثات طويلة معهم. ينبغى على الأطفال أن يتعلموا أن الكبار لديهم اهتمامات أخرى، وبالتالي فلا يمكنهم أن يكونوا موجودين دائما لتلبية طلباتهم. فى الواقع، من الممكن أنه حتى لو كان الآباء لا يشجعون على عملية طرح الأسئلة، ولما يتحدثون محادثات مطولة مع أطفالهم، فإنهم، طال الزمن أو قصر، سوف يكتسبون، ومن عدة مصادر، المعرفة والإطار الفكرى اللازمين لأداء مهامهم والسير فى حياتهم بالشكل المناسب. ونحن نشك، على أى حال، أن الأطفال الذين ينزع أبأؤهم إلى الرد على أسئلتهم بشكل تام وكامل، والذين هم يقظون ومستعدون كعادتهم لاكتشاف أى سوء فهم وتصحيحه، والذين يجدون أحيانا وقتا للمحادثات العقلانية و المتمهلة، سوف يحرزون تقدما فكريا وذهنيا أسرع من غيرهم من الأطفال.

#### إشارات وتلميحات لمدارس الحضانة

يمكن للبعض أن يجادل بأنه ليس لنتائجنا أى إشارات أو تلميحات

خاصة لمدارس الحضانة أو جماعات اللعب. على سبيل المثال، يمكن أن يستنتج البعض أن عملية تعزيز وتقوية النمو الفكرى يمكن تركها للبيت على نحو مطمئن، بينما تتولى فصول الحضانة تلبية الاحتياجات الاجتماعية والبدينية للأطفال. وهذه وجهة نظر معقولة وصائبة للغاية يمكن أن يقدمها كثير من الآباء ومديرو جماعات اللعب. ومع ذلك، فإن غالبية مدرسو الحضانة لا يريدون التنازل بهذا الشكل عن مسئولية النمو الفكرى والذهنى للأطفال. وقد يتحدوننا بطريقة معقولة أن نقدم لهم اقتراحات بالطرق التى يمكن لمدارس الحضانة أن تتغير من خلالها حتى تلبى احتياجات الأطفال الفكرية بشكل واف وملائم أكثر مما يقومون به.

إن مشكلة المدرسة، كما نراها، هى كيف تعزز، وتُسخر، وتُسبغ اهتمام وفصول الأطفال اللذين يظهر ونهما فى البيت. المطلوب وجود بيئة تسمح "للعقل المُحير" أن يزدهر، ويساعد الطفلة الصغيرة فى التغلب على قدر الجهل الذى تتصف به وعلى المعلومات الخاطئة التى قد ترسخ فى ذهنها، ويُطور من بنيتها الذهنية، ويُحسن من مهاراتها فى التواصل.

ومن وجهة نظرنا، فإن هذا يعنى تغيير أولويات هيئة التدريس. فبدلاً من التركيز الحالى على دعم اللعب وتعزيزه، وعلى تدبير أو ابتكار طرق بارعة لاستخدام أدوات اللعب، وعلى طرح الأسئلة على الأطفال فيما يخص اللعبات التى يمارسونها، يكون المطلوب إعطاء أولوية أعلى من هذا كله لتوسيع أفاق الأطفال، ومضاعفة معلوماتهم العامة، والاستماع إليهم وهم يتكلمون. لقد وجدنا أن معظم المحادثات التى تختبر عقل وفكر الطفلة فى البيت كانت تحدث فى أوقات فراغ نسبي لكل من الأم والطفلة، وعادة ما كان ذلك فى أثناء تناول الوجبات الغذائية التى كانت تجمع بينهما، أو فى أثناء احتساء الأم لفنجان من القهوة، أو فى أثناء سرد إحداهن قصة للأخرى. ولما كانت أمثال تلك المحادثات تتم بينما تكون الطفلة مشغولة بمزاولة نشاط ما. ومع ذلك، فإن مدارس الحضانة وجماعات اللعب يغلب عليها التوجه بكثرة للأنشطة، مع شعور المدرسات بالقلق وعدم الاطمئنان إذا لم ينتقلن من

طفلة إلى أخرى، ويتأكدن من انشغالهن جميعا بمزاولة أنشطة أو لعبات معينة. وفي المناسبات النادرة التي راقبنا فيها حدوث محادثات طويلة فى المدرسة، كانت المدرسات عادة مستقرات فى مكان ما لمدة طويلة لإصلاح جهاز أو صناعته، بينما تكون الطفلة واقفة بجوارهن فيتبادلن الحديث معها.

وهناك مشكلة أخرى ينبغى على المدارس وجماعات اللعب التغلب عليها وهى نزعتهم إلى بخس تقدير قدرات الطفلات واهتماماتهن والاستخفاف بها. وتنشأ تلك النزعة من عدة مصادر. والذى يشجع المدرسات على تكوين هذه النزعة هو اعتقادهن بأن الطفلات يتعلمن فى الأساس من خلال اللعب، ومن خلال نظرية "باياجيت" عن الطاقات الذهنية والفكرية المحدودة للطفلة. ويغذى هذه النزعة أيضا اعتقاد المدرسات بأن طفلات الطبقة العاملة لا يعلنن شيئا فى بيوتهن سوى مشاهدة التليفزيون. وفى الحقيقة، فإن نسخ بحوثنا تظهر أن اهتمامات الطفلات الصغيرات تمتد إلى أى ناحية تمسهن من نواحي الحياة؛ الجيران، والنقود، والأضواء الكهربائية وبناء البيوت وشكلها وترتيبها، وعمل الآباء، والله، وموت الحيوانات المدللة، والأطباء. ولو كان للمعلمات فى المدرسة أن تتابعن تلك الاهتمامات وتثيرها، فلا بد من أنهن سيراجعن أفكارهن عما يمكن أن تفهمه الطفلات وتعيه، فتغنيهن بقدر إضافى هائل من المعلومات العامة.

وقد يتضمن ذلك تخطى جدران المدارس أكثر من المعتاد فى الوقت الحاضر. وقد فعل ذلك تماما أعضاء هيئة التدريس بـ "مدرسة مولنتج هاوس" الشهيرة التى افتتحها "سوزان إيذاءكس" فى "كامبريدج" فى الثلاثينيات من القرن العشرين. لقد أدى سؤال لأحد الأطفال، وهو "مما يُصنع الخشب؟" إلى زيارة لإحدى مؤسسات نشر الخشب؛ وأدى سؤال آخر، "ما هى مادة الكرتون؟" أولا إلى عرض أنوال بسيطة لصنع الكرتون أو الورق المقوى، وأدى بعد ذلك إلى رحلة تسوق لرؤية رُزم كبيرة من الكرتون. إن للمدارس مزايا غير متوفرة للبيت فى بعض الأمور منها إمكانية متابعة اهتمامات الأطفال، لأن المدرسات يمكنهن إعطاء أولوية لتلك الاهتمامات،

بينما تكون الأمهات عادة مشغولات للغاية بالمهام المنزلية. إن الذهاب للمحلات، مثلا، مناسبة روتينية في البيت، وثارة تكون مناسبة ممتعة، وتكون مناسبة حافلة بالمنازعات تارة أخرى. أما في المدرسة فيمكن أن تكون تجربة تعليمية مرسومة ومخطط لتتفيدها. فقد تتمكن المدرسة، على سبيل المثال من إقناع البائع في المحل بالسماح لمجموعة صغيرة من الأطفال برؤية البضائع المكسدة خلف المحل، أو التي ينقلها "اللورى" لمحله. ويمكن أيضا إجراء مناقشة تفصيلية لاستلام الزبون لباقي حسابيه من النقود، والذي يعتقد كثير من الأطفال الصغار أنه مصدر ثروة للآباء.

ومع ذلك، فنحن لا نريد أن نوحى بأن "النزهات" خارج المدرسة فى حد ذاتها لها قيمتها بالضرورة. بدون وجود مدرسة تألفها الطفلات وتتعن فيها، وفى استعدادها للإجابة على أسئلتهن، وحثهن وتشجيعهن على طرحها، فإن التجارب الجديدة، برغم أن الغرض منها هو تثبيت حقائق أو أفكار معينة فى عقول الطفلات، إما أن تتمحى من ذاكرتهن، ولا تترك سوى صدى بسيط فى نفوسهن، أو قد تزيد من حالات الارتباك الموجودة فيهن. ويرجع ذلك لأن مضاهاة مستوى الشرح والتفسير والمعلومات التى تقدّم للطفلات بمستواها الحالى فى الفهم والإدراك عملية حساسة، تتطلب لإنجاحها معرفة وثيقة لكل طفلة على حدة. كما تتطلب أيضا استعداد الطفلة ورغبتها فى طرح أسئلة حول ما لا تفهمه من أشياء.

يصعب تحقيق خاصية التواصل بين الكبار والطفلة بالنسب المكونة من ١٠ : ١ أو من ١٥ : ١ التى تحدث فى مدارس الحضانة والفصول البريطانية. إن حجم كثير من فصول الحضانة يعمل ضد إمكان وصول المدرسات والأطفال لمعرفة كل طرف منهما للطرف الآخر بشكل جيد، وتبادلها المحادثات على مهل.

وتتطبق صحة هذا الكلام على وجه الخصوص على مدارس الحضانة أو الوحدات ذات الخطة المفتوحة، والتى تتحرك فى نطاقها ما بين من

أربعين إلى ستين طفلة. لقد ألهم نموذج "باياجيت" عن التعليم المسؤولين عن تلك المدارس والوحدات فأنشأوها وصمموها بحيث تسمح للأطفال باستخدام أكبر قدر ممكن من أدوات اللعب. إن مثل تلك البيئة تجعل من المستحيل تقريبا تحقيق المنهاج التعليمي الذي ن فكر فيه و ن صبو إليه.

إن قيود وجود عدد أقل من اللازم من أعضاء هيئات التدريس مع وجود عدد أكبر من اللازم من الفصول الدراسية تتراكم وتتضاعف بسبب النظام شبه العالمي لمدرسة نصف اليوم. يحضر المدرسة أطفال مختلفون في الصباح وبعد الظهر: وبهذا الشكل يصعب على المدرسين والمدرسات للغاية، حتى مع تحليهم بأمضى عزيمة وأفضل إرادة في العالم، أن يصلوا لمعرفة كل هؤلاء الأطفال معرفة جيدة. ولا يمكن أن تصيبنا الدهشة لأن المدرسات اللاتي راقبنهن كن يعرفن القليل القليل عن تلميذاتهن، وأن الطفلات لم تكن تعرفن المدرسات بالقدر الكافي الذي يجعلهن يطرحن أسئلة عليهن، أو يتحدثن معهن بحرية.

### الثغرة بين البيت والمدرسة

لقد ركزنا تركيزا شديدا في هذا الكتاب على الثغرة الموجودة بين عالم البيت وعالم المدرسة. إن هناك اختلافات كثيرة بين هذين العالمين في الخبرات التعليمية، والانضباط والنظام، ومتطلبات التواصل، وفي البيئات المادية والاجتماعية، ومن هنا ينشأ السؤال حول ما إذا كان ينبغي سد تلك الثغرة أو لا، وحول طرق سدها.

وقد يجادل البعض في أن مثل تلك الثغرة ليست شيئا سيئا بالضرورة. وطبقا لوجهة النظر هذه، فإنه من بين المهام الرئيسية للمدرسة تقديم طرق جديدة للتفكير واكتساب المعرفة للأطفال والطفلات. وعلى هذا، فربما تكون حقيقة أنهم يجب أن يتواصلوا ويتحدثوا مع الكبار الذين لم يشاركوهم ماضيهم، ويعرفون القليل عن خلفياتهم دعامة بل وحافزا للأطفال لتحقيق قدر أكبر من الوضوح والبيان. علاوة على ذلك، فحيث إن الأطفال يجب أن



يتحركوا ويعملوا في بيئات خارج نطاق بيوتهم، فإن ذلك يمكن أن يساعدهم فقط على تعلم أن قواعد السلوك المختلفة وأساليب التواصل يمكن أن تتم في البيت وفي المدرسة.

وبشكل أساسي أكثر، قد يجادل بعض علماء النفس ويؤكدون أن المدرسة يجب أن تختلف بالضرورة عن البيت لأنها البيئة التي ينبغي أن يتم فيها تغيير بيئة وظروف تعلم الطفل في البيت. ففي البيت، على سبيل المثال، قد تتعلم الطفلة عد الأرقام طبقاً لصلة ذلك بعدد الكعكات أو بألعاب الشدة. هذا النوع من المعرفة غير متاح لها بالضرورة في بيئات أخرى. والطفلة التي تستطيع أن تلعب الاحتكار أو "المونوبولي" على الكمبيوتر في البيت قد لا تستطيع بالضرورة استخدام المهارات الحسابية التي تتضمنها "المونوبولي" عندما تتعامل مع عمليات رياضية مدرسية. إن دور المدرسة هو تقديم طريقة جديدة للتفكير ومعرفة العالم لا تعتمد على تجارب الأطفال والطفلات الخاصة خارج نطاق المدرسة. وتؤكد "مارجريت دونالدسون" في كتابها "عقول الأطفال" أن الهدف من التعليم هو خلق أشخاص قادرين على تجاهل معارفهم وتجاربهم الفردية الخاصة، ويمكنهم بدلاً من ذلك التفكير بطريقة منطقية و "غير مطمورة"، ومتحررة من قيود وجهات نظرهم الخاصة. ولكي نحقق ذلك، يمكن أن نؤكد أن الأطفال يحتاجون إلى أن يتعلموا منذ اللحظة الأولى لدخولهم المدارس أنهم أصبحوا في الحقيقة في بيئة جديدة، حيث سيكون عليهم أن يكتسبوا فيها مهارات جديدة، وطرقاً جديدة للكلام.

ونحن لا نريد أن نجادل مع الرأي القائل بأن التفكير المتحرر "غير المطمور" والمهارات الأكاديمية أهدافاً مهمة من أهداف التعليم. إن اعتراضنا ينصب على الفكرة القائلة أن تلك الأهداف يتم القيام على خدمتها ورعايتها على أحسن وجه متجاهلين المهارات والاهتمامات التي يستحوذ الأطفال عليها ويظهرونها في البيت. لقد أظهرت مراقبتنا للطفلات في البيوت أنهن يعرضن مجموعة من الاهتمامات والمهارات اللغوية مكنتهن من أن يصبحن

متعلمات مهارات. ومع ذلك فقد أظهرت تلك المراقبات لنفس الطفلات فى المدرسة نقص أساسياً لإدراك مدرسات الحضانة لتلك المهارات والاهتمامات. ومما لاشك فيه أنه، فى عالم المدارس، يبدو الطفل أنه مفكر أقل نشاطاً بكثير عما هو حاله وهو فى بيته. ونحن لا نعتقد أن المدارس يمكنها أن تحقق أهدافها بأكبر درجة من الكفاءة إذا لم تتمكن من استخدام الكثير من مهارات الأطفال والطفلات.

علاوة على ذلك، فإذا كان الأطفال والطفلات عاجزين عن نقل تلك المهارات وإظهارها داخل نطاق المدرسة، فإنه سوف ينشأ انشقاق حتمى بين ما يتعلمونه فى كل مكان منهما. وقد رأينا فى دراستنا كيف أصبحت المعرفة التفصيلية التى كانت الطفلات قد كونتها عن الدنيا منذ نعومة أظافرهن من خلال تفاعلاتهن مع أمهاتهن بعيد الصلة بتفاعلاتهن مع مدرسات الحضانة. لقد كانت الروابط التجريبية المؤقتة التى تحاول الطفلة إقامتها بين خبراتها المنزلية وتلك التى كانت تُقدِّم لها فى المدرسة يتم طمسها وقمعها فى المناقشات الجماعية أو يُساء فهمها فى المناقشات الفردية. وبالتالي، فلو بدأت الطفلة تحكى للمدرسة عن شىء ما حدث فى بيتها، فإن التواصل يكون غير ناجح بينهما فى الغالب لأن المدرسة ليست لديها معرفة كافية عن خلفية حياة الطفلة تجعلها تفرِّق بين بيئة البيت وبيئة المدرسة وتقدم أحكامها بناء على ذلك. ولو سألت المدرسة الطفلة سؤالاً عن بيتها، تكون المحادثة غير مثمرة أيضاً لأن المدرسة لا تعرف ماذا تفعل بإجابات الطفلة. وكننتيجة لذلك، كانت الطفلات تنتقل بفاعلية بين عالمين مختلفين، مع وجود فرص ضئيلة لنقل المعلومات أو المهارات التى تكتسبها فى مجال منهما إلى المجال الآخر. وكان الانفصام فى معلومات الطفلة بين البيت والمدرسة واضحاً ومشهوداً وهى فى الرابعة من عمرها.

إن هذا الانفصام أو تلك الثغرة ليست بالطبع صفة مميزة خاصة بمدارس الحضانة وحدها، لكنها تنطبق على جميع المراحل والنظم التعليمية.

قد يصبح "التعلم فى المدرسة" منفصلا بشكل متزايد عن أى تعلم يحدث خارج نطاق حجرة الدراسة. وربما يتم اكتساب المعرفة فى المدارس بغرض النجاح فى الامتحانات والتي يُستبعد أن تُطبق على مشاكل الحياة الواقعية بعيدا عن المدرسة. وبالمثل، فإن تجارب الطفل أو الطفلة والمعرفة التى يكتسبها خارج نطاق حجرة الدراسة عن العالم الذى يعيش فيه قد لا يعتبرها التعليم الأكاديمى فى المدارس مناسبة أو كافية.

ويمكن سد هذه الثغرة إلى حد ما فى مستوى مدارس الحضانة من خلال مشاركة الآباء فى الشئون المدرسية بشكل أكبر بكثير مما يحدث حاليا، وبحصول هيئة التدريس على قدر من المعلومات عن حياة الأطفال خارج حدود المدرسة يفوق بكثير ما تعرفه عنهم فى الوقت الحاضر. وتتضمن هذه العملية نفس نوع التغييرات التى أيدنا حدوثها من منطلق أسس وخلفيات أخرى، بمعنى تنظيم جماعات صفية أصغر حجما مما هى عليه الآن فى مدارس الحضانة، وتجنب مدارس الخطة المفتوحة، و"ريما" تحديد أطفال مُعينين يولى تعليمهم والإشراف عليهم أعضاء بعينهم من هيئة التدريس. كما تتضمن تلك العملية أيضا اعترافا من هيئة التدريس بأهمية معرفتهم باهتمامات ومعلومات الأطفال خارج نطاق المدرسة.

ومع ذلك، فالعقبة الكبرى لدمج عالم البيت بعالم المدرسة فى السنوات التى تسبق ذهاب الطفل أو الطفلة للمدرسة هى النمو البطيء والبسيط نسبيا لمهارات الطفل فى التواصل والتحدث مع الغير. وقد رأينا فى الباب العاشر كم كان الأمر صعبا، حتى بالنسبة لأكثر البنات طلاقة فى اللسان، أن تتحدث البنت عن البيت وهى فى المدرسة، وعن المدرسة وهى موجودة فى البيت. وكثيرا ما أقامت البنات افتراضات غير صحيحة عما يعرفه الشخص الذى كن يتحدثن معه عن حياتهن الأخرى فى البيت أو فى المدرسة، وعما يحتجن معرفته عنه حتى يفهمه. إن مساعدة الأطفال والطفلات فى مدارس الحضانة على تحسين مهارات التواصل تُعتبر من المهام التعليمية التربوية المهمة. وقد يكون بعض أنواع اللعبات مفيدة لتحقيق هذا الغرض، ولكننا نكرر أن

حساسية المدرسة ومعرفتها بالطفلة يُعتبران عاملين حاسمين في هذا المجال.

### هل يحتاج الآباء للتعليم؟

خلال العشر سنوات الماضية، كانت هناك مخططات لزيارة البيوت. وتنهض تلك المخططات، التي تدير المدارس بعضها، وتدير منظمات متطوعة بعضها آخر منها، وتدير السلطات المحلية البعض الباقي، بتدبير زائر البيت، أو الزائر الخاص بالتربية والتعليم، للقيام بزيارات منتظمة للعائلات التي بها أطفال أو طفلات تقل أعمارهم عن خمس سنوات. وتوجه معظم المخططات نحو عائلات يُعتقد أنها في حاجة خاصة للعون والدعم. وبينما يتنوع الغرض الذي يركز كل مخطط عليه، فإن هدف جميع المخططات تقريبا هو تحسين نوعية وطرق التفاعل بين الآباء والأطفال. وتتطوى معظم تلك المخططات على تشجيع الآباء على اللعب مع أطفالهم، وتركز على دورهم كمُربين ومعلمين، رغم أن بعضها يركز أكثر على مصادقة الأمهات وتقديم العون لهن.

ومما لا شك فيه أن كثيرا من الأمهات تقدر هذا الاهتمام وذلك الدعم. ومع ذلك، فما يعنينا نحن هو الافتراض بأن المتخصصين يعرفون كيف ينبغي أن يتفاعل الآباء مع أطفالهم وطفلاتهم ويتولون تربيتهم وتعليمهم. وهذا أيضا هو الافتراض الذي يشكل أساس معظم مناهج تعليم الآباء، والتي يمكن أن تجدها ملحقّة على المدارس، والمستوصفات الخاصة بحالات ما قبل الولادة ورعاية الأطفال الصحية. وفي الواقع، فإن أساس المعلومات والمعرفة الخاصة بتعليم الآباء أساس هزيل للغاية. فلا توجد دلائل حقيقية بأن الآباء يحتاجون للتفاعل مع الأطفال بأي طريقة محددة، وغالبا ما يبدو أن تكون النصائح المقدّمة لهم مبنية على أفكار حول ما يفعله الأب الصالح من آباء الطبقة المتوسطة. وما يثير القلق أكثر هو النصائح التي يبدو أن المقصود منها جعل الآباء يتصرفون كما يتصرف المدرسون والمدرسات، على سبيل المثال، بأن يقترحوا عليهم طرح أسئلة ذات نهايات مفتوحة تحث

أطفالهم على التفكير فى الإجابة، وأن يعلموهم أسماء الألوان والأحجام والأشكال.

وترى دراستنا أن تبادل الآراء والأسئلة، بشكل متوازن بين الكبار والأطفال، الذى يشكل معظم المحادثات فى البيوت ينسجم مع احتياجات الأطفال الصغار أكثر من طريقة التدريس المبنية على السؤال والجواب فى المدارس. كما ترى الدراسة أنه لا يوجد موقف "تعليمى" أو نشاط "تعليمى" منزلى محدد. إن ما يطور التعلم ويعززه بحق هو اهتمام أحد الوالدين بمستوى فهم طفله وإدراكه، وفضول الطفل وحبه للاستطلاع ومثابرتة وإصراره على معرفة الأشياء. حتى تلك المواقف غير الواعدة، كالمنازعات بين الأم والطفلة، يمكن أن تكون أداة موصلة للتعلم مثلها مثل اللعب على أقل تقدير. وإذا كان من المفيد للأطفال بشكل واضح أن يعرفوا أسماء الألوان والأشكال، فإن التركيز على هذه المهمة قد يودى إلى إهمال وبخس تقدير اهتماماتهم الأكثر عمقا وتعقيدا.

ولم نجد أى سبب يدعونا إلى أن نعتقد أنه ينبغي تشجيع الآباء على اللعب مع أطفالهم إذا لم يريدوا ذلك. إن هناك أشكالا أخرى من التفاعل، لاسيما المحادثات المتمهله، يمكن أن تحفز الأطفال وتنبههم ذهنيا وفكريا أكثر من اللعب معهم. وبالمثل، فلا يوجد سبب "تعليمى تربوى" جيد ينبغي على الآباء من أجله أن يزودا الأطفال بألعاب الرمل والماء، وقوالب البناء، وما إلى ذلك، رغم أن الأطفال قد يحصلون على متعة عظيمة من خلال مزاولتهم لأنشطة من هذا النوع. إن المفاهيم الرياضية والعلمية التى تساعد هذه الأدوات وتلك المواد، كما هو المقصود منها، على نموها وتطويرها، يمكن اكتسابها من اللعب بأدوات عادية موجودة فى البيت؛ كالطعام، وماء الحمام، وعلب الكرتون، وما إلى ذلك.

ومع ذلك، فقد يريد الآباء بأنفسهم الحصول على معلومات ومساعدات من شتى الأنواع لتربية وتعليم أطفالهم. إن مشاركة الآباء تجاربهم وخبراتهم

مع تجارب وخبرات آباء آخرين شكل له قيمته من أشكال الدعم والتعلم، ويغلب ألا يكون متاحا للعائلات المعزولة. ويريد بعض الآباء نصائح حسنة الاطلاع حول لعب وكتب الأطفال، ويريد آباء آخرون أن يعرفوا أفضل الأوقات التي يعلمون فيها أطفالهم القراءة والكتابة وأفضل الطرق لتحقيق ذلك. ويتجاوب كل الآباء تقريباً باهتمام شديد عندما يظهر شخص ذو علم ومعرفة اهتماماً شخصياً بطفلتهم ويحدد لهم جوانب لم يدركوها من قبل عن نموها وتطورها. ومن هنا يمكن أن نرى دوراً مفيداً تلعبه جماعات الآباء، ودوراً آخر لمراكز تقديم الاستشارات والنصائح والمعلومات التي تتجاوب مع هذه المتطلبات، ولكننا لا نرى أى دور للمحاولات التي يقوم بها المتخصصون لتغيير الطريقة التي ينفذ الآباء بها دورهم التعليمي.

وفي رأينا، لقد أن الأوان في الحقيقة أن نُبعد التركيز عما ينبغي أن يتعلمه الآباء من المتخصصين إلى ما يمكن أن يتعلمه المتخصصون من دراسة الآباء والأطفال في بيوتهم.



## ملحق إحصائي

تم طباعة الجداول التالية بالترتيب الذي ذكرت فيه نتائج البحث لأول مرة.

معدل المحادثات بالساعة	
الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة
٢٦,٤	٢٧
٩,١	١٠,٩
الموقع = F ١١٩ ، $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية NS	
طول المحادثات	

النسبة المئوية لكل المحادثات:					
متوسط عدد أدوار الكلام	الطويلة (٢٢ دورفاكثر)	المتوسطة (٢-٢١ دور)	القصيرة (٢-٦ أدوار)		
٧,٧	٨	٢٨	٥٦	الطبقة العاملة في المدرسة	N
	(٣٨)	(١٤١)	(٣٣٣)		
٨,٣	٨	٢٩	٦٢	الطبقة المتوسطة في المدرسة	N
	(٥٤)	(١٨٤)	(٣٩٦)		
١٦,٥	١٨	٣٨	٤٣	الطبقة العاملة في البيت	N
	(١٦٧)	(٣٥١)	(٣٩٨)		
١٦,١	٢٠	٣٨	٤٢	الطبقة المتوسطة في البيت	N
	(١٨٧)	(٣٥٤)	(٤٠٠)		

نسبة المحادثات القصيرة، والمتوسطة والطويلة: الموقع % ٢ = ١٤١ ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS؛ متوسط طول المحادثة: الموقع = F ٥٤,٨ ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS.

طول أدوار الكلام الخاص بالكبار والطفلات

متوسط عدد الكلمات في كل دور من أدوار الكلام:

بالنسبة للشخص الكبير	بالنسبة للطفلة	
١٤,٠	٤,٨	الطبقة العاملة في المدرسة



٥,٤	١٤,٥	الطبقة المتوسطة في المدرسة
٥,٨	٦,٥	الطبقة العاملة في البيت
٥,٨	٨,٦	الطبقة المتوسطة في البيت

استنادا إلى إحدى عشرة محادثة تم اختيارها عشوائيا بالنسبة للطفلة والمكان الذي تمت فيه المحادثة.

متوسط كلمات الشخص الكبير في الساعة: الموقع  $F = ٣٧,٥ < p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة العاملة NS؛ التفاعل NS.

متوسط كلمات الطفلة في كل دور من أدوار الكلام: الموقع  $F = ٤,٨ > p > ٠,٠٥$ ؛ الطبقة العاملة NS؛ التفاعل NS.

نسبة كلام الشخص الكبير مع الطفلة: الموقع  $F = ٥٠,٨ < p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة العاملة NS؛ التفاعل  $F = ٣,٩٧ < p < ٠,٠٠٦$ .

#### محتوى معلومات الكلام مع الطفلات

المدرسة		البيت		متوسط المعدل بالساعة	
الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة		
٦,٠	٥,٩	٢٣,٣	٣٠,٦		الملاحظات الخاصة بالسيطرة والتحكم <sup>(١)</sup>
٤٥,٨	٣٠,٢	١٥٨,٩	١٤٠,٥		معلومات أخرى <sup>(٢)</sup>
٢٢,١	١٨,٧	٢٧,٤	٢٤,٩		متوسط عدد قوائم المعلومات في حديث الكبار <sup>(٣)</sup>
١,٤	٩,٠	٧,٦	٣,٩		معلومات عامة <sup>(٤)</sup>

#### النسبة المئوية

٤٥	٣٥	٣٦	٣٢	نسبة أدوار الكلام الذي يحتوي على معلومات <sup>(٢)</sup>
٦,٧	٧,٢	٥,٣	٧,٨	نسبة أدوار الكلام الذي يحتوي على السيطرة والتحكم <sup>(١)</sup>
١٧,١	١٢,١	٨,٥	٧,٤	نسبة التحدث بمعلومات عن اللهو وتمثيل أدوار <sup>(٣)</sup>

١,١	٠,٨	٣,١	٥,١	نسبة التحدث بمعلومات عن العائلة في محيطها الداخلي <sup>(٨)</sup>
٢,١	١,٦	١,٨	١,٣	نسبة الكلام الذي يبلغ الطفل معلومات عن السلوك الاجتماعي <sup>(٩)</sup>

- ١- F (الموقع) ١٦٦، p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS
- ٢- F (الموقع) ١٠٥، p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS
- ٣- F (الموقع) ٤٣,٧، p < ٠,٠٠١؛ F الطبقة الاجتماعية ٥,١، p < ٠,٠٥؛ التفاعل NS.
- ٤- ٢٪ باستخدام القوائم؛ الموقع ٢٤,٤، p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية ٥,٢، p < ٠,٠٥
- ٥- F (الطبقة) ٦,٤، p < ٠,٠٥؛ الموقع NS؛ التفاعل NS
- ٦- لا توجد فوارق ذات مغزى.
- ٧- F (الموقع) ٨,٧، p < ٠,٠١؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS
- ٨- F (الموقع) ٢٤,٨، p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS
- ٩- لا توجد فوارق ذات مغزى.

#### المنازعات بين الكبار والطفلات

المدرسة		البيت		نسبة الحوادث المحتوية على منازعات
الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	
٣,٥	٢,٣	١١,٩	١٧,٩	

الطبقة الاجتماعية في البيت: T = ١,٥٥؛ F القيمة في الاختلاف بين المتغيرات ١٢,١، p < ٠,٠٠٠

#### تواتر أسئلة الطفلات

المدرسة		البيت		المعدل بالساعة
S.D	المتوسط	S.D	المتوسط	
١,٥	١,٤	١٣,٤	٢٤,٠	الطبقة العاملة
٣,٤	٣,٧	١٦,١	٢٩,٠	الطبقة المتوسطة

النسبة المئوية لأدوار الكلام

١,٩	٢,٠	٢,٣	٥,٦	الطبقة العاملة
٣,٢	٤,٠	٢,١	٦,٦	الطبقة المتوسطة

(المعدل بالساعة) البيت مقابل المدرسة:  $F=٧٧,٤$  ،  $p<٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F=١,٨$  ،  $NS$ ؛ التفاعل  $F=٤٠,٢$  ،  $NS$  (النسبة المئوية لأدوار الكلام) البيت مقابل المدرسة:  $F=٢٦,٥$  ،  $p<٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F=٥,٦$  ،  $p<٠,٠٥$ ؛ التفاعل  $F=٠,٧$  ،  $NS$ .

طرح الأسئلة والحث على طرحها

الفضل %	العمل والمهام %	الاعتراضات %	المعدل بالساعة
٢٤	٠,٣	٧	الطبقة العاملة في المدرسة
٦٢	٢,٣	٢	الطبقة المتوسطة في المدرسة
٥٣	١٢,٣	١٣	الطبقة العاملة في البيت
٧٢	٢٠,٦	٨	الطبقة المتوسطة في البيت

نسبة كل نوع من أنواع الأسئلة في أماكن وخلفيات مختلفة: البيت مقابل المدرسة، %  $d.f. = ٤٧,٥$  (مُعيّن الاتجاه)  $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية %  $d.f. = ٩٧,٩$  ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ التفاعل %  $d.f. = ٧,٧$  ،  $p < ٠,٠٢$  .

تواتر الأسئلة السببية

النسبة المئوية لكل الأسئلة	المعدل بالساعة
١٥	٠,٢
٢٢	٠,٨
٢٢	٥,٢
٣١	٨,٨

الأسئلة "السببية" باعتبارها جزء من جميع الأسئلة؛ البيت مقابل المدرسة، %  $d.f. = ٦,٠$  ،  $p < ٠,٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية %  $d.f. = ٢٠,٤$  ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ التفاعلات "غير محددة"

فقرات الطفلات في المثابرة على طرح الأسئلة

عدد الطفلات	عدد الفقرات
٤	١٦
١٣	٤١

%  $d.F = ٨,٧$  ،  $p < ٠,٠٠١$  لم يكن هناك فقرات في المدرسة.

إجمالي استخدامات الكبار المعقدة للغة

البيت	المدرسة	البيت	المدرسة	
متوسط المعدلات بإجمالي أدوار الكلام	متوسط النسبة المئوية لإجمالي أدوار الكلام	متوسط المعدلات بالساعة	متوسط النسبة المئوية لإجمالي أدوار الكلام	
٨,٨	١٤,٣	٣٨,٤	١١,٤	الطبقة العاملة
١١,٦	١٧,٢	٥١,٥	١٧,٤	الطبقة المتوسطة

(المعدلات بالساعة) المدرسة مقابل البيت:  $F=٧٩,٤$ ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F=٥,٠$ ،  $p < ٠,٠٥$ ؛ التفاعل NS. "غير محدد". (النسبة المئوية لإجمالي أدوار الكلام) المدرسة مقابل البيت:  $F=٢١,٤$ ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F=٥,٢$ ،  $p < ٠,٠٥$ ؛ التفاعل NS.

إجمالي استخدام الأطفال المعقدة للغة

البيت	المدرسة	البيت	المدرسة	
متوسط المعدلات بإجمالي أدوار الكلام	متوسط النسبة المئوية لإجمالي أدوار الكلام	متوسط المعدلات بالساعة	متوسط النسبة المئوية لإجمالي أدوار الكلام	
٣,٨	٢,٤	١٧,١	٢,٢	الطبقة العاملة
٤,٤	٤,٦	٢٠,١	٥,٠	الطبقة المتوسطة

(المعدلات بالساعة) المدرسة مقابل البيت:  $F=١١٠,١$ ،  $p < ٠,٠٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F=٦,٣$ ،  $p < ٠,٠٥$ ؛ التفاعل  $F=٥,٥$ ،  $p < ٠,٠٥$ ؛ (النسبة المئوية لإجمالي أدوار الكلام) المدرسة مقابل البيت:  $F=٦,٢$ ،  $p < ٠,٠٥$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F=٩,٧$ ،  $p < ٠,٠١$ ؛ التفاعل  $F=٦,٢$ ،  $p < ٠,٠٥$ .

عدد الكلمات المختلفة التي استخدمتها الأمهات والطفلات في ٢٠٠ كلمة من الحوار

الأمهات		الطفلات		
الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	المتوسط
١٠١,٢	٩٤,٧	٩٢,٩	٨٩,٥	
الطبقة لاجتماعية $F=١٢,٠$ ، $p < ٠,٠١$				

ملائمة إجابات الكبار عن الأسئلة "السببية"

لا جواب	الإجابات الملائمة + الكاملة	الإجابات غير الملائمة	
٠	٨	٣	الطبقة العاملة في المدرسة
٧	٢٥	١٤	الطبقة المتوسطة في المدرسة
٦١	٥٦	٦٠	الطبقة العاملة في البيت

الطبقة المتوسطة في البيت

تحليل الانحراف: ملائمة المكان % ٢ = ٥,٧ = d.f. ، ٢ = NS؛ الطبقة الاجتماعية: الملائمة = d.f. ، ١٠,٧ = ٢ = d.f. ، ٢ < p ، ٠,٠٠٥؛ المكان: حجرة الدراسة: الملائمة = d.f. ، ٦,٦ = ٢ < p ، ٠,٠٤

لعب الكبار مع الطفلات

المدسة		البيت		متوسط المعدل بالساعة
الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	
٢,٧	٢,١	٥,١	٥,٨	المحادثة حول اللعب <sup>(١)</sup>
٢,٢	١,٨	٣,٨	٣,٢	اقتراحات الكبار حول اللعب <sup>(٢)</sup>
%٨	%٨	%٣٢	%٢٩	النسبة المئوية لمحادثات اللعب المختصة بالتمثيل الخيالي <sup>(٣)</sup>
١,٤	١,٣	٢,٤	٣,٣	إجمالي عدد الألعاب التي يلعبها الشخص الكبير مع الطفلة <sup>(٤)</sup>
%٥٢	%٥٩	%٤١	%٤٩	نسبة الحصة التي تمضيها الطفلة في اللعب <sup>(٥)</sup>

١- F (المكان) ٢٥,٢ < p ، ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية: NS. التفاعل NS.

٢- F (المكان) ١١,٣ < p ، ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية: NS. التفاعل NS.

٣- أصفار أكثر من اللازم بحيث لا يمكن تنفيذ تحليل إحصائي

٤- البيت مقابل المدرسة F = ٢٤,٣ < p ، ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية ١,٤ < NS؛

التفاعل ١,٦ < NS.

٥- F (المكان) ٧,١ < p ، ٠,٠٠١؛ حجرة الدراسة (٣,٤) < p ، ٠,٠٥؛ التفاعل NS.

دعم المحادثات وإطالة مدتها

النسبة المئوية لكل المحادثات:

النسبة المئوية للمحادثات التي دعمتها الطفلات. N = ١٦٥	متوسط النسبة المئوية التي لا تتجاوب
١٥	١٥,٦
(٢٤)	
N	

الطبقة العاملة في المدرسة

١١,٤	٢٣ (٣٨)	الطبقة المتوسطة في المدرسة N
٦,٦	٤٨ (٧٩)	الطبقة العاملة في البيت N
٧,١	٤٥ (٧٤)	الطبقة العاملة في البيت N

استنادا إلى محادثات تم اختيارها عشوائيا لكل طفلة في كل موقع.  
الطفلة تدعم المحادثة: المكان %٢ = d.f. ٥٨,٥ = ١ < p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية NS؛  
التفاعل %٢ = d.f. ٣,٦١ = ١ < p < ٠,٠١؛ الطفلة لا ترد على السؤال: المكان F=٢١,١،  
٠ < p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية NS؛ التفاعل NS.

### تواتر الأسئلة المعرفية

البيت		المدرسة		
الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	
٤,٥	٣,٣	٨,٥	٩,٣	الأسئلة المعرفية في كل ١٠٠ دور من أدوار الكلام <sup>(١)</sup>
١٩,٦	١٤,٨	٧,٩	٧,٦	الأسئلة المعرفية بالساعات <sup>(٢)</sup>
٢,٣	١,٠	٤,٧	٤,٠	اختيار "الأسئلة" لكل ١٠٠ دور من أدوار الكلام <sup>(٣)</sup>
٩,٦	٥,٣	٤,٥	٣,٦	اختبار الأسئلة بالساعات <sup>(٤)</sup>
١- البيت مقابل المدرسة: F=٢٦,٦ < p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية F=٠,١ NS؛ التفاعل F=١,١ NS				
٢- البيت مقابل المدرسة: F=٢٣,٢ < p < ٠,٠٠١؛ الطبقة الاجتماعية F=١,١ NS؛ التفاعل F=١,٣ NS				
٣- البيت مقابل المدرسة: F=١١,٥ < p < ٠,٠١؛ الطبقة الاجتماعية F=١,٦ NS؛ التفاعل F=٠,٢ NS				
٤- البيت مقابل المدرسة: F=٥,٧ < p < ٠,٠٥؛ الطبقة الاجتماعية F=٢,٢ NS؛ التفاعل NS =F ١,٥				

الاستخدام النسبي لكل نوع من أنواع الأسئلة المعرفية كنسبة مئوية لكل الأسئلة

المصنقات <sup>(١)</sup>	البيت		المدرسة	
	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة	الطبقة المتوسطة	الطبقة العاملة
	٢٢	٢٥	٢٥	٣٤
أوصاف الخواص <sup>(٢)</sup>	٩	١٦	١٧	٢٨
تذكر. سرد قصص <sup>(٣)</sup>	٢٧	٢٤	٢٣	١٣
تفسيرات. وتعميمات <sup>(٤)</sup>	١٩	٢٤	٢٧	٢٠
القراءة والكتابة والحساب <sup>(٥)</sup>	٢٣	١٠	٩	٦

١- البيت مقابل المدرسة:  $F = ٠,٥$ ، NS؛ الطبقة الاجتماعية  $F = ٠,٤$ ،  $p < ٠,٠١$ .

٢- البيت مقابل المدرسة:  $F = ٧,٠$ ،  $p < ٠,٠١$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F = ١٤,٤$ ،

$p < ٠,٠٠١$ .

٣- البيت مقابل المدرسة:  $F = ٦,٧$ ،  $p < ٠,٠٢$ ؛ الطبقة الاجتماعية  $F = ٠,٤$ ،  $p < ٢,٧$ ،

NS.

٤- البيت مقابل المدرسة:  $F = ٠,٧$ ، NS؛ الطبقة الاجتماعية  $F = ٠,٦$ ، NS.

٥- البيت مقابل المدرسة:  $F = ١,٥$ ، NS؛ الطبقة الاجتماعية  $F = ١,٢$ ، NS.

لم يكن هناك تفاعلات لها أهميتها.

يمكنك أن تجد جداول إضافية في المقالات المنشورة التالية:

## المؤلفان في سطور

بربارا تيزارد: أستاذة مُتفرغة في معهد التربية والتعليم بجامعة لندن الذي كانت مديرة لأحد أقسامه قبل إحالتها إلى المعاش. تخصصت الكاتبة في إصدار كتب وأبحاث عن تعليم الأطفال والشباب تقدم فيها أسسا ومعايير منطقية جديدة لقرارات وسياسات تربوية تساعد على تشكيل وتطوير حياتهم على نحو أفضل. اشتركت مع مؤلفين آخرين في تأليف عدة كتب عن تربية الأطفال وتعليمهم منها "دور الآباء في مدارس الحضانة ورياض الأطفال" مع بارشيل ومورتي مور، عام ١٩٧٨، وكتاب "الجنس الأسود أو الأبيض أو المختلط؟ العنصرية في حياة الشباب" مع فينيكس، عام ١٩٩٣.

مارتن هيووز: أستاذ في علم نفس التربية والتعليم ومدير كلية الخريجين جامعة بريستول. أعد الكثير من الأبحاث والكتب عن تعلم الأطفال للرياضيات والقراءة والحاسوب، والعلاقة بين البيت والمدرسة، ودور الآباء في تربية أطفالهم وتعليمهم. وهو مؤلف أو محرر للعديد من الكتب منها "الآباء ومدارس أطفالهم" بالاشتراك مع ويلكلى وناش، عام ١٩٩٤، و"ملاحظات وآراء حول التعليم والتعلم"، عام ١٩٩٤، و"التعليم والتعلم في الأزمنة المتغيرة" مع ديسفورجيز ومينشيل، عام ٢٠٠٠.

## المترجم في سطور

محمد رشدي محمد سالم: من مواليد سنة ١٩٤٠م تخرج من كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية بجامعة القاهرة عام ١٩٦٠ وعمل مدرسا للغة الانجليزية في المدارس الثانوية المصرية ثم في الكلية الحربية المصرية حتى عام ١٩٧٥. وأُعيد للعمل كمدرس في دولة الكويت، ثم مدرسا وموجها للغة الانجليزية بدولة الإمارات إلى أن أُحيل للمعاش عام ٢٠٠٠. حصل على شهادة مترجم قانوني من دولة الإمارات عام ٢٠٠٠. مارس مختلف أنواع الترجمة منذ عام ١٩٨٥ في دولة الإمارات، ولا يزال رغم عودته للحياة في مصر. وفي مصر اشترك في ترجمة الموسوعة التي ألفها رئيس وزراء ماليزيا السابق، الدكتور محاتير محمد، فترجم المجلد الخامس منها.



## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققته مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

## المشروع القومي للترجمة

أحمد درويش	جون كورين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المشرق	٣-
أحمد الحضري	انجا كاريتنيكوف	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا في غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفيتش	اتجاهات البحث اللساني	٦-
يوسف الأنطكي	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أنثرو. س. جودي	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلبي	جيرار جينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب غلوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسي للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفي	إدوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
يأشرف: أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بنوي	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	١٨-
نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١٩-
يمنى طريف الخولي وبنوي عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العناني	صمد بهرنجي	خوخة وألف خوخة وقمصن أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصري	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سعید توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلي الجميل	٢٣-
بكر عباس	باتريك بارنر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	مثنوى	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	٢٦-
يأشرف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشري الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة في التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الطلوجي وعبد الوهاب غلوب	جان سوفاجيه - كلود كابين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	٣١-
مصطفى إبراهيم قومي	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصه إبراهيم المنيف	روجر ألن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	الأسطورة والحداثة	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	٣٦-

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد الحدائق	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عبد إبراهيم	آن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين بارير	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكثافيو پاث	الذهب المزئوج	٤٣-
مارلين تانرس	ألوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينا وجون فاين	التراث المغفور	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتى	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	الإسلام فى اليلقان	٤٩-
محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأتلكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبينا وخ . م . بينياليستى	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفي فطيم وعادل دمرداش	ب . نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسى التديعى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجنون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحيرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفتى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهرى	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالنتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامى فى أولئ القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	جين ب . تومكينز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	جاك لاكاز وإغواء التحليل النفسي	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعید القانمی وناصر حلاوی	بوريس أوسينسكي	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم الفعري	الكسندر بوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوى	بنديكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد على	ميجيل دي أونامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالي	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شبيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرزاق بركات	صلاح زكي أقطاي	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحى يوسف شتا	جمال مير صادقى	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العناني	جلال آل أحمد	نون والقلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقي شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالغرب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محيي الدين	أنتوني جيدنز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	وسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باربرا لاسوتسكا - بشونتيك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	اساتيب بمضامين المسرح الإسباني، ريكي الماسر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	محدثات العولمة	٩٣-
فوزية العشماری	صمويل بيكيت	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	٩٤-
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بوירו باييخو	مختارات من المسرح الإسباني	٩٥-
إدوار الخراط	نخبة	ثلاث زئبقات ووردة وقصص أخرى	٩٦-
بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روينسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام تومبسون	مساطة العولمة	١٠٠-
رشيد بنحرو	بيرنار فاليط	النص الروائى: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتاني الإدريسي	عبد الكبير الخطيبى	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤدب	قبر ابن عربي يليه آياه (شعر)	١٠٣-
عبد الغفار مكارى	برتولت بريشت	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيب	چيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف على دعوير	ماريا خيسوس روينيرامتى	الأدب الأندلسى	١٠٦-
محمد عبد الله الجعدي	نخبة من الشعراء	صورة الفنان في الشعر الأيركي اللاتيني المعاصر	١٠٧-
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	چون بواوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنة بيجوم	النساء فى العالم الثامى	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	الاحتجاج الهادئ	١١٢-

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانت  
١١٤- مسرحيات حصاد كونجى وسكان المستقع وول شوينكا نسيم مجلى  
١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف سمىة رمضان  
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون نهاد أحمد سالم  
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد منى إبراهيم وهالة كمال  
١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث يارون لميس النقاش  
١١٩- النساء والامرة والواتين المطلق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روفى عباس  
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد مجموعة من المترجمين  
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال  
١٢٢- نظام العبيدية القديم والنموذج المثالى للجنسان جوزيف فوجت منيرة كروان  
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدوالية أنيئل ألكسندرو فنادولينا أنور محمد إبراهيم  
١٢٤- الفجر الكائن: أوهام الرأسمالية العالمية چون جراى أحمد فؤاد بليغ  
١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديفى سمحة الخولى  
١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر عبد الوهاب علوب  
١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى يشير السباعى  
١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت أميرة حسن نويرة  
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته محمد أبو العطا وآخرون  
١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك شوقى جلال  
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر  
١٣٢- ثقافة العولة مايك فيذرستون عبد الوهاب علوب  
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على طلعت الشايب  
١٣٤- تشريع حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود  
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد  
١٣٦- فلاح الباشا كينيث كون سحر توفيق  
١٣٧- مذكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى  
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح  
١٣٩- باريسقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر مصطفى ماهر  
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هوربرت ميسن أمل الجبورى  
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين نعيم عطية  
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ وديليل أ. م. فورستر حسن بيومى  
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمرى  
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولونى سلامة محمد سليمان  
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان  
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دى ليبس على عبدالرؤف البعبى  
١٤٧- مسرحيتان تانكريد نورست عبدالقفار مكابى  
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكي أندرسون إمبرت على إبراهيم منوفى  
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول أسامة إسبر  
١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان منيرة كروان

- ١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)  
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى  
١٥٣- غرام الفراغة  
١٥٤- مدرسة فرانكفورت  
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر  
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى  
١٥٧- خسرو وشيرين  
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)  
١٥٩- الأيديولوجية  
١٦٠- آلة الطبيعة  
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني  
١٦٢- تاريخ الكنيسة  
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (ج١)  
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)  
١٦٥- حكايات الطيب (قصص أطفال)  
١٦٦- العلاقات بين التبيين والعماني في إسرائيل  
١٦٧- في عالم طاغور  
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة  
١٦٩- إبداعات أدبية  
١٧٠- الطريق (رواية)  
١٧١- وضع حد (رواية)  
١٧٢- حجر الشمس (شعر)  
١٧٣- معنى الجمال  
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء  
١٧٥- التلفزيون في الحياة اليومية  
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية  
١٧٧- أنطون تشيخوف  
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث  
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)  
١٨٠- قصة جاويد (رواية)  
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات  
١٨٢- العنف والنبوة (شعر)  
١٨٣- جان كوكو على شاشة السينما  
١٨٤- القاهرة: حالة لا تنام  
١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ  
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل  
١٨٧- الأرضة (رواية)  
١٨٨- موت الأدب
- فرنان برودل  
مجموعة من المؤلفين  
فيولين فانويك  
فيل سليتر  
نخبة من الشعراء  
جى أنبال وألان وأوديت فيرمو  
التظامي الكتجوى  
فرنان برودل  
ديفيد هوكس  
بول إيرليش  
أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا  
يوحنا الأسيرى  
جورجون مارشال  
جان لاكوتير  
أ. ن. أفاناسيفا  
يشعياهو ليفمان  
رابندرنات طاغور  
مجموعة من المؤلفين  
مجموعة من المؤلفين  
ميجيل دليبيس  
فرانك بيجو  
نخبة  
ولتر ت. ستيس  
إيليس كاشمور  
لورينزو فيلشس  
توم تيتنبرج  
هنرى تروايا  
نخبة من الشعراء  
أيسوب  
إسماعيل فصيح  
فنتست ب. ليتش  
وب. بيتش  
رينيه جيلسون  
هانز إبنشورفر  
توماس تومسن  
ميخائيل إنوود  
بُزرج علوى  
ألفين كرتان
- بشير السباعى  
محمد محمد الخطابى  
فاطمة عبدالله محمود  
خليل كلفت  
أحمد مرسى  
مى التلمسانى  
عبدالعزیز بقوش  
بشير السباعى  
إبراهيم فتحي  
حسين بيومى  
زيدان عبدالطيم زيدان  
صلاح عبدالعزیز محجوب  
بإشراف: محمد الجوهري  
نبيل سعد  
سهر المصانفة  
محمد محمود أبوغدير  
شكرى محمد عياد  
شكرى محمد عياد  
شكرى محمد عياد  
بسام ياسين رشيد  
هدى حسين  
محمد محمد الخطابى  
إمام عبد الفتاح إمام  
أحمد محمود  
وجيه سمعان عبد المسيح  
جلال البنا  
حصه إبراهيم المنيف  
محمد حمدي إبراهيم  
إمام عبد الفتاح إمام  
سليم عبد الأمير حمدان  
محمد يحيى  
ياسين طه حافظ  
فتحي العشرى  
نسوقى سعيد  
عبد الوهاب علوب  
إمام عبد الفتاح إمام  
محمد علاء الدين منصور  
بدر الديب

- ١٨٩- الصبر والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر پول دى مان سعيد الفانمى
- ١٩٠- محاورات كوتفوشيبوس كوتفوشيبوس محسن سيد فرجاني
- ١٩١- الكلام وأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وأخرون مصطفى حجازى السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ١٩٣- عامل النجم (رواية) بيتر أبراهامز محمد عبد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الانجلو-أمريكى الحديث مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) فالتين راسبوتين أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى إيونين إمري وأخرون إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاتداو جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل جيرمى سيبروك فخزى لبيب
- ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤) رينيه ويليك مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية الطاف حسين حالى جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زلمان شانازر أحمد هويدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى- سفورزا أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهيبولية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقي (رواية) رامون خوتاستندير محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربي فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) سنائى الفزنوى يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- فريدينان نوسوسير جوناثان كلر محمود حمدى عبد الغنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان مرزيان بن رستم بن شروين يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢١٣- مسرح منذ قسم نابليون حتى رحيل عبدالناصر ريمون فلاور سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيندز محمد محيى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان طبيعيتان صمويل بيكيت وهارولد بينتر تادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوليو كورتاثان على إبراهيم متوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كازو إيشيجورود طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهيبولية فى الكون بارى باركر على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفافى جريجورى جوزدانيس رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر باول فيرابند السيد محمد نقادى
- ٢٢٤- دمار يوغسلافيا برانكا ماجاس منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابرييل جارتيا ماركيت السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى ديفيد هربت لورانس طاهر محمد على البربرى

- ٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر  
خوسيه ماريا ديث بوركي
- ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن  
جانيت وولف
- ٢٢٩- مازق البطل الوحيد  
نورمان كيجان
- ٢٣٠- عن الذباب والفران والبشر  
فرانسواز جاكوب
- ٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)  
خايمي سالوم بيدال
- ٢٣٢- ما بعد المعلومات  
توم ستونير
- ٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي  
آرثر هيرمان
- ٢٣٤- الإسلام في السودان  
ج. سبنسر تريمجهم
- ٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (ج١)  
مولانا جلال الدين الرومي
- ٢٣٦- الولاية  
ميشيل شونكيفيتش
- ٢٣٧- مصر أرض الوادي  
روين فيدين
- ٢٣٨- العولة والتحرير  
تقرير لمنظمة الأكتاد
- ٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي  
جيلا راماز - رايرخ
- ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار  
كاي حافظ
- ٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية)  
ج. م. كوتزي
- ٢٤٢- سبعة أنماط من القموض  
وليام إمبسون
- ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)  
ليني بروفنسال
- ٢٤٤- الظليان (رواية)  
لاورا إسكيبييل
- ٢٤٥- نساء مقاتلات  
إليزابيثا أديس وآخرون
- ٢٤٦- مختارات قصصية  
جابريل جارشيا ماركيث
- ٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والعدالة في مصر  
والتر أرميرست
- ٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)  
أنطونيو جالا
- ٢٤٩- لغة التمزق (شعر)  
دراجو شتامبيوك
- ٢٥٠- علم اجتماع العلوم  
دومنيك فينك
- ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)  
جوردون مارشال
- ٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية  
مارجو بدران
- ٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية  
ل. أ. سيمينوفا
- ٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة  
ديف روينسون وجودي جروفز
- ٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون  
ديف روينسون وجودي جروفز
- ٢٥٦- أقدم لك: بيكارت  
ديف روينسون وكريس جارات
- ٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة  
وليم كلي رايت
- ٢٥٨- الفجر  
سير أنجوس فريزر
- ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور  
نخبة جوردون مارشال
- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٣)  
جوردون مارشال
- ٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود  
زكي نجيب محمود
- ٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)  
إدواردو مندوثا
- ٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن  
جون جرين
- ٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة  
هوراس وشلي
- السيد عبدالظاهر عبدالله
- ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
- أمير إبراهيم العمري
- مصطفى إبراهيم فهمي
- جمال عبدالرحمن
- مصطفى إبراهيم فهمي
- طلعت الشايب
- فؤاد محمد عكود
- إبراهيم الدسوقي شتا
- أحمد الطيب
- عنايات حسين طلعت
- ياسر محمد جادالله وعريس مديولى أحمد
- نانية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
- صلاح محجوب إدريس
- ابقسام عبدالله
- صبري محمد حسن
- بإشراف: صلاح فضل
- نادية جمال الدين محمد
- توفيق على منصور
- على إبراهيم منوقى
- محمد طارق الشرقاوى
- عبداللطيف عبداللطيف
- رفعت سلام
- ماجدة محسن أباطة
- بإشراف: محمد الجوهري
- على بدران
- حسن بيومي
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمود سيد أحمد
- عبادة كحيلة
- فاروجان كازانچيان
- بإشراف: محمد الجوهري
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد أبو العطا
- على يوسف على
- لويس عوض



- ٢٦٥- روايات مترجمة أوسكار وايلد وصمويل جونسون  
 لويس عوض
- ٢٦٦- مدير المدرسة (رواية) جلال آل أحمد  
 عادل عبدالمعتم على
- ٢٦٧- فن الرواية ميلان كونديرا  
 بدر الدين عروكي
- ٢٦٨- ديوان شمس تبريزي (ج٢) مولانا جلال الدين الرومي  
 إبراهيم الدسوقي شتا
- ٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١) وايم جيفور بالجريف  
 صبري محمد حسن
- ٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢) وايم جيفور بالجريف  
 صبري محمد حسن
- ٢٧١- الحضارة القريبة: الفكرة والتاريخ توماس سى، باترسون  
 شوقي جلال
- ٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر سى. سى. والترز  
 إبراهيم سلامة إبراهيم
- ٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي فى مصر جوان كول  
 عنان الشهاوى
- ٢٧٤- السيدة باربارا (رواية) رومولو جاييجوس  
 محمود على مكى
- ٢٧٥- س. س. إليت شاعرًا ونقادًا وكاتبًا مسرحيًا مجموعة من النقاد  
 ماهر شفيق فريد
- ٢٧٦- فنون السينما مجموعة من المؤلفين  
 عبدالقادر التمساني
- ٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة براين فورد  
 أحمد فوزى
- ٢٧٨- البدايات إسحاق عظيموف  
 ظريف عبدالله
- ٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية ف.س. سوندرز  
 طلعت الشايب
- ٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى بريم شند وآخرون  
 سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية) عبد الحليم شرر  
 جلال الحفناوى
- ٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية لويس وولبرت  
 سمير حنا صادق
- ٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى خوان رولفو  
 على عبد الرؤف اليمبى
- ٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية) يوربيديس  
 أحمد عثمان
- ٢٨٥- رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى حسن نظامى الدهلوى  
 سمير عبد الحميد إبراهيم
- ٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى  
 محمود علاوى
- ٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى أنتونى كنج  
 محمد يحيى وآخرون
- ٢٨٨- الفن الروائى ديفيد لودج  
 ماهر البطوطى
- ٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص  
 محمد نور الدين عبدالمعتم
- ٢٩٠- علم اللغة والترجمة جورج مونان  
 أحمد زكريا إبراهيم
- ٢٩١- تاريخ المسرح الإسمائى فى القرن العشرين (ج١) فرانثيسكو رويس رامون  
 السيد عبد الظاهر
- ٢٩٢- تاريخ المسرح الإسمائى فى القرن العشرين (ج٢) فرانثيسكو رويس رامون  
 السيد عبد الظاهر
- ٢٩٣- مقدمة للأدب العربى روجر ألن  
 مجدى توفيق وآخرون
- ٢٩٤- فن الشعر بوالو  
 رجاء ياقوت
- ٢٩٥- سلطان الأسطورة جوزيف كامبل وبييل موريز  
 بدر الدين
- ٢٩٦- مكبث (مسرحية) وليم شكسبير  
 محمد مصطفى بدوى
- ٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى  
 ماجدة محمد أنور
- ٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى نخبة  
 مصطفى حجازى السيد
- ٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية جين ماركس  
 هاشم أحمد محمد
- ٣٠٠- اسطورة ميريديث فى الأدب الإنجليزي والفرنسى (ج١) لويس عوض  
 جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
- ٣٠١- اسطورة ميريديث فى الأدب الإنجليزي والفرنسى (ج٢) لويس عوض  
 جمال الجزيرى و محمد الجندي
- ٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين جون هيغتون وجودى جروفز  
 إمام عبد الفتاح إمام

إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب ويورن فان لون	أقدم لك: بوذا	٢٠٢-
إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	أقدم لك: ماركس	٢٠٤-
صلاح عبد الصبور	كروزيو مالاپارته	الجلد (رواية)	٢٠٥-
نبيل سعد	جان فرانسوا ليوتار	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	٢٠٦-
محمود مكي	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	أقدم لك: الشعور	٢٠٧-
ممنوح عبد المنعم	ستيف جونز ويورين فان لو	أقدم لك: علم الوراثة	٢٠٨-
جمال الجزيري	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	أقدم لك: الذهن والمخ	٢٠٩-
محيى الدين مزيد	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	أقدم لك: يونج	٢١٠-
فاطمة إسماعيل	ر.ج كولنجرود	مقال في المنهج الفلسفي	٢١١-
أسعد حليم	وليم ديويوس	روح الشعب الأسود	٢١٢-
محمد عبدالله الجعدي	خايبير بيان	أمثال فلسطينية (شعر)	٢١٣-
هويدا السباعي	جانيس مينك	مارسيل نوشامب: الفن كعدم	٢١٤-
كاميليا صبحي	ميشيل بروندينو والظاهر لبيب	جرامشي في العالم العربي	٢١٥-
نسيم مجلي	أى. ف. ستون	محاكمة سقراط	٢١٦-
أشرف الصباغ	س. شير لايموفا- س. زنيكين	بلا غد	٢١٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الأب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	٢١٨-
حسام نايل	جايتري اسبيفاك وكريستوفر نوريس	صور دريدا	٢١٩-
محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	لعة السراج لحضرة التاج	٢٢٠-
بإشراف: صلاح فضل	ليفي برو فنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١)	٢٢١-
خالد مفلح حمزة	ديليو يوجين كلينباور	وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	٢٢٢-
هانم محمد فوزي	تراث يوناني قديم	فن الساتورا	٢٢٣-
محمود علاوي	أشرف أسدي	اللعب بالنار (رواية)	٢٢٤-
كريستن يوسف	فيليب بوسان	عالم الآثار (رواية)	٢٢٥-
حسن صقر	يورجين هابرماس	المعرفة والمصلحة	٢٢٦-
توفيق علي منصور	نخبة	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	٢٢٧-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامي	يوسف وزليخا (شعر)	٢٢٨-
محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	رسائل عيد الميلاد (شعر)	٢٢٩-
سامي صلاح	مارفن شبرد	كل شيء عن التمثيل الصامت	٢٣٠-
سامية دياب	ستيفن جراي	عندما جاء السردين وقصص أخرى	٢٣١-
علي إبراهيم منوفي	نخبة	شهر العسل وقصص أخرى	٢٣٢-
يكر عباس	نبيل مطر	الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	٢٣٣-
مصطفى إبراهيم فهمي	آرثر كلارك	لقطات من المستقبل	٢٣٤-
فتحي العشري	ناتالي ساروت	عصر الشك: دراسات عن الرواية	٢٣٥-
حسن صابر	نصوص مصرية قديمة	متون الأهرام	٢٣٦-
أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	فلسفة الولاء	٢٣٧-
جلال الحفناوي	نخبة	نظرات حائرة وقصص أخرى	٢٣٨-
محمد علاء الدين منصور	إدوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج ٢)	٢٣٩-
فخرى لبيب	بيرش بيربروجلو	اضطراب في الشرق الأوسط	٢٤٠-

حسن حلمي	راينز ماريا ولكه	قصائد من رلكه (شعر)	٢٤١-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وأيسال (شعر)	٢٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمر	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٢٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيرو	الموت في الشمس (رواية)	٢٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بونيه ندائى	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزيري	رشاد رشدى	سحر مصر	٢٤٦-
بكر الطو	جان كوكتو	الصبية الطائشون (رواية)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	المتصورة الأولون في الأدب التركي (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهين	أرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصارى	جوزايا رويس	مبادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالونادو	القرن الإسلامى في الألسن: الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالونادو	القرن الإسلامى في الألسن: الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علوى	حجت مرتجى	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرفاعى	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثى فريك وبيتر غاندى	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازى السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامية	٢٥٨-
حبيب الشارونى	أفلاطون	محاورة بارمنيدس	٢٥٩-
ليلى الشربيني	أندريه جاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٢٦٠-
عاطف معتمد وأمال شاور	ألان جرينجر	التصحح: التهديد والمجابهة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شيبورل	تلميذ بابنبرج (رواية)	٢٦٢-
صبرى محمد حسن	ريتشارد جيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجلهء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حادثة شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودليير	سام باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الذئاب	٢٦٦-
البراق عبدالهادى رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجريء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليرلا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	المتصورة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ ميتغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
على إبراهيم منوفى	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة دكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إدوار الخراط	جان أنوى وآخرون	الغضب وأحلام الستين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إيوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

- ٢٧٩- ملك فى الحديقة (رواية) سنيل باث جمال عبدالرحمن
- ٢٨٠- حديث عن الخسارة جونتر جراس شيرين عبدالسلام
- ٢٨١- أساسيات اللغة ر. ل. تراسك رانيا إبراهيم يوسف
- ٢٨٢- تاريخ طبرستان بهاء الدين محمد إسفنديار أحمد محمد نادى
- ٢٨٣- هدية الحجاز (شعر) محمد إقبال سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٢٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال سوزان إنجيل إيزابيل كمال
- ٢٨٥- مشترى العشق (رواية) محمد على بهزادراد يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى جانيت تود ريهام حسين إبراهيم
- ٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر) جون دن بهاء جاهين
- ٢٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر) سعدى الشيرازى محمد علاء الدين منصور
- ٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى نخبة سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى إم. فى. رويرتس عثمان مصطفى عثمان
- ٢٩١- الحافلة الليكبية (رواية) مايف بيتشى منى الروبى
- ٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية فرناندو دى لاجرانجا عبداللطيف عبدالحميد
- ٢٩٣- فى قلب الشرق ندوة لويس ماسينيون زينب محمود الخضيرى
- ٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز هاشم أحمد محمد
- ٢٩٥- أيام سياوش (رواية) إسماعيل نصيح سليم عبد الأمير حمدان
- ٢٩٦- السافاك تقى نجارى راد محمود علاوى
- ٢٩٧- أقدم لك: نيتشه لورانس جين وكيتى شين إمام عبدالفتاح إمام
- ٢٩٨- أقدم لك: سارتر فيليب تودى وهوارد ريد إمام عبدالفتاح إمام
- ٢٩٩- أقدم لك: كامى ديفيد ميروفتش وألن كوركس إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٠٠- مومو (رواية) ميشائيل إنده باهر الجوهري
- ٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات زياودن ساردر وآخرون ممنوح عبد المنعم
- ٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت ممنوح عبدالمنعم
- ٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايات) توبور شتورم وجوتفرد كولر عماد حسن بكر
- ٤٠٤- تعويذة الحسى ديفيد إبرام ظبية خميس
- ٤٠٥- إيزابيل (رواية) أندريه جيد حمادة إبراهيم
- ٤٠٦- المستعمرون الإسبان فى القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس جمال عبد الرحمن
- ٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر باقلام كتابه مجموعة من المؤلفين طلعت شاهين
- ٤٠٨- معجم تاريخ مصر جوان فوتشركنج عنان الشهاوى
- ٤٠٩- انتصار السعادة برتراند راسل إلهامى عمارة
- ٤١٠- خلاصة القرن كارل بوير الزواوى بوفرة
- ٤١١- همس من الماضى جينيفر أكرمان أحمد مستجير
- ٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ج. ٢) ليفى بروفنسال بإشراف: صلاح فضل
- ٤١٣- أغنيات المنفى (شعر) ناظم حكمت محمد البخارى
- ٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب باسكال كازانوفيا أمل الصبان
- ٤١٥- صورة كوكب (مسرحية) فريدريش نورينمات أحمد كامل عبدالرحيم
- ٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر أ. أ. رتشاردز محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)	رينيه ريليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزبر الماكرة في مصر الثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسليم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميغاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسرامات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقمصن أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبلى
٤٢٨-	الغزاة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سينسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليوفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل قلنت	حمدي الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحدائة	نيكولاس زديرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربى	شبللى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بييرس	عايدة سيف النولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشراوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروناتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشيسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	الفة العربية: تاريخها ومستوانها وتأثيرها	كيس فرستينغ	محمد طارق الشراوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	برويز ناتل خاتلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كليلر	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	معموح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيلمانز وأوسكار زاريت	معموح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن ثان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

محمود سيد أحمد	فرديك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تنسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء في الفكر السياسي الغربي
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتنبرج	٤٥٩- نمو مفهوم لانتصانيات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكان
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصه إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقلّة
جمال الزقاعى	لويس جنزيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	فيولين فانويك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين ديلى	٤٦٧- التفكير السياسي والنظرة السياسية
أحمد الأنصاري	جوزايا روس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حيشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد التنة	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)
سهام عبدالسلام	بام موريس	٤٧٤- الأدب والنسوية
عادل هلال عنانى	فرجينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض الصبايا بعيدة: بيرم التونسي
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج و لى شى دونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاوشه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو مو روا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- برده النبى
فاطمة عبد الله	روبير جاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة چامبل	٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية
رشيد بنحدو	هانسن روبييرت ياروس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبدالطيم عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد أبادى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب علوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسمار البيغاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأثريقى
محمد رفعت عواد	جى فارجيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

- ٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات      هارولد بالمر  
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج في النهار      نصوص مصرية قديمة  
٤٩٥- اللوبي      إيوارد تيفان  
٤٩٦- الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)      إكوانو بانولي  
٤٩٧- التلمانية والتنوع والنوع في الشرق الأوسط      نادية العلى  
٤٩٨- النساء والتنوع في الشرق الأوسط الحديث      جويث تاكر ومارجريت مريودز  
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والتنوع      مجموعة من المؤلفين  
٥٠٠- في طفرات: دراسة في السيرة الذاتية العربية      تيتز رويكى  
٥٠١- تاريخ النساء في الغرب (ج١)      آرثر جولد هامر  
٥٠٢- أصوات بديلة      مجموعة من المؤلفين  
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث      نخبة من الشعراء  
٥٠٤- كتابات أساسية (ج١)      مارتن هايدجر  
٥٠٥- كتابات أساسية (ج٢)      مارتن هايدجر  
٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)      أن تيلر  
٥٠٧- سيدة الماضي الجميل (مسرحية)      بيتر شيفر  
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومي      عبدالباقى جيلبارلى  
٥٠٩- الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك      آدم صبرة  
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)      كارلو جولدوني  
٥١١- كوكب مرثع (رواية)      أن تيلر  
٥١٢- كتابة النقد السينمائي      تيموثى كوريجان  
٥١٣- العلم الجسور      تيد أنتون  
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية      جونثان كولر  
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحدائق      فدوى مالطى بوجلاس  
٥١٦- إرادة الإنسان في علاج الإيمان      آرثولد واشنطنون ويونا باوندى  
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى      نخبة  
٥١٨- استكشاف الأرض والكون      إسحق عظيموف  
٥١٩- محاضرات في المثالية الحديثة      جوزايا رويس  
٥٢٠- النوع الفرنسى بمصر من العلم إلى المشروع      أحمد يوسف  
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة      آرثر جواد سميث  
٥٢٢- إسبانيا في تاريخها      أميركو كاسترو  
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن      باسيليو بابون مالدونادو  
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)      وليم شكسبير  
٥٢٥- مرسم صيد في بيروت وقصص أخرى      دنيس جونسون  
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية      ستيفن كرويل ووليم رانكين  
٥٢٧- أقدم لك: كافكا      ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب  
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية      طارق على وفل إيفانز  
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى      محمد إقبال  
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية      رينيه جينو
- محمد صالح الضالع  
شريف الصفي  
حسن عبد ربه المصرى  
مجموعة من المترجمين  
مصطفى رياض  
أحمد على بنوى  
فيصل بن خضراء  
طلعت الشايب  
سحر فراج  
هالة كمال  
محمد نور الدين عبدالمنعم  
إسماعيل المصدق  
إسماعيل المصدق  
عبدالحميد فهمى الجمال  
شوقى فهم  
عبدالله أحمد إبراهيم  
قاسم عبده قاسم  
عبدالرازق عيد  
عبدالحميد فهمى الجمال  
جمال عبد الناصر  
مصطفى إبراهيم فهمى  
مصطفى بيومى عبد السلام  
فدوى مالطى بوجلاس  
صبرى محمد حسن  
سمير عبد الحميد إبراهيم  
هاشم أحمد محمد  
أحمد الأنصارى  
أمل الصبان  
عبدالوهاب بكر  
على إبراهيم منوفى  
على إبراهيم منوفى  
محمد مصطفى بنوى  
نادية رفعت  
محيى الدين مزيد  
جمال الجزيرى  
جمال الجزيرى  
حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى  
عمر الفاروق عمر

- ٥٢١- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟  
٥٢٢- المغامر والمستشرق  
٥٢٣- تعلم اللغة الثانية  
٥٢٤- الإسلاميون الجزائريون  
٥٢٥- مخزن الأسرار (شعر)  
٥٢٦- الثقافات وقيم التقدم  
٥٢٧- للحب والحرية (شعر)  
٥٢٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني  
٥٢٩- خمس مسرحيات قصيرة  
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية  
٥٤١- هي تخيل وهالوس أخرى  
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث  
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية  
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين  
٥٤٥- يا له من سباق محوم  
٥٤٦- ريموس  
٥٤٧- أقدم لك: بارت  
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع  
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات  
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير  
٥٥١- الموسيقى والعولة  
٥٥٢- قصص مثالية  
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر  
٥٥٤- مصر في عهد محمد علي  
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين  
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار  
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد  
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية  
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)  
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)  
٥٦١- جناح جبريل (شعر)  
٥٦٢- بلايين وبلايين  
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)  
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)  
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر  
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى  
٥٦٧- الوطن المقتضب  
٥٦٨- الأصول في الرواية
- جك دريدا  
هنرى لورنس  
سوزان جاس  
سيفرين لوبا  
نظامى الكنجوى  
صمويل منتجتون واورانس هاريزون  
نخبة  
كيت دانيلز  
كاريل تشرشل  
السير رونالد ستورس  
خوان خوسيه مياس  
نخبة  
باتريك بروجان وكريس جرات  
روبرت هنشل وآخرون  
فرانسيس كريك  
ت. ب. وايزمان  
فيليب تودى وأن كورس  
ريتشارد أوزبرن ويورن فان لون  
بول كويلي وليتاجانز  
نيك جردم وييرد  
ساميون ماندى  
ميجيل دى ثريانتس  
دانيال لوفرس  
عفاف لطفى السيد مارسوه  
أناثولى أوتكين  
كريس هوروكس وزوران جيقتك  
ستوارت هود وجراهام كرولى  
زيودين ساردارويورين فان لون  
تشا تشاجى  
محمد إقبال  
محمد إقبال  
كارل ساجان  
خايننتو بينابينتى  
خايننتو بينابينتى  
دييورا ج. جيرتر  
موريس بيشوب  
مايكل رايس  
عبد السلام حيدر
- صفاء فتحي  
بشير السباعي  
محمد طارق الشراوى  
حمادة إبراهيم  
عبدالعزیز بقوش  
شوقى جلال  
عبدالقادر مكارى  
محمد الحديدي  
محسن مصيلحي  
رؤف عباس  
مروة رزق  
نعيم عطية  
وفاء عبدالقادر  
حمدي الجابري  
عزت عامر  
توفيق على منصور  
جمال الجزيري  
حمدي الجابري  
جمال الجزيري  
حمدي الجابري  
سمحة الخولى  
على عبد الرؤف البمبي  
رجاء ياقوت  
عبدالسميع عمر زين الدين  
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي  
حمدي الجابري  
إمام عبدالفتاح إمام  
إمام عبدالفتاح إمام  
عبدالحى أحمد سالم  
جلال السعيد الحفناوى  
جلال السعيد الحفناوى  
عزت عامر  
صبرى محمدى التهامى  
صبرى محمدى التهامى  
أحمد عبدالحميد أحمد  
على السيد على  
إبراهيم سلامة إبراهيم  
عبد السلام حيدر



٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	نول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فريود	ريتشارد ابيجانانس وأسكار زارثى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولة	نجير وونز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيوى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرحف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الولاية (مج ١)	جون فينز ويول سيترجز	ياشارف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمنز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنوتوب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجبية (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفننتية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والفكر	هوراتيو	على عبدالتراب على ومصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الطر
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكثمان وإسرائيل	نونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهيرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكى
٦٠٢-	ليونتان: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزیز
٦٠٣-	النقد الثقافى	أرش أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوىسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبوسكى (الصفير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبى	٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١)
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبى	٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢)
شوقى جلال	أجنر فوج	٦٠٩- الانتخاب الثقافى
على إبراهيم منوفى	رفائيل لويث جوثمان	٦١٠- العمارة المتجئة
فخرى صالح	تيرى إيجلتون	٦١١- النقد والأيدولوجية
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	٦١٢- رسالة النفسىة
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	٦١٣- السياحة والسياسة
منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	٦١٥- عرض الأبحاث التى رفعت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩
أحمد محمود	روبرت يانج	٦١٦- أساطير بيضاء
أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧- الفولكلور والبحر
جلال البنا	تشارلز فيلبس	٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس
بشير السباعى	توماش ماستناك	٦٢٠- السلام الصليبى
فؤاد عكود	وليم ى. آدمز	٦٢١- النبوة المعبر الحضارى
أمير تيبه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينغ	٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	٦٢٣- نواذر جحا الإيرانى
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	٦٢٤- أزمة العالم الحديث
محمد برادة	جان جينيه	٦٢٥- الجرح السرى
توفيق على منصور	نخبة	٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
عبدالوهاب علوب	نخبة	٦٢٧- حكايات إيرانية
مجدى محمود المليجى	تشارلس داروين	٦٢٨- أصل الأنواع
عزة الخميسى	نيقولاس جويات	٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	٦٣٠- سيرتى الذاتية
باشرف: حسن طلب	نخبة	٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر
رانيا محمد	دواورس برامون	٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا
حمادة إبراهيم	نخبة	٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)
مصطفى البهنساوى	روى ماكويد وإسماعيل سراج الدين	٦٣٤- مكتبة الإسكندرية
سمير كريم	جودة عبد الخائق	٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	٦٣٦- حج يولنده
بدر الرفاعى	ف. روبرت هنتز	٦٣٧- مصر الخفية
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن وريث	٦٣٨- الديمقراطية والشعر
أحمد شاقعى	تشارلز سيميك	٦٣٩- فننق الأرق (شعر)
حسن حبشى	الأميرة أناكوميتينا	٦٤٠- الأكسياد
محمد قدرى عمارة	برتراند رسل	٦٤١- برتراند رسل (مختارات)
ممدوح عبد المنعم	جوناثان ميلر وبورين فان لون	٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الماجد الدرريبادى	٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)
فتح الله الشيوخ	هوارد د تيرنر	٦٤٤- العلوم عند المسلمين

عبد الوهاب علوب	تشارلز كجلى ويوجين وينكوف	السياسة الخارجية الأمريكية وسمازها الداخلية	٦٤٥-
عبد الوهاب علوب	سپهر ذبيح	قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-
فتحي العشري	جون نيفيه	رسائل من مصر	٦٤٧-
خليل كلفت	بياتريث سارلو	بورخيس	٦٤٨-
سحر يوسف	جى دى موباسان	الخوف ويقصص خرافية أخرى	٦٤٩-
عبد الوهاب علوب	روجر أوين	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	٦٥٠-
أمل الصبان	وثائق قديمة	ديليسيبى الذى لا نعرفه	٦٥١-
حسن نصر الدين	كلود ترونكر	ألهة مصر القديمة	٦٥٢-
سمير جريس	إيريش كستنر	مدرسة الطغاة (مسرحية)	٦٥٣-
عبد الرحمن الخميسى	نصوص قديمة	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	٦٥٤-
حليم طوسون ومحمود ماهر طه	إيزابيل فرانكو	أساطير وألهة	٦٥٥-
ممدوح البستوى	ألفونسو ساسترى	خيز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	٦٥٦-
خالد عباس	مرثيديس غارثيا أرينال	محاكم التفتيش والموريسكيون	٦٥٧-
صبرى التهامى	خوان رامون خيمينيث	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	٦٥٨-
عبد اللطيف عبد الحليم	نخبة	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	٦٥٩-
هاشم أحمد محمد	ريتشارد فايفيلد	نافذة على أحدث العلوم	٦٦٠-
صبرى التهامى	نخبة	روائع أندلسية إسلامية	٦٦١-
صبرى التهامى	داسو سالديار	رحلة إلى الجنود	٦٦٢-
أحمد شافعى	ليوسيل كليفتون	امراة عابية	٦٦٣-
عصام زكريا	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	الرجل على الشاشة	٦٦٤-
هاشم أحمد محمد	بول دافيز	عواالم أخرى	٦٦٥-
جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب	وولفجانج اتش كلين	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	٦٦٦-
على ليلة	ألتن جولدنر	الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربى	٦٦٧-
ليلى الجبالى	فريدريك جيمسون وماسا ميوشى	ثقافات العملة	٦٦٨-
نسليم مجلى	وول شوينكا	ثلاث مسرحيات	٦٦٩-
ماهر البطوطى	جوستاف أنولفو بكر	أشعار جوستاف أدولفو	٦٧٠-
على عبد الأمير صالح	جيمس بولدوين	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	٦٧١-
إبتهال سالم	نخبة	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	٦٧٢-
جلال الحفناوى	محمد إقبال	ضرب الكلم (شعر)	٦٧٣-
محمد علاه الدين منصور	آية الله العظمى الخمينى	ديوان الإمام الخمينى	٦٧٤-
بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٥-
بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٦-
أحمد كمال الدين حلمى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)	٦٧٧-
أحمد كمال الدين حلمى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)	٦٧٨-
توفيق على منصور	وليام شكسبير	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٧٩-
سمير عبد ربه	وول شوينكا	سنوات الطفولة (رواية)	٦٨٠-
أحمد الشيمى	ستانلى فش	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	٦٨١-
صبرى محمد حسن	بن أوكرى	نجوم حفر التجوال الجديد (رواية)	٦٨٢-

صبرى محمد حسن	ت. م. أوكو	سكين وأحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيرو كيروجا	الأعمال التجميعية الكاملة (إنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيرو كيروجا	الأعمال التجميعية الكاملة (الصمراء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امراة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العفانى	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تابووش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفيتش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدي الجابرى	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدي الجابرى	جيف كولينز وبييل ماييلين	أقدم لك: ريديا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	رويوت وبفين وجودى جروفيس	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندريجي كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو فرجاش	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى البرنس	وليم رود فيفيان	الذاكرة والحدائق	٧٠١-
محمود علاوى	أحمد وكيليان	الأمثال الفارسية	٧٠٢-
أمين الشواربى	إدوارد جرانتفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	٧٠٣-
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	فيه ما فيه	٧٠٤-
عبدالحمد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	٧٠٥-
عزت عامر	جونسون ف. يان	الشغرة الوراثة وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	أقدم لك: فالتر بنيامين	٧٠٧-
رؤف عباس	دونالد مالكولم ريد	فراغة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	يان هاتشباى وجوموران إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	درة التاج	٧١١-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	٧١٢-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	٧١٣-
حنّا صاره	لامنيه	ميراث الترجمة: حديث القلوب	٧١٤-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج١)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٣)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٤)	٧١٨-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٥)	٧١٩-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٦)	٧٢٠-

مصطفى لييب عبد الغنى	هـ. أ. ولسون	٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
الصفصافى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢-	الصفحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية
عبد الريس	بول روينسون	٧٢٤-	اليسار اللورىدى
مى مقلد	جون فيتكس	٧٢٥-	الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثالبليس بوستو	٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب
وحيد السعيد	ياچين	٧٢٧-	حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس آليه	٧٢٨-	العولة: تدمير العمالة والنمو
هويدا عزت	صانق زيباكلام	٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	أن جاتى	٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية
محمد قبرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١-	النوع: الفكر والأشئ بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجو شولتسه	٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بنوى	رايم شيكسبير	٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحة)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكى	مايكل كويرسون	٧٣٥-	فن السيرة فى العربية
شعبان مكواى	هوارد زن	٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج ١)
توفيق على منصور	باتريك ل. أبوت	٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٨-	محقق من عصر ما قبل التاريخ إلى الثورة اللولبية
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٩-	محقق من الإمبراطورية العثمانية حتى البرهه الملغى
مرفت ياقوت	يارى هندس	٧٤٠-	خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لاكواندا	٧٤٢-	أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك الدنبلى	٧٤٥-	المناظر السلطانية
حسن النعمى	جوزيف أ. شومبيتر	٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨-	تدمير النظام العالمى
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	٧٤٩-	إيكولوجيا لغات العالم
بإشراف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠-	الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى
نمر عارورى	جمال قارصلى	٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣-	التنمية والقيم
عبد السلام حيدر	أنا مارى شيميل	٧٥٤-	الشرق والمغرب
على إبراهيم موفى	أندرو ب. نيبكى	٧٥٥-	تاريخ الشعر الإبانى خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنريكى خاردييل بونثيلا	٧٥٦-	ذات العينون الساحرة
أمال الروبى	ياتريشيا كرون	٧٥٧-	تجارة مكة
عاطف عبد الحميد	بروس روينز	٧٥٨-	الإحساس بالعولة

- ٧٥٩- النثر الأردني  
٧٦٠- الدين والتصور الشعبي للكون  
٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة ( )  
٧٦٢- اسلم عدواً و صديقاً  
٧٦٣- الحياة في مصر  
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوي (شعر غزل)  
٧٦٥- ديوان خواجه الدهلوي (شعر تصوف)  
٧٦٦- الشرق المتخيل  
٧٦٧- الغرب المتخيل  
٧٦٨- حوار الثقافات  
٧٦٩- أدباء أحياء  
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا  
٧٧١- السيد سيجوننو سومبرا  
٧٧٢- بريخت ما بعد الحدأة  
٧٧٣- دائرة المعارف النولية (ج٢)  
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات  
٧٧٥- مرأة العروس  
٧٧٦- منظومة مصيبت نامة (مج١)  
٧٧٧- الانفجار الأعظم  
٧٧٨- صفوة المديح  
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى  
٧٨٠- من أنب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠  
٧٨١- الطريق إلى بكين  
٧٨٢- المسرح المسكون  
٧٨٣- العولة والرعاية الإنسانية  
٧٨٤- الإساءة للطفل  
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان  
٧٨٦- المذنبية (رواية)  
٧٨٧- العودة من فلسطين  
٧٨٨- سر الأهرامات  
٧٨٩- الانتظار (رواية)  
٧٩٠- الفرائد الكونية العربية  
٧٩١- التطور ومعامل التطور في مصر القديمة  
٧٩٢- دراسات حول القمص القصرية لإبريس ومطبعة  
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل  
٧٩٤- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج٢)  
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (ج١)  
٧٩٦- أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن
- مولوى سيد محمد  
السيد الأسود  
فيرجينيا رولف  
ماريا سوليداد  
أنريكو بيا  
غالب الدهلوي  
خواجه الدهلوي  
تيري هنتش  
نسيب سمير الحسيني  
محمود فهمي حجازي  
فريدريك هتمان  
بينيتو بيريث جالدوس  
ريكارلو جويزالديس  
إليزابيث رايت  
جون فيزر وبول ستيرجيز  
مجموعة من المؤلفين  
نذير أحمد الدهلوي  
فريد الدين العطار  
جيمس إ. ليدسي  
مولانا محمد أحمد ورضا القادري  
نخبة  
غلام رسول مهر  
هدى بدران  
مارفن كارلسون  
فيك جورج وبول ويلدنج  
ديفيد أ. وولف  
كارل ساجان  
مارجريت أتوود  
جوزيه بوفيه  
ميروسلاف فرنر  
هاجين  
مونيك بونتو  
محمد الشيمي  
منى ميخائيل  
جون جريفيس  
هوارد زن  
نخبة  
نعوم تشومسكي
- جلال الحفناوي  
السيد الأسود  
فاطمة ناعوت  
عبدالعال صالح  
نجوى عمر  
حازم محفوظ  
حازم محفوظ  
غازي برو وخلييل أحمد خليل  
غازي برو  
محمود فهمي حجازي  
رندا النشار وضياء زاهر  
صبري التهامي  
صبري التهامي  
محسن مصيلحي  
باشرفا: محمد فتحى عبدالهادي  
حسن عبد ربه المصرى  
جلال الحفناوي  
محمد محمد يونس  
عزت عامر  
حازم محفوظ  
سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاشي  
سمير عبد الحميد إبراهيم  
نبيلة بدران  
جمال عبد المقصود  
طلعت السروجي  
جمعة سيد يوسف  
سمير حنا صادق  
سحر توفيق  
إيناس صادق  
خالد أبو اليزيد البلتاجي  
منى الدروبي  
جيهان العيسوي  
ماهر جورجياتي  
منى إبراهيم  
رؤف وصفي  
شعبان مكاري  
على عبد الرؤف البمبي  
حمزة المرزني

طلعت شاهين	نخبة	الرؤية في ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدر ودافيد جيلدر	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	أن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثى	قضايا في علم اللغة التطبيقي	٨٠٠-
بإشراف: محسن يوسف	تقرير دولى	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شربين محمود الرقاعى	ماريا سوليداد	مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية	٨٠٢-
عزة الخميسى	توماس باترسون	التغيير والتنمية في القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الحلوجى	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	سوسيوولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربرى	كازو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المتوسطة	٨٠٦-
خيرى دومة	ميريام كوك	يحي حقى: تشريح مفكر مصرى	٨٠٧-
أحمد محمود	بيفيد دابليو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعمى	جوزيف أشومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهى	ميشيل مافيزولى	تأمل العالم: المسرة والأسلوب في الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	أنى إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
أمال الروبى	ناقتال لويس	الحياة اليومية في مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى لييب عبدالغنى	هـ. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عروبيكى	فيليب روجيه	العنو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام في الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	العرفيين والتجار في القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	العرفيين والتجار في القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندى	وليم شكسبير	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شامعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب بوكهارت	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج١)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب بوكهارت	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج٢)	٨٢٦-
محمد على فرج	دونالد ب. كول وثريا تركى	امل مطروح الجيو والسيستين والفينيشون الثلاثة	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاه الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد النادى وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وايو پولد إنكلد	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	٨٣١-
حسن النعمى	جوزيف أشومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج٣)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنز شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاه الدين منصور	ذبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-

علاء عزمى	بيتر أوروبان	تشخيوف: حياة فى صور	٨٢٥-
ممنوح البستاني	مرثيدس غارثيا	بين الإسلام والغرب	٨٢٦-
على فهمى عبدالسلام	ناتاليا فيكو	عناكب فى المصيدة	٨٢٧-
ابنى صبرى	نعوم تشومسكى	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	٨٢٨-
جمال الجزيرى	ستيوارت سين ويورين فان لون	أقدم لك: النظرية النقدية	٨٢٩-
فوزية حسن	جوتيهارد ليسينج	الخواتم الثلاثة	٨٤٠-
محمد مصطفى بدرى	وليم شكسبير	همت: أمير الدانمارك	٨٤١-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	٨٤٢-
محمد علاء الدين منصور	نخبة	من روائع القصيد الفارسي	٨٤٣-
سمير كريم	كريمة كريم	دراسات فى الفقر والعملة	٨٤٤-
طلعت الشايب	نيكولاس جوربات	غياب السلام	٨٤٥-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	الطبيعة البشرية	٨٤٦-
أحمد محمود	مايكل ألبرت	الحياة بعد الرأسمالية	٨٤٧-
عبد الهادي أبو ريدة	يوليوس قلهاوزن	ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	٨٤٨-
بدر توفيق	وليم شكسبير	سونيتات شكسبير	٨٤٩-
جاير عصفور	مقالات مختارة	الخيال، الأسلوب، الحدائة	٨٥٠-
يوسف مراد	كلود برنار	ميراث الترجمة: الطب التجريبي	٨٥١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ريتشارد دوكنز	العلم والحقيقة	٨٥٢-
على إبراهيم منوفى	باسيليو يابون مالدونادو	السارة فى الأناضل: عمارة اللحن والمصنوع (مج١)	٨٥٣-
على إبراهيم منوفى	باسيليو يابون مالدونادو	السارة فى الأناضل: عمارة اللحن والمصنوع (مج٢)	٨٥٤-
محمد أحمد حمد	جيرارد ستيم	فهم الاستعارة فى الأدب	٨٥٥-
عائشة سريلم	فرانثسكو ماركيت يانو بيانويا	القضية الموسيقية من وجهة نظر أخرى	٨٥٦-
كامل عويد العامرى	أندريه بريتون	نادجا (رواية)	٨٥٧-
بيومى قنديل	ثيو هرمانز	جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	٨٥٨-
مصطفى ماهر	إيف شيميل	السياسة فى الشرق القديم	٨٥٩-
لطيفة سالم	القاضى فان بملن	مصر وأوروبا	٨٦٠-
محمد الخولى	جين سميت	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	٨٦١-
محسن النمرdash	أرتور شنيتسلر	بيغاء الكاكابو	٨٦٢-
محمد علاء الدين منصور	على أكبر دلفى	لقاء بالشعراء	٨٦٣-
عبد الرحيم الرفاعى	دورين إنجرامز	أوراق فلسطينية	٨٦٤-
شوقى جلال	تيرى إيجلتون	فكرة الثقافة	٨٦٥-
محمد علاء الدين منصور	مجموعة من المؤلفين	رسائل خمس فى الأفاق والأنفس	٨٦٦-
صبرى محمد حسن	ديفيد مايلو	المهمة الاستوائية	٨٦٧-
محمد علاء الدين منصور	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	الشعر الفارسي المعاصر	٨٦٨-
شوقى جلال	روين دونبار وأخرون	تطور الثقافة	٨٦٩-
حمادة إبراهيم	نخبة	عشر مسرحيات (ج١)	٨٧٠-
حمادة إبراهيم	نخبة	عشر مسرحيات (ج٢)	٨٧١-
محسن فرجاني	لاوتسو	كتاب الطاو	٨٧٢-



بهاء شاهين	تقرير صادر عن اليونسكو	معلمون لمدارس المستقبل	٨٧٢-
ظهور أحمد	جاويد إقبال	النهر الخالد (مج١)	٨٧٤-
ظهور أحمد	جاويد إقبال	النهر الخالد (مج٢)	٨٧٥-
أماني المتياوي	هنرى جورج فارمر	دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج١)	٨٧٦-
صلاح محجوب	موريتس شتينشيدر	أدب الجدل والفتاح فى العربية	٨٧٧-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج١)	٨٧٨-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج٢)	٨٧٩-
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه	أحمد حسنين بك	الواحات المفقودة	٨٨٠-
هويدا عزت	جلال آل أحمد	التنويريون وبورهم فى خدمة المجتمع	٨٨١-
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج١)	٨٨٢-
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج٢)	٨٨٣-
محمد رشدى سالم	باربرا تيزار ومارتن هيوز	تعلم الأطفال الصغار	٨٨٤-

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٧٨٤٩ / ٢٠٠٥